حضرت عيسى (عليه السلام)

بين الكتاب والسنة وسائر الكتب السماوية

آیة الله العظمی الدکتور محمد الصادقی الطهرانی

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 7

حضرت عيسى عليه السلام (بين الكتاب والسنة وسائر الكتب السماوية) (ج 27)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم‏

هذا الكراس يحدث لكم عن المسيح من حيث العبودية الخاصة ورسالة الهية لكافة المكلفين إلى الرسول محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- نتحدث في هذا الكتاب عن الخلافات بين المسيحيين أنفسهم وبينهم و بين المسلمين على ضوء القرآن و الأناجيل والنتيجة الحاسمه أن المسيح- صلوات الله عليه- عبد من عباد الله اختصه الله بالولادة من غير والد معجزةً بدائيةً من الله بحقه عليه السلام ولاينبئك مثل خبير والسلام عليه وعليكم وعلى جميع عباد الله الصالحين ورحمة الله وبركاته.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 9

اصطفاء المرسلين (عليهم السلام)

«آدم» هنا وفي سائر القرآن هو الوالد الاوّل من هذا النسل الأخير، كما هو لائح في سائر القرآن دون ريب حيث جي‏ء باسمه الخاص هذا (35) مرة.

و ترى اصطفاءه يلمح انه كان معه أوادم آخرون، فاصطفاه اللّه من بينهم رسولا، فليس-/ إذا-/ هو الوالد الاوّل إذ قد يكون هو من مواليدهم وهذا النسل الانساني متنسل مقسما بينهم؟ وليست قضية اصطفاءه ذلك الهارف الخارف ان هناك كان أوادم آخرون لم يكن هو والدهم، حيث الإصطفاء المطلق وفي حقل الرسالة كما هنا لا يقتضي المجانسة بين جمع، بل يعني اصطفاءه من بين سائر الخليقة ليكون حامل لواء الدعوة الربانية بين المكلفين! حيث الرسالة الى العالمين خاصة بالإنس أصالة مهما كانت في الجن أيضا كفروع للرسالة الإنسانية الى قبيلهم قبل اختتام الوحي.

إذا فلا بد في الإصطفاء الرسالي من اجتباء الأصفى بين عامة المكلفين، حتى يصلح الرسول المصطفى لحمل الرسالة الى العالمين أجمعين.

فاللّه اصطفاه من بين قرينيه زوجه وإبليس وذريته الابالسة وسائر الجن حيث‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 10

«الْجَانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ» (15: 27) ومهما كان الإصطفاء بحاجة إلى عديد، فقد يكفي له اثنان يصطفى أحدهما على الآخر، فضلا عن آخرين-/ سوى زوجه-/ من قبيل الجن ككل.

و ليس اصطفاءه حين خلقه حتى يقال فكيف ذلك الإصطفاء ولما يخلق زوجه؟ وانما كان بعد عصيانه وهبوطه وتوبته وتوبة اللّه عليه: «وَ عَصى‏ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى‏. ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيْهِ وَ هَدى‏» (40: 122) واجتبائه هو اصطفاءه وهو مرحلة تالية لعصيانه فتوبة اللّه عليه ليتوب وتوبته الى اللّه وتوبة ثانية من اللّه عليه قبولا لتوبته ثم هدايته الى ما قبل عصيانه من طهارته ثم يأتي دور اجتبائه واصطفائه‏ «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 1: 328 في عيون الأخبار في مجلس الرضا عليه السلام عند المأمون مع أهل الملل‏المقالات‏و ما أجاب به علي بن محمد بن الجهم في عصمة الأنبياء صلوات اللّه عليهم حديث طويل يقول فيه الرضا عليه السلام أما قوله عز وجل في آدم «وَ عَصى‏ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى‏» فإن اللّه عزجل خلق آدم حجة في أرضه وخليفة في بلاده، لم يخلقه للجنة وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض وعصمته يجب أن تكون في الأرض ليتم مقادير أمر اللّه عز وجل، فلما أهبط إلى الأرض وجعل حجة وخليفة عصم بقوله عز وجل «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى‏ ...».

و فيه في باب مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء حديث طويل وفيه يقول: كان ذلك من آدم قبل النبوة ولم يكن ذلك بذنب كثير استحق به دخول النار وإنما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم فلما اجتباه اللّه تعالى وجعله نبيا كان معصوما لا يذنب صغيرة ولا كبيرة قال اللّه تعالى: «وَ عَصى‏ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى‏. ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيْهِ وَ هَدى‏» وقال عز وجل: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى‏ آدَمَ ...»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 11

و هكذا يجاب عن غائلة العصيان في الرسول المعصوم، انه اصطفي رسولا بعد توبته النصوح، الكاملة الكافلة لتركه على طول خط الحياة الرسالية، كما فصلناه في طه البقرة، و هنا الإصطفاء الاوّل لآدم يعني الاولية الزمنية، لا في الرتبية.

ثم «نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ» المصطفين «عَلَى الْعالَمِينَ» تشمل كافة المرسلين‏النبيين، فنوح-/ وهو أول اولي العزم-/ اوّل من دارت عليه رحى ولاية العزم الرسالية.

«وَ آلَ إِبْراهِيمَ» تعني ابراهيم وآله الابراهيميين رسلا ونبيين، منذ إسماعيل إلى خاتم النبيين وعترته المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين‏ «1» ومنذ إسحاق ويعقوب وسائر الرسل الاسرائيلين عليهم السلام، وهنا يختص بالذكر «آل عمران» اعتبارا بمريم العذراء الطاهرة المعصومة وابنها المسيح عليهما السلام حيث المسرح هنا في سورة آل عمران سرد القصص الفصل لآل عمران.

فلا يعني عدم التصريح بمحمد صلى الله عليه و آله هنا تسريحا له عن موقف الإصطفاء الخاص، كما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 2: 17-/ أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق علي عن ابن عباس‏في قوله «وَ آلَ إِبْراهِيمَ» قال: هم المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد صلى الله عليه و آله، وفيه عن قتادة قال: ذكر اللّه أهل بيتين صالحين ورجلين صالحين ففضلهم على العالمين فكان محمد صلى الله عليه و آله من آل إبراهيم عليه السلام‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 12

ولم يصرح بإسحاق ويعقوب وموسى وسائر الرسل الاسرائيلين، وموسى هو رأس الزاوية الرسالية بينهم، وقد يأتي في نفس السورة التصريح بان محمدا صلى الله عليه و آله إمام النبيين أجمعين،-/ مهما لم يكن أمامهم-/ في آية الميثاق.

«ذرية» انتشأ «بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ» نشأة الروح القدسية مع نشأة الجسم «نُورٌ عَلى‏ نُورٍ» «1» فليست نشأة الجسم-/ فقط-/ عن جسم بالذي يؤهل الناشئ للقدسية الروحية التي هي في المنشإ «وَ اللَّهُ سَمِيعٌ» مقالات السائلين وسواهم «عليم» بحالاتهم ومؤهلاتهم فينشئ الذرية الرسالية عن الرسل.

هذا-/ والى نظرة تفصيلية في آية الإصطفاء نقول: الإصطفاء هو أخذ صفوة الشي‏ء تخليصا له عما يكدره، والصفوة الربانية هي العصمة لا محالة للرسل أمن سواهم ممن يخلفهم في حمل الدعوة الرسالية المعصومة العاصمة لها عن الإنزلاق والإنحياق.

فقد يشمل الإصطفاء هنا آل محمد صلى الله عليه و آله المعصومين وهم ورثة الكتاب بعده، المصطفون في نص آخر:

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). المصدر أخرج ابن سعد وابن أبي حاتم عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليهم السلام أن عليا عليه السلام قال للحسن عليه السلام: قم فأخطب الناس، قال: إني أهابك أن أخطب وأنا أراك فتغيَّب عنه حيث يسمع كلامه ولا يراه فقام الحسن فحمد اللّه وأثنى عليه وتكلم ثم نزل فقال علي عليه السلام «ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 13

«وَ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ. ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» (35: 30).

و اصطفاء آدم ونوح دون آل آدم وآل نوح-/ وبعدهما آل ابراهيم وآل عمران-/ مما يلمح باختصاصه بهما دون آلهما، إذاً فلا نبي من آل آدم ونوح ام لا مصطفى منهما، هناك شيث وهابيل وإدريس؟.

قد يعني الإصطفاء قمته في كل دور رسالي، فآدم نفسه هو المصطفى في الدور الاول الرسالي ككل ثم النبيون بينه وبين نوح كادريس لم يكونوا من آله مهما كانوا من ذريته.

ولكن إدريس من آله كما محمد صلى الله عليه و آله من آل ابراهيم، وعدم ذكر إدريس شخصيا ولا ضمنيا في آل آدم لا يدل على خساسة شأنه وله خصاصة النبوة السامية أعلى من آدم «وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا».

و علّ عدم ذكره كما لم يذكر محمد صلى الله عليه و آله وسائر النبيين لان المقام مقام ذكر آل عمران عرضا عريضا لقصة مريم وعيسى عليهما السلام، ولذلك طوي عن ذكر إسحاق ويعقوب وموسى عليهم السلام.

كما وان الآل لا يذكر لشخص واحد، فآل آدم ليس ليعني خصوص إدريس ام آدمُ‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 14

إدريس، ولم يأهل لذلك الإصطفاء غير إدريس من ذرية آدم عليهم السلام.

اجل-/ ولأن وراثة النبوة المصطفاة ليست من وراثة الدم، إنما هي وراثة الروح ونوح هو المصطفى في الدور الاوّل من ولاية العزم، ولم يرسل احد من ولده الخصوص.

ثم الآل لغويا كما يعني أخصّاء الشخص، كذلك شخصه اعتبارا بكونه عمادا لأخصائه، ف «آل كل شي‏ء شخصه» و «الخشب الذي يعمد عليه الخيمة» و «آل الجبل أطرافه».

إذاً ف «آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ» هما شخص ابراهيم وعمران عمودين لخيمة الأخصاء، و قد جاء بجمع المعنى في الذكر الحكيم كآل ياسين-/ آل موسى-/ آل هارون-/ آل يعقوب-/ آل لوط وآل فرعون، عناية إلى الخيمة بعمودها، دون الخيمة بلا عمود، ولا العمود بلا خيمة.

ثم ولا يختص الآل: الإخصاء، بالأخصاء في النسب، فعلي عليه السلام هو من آل محمد وأفضلهم وليس في النسب، وسائر ولد الرسول صلى الله عليه و آله سوى الصديقة الطاهرة هم من آله بواسطتها «1» و «آل فرعون»-/ ولم يكن له ولد-/ هو من صارم الدليل على عدم‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 1: 329 في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى محمد بن الفضيل عن أبي‏حمزة الثمالي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام حديث طويل يقول فيه: فلما قضى محمد صلى الله عليه و آله نبوته واستكمل أيامه أوحى اللّه عز وجل إليه أن يا محمد قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة عند علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه لم أقطع العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة من العقب من ذريتك كما لم أقطعها من بيوتات الأنبياء الذين كانوا بينك وبيني وبين أبيك آدم‏ذلك قوله عز وجل «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى‏ آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ. ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 15

اختصاص الآل بأخصاء النسل.

و هنا «آل ابراهيم» قد يشمل كافة الأنبياء وسائر المعصومين الابراهيميين، حيث الكل كانوا من نسل ابراهيم منذ إسماعيل وإسحاق والى خاتم النبيين وعترته المعصومين، ولا يعنى اختصاص «آل عمران» بعد «آل ابراهيم» إلّا سردا طويلا للعمرانيين:

مريم‏المسيح عليهما السلام.

و لقد اختص آل محمد عليهم السلام من بين آل ابراهيم بذكر خاص في أخلص دعاءه و أخصه: «وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْماعِيلُ ... رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ...» (3: 129).

ثم اصطفاء آدم عليه السلام من براهين رسالته كما «ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ» و «فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً» تساندان منزلته الرسالية.

و هل يشمل «آل عمران» آلين لعمرانين، عمران أبي موسى وعمران أبي مريم؟ قد لا يعني إلا الثاني، إذ لم يأت في القرآن-/ ولا مرة يتيمة-/ ذكر من أبي موسى، ثم وبينه وبين أبي مريم (1800) سنة، ولا تصح عناية الجنس من عمران، الخاص بهما، حيث‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 16

العبارة الصالحة له «آل عمرانين» وإلا لشمل آل كل عمران في العالمين.

هذا-/ ولا سيما ان الآية التالية تخص آل عمران أبي مريم: «إِذْ قالَتِ امْرَأَتُ عِمْرانَ ..»

فلا دور-/ إذا-/ لآل عمران أبي موسى هنا، على انه لم يرسل احد من ولد موسى ولا آله إلا هارون عليه السلام.

ذلك! فلم يكن لذكر محمد وآله عليهم السلام هنا دور خاص مهما كانوا هم المدار في كل الأدوار، فلا موقع-/ إذا-/ لمختلق الأحاديث القائلة أن «آل محمد» أسقطت عن الآية «1» أم ابدل عنها ب «آل فرعون» «2» وانما الصحيح هو نص الآية وعلى غرارها وقرارها

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). في المجمع وفي قرائة أهل البيت «و آل محمد على العالمين» وقالوا أيضا: إن آل إبراهيم هم‏آل محمد الذين هم أهله، أقول: القالة الثانية تصدق تأويل الأولى أنها تعني التأويل، دون تحريف النقص في لفظ الآية. وفي نور الثقلين 1: 331 عن أبي عمرو الزبيري عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال قلت له: ما الحجة في كتاب اللّه أن آل محمد هم أهل بيته؟ قال: قول اللّه تبارك وتعالى: إن اللّه اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران وآل محمد-/ هكذا نزلت-/ على العالمين ... أقول: قد يعني نزول التأويل دون التنزيل.

والقمي عن الباقر عليه السلام فأسقطوا آل محمد من الكتاب. وفي تفسير البرهان 1: 279 عن أيوب قال سمعني أبو عبد اللّه عليه السلام وأنا أقرء «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى‏ آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ» فقال لي: وآل محمد كانت فمحوها وتركوا آل إبراهيم وآل عمران. وفيه عن تفسير الثعلبي رفعه إلى أبي وائل قال قرأت في مصحف ابن مسعود «.. وآل محمد على العالمين»

(2). في تفسير البرهان 1: 278 عن هشام بن سالم قال سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن قول اللّه: «إِنَ‏اللَّهَ اصْطَفى‏ آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ» فقال: هو آل إبراهيم وآل محمد على العالمين فوضعوا اسما مكان اسم‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 17

رواية ثالثة «1» هي المصدّقة لموافقة القرآن.

و قد تؤول الأولى بإسقاط التأويل، أن جماعة من المحرفين الكلم عن مواضعه اسقطوا تأويل آل ابراهيم عن آل محمد صلى الله عليه و آله وهم أفضل آله.

و كذلك الثانية انهم فضلوا آل عمران على آل محمد صلى الله عليه و آله لأنهم المذكورون هنا دونهم.

و الإصطفاء على العالمين درجات أدناها عالمي زمان المصطفى كما في آدم وأوسطها عالمي دور رسالته كما لنوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وأعلاها عالمي كل زمان كما في محمد المصطفى وآله المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). المصدر في أمالي الصدوق بإسناده إلى أبي عبد اللّه عليه السلام قال قال محمد بن أشعث بن قيس الكندي للحسين عليه السلام يا حسين بن فاطمة أية حرمة لك من رسول اللّه صلى الله عليه و آله ليست لغيرك؟ فتلا الحسين عليه السلام هذه الآية إن اللّه اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين. ذرية بعضها من بعض .. قال: «و الله إن محمدا لمن آل إبراهيم والعترة الهادية لمن آل محمد ...».

وفي تفسير البرهان 1: 277 بسند متصل عن ابان بن الصلت قال: حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون وقد اجتمع إليه في مجلسه جماعة من أهل العراق وخراسان ... قال المأمون هل فضل العترة على سائر الأمة؟ فقال أبو الحسن عليه السلام إن اللّه عز وجل أبان فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه فقال المأمون وأين ذلك من كتاب اللّه؟ فقال الرضا عليه السلام في قوله عز وجل «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى‏ آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ. ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ»، قال: يعني أن العترة داخلون في آل إبراهيم لأن رسول اللّه صلى الله عليه و آله من ولد إبراهيم وهو دعوة إبراهيم، وفيه عن الحجة عليه السلام لما يقوم الاستدلال بالآية كماهيه ومثله رواه العياشي عن سدير عن أبي جعفر عليهما السلام. هذا-/ ومجموع الأحاديث الموافقة لنص الآية الآية أحدى عشر حديثا، وفي أربعة إضافة آل محمد وفي واحد تبديل آل محمد إلى إبراهيم، والأولى هي المصدقة ولو كانت أقل عددايرد إلّا ما خالف الآية حيث الأصل هو القرآن المتواتر الموجود.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 18

ذلك-/ ولأن «العالمين» الطليقة تشمل كل الكائنات العاقلة في الطول التاريخي والعرض الجغرافي، فالاصطفاء المحمدي الطليق يحلق عليهم كلهم، كما ان الإصطفاء الخاص بعالمي زمن آدم ونوح وآل ابراهيم وآل عمران يشمل مثلث الإنس والجن ومن لانعرفهم تماما.

إِذْ قالَتِ امْرَأَتُ عِمْرانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ ما فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35).

في «عمران» معاكسة النقل بين القرآن-/ حيث يعنيه أبا مريم-/ وبين التوراة إذ تعنيه أبا موسى: عمرام بمعنى قوم اللّه-/ ابو موسى (الخروج 6: 18-/ 20) وتبديل الميم بالواو وهو من قضايا التعريب.

و لقد حمل هذا جماعة من المبشرين الكنسيين الى تزييف عمران القرآن انه اخطأ (1800) سنة! وما أجهلهم إذ زعموا اختصاص «عمران» في تأريخ الإنسان بابي موسى، فلا يحق لأبي مريم او سواه أن يسمى عمران، لا لشي‏ء إلّا أن عمرام التوراة هو ابو موسى.

«قالَتِ امْرَأَتُ عِمْرانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ ما فِي بَطْنِي مُحَرَّراً» إذ زعمت ان ما في‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 19

بطنها ذكر يصح تحرره لخدمة بيت اللّه دون خروج عنه وعلها وعدت بذكر «1» او علّها نذرته هكذا إن كان ذكرا لكي يرزقها اللّه إياه، والظاهر هو الاول لمكان الإطلاق وتؤيده الرواية.

و مما يعنيه ذلك التحرر المنذور هو التحرر عن حقوق الأم المعيشية، ثم التحرر عن كل عملية سوى خدمة بيت اللّه، مما يدل على أن للام على ولدها حقّ يجوز التنازل عنه لحق أولى بنذر وسواه.

و لان الأب او الجد هما الاولى بالولد-/ مهما كان للام عليه حق-/ فقضية التحرر المطلق هنا أنها كانت منفردة في هذه الولاية لفقد الأب والجد، ام كانت هي مأذونة من قبل الولي الأولى في نذرها لمطلق التحرر، ام لا يشترط في نذر الأم اذن الأب مهما اشترط عدم منعه، ولكنه لا يجوز له منعها عما يحل ولا سيما ذلك الحل الطيب لبيت اللّه.

فعلى اية حال انها نذرت هكذا مما يدل على صحة ونفاذ هكذا نذر بحق الولد شرط

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 1: 334 عن الكافي عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: إن اللّه أوحى إلى عمران إني واهب‏لك ذكرا سويا مباركا يبرئ الأكمه الأبرص ويحيي الموتى بإذن اللّه وجاعله رسولا إلى بني إسرائيل فحدث عمران امرأته حنّة بذلك وهي أم مريم فلما حملت كان حملها عند نفسها غلام فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى وليس الذكر كالأنثى ولا تكون البنت رسولا يقول اللّه «وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ» فلما وهب اللّه لمريم عيسى كان هو الذي بشر به عمران ووعده إياه، فإذا قلنا في الرجل منا شيئا فكان في ولده أم ولد ولده فلا تنكروا ذلك‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 20

الحفاظ على حق الولي الأولى-/ إن كان-/ وكذلك صالح الولد ولا أصلح له من خدمة اللّه.

«فَتَقَبَّلْ مِنِّي» ذلك النذر، تقبلا لتحرره لك «إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ» الدعاء «العليم» بصلاحيات وحاجات العباد.

اجل «محررا» وما ادراك ما ذلك التحرر؟ انه خروج عن رقية الناس إلى رقية إله الناس فهو-/ إذا-/ تحرر عما سوى اللّه.

«و المحرر للمسجد لا يخرج منه أبدا» «1».

و النذر لغويا هو الخوف كما الإنذار هو الإخافة، إذاً فهو الخوف من اللّه إمّا شكرا للّه أن توجب على نفسك امرا للّه محبوبا لدى اللّه استزادة في العبودية كما فعلته امرأة عمران دونما شرط على اللّه، ومثلها مريم «إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً» (19: 26) حيث لم تشترطا على اللّه امرا في نذرهما للّه وتوافقه صحاح عدة «2» والموثق المخالف غير موثق‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 1: 332 عن أبي جعفر عليهما السلام قال: إن امرأة عمران نذرت ما في بطنها محررا قال: والمحرر.

(2). كما في الصحيح «من جعل لله عليه أن لا يفعل محرما سماه فركبه فليعتق رقبة أو ليصم‏شهرين متتابعين أو ليطعم ستين مسكينا» (التهذيب 2: 336) وفي صحيح الحلبي عن الصادق عليه السلام إن قلت: للّه علي فكفارة يمين (الكافي 7: 456) وفي ثالث «ليس من شي‏ء هو الله طاعة يجعله الرجل عليه إلا ينبغي له أن يفي به» (التهذيب 2: 335) وفي رابع «و ما جعلته لله تعالى فف به» (الكافي 7: 458).

و خامس هوموثق الساباطي عن أبي عبد اللّه عليه السلام عن أبيه عليه السلام في رجل جعل للّه على نفسه عتق رقبة فأعتق أشل أو أعرج؟ قال: إذا كان ممن يباع أجزء عنه إلّا أن يكون سماه فعليه ما اشترط (التهذيب 2: 335)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 21

او مأول‏ «1».

ام توجبه على نفسك شرط ان يستجيبك اللّه فيما تخاف من إقبال محظور أو إدبار محبور وأنت لا تستطع بحولك وقوتك أن تحصل على بغيتك فيها، حيث الوصول الى المغزى والحصول عليها قد لا يكتفى فيه بصرف الدعاء، فلا بد من تقريب قربان الى اللّه‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). و هو موثق إسحاق بن عمار قال قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام: إني جعلت على نفسي للّه شكرا ركعتين أصليهما في السفر والحضر فأصليهما في السفر بالنهار؟ فقال: نعم، ثم قال: إني لأكره الإيجاب أن يوجب الرجل على نفسه، فقلت إني لم أجعلهما عليّ إنما جعلت ذلك على نفسي أصليهما شكرا للّه ولم أوجبهما على نفسي أفأدعهما إذا شئت؟ قال: نعم (الكافي 7: 455 التهذيب 2: 333) أقول: على «إني لأكره» لأن متعلق النذر كان حرجا، ولكن المتعلق المحرج لا يصح نذره.

و أما موثق سماعة سألته عن رجل جعل عليه إيمانا أن يمشي إلى الكعبة أو صدقة أو نذرا أو هديا إن هو كلم أباه أو أمه أو أخاه أو زارهم أو قطع قرابة أو مأثما يقيم عليه أو أمرا لا يصلح له فعله؟ فقال: لا يمين في معصية اللّه إنما اليمين الواجبة التي ينبغي لصاحبها أن يفي بها ما جعل للّه عليه في الشكر إن هو عافاه اللّه من مرضه أو عافاه من أمر يخافه أو رد عليه ما له أو رده من سفره أو رزقه رزقا فقال: للّه علي كذا وكذا شكرا، فهذا الواجب على صاحبه وينبغي له أن يفي به (التهذيب 2: 335 والإستبصار 4: 46) أقول: إنه في مقام بيان بطلان هذه التعهدات في معصية اللّه، وأخيرا مثال فيما يصح فيه التعهد كاليمين المنوي هو كذا وكذا، وحتى أذاب كان صريحا في بطلان النذر غير المشروط لكان معارضا لآلية والصحاح المتعددة الماضية، كما وأن «في الشكر» يعم الشرط وسواه وإن مثل بالشرط أقول: والمصداق المتيقن المعلوم من «للّه علي» هو النذر، مهما شمل البعض منها اليمين والعهد أيضا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 22

وهو كل محبور لدى اللّه مندوبا او مفروضا، وهذا هو مسرح النذر وشبهه من عهد او يمين.

ثم ولا نذر إلّا للّه كما هنا وفي مريم، ونية القربة هي لزام كون النذر للّه، فإذا نذر لغير اللّه، ام نذر للّه دون نية القربة الى اللّه، فلا نذر-/ إذا-/ ولا يفرض عليك أمرا.

و مما يشرط في النذر مشروطا وغير مشروط إمكانية متعّلقه واقعيا وشرعيا، و كونه راجحا في شرعة اللّه دونما حرج في تحقيقه، فغير الراجح لا يحق للّه، والمحرج ليس من دين اللّه ف «ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» فضلا عن غير المقدور او المحظور فانه هزءٌ باللّه او مهانة للّه أن تقدم له ما نهى عنه تحذيرا أو تنزيها، بل وما هو عوان بين الراجح والمرجوح.

و النذر في فعل الراجح او الواجب او ترك المرجوح المحرم يعم المشروط وسواه، النتيجة اصل الوجوب او ضعفه او اصل الحرمة او ضعفها، وخلفيته في تخلّفه دنيويا هي الكفارة و أخروياً هي العقاب ان لم يثب ويكفر.

و كافة الشروط في النذر غير المشروط هي مشروطة في المشروط، إلّا رجاحة المتوقّع، فإنما يكفيه السماح الشرعي إباحة أم دونها.

فالفارق بين المتعلّق والمتوقع في الشروط إنما هو شرط الرجاحة في الأوّل دون الثاني‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 23

إذ لا نذر إلا في طاعة اللّه، ثم الامكانية مشتركة بينهما، ولكن القدرة غير المحرجة خاصة بالمتعلق دون المتوقّع، حيث المتوقع خارج عن قدرتك مقدورا للّه غير مستحيل كونيا و لا شرعيا، ولكن المتعلق شرطه كونه ميسورا عندك دون حرج واقعيا وشرعيا.

فتوقع المحظور من اللّه، كما المستحيل على اللّه حكمة أم سواها، هو توقع محظور.

كما المتعلّق غير المقدور واقعيا او المحرج او غير الراجح شرعيا هو محظور او غير مشكور، حيث النذر في الأساس يتبني الخوف من اللّه كما في غير المشروط، او الخوف مما ترجوه ولا تسطع عليه، والكل مشروط بعدم الحظر واقعيا ولا شرعيا، مهما اختص متعلق النذر بالراجح الميسور، والمتوقع يكتفى فيه بعدم الحظر.

كان المتوقع-/ كما في المشروط-/ لا يشترط فيه إلّا عدم الحظر واقعيا وشرعيا.

فإذا نذر راجحا او واجبا في متوقع محظور فهو محظور لا ينعقد، كما وإذا نذر مرجوحا في متوقع محبور لم ينعقد، او نذر فعلا محرجا فعلّه فيما دون حرجه ينعقد وفي غيره غير منعقد، وشرط الصحة في النذر المشروط عدم تحقق شرطه قبله، فإذاً لا مورد لشرطه‏كما في الصحيح‏ «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). و هو صحيح ابن مسلم عن أحدهما عليهما السلام سألته عن رجل وقع على جارية له فارتفع حيضها وخاف أن تكون قد حملت فجعل للّه عتق رقبة وصوما وصدقة إن هي حاضت وقد كانت الجارية طمثت قبل يوم أو يومين وهو لا يعلم؟ قال: ليس عليه شي‏ء (الوسائل ب 5 من كتاب النذر ح 2) ومثله خبر جميل بن صالح (المصدر ح 1)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 24

و الصيغة السائغة الصائغة للنذر هي «للّه علي» لا سواها، ك «علي» إذ لا نذر إلّا للّه، أما أن يعاهد نفسه على أمر دون ان يعاهد اللّه عليه فلا نذر، سواء أكان في نذر مشروط او غير مشروط، ولا «علي نذر» «1» ولا «لله علي نذر» «2» فان النذر ليس موردا للنذر.

و كما يشترط في النذر أيا كان ألّا يحلل حراما او يحرم واجبا، كذلك ألا يفوّت حقا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). كما في صحيح منصور بن حازم عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: إذا قال الرجل علي المشي إلى بيت‏اللّه وهو محرم بحجة أو علي هذي كذا وكذا فليس بشي‏ء حتى يقول: للّه علي المشي إلى بيته أو يقول: للّه علي أن أحرم بحجة أو يقول: للّه علي هذي كذا وكذا إن لم يفعل كذا وكذا (الكافي 7: 457 والتهذيب 2: 332) أقول والحديث مصرح بكلا النذرين مشروط وغير مشروط.

هذا وأما خبر إسحاق بن عمار عن أبي إبراهيم عليه السلام قلت له رجل كانت عليه حجة الإسلام فأراد أن يحج فقيل له تزوج ثم حج، فقال: إن تزوجت قبل أن أحج فغلامي حر فتزوج قبل أن يحج فقال: أعتق غلامه، فقلت لم يرد بعتقه وجه اللّه، فقال: إنه لا نذر إلّا في طاعة اللّه والحج أحق من التزويج وأوجب عليه من التزويج قلت: فإن الحج تطوع؟ قال: وإن كأن تطوعا فهي طاعة للّه عزجل فقد أعتق غلامه (الكافي 7: 455 والتهذيب 2: 333). أقول: ليس هذا العتق لكونه متعلقا للنذر ولم يكن هناك نذر، إنما هو عتق مشروط وقد تحقق شرطه كان يقول: إذا جاء زيد فغلامي حر، فلا رباط للحديث بباب النذر

(2). كما في صحيح أبي الصباح الكناني سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن رجل قال: علي نذر؟ قال: ليس النذر حتى يسمي للّه شيئا صياما أو صدقة أو هديا أو حجا (الكافي 7: 455 والتهذيب 2: 333). و في خبر أبي بصير قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن الرجل يقول: على نذر قال: ليس بشي‏ء حتى يسمي النذر ويقول: عليّ صوم للّه أو يتصدق أو يهدي هديا وإن قال الرجل أن أهدي هذا الطعام فليس هذا بشي‏ء إنما تهدي البدن (المصدر)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 25

مفروضا كحق الزوج لزوجه وحق الوالدين للولد وحق الولد لهما، فان لكلّ حقا على الآخر ليس ليفوّته نذر مهما كان في راجح ام واجب هو أدنى من واجب الحق الحاضر في شرعة اللّه، فلا نذر-/ إذا-/ لزوجة إلّا بإذن الزوج إلا فيما لا يفوّت له حقا عليها ام هي سفيهة فإذا فوّت عليه حقا ام هي سفيهة لم ينعقد نذرها إلّا باذنه، وينعقد فيما سواها، الصحيح المخالف مأوّل أو غير صحيح‏ «1».

و جملة القول في النذر ان يكون متعلقة محبورا مقدورا دون الحرج، ومترقبة في مشروطه مسموحا غير مستحيل على اللّه عقليا او في الحكمة.

و في الحق إن النذر ولا سيما المشروط منه داخل في حقل الدعاء، بل وهو أدعى الدعاء، حيث تفرض على نفسك ما يرضاه اللّه حتى يستجيبك اللّه ما تتقاضاه.

و ليس النذر تشريعا، فإنما هو سماح من اللّه أن تفرض على نفسك راجحا مهما كان مفروضا وتحرم على نفسك مرجوحا مهما كان محرما مرفوضا، فهو من العناوين الثانوية من نوع ثان محدد من قبل اللّه موضوعا وحكما وشروطا، كما العناوين الثانوية من النوع‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). وهو صحيح التهذيب 2: 320 (ليس للمرأة مع زوجها أمر في عتق ولا صدقة ولا تدبير ولا هبة ولا نذر في مالها إلا بإذن زوجها إلا في حج أو زكاة أو بر والديها أو صلة قرابتها». أقول: علّه يعني المرأة السفيهة حيث إن تصرفاتها المالية منوطة بإذن وليها زوجا أو أبا أو غيرهما، وأما الحج والزكاة وبر الوالدين وصلة القرابة، فهي منذورة وغير منذورة ليست بحاجة إلى إذن حيث لا يضر فيها السفه، ولا سيما المفروض منها

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 26

الاول مقررة من قبل الشرع كالإكراه والاضطرار اللذين هما موضوعان للسماح في قسم من المحرمات.

فلا نذر في معصية اللّه‏ «1» كما لا نذر في مباح فعلا او تركا ولا في فعل مرجوح او ترك مندوب، اللهم إلّا بعنوان ثان يجعلها راجحا.

و كذلك لا نذر في تفويت حق او إفراط أو تفريط في حق، أو إسراف أو تبذير.

و ترى ان نذر الوالدين على الولد منّجز بحق الولد كأنه هو الذي نذر؟ ام لا ينجّز إلا على الناذر أن يحقق نذره في ولده وعليه القبول قضية وجوب طاعة الوالدين اللهم إلا في أمر محرج ام مرجوح فضلا عن المحظور، وإذا خالف الولد فهو عاص ولا شي‏ء على الوالدين حيث حققا الواجب عليهما، ثم ومخالفة الولد في النذر المحظور واجبة إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

و هنا نعرف مدى عمران قلب امرأة عمران، حيث تتجه الى ربها بكامل الايمان بأعز ماتملكه تحريرا لغريرة عينها للّه كما وهي محررة في طاعة اللّه، تحررا عن كل عبودية لكل أحد، وعن كل اتجاه إلى أي‏شي‏ء وأي أحد وأية قيمة سوى اللّه، فقد حررتها بنذرها عن‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). كما في صحيح الكتاني عن أبي عبد اللّه عليه السلام ليس من شي‏ء هو طاعة للّه يجعله الرجل عليه‏إلّا ينبغي له أن يفي به وليس من رجل جعل للّه عليه شيئا في معصيته تعالى إلّا ينبغي له أن يتركه إلى طاعة اللّه (التهذيب 2: 335 ونوادر أحمد بن عيسى 58 واللفظ له)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 27

كل تقيّد جماعي بأية مسئولية حتى تتخلى لخدمة اللّه في بيت اللّه‏ «1».

فالتوحيد الحق في مثلث: العقيدة والنية والعملية، هو الصورة المثلى للتحرر المطلق، إنه يتمثل هنا في نذر التحرر لقرة العين وفلذة الكبد: الولد-/ ولمّا يولد-/ مما يشي بعمق الإيمان وخلوص العمران لقلب امرأة عمران.

و لقد كانت تنتظر لذلك التحرر المنظور المنذور ولدا ذكرا هو المحور في نذرها، والنذر للمعابد لم يكن معروفا إلّا للذكران ليخدموا الهيكل وينقطعوا للعبادة والتبتل، ولكنها هي تجدها أنثى وليس الذكر كالأنثى:

فَلَمَّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى‏ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى‏ وَ إِنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ وَ إِنِّي أُعِيذُها بِكَ وَ ذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ (36).

لقد تتحسر امرأة عمران على ما كان من خيبة رجائها ومعاكسة تقديرها، وتحزنت إلى ربها إذ كانت ترجو ذكرا تهبه محررا لبيت اللّه وتقفه على خدمته، ولكن الوليدة أنثى‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 1: 331 في كتاب علل الشرايع بسند متصل عن إسماعيل الجعفي قال قلت لأبي جعفر عليهما السلام: أن المغيرة يزعم أن الحائض تقضي الصلاة كما تقضي الصوم فقال: ما له لا وفقه اللّه إن امرأة عمران قالت: رب إني نذرت لك ما في بطني محررا، والمحرر لا يخرج منه أبدا فلما وضعت مريم قالت رب إني وضعتها أنثى وليس الذكر كالأنثى فلما وضعتها أدخلتها المسجد فلما بلغت مبلغ النساء أخرجت من المسجد، أنى كانت تجد أياما تقضيها وهي عليها أن تكون الدهر في المسجد

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 28

والبنات لا يصلحن لذلك التحرر الطليق، للزوم مقامهن عند أزواجهن في زواجهن، و لزوم الخروج عن بيت اللّه حالة الحيض والطلق على اية حال.

فهنا «.. قالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى‏» ليست اخبارا «وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ» بل هو تحسّر أنها لا تصلح لذلك التحرر لأنها أنثى، فقد تناجي ربها كمعتذرة عن تحرّرها او كئيبة لأنها أنثى، راجية ان تقبلَّها ربها على أنوثتها كما تقبلّها، مشفقة من ألّا يقبل نذرها.

هنا «وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ» كجملة معترضة، هي ذود عن ساحة الرب ان يعلّم، على ذود عن ساحتها ان تعلّمه، وبيان انها قائلة قولها متحسرة في ذلك العرض.

و ترى «وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى‏» هي من قولها، والعكس أحرى لأنها وضعتها أنثى فليقل «و ليست الأنثى كالذكر»! ام هي من قول اللّه، والجملة المعترضة بحاجة الى برهان لأنها خلاف المتعود من سرد الجمل.

قد تكون هي من قول اللّه اشعارا في هذه الاذاعة القرآنية ان الذكر المطلوب هنا ليس كالأنثى الموهوبة، بل هي أعلى منه وأولى، إذ تحمل اضافة الى ما تطلبته من التحرر، فانها تتقبل محررة في نفسها، ووالدة لعيساها وهما من آيات اللّه الكبرى، وليست «وليست الأنثى كالذكر» لتفيد ذلك المعنى.

ثم هي من قولها على هامش قول اللّه، عناية الى غير معناها: ان الذكر ليس معذورا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 29

كما الأنثى، حيث الأنثى لا تصلح لما يصلح له الذكر ولا سيما في حقل التحرر هكذا، لأجل ما يلحقها من الحيض والنفاس، وما يلزمها من الصيانة عن التبرج للناس، فإذا خالطت الرجال افتتنوا بها واستضروا بمكانها كما تفتتن هي بهم، حيث النساء أوهن عقودا، وأضعف عقلية وصمودا ووساوس الشيطان إليهن أسرع، فأهواءه إليهن أهرع.

ثم العكس يفيد نفس المعنى ولكن في الأصل رجاحات ليست فيه:

1- (وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى‏» اختصار عن قالتين مختلفتي المعنى: قول اللّه وقولها، وليس العكس ليعني-/ فيما يعني-/ قول اللّه.

2- حسن التعبير في وزن الكلام يقتضي تقديم الذكر على الأنثى.

3- حسن المعنى في تقدم الأفضل على الفضيل.

4- يتقدم الذكر لتقدمه في عناية النذر فيذكر-/ إذا-/ تحسراً على فقده.

و إنها تتحسر عن فقد الذكر انه ليس كالأنثى، فلا يتهم في خلوة البيت كما تتهم، وهو أقوى من الأنثى، وهو خلو من اعذار الأنثى، وهو يصلح للنبوة وما أشبهها دون الأنثى، و «إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى‏» فهل من علاج أن تقوم الأنثى مقام الذكر وتفي بما يفي؟! فمما تقوى رجاءها في تحقق بغيتها «وَ إِنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ»: المرتفعة الغالبة-/ تتغلب على عراقيل الأنوثة ونقائصها وضعفها وما سواها، وترتفع عن كل نقائص الانوثة والرجولة بجنب‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 30

اللّه.

ثم «وَ إِنِّي أُعِيذُها بِكَ» لا هي فحسب بل «وَ ذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ» مما يلمح صراحاً انها ألهمت بمستقبل ذريتها، وعلّ «لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى‏» كقول الرب ألهمت إليها بعد قالتها نفس القول أم عنده.

فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً وَ كَفَّلَها زَكَرِيَّا كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الِمحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً قالَ يا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ (37).

التقبل هو قبول على تكلف، وإذ لا تكلف في قبول ربنا فقد يعني هنا منتوج كل تكلف في القبول، وهو من ربنا يحلق على كل الفضائل والفواضل في القبول، فلا رد فيه ولاافول، بل هو قبول على مدار حياة مريم البتول سلام اللّه عليها.

فانه تقبّل في قبول نذرها ان تنوب الذكر، وتقبّل في جعلها كالذكر، ثم حسن زيادة حسنى على قبولها أن جعلها وابنها آية للعالمين.

و هنا نستوحي من تقبلها منعها عن الزواج، ام وطهارتها عن الدماء، فلتبق كالذكورفوقهم إذ لم تحتج لرزقها الى خروج حيث ضمنه ربها.

1 (إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ ما فِي بَطْنِي مُحَرَّراً» «فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ» محررة للّه لخدمة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 31

بيت اللّه.

2 (وَ إِنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ ... فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ» ان تكون مريم:

مرتفعة-/ في اللغة السريانية-/ غالبة متغلبة على كل رجس ونقص ونجس في أنوثةعبودية، وقد تعني تسميتها مريم تفألا من أمها علّها تربو على أقرانها وعلى الذكر الذي كانت ترجوه أمها تطبيقا لنذرها، ثم لتحقيق هذا المغزى تعيذها باللّه وذريتها من الشيطان الرجيم، تعيذها ان ينالها نقص في سبيلها كما ينال النساء في خدمة البيت، او أن يصيبها ما تمس عفافها في خلطها بعبّاد البيت، او أن يعترضها ضعف في خدمتها، او تلحقها تهمة في اختلاطها بالرجال.

3 (وَ إِنِّي أُعِيذُها بِكَ» «فتقبلها» معاذة باللّه، فهو يعيذها من الشيطان الرجيم.

4 (و ذريتها» عيسى عليه السلام وهو الأصل في ذلك المسرح حيث يحتل القمة الرسالية والمرتبة الرابعة من ولاية العزم بين النبيين عليهم السلام.

فذلك قبول حسن في مربع الدعاء والاستدعاء، أحسن مما إذا كان ذكرا.

فرغم ان الذكر ليس كالأنثى في قالتها «لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى‏» في قول اللّه، حيث فاقت كل ذكر في تاريخ الرسالات اللهم إلا اولياء العزم ولا سيما محمدا (صلّى اللّه عليه وآله‏سلّم).

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 32

«فتقبلها ..» ثم «وَ أَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً» منذ ولادتها حتى حملها ووضعها وإلى موتها، فقد كانت تترعرع على رقابة اللّه الخاصة وعينه الحامية لتقبلها محررة مريم معاذة بربهاذريتها من الشيطان الرجيم، عصمة ربانية في ولماذا «نَباتاً حَسَناً» بالإنبات، دون تربية حسنة؟.

علّه للإشارة الى تحليق المراقبة الربانية لها منذ انعقاد نطفتها وتكاملها جنينا وولادتها والى موتها، فانها كلها من الإنبات «وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً». فالسلالة من ماء مهين هي الصفوة المختارة من المني، ثم المواد الكيماوية الكامنة في ماء الرجل والمرأة هي صفوة العناصر الكيماوية المنتزعة من الدم، الذي هو ايضا بدوره صفوة ما نتناوله من مشرب ومأكل، وكل لاحق نابت من سابقه حتى السلالة النطفة، ثم العلقة والمضغة والعظام واللحم، كلّ نابت من سابقه.

و إخراجنا من الأرض نباتا له دور عام يعم سائر النسل الانساني، وآخر خاص يخص الأصفياء المخلصين.

فقد يعني «وَ أَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً» كل هذه المراحل، ولكي تصلح للاصطفاء على نساء العالمين وتلد المسيح عليه السلام، فقد جمع في الإنبات نباتا حسنا إلى طهارة الوالدين و طهارتها حين بلغت، الطهارة الربانية المحلّقة على كل مراحل إنباتها على طول الخط.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 33

و من إنباتها النبات الحسن: «وَ كَفَّلَها زَكَرِيَّا» كفالة النبات الحسن والتربية اللائقة الرسالية، فقد جعل اللّه باقتراعهم كفالتها لزكريا-/ زوج خالتها-/ أمينا مؤمّنا عليها، مؤمنا بشأنها، وكان رئيس الهيكل اليهودي من ذرية هارون الذين انتقلت إليهم سدانة الهيكل، فنشأت مباركة مجدودة، يهيئ لها اللّه من رزقه فيضا متواصلا. بعدين اثنين، وعلّ «كفلها» تعني كفالته إياها بوحي الاقتراع، سكوتا عما سكت عنه النص وذودا عن ساحة القديسين اختصامهم في كفالتها بعد وحيها لزكريا.

هنا فاعل «كفلها» هو اللّه وزكريا المفعول الأوّل ومريم هي الثاني، حيث الكفل متعد بنفسه، فرغم ان الولد في كفالة الأبوين عرفا وشرعا، ولكن مريم النابتة نباتا حسنا بحاجة الى كفالة عاصمة معصومة لم يكن يحملها هناك إلّا زكريا، مهما تخرج بالقرعة الشرعية من بين القديسين المتنازعين بشأنها.

و «المحراب» كأصل هو محل الحرب فان عبادة الرحمن محاربة الشيطان، ولان العبادة الخالصة بحاجة الى الانسراح عما سوى اللّه، فالمحراب الحرب. هو ايضا من الحريب:

السليب، يعني عن اشغال الدنيا، وهو المقدم في كل مسرح «يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحارِيبَ» فالمحراب معنويا هو محل الانسراح عما سوى اللّه لاخلاص عبادة اللّه بحرب الشيطان، وهو مكانيا المقصورة في مقدم المعبد لها باب يصعد اليه بسلّم ذي درجات‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 34

قليلة، ويكون من فيه محجوبا عمن في المعبد، و «كلما دخل» مما يلمح بهذه الخصوصية لمحرابها، وكما يصرح به «إِذْ تَسَوَّرُوا الِمحْرابَ» حيث المعبد المكشوف لا يتصور فيه التسوّر.

و الكفالة-/ ككل-/ هي من المواضيع الشرعية، سواء في التربية والحفاظ بدنيا او معنويا ام ماليا اماهيه مما تصح فيه الكفالة.

و أصلها من الكفل: المركب، في ركْب الحياة كبعض او ككل، وقد تكفها زكريا في مسير الحياة كفيلا ضامنا عادلا معصوما في مسيره الى مصيره «كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الِمحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً» و «رزقا» يعني، رزقا معيشيا إلى رزق معنوي لتكون متحررة عمن يرزقها سوى اللّه مهما كانت للكفالة اجل «رزقا» جليلا لا يعرف مصدره ولذلك نكّر، واحتار زكريا من ذلك الرزق المكرور دونما انقطاع ف «قالَ يا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هذا» اي زمان ومن أيّ السبل المألوفة له-/ وانا الوسيط الوحيد فيها بظاهر الحال-/ منقطعة عن قمة المحراب، حيث لا يسمح لأحد غيري ان يدخله، ف «أَنَّى لَكِ هذا»؟.

«قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» بتقطع الأسباب المتعودة، وكما تحررت عنها في ذلك التحرر «إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ» نحاسبه نحن في حياتنا المتعودة، او يحاسبه اللّه، مهما كان رزقه بغير حساب بميزان وحساب.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 35

و يا لها من خنوع وخشوع امام العطية الربانية، احتفاظا بالسر الذي بينها وبينه، التواضع في التحدث عن ذلك الرزق السرّ، دون اية مباهاة وتنفج وتبهّج.

هنا لا نخوض في مواصفة ذلك الرزق ونوعيته، ولكننا نعلم حسب النص انه «مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» عندية خاصة مباركة طيبة، مختلفة عن سائر الرزق المؤتلفة، فليكن من الجنة أم خلق الساعة.

فلا يرد نقد الجمعية الرسولية الامريكية على ذلك الرزق بان «الجنة ليست محل أكل‏شرب بل هي محل التقديس والتسبيح وكل تنعماتها روحية» «1».

أولًا: أن «مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» لا تخص الجنة إلا بتأويل أن اللّه ساكن الجنة فالرزق من عنده ليس إلا من الجنة.

ثانياً: ان الجنة حسب القرآن والعهدين فيها تنعمات مادية اضافة الى الروحية.

ثالثاً: ان هذه الجنة علّها جنة آدم والتي صعد إليها المسيح وهي من جنان الدنيا.

و رابعاً: ان الرزق من عند اللّه يعني هنا من غير السبل المتعودة وكما «ان الله سخر الغربان لإيليا فكانت تأتيه بلحم صباحا ومساء» (امل 17: 4 و 6).

كما و «هيأ له الكعكعة: (نوع من الخبز) وكوز الماء فنبهه الملاك للأكل والشرب حتى‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). كتاب الهداية للجمعية الرسولية الأمريكن 2: 63

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 36

سار بقوة تلك الأكلة أربعين يوما» (امل 19: 5-/ 9).

و إذاً هم يستغربون رزق الطاهرة من عند اللّه حلالا طيبا، فكيف يستقربون شرب المسيح جديدا من نتاج الكرمة-/ الخمر-/ في ملكوت اللّه (متى 26: 29 ومرقس 14:

25 ولوقا 22: 18) او مما يأكل منه التلاميذ على مائدة المسيح في ملكوته (لوقا 22:

30) هذه مريم الطاهرة العذراء تجد عندها رزقا من عند اللّه، وهي منقطعة عن عباد اللّه، ثم انظر الى فاطمة الزهراء مولاة العذراء، حيث تجد عندها رزقا وتتمثل لأبيها صلى الله عليه و آله بقول اللّه عن العذراء با أبت «هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ» «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 2: 20-/ أخرج أبو يعلى عن جابر أن رسول اللّه صلى الله عليه و آله أقام أياما لم يطعم طعاما حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يجد عند واحدة منهن شيئا فأتى فاطمة فقال: يا بنيه هل عندك شي‏ء آكله فإني جائع؟ فقالت: لا واللّه، فلما خرج من عندها بعثت إليها جارة برغيفين وقطعة لحم فأخذته منها فوضعته في جفنة لها وقالت واللّه لأوثرن بهذا رسول اللّه صلى الله عليه و آله على نفسي ومن عندي وكانوا جميعا محتاجين إلى شبعة طعام فبعثت حسنا أو حسينا إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله فرجع إليها فقالت له: بأبي وأمي قد أتى اللّه بشي‏ء قد خبأته لك فقال هلمي يا بنية بالجفنة فكشفت عن الجفنة فإذا هي مملوأة خبزا ولحما فلما نظرت إليها بهتت وعرفت أنها بركة من اللّه فحمدت اللّه تعالى وقدمته إلى النبي صلى الله عليه و آله فلما رآه حمد اللّه وقال: من أين لك هذا يا بنية؟ قالت يا أبت هو من عند اللّه ... وفي نور الثقلين 1: 333 عن تفسير العياشي عن سيف بن نجم عن أبي جعفر عليهما السلام قال إن فاطمة ضمنت لعلي عليهما السلام عمل البيت والعجين و الخبز وقم البيت (كنسه) وضمن لها علي عليه السلام ما كان خلف الباب نقل الحطب وأن يجي‏ء بالطعام فقال لها يوما يا فاطمة هل عندك شي‏ء؟ قالت لا والذي عظم حقك ما كان عندنا منذ ثلاث إلّا شي‏ء نقريك به قال: أفلا أخبرتني؟

قالت كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله نهاني أن أسألك شيئا فقال: لا تسألي ابن عمك شيئا إن جاءك بشي‏ء عفوا وإلّا فلا تسأليه، قال فخرج عليه السلام فلقى رجلا فاستقرض منه دينارا ثم أقبل به وقد أمسى فلقى مقداد بن الأسود فقال للمقداد: ما أخرجك في هذه الساعة؟ قال: الجوع، والذي عظم حقك يا أمير المؤمنين عليه السلام قال: قلت لأبي جعفر عليهما السلام: ورسول اللّه صلى الله عليه و آله حيّ؟

قال: ورسول اللّه صلى الله عليه و آله حي، قال: فهو أخرجني وقد استقرضت دينارا وسأوثرك به فدفعه إليه فأقبل فوجد رسول اللّه صلى الله عليه و آله جالسا وفاطمة تصلي وبين يديها شي‏ء مغطى فلما فرغت أحضر ذلك الشي‏ء فإذا جفنة من خبز ولحم، قال: يا فاطمة أنى لك هذا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 37

هنا زكريا المكفل مريم لما يرى هذه الكرامة الربانية لها، تتحرك عنده الرغبة في ذرية طيبة، حكمة عالية مرغوبة فيها لامتداد الرسالة في نسله.

هُنالِكَ دَعا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ (38).

انه لم تكن حتى الآن لزكريا ذرية، وطبيعة الحال في الدعاء انها عند انقطاع الرجاء، انقطاع الأسباب المتعودة لحصول المدعو له، ف «هُنالِكَ دَعا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قالَ رَبِّ» الذي ربيتني بالتربية الرسالية وهي خارقة العادة «هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً» كخارقة أخرى.

و «من لدنك» استيهاب من رحمته اللدنية الخاصة، ليست كالعادة بأسبابها العادية «إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ» فهو-/ إذا-/ تطلّب لخرق الأسباب المألوفة في الإيلاد.

فقد حمل زكريا «هنالك» مظهرا من مظاهر طلاقة المشيئة الإلهية، الطليقة عن‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 38

المألوف، رغم ما نحسبه قانونا لا يتخلف فنشك-/ إذا-/ في كل حادث خارج عن نطاق هذا القانون المزعوم!.

فها هو زكريا الشيخ الكبير وزوجه-/ العاقران-/ اللذان لم يلدا في صباهما، هنالك تجيش في قلبه الرغبة في ذرية طيبة هبة من عند اللّه، وحق له وهو يرى بين يديه مريم العذراء الصالحة الرعناء: «وَ زَكَرِيَّا إِذْ نادى‏ رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَ أَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ.

فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَ وَهَبْنا لَهُ يَحْيى‏ وَ أَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَ يَدْعُونَنا رَغَباً وَ رَهَباً وَ كانُوا لَنا خاشِعِينَ» (21: 90)-/ (ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا.

إِذْ نادى‏ رَبَّهُ نِداءً خَفِيًّا. قالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً ... وَ إِنِّي خِفْتُ الْمَوالِيَ مِنْ وَرائِي وَ كانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا. يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا» (19: 6). فَنادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَ هُوَ قائِمٌ يُصَلِّي فِي الِمحْرابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيى‏ مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ سَيِّداً وَ حَصُوراً وَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (39).

«هنا» نادته الملائكة وفي مريم «يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيى‏ ...» (7) ولا منافاة بينهما فان الملائكة هم وسطاء في ذلك البلاغ المبين.

و التبشير هنا يحمل مواصفات اربع ليحيى:

1- مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ» هي المسيح عيسى بن مريم، فانه كلمة قالها من‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 39

قبل‏ «1» كلمة دالة على اللّه تكوينيا حيث ولد دون أب، وكلمة رسولية حيث تدل على اللّه بربانية اعماله وفعاله وقاله، وكلمة رسالية تكلم بها المرسل إليهم، مربع الكلمات يحملها المسيح عليه السلام ولم يحملها كلها سائر الخلق أجمعين، فقد ولد دون أب ولادة منقطعة النظير في تاريخ الإنسان، وآدم لم يكن وليدا حتى يكون هو الاول في تلك الولادة، فانما خلق من تراب.

و ليس كونه كلمة آية خارقة للعادة من حيث الولادة، ليفضله على سائر الرسل، إذ إنها آية أقوى من سائر الآيات المبصرة لأن بني إسرائيل هم أغوى من سائر الأمم، ثم آية القرآن هي أقوى الآيات الرسولية والرسالية على الإطلاق لأنها تحلق على كافة المكلفين منذ بزوغها الى يوم الدين.

2- (و سيدا»: عظيما في الحقل الروحي علما وتقى، يمتاز عن كثير من رجالات‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). كما في الأصل العبراني (تث 33: 1-/ 2) وزئت هبّراخاه أشر برخ موشه إيش ها الوهيم إت‏بني يسرائيل لفني موتو (1) ويومر يهواه مسّيني باو زارح مسّعير لامو هو فيع مهر فاران وآتاه مرببت قدش مى مينواش دات لامو-/ «و هذه بركة باركها موسى رجل الله بني إسرائيل عند موته (1) وقال: الله من سيناء جاء تجلى من ساعير، تلعلع من جبل فاران وورد مع آلاف المقدسين من يمينه ظهرت الشريعة النارية».

أقول: وفي دعا السمات: «و بمجدك الذي ظهر على طور سيناء فكلمت به عبدك ورسولك موسى بن عمران وبطلعتك في ساعير وظهورك في جبل فاران بربوات المقدسين وجنود الملائكة الصافين وخشوع الملائكة المسبحين»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 40

العلم‏التقوى، الرساليين و «سيدا» في كل حقول السيادة الصالحة.

فالتصديق بكلمة من اللّه، والسيادة اللّائقة للقيادة، والحصر عن كل الشهوات، كل هذه من الشروطات الأصيلة للنبوّة حيث تجمع القيادتين: الروحية والزمنية.

3- (و حصوراً» مبالغة الحصر، وهو الحصر عن الشهوات محرمة ومرجوحة، دون الراجحة في شرعة اللّه كالنكاح، خلاف ما يهرف بشأنه تبجيلا له وتخجيلا لكل هؤلاء الذين تزوجوا من نبيين وسواهم من الصالحين، لا! وانما «حصورا» نفسه عن الشهوات و اللهوات المرجوحات، وحصورا كل وجهه بكل وجوهه إلى اللّه، فهو حصور في «لا إله» ثم حصور في «إِلَّا اللَّهُ» حسرا عما سوى اللّه وحصرا في اللّه.

و الحديث الخبيث المفتري على الرسول الطاهر الأمين صلى الله عليه و آله، المحلق للذنب على الكل إلا يحيى عليه السلام لأن ذكره مثل هدبة الثوب‏ «1» مضروب عرض الحائط حيث يمس من‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 2: 22-/ أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر عن عمرو بن‏العاصي عن النبي صلى الله عليه و آله قال: ما من عبد يلقى اللّه إلّا ذا ذنب إلّا يحيي بن زكريا فإن اللّه يقول: سيدا و حصورا، قال كان ذكره مثل هدبة الثوب وأشار بأنملته. أقول: ولا يرجى من ابن العاصي إلّا هكذا اختلاق معادي على رسول الهدى صلى الله عليه و آله.

و اختلاق آخر حفاظا على «حصور» له إيجابا وعلى غيره سلبا، أخرجه الطبراني عن أبي أمامة قال قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله أربعة لعنوا في الدنيا والآخرة وامنت الملائكة رجل جعله اللّه ذكرا فأنث نفسه وتشبه بالنساء وامرأة جعلها اللّه أنثى فتذكرت وتشبهت بالرجال والذي يضل الأعمى‏رجل حصور ولم يجعل اللّه حصورا إلّا يحيي بن زكريا، أقول: ذكره حصورا في الذكر الحكيم دليل أنه من كمالاته الممتازة فنفيه إذا نقص وعوذا باللّه من هذه الجهالة المزدوجة!.

و في نور الثقلين 1: 335 عن المجمع «و حصورا» لا يأتي النساء وهو المروي عن أبي عبد اللّه عليه السلام‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 41

كرامة الخالق للعورات والشهوات المحلّلة، ومن كرامة الصالحين الناكحين حلّا!.

اجل! وقد تعني «حصورا» فيه فيما تعنيه، تركه-/ كما المسيح عليه السلام-/ للزواج على شبقه، ترجيحا لتقدم الدعوة الرسالية على تحقيق الشهوة المحلّلة، إذ لم تكن ظروفه لتسمح له بالجمع بين الزواج وتحقيق الرسالة، معاكسا لمحمد صلى الله عليه و آله حيث اقتضت ظروفه الرسالية زواجا وأكثر من الأربع المسموح للأمة تحقيقا حقيقا لكرامة الرسالة بضم عوائل كثيرة الى خضمّه.

إذاً ف «حصورا» المحلق على كل داعية الى اللّه تختلف ظروفه وطقوسه في البعض من مصاديقه، فكما النكاح راجح ام واجب أحيانا، كذلك هو مرجوح او محرم أحيانا أخرى، والحصور هو الذي يتابع صالح الدعوة وفقا لظروفها المواتية المناسبة.

4- (وَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ» وترى هناك أنبياء غير صالحين حتى يوصف هنا «نبيا» «مِنَ الصَّالِحِينَ»؟

كلّا، حيث يعني «نبيا» رفيع الدرجة، ولأن رفعة الدرجة درجات هنا يقيد ب «مِنَ الصَّالِحِينَ» يعني المرسلين، حيث المرسلون درجات والنبيون منهم أرفع شأنا وأنبى مكانة ويحيى منهم، كما و «مِنَ الصَّالِحِينَ» آباء وأمهات منذ آدم الى زكريا.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 42

فلقد استجيبت الدعوة الحانية، المنطلقة من القلب الطاهر الحاني، الذي علق رجاءه بسميع الدعاء، وهو يملك الإجابة كيف يشاء حيث يشاء، استجيبت في «يحيى» الذي «لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا»-/ «مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ» اسمه المسيح عيسى بن مريم عليه السلام «وسيدا» كريما «و حصورا» يحصر نفسه عن الشهوات ويملك زمام نزعات من الانفلات، «و نبيا» رفيع المنزلة «مِنَ الصَّالِحِينَ» الرساليين.

ذلك! ولكننا نسمعه كأنه يستغرب ما استقربه اللّه، استغرابا عن عقره وزوجه لاعن‏رحمة اللّه:

و لكن «أنى» سؤال عن زمن تحقيق البشارة، وليس استفهام انكار واستبعاد عنها! فلم يقل «كيف-/ او-/ اين» وانما «أنّى»-/ ولكي لا تتأخر اكثر مما تأخرت يعرض حاله «وَ قَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ» وحال زوجه «وَ امْرَأَتِي عاقِرٌ» فأجيب من فوره بتأكيد البشارة «قال كذلك» البعيد البعيد عن حساب الناس، العظيم العظيم عند اللّه «اللَّهُ يَفْعَلُ ما يَشاءُ» دون رادع ولا مانع، فانما امره إذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون ... فلا ينسب إلى اي عاقل فضلا عن نبي ان يستبعد من رحمة اللّه ما رجاه ودعاه ولقد كانت «أنى» في موقعها-/ حين يرى أن البشارة واقعة موقعها-/ إذ يبتهج بجدارته لها فوزا بحظوتها، حاصلا على مزيتها، فتطلب زمن تحققها، عالما انه يورق الهشيم ويستنتج العقيم.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 43

و هذه طبيعة الحال لمن بشر بما يتمناه، وهي غريبة عن حاله على رجاءه أن يولد له فرط السرور عند اوّل ما يهجم على سمعه ما تقاضاه، استئنافا في المعرفة وزيادة في الاستبانة، ولا اقل من استعلام زمن الهبة المبشرة.

اجل و «قالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَ كانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً وَ قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا» (19: 8) عرضا لحاله البعيدة عن هذه الرحمة الغالية، بعد ان دعا ربه «هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ» وهو الرحمة اللدنية الخاصة، البعيدة عن المألوف تكوينا وتشريعا، وهذه شيمة كريمة من الصالحين في دعاءهم عرضاً لفقرهم وغناه، واستعراضا لسلب اهليتهم في أنفسهم رجاءَ رحمة اللّه.

فما اقبحه تأويلا عليلا قيلة القائل: ان اللّه لما بشره بالولد-/ وكان عنده أن العاقر لا تلد-/ و العقيم لا تنسل-/ اعترضه الشيطان حين نادته الملائكة ان ما سمعه انما هو منه لا منهم، فشك فيما بُشرا.

و ذلك جهل عظيم من قائلة وقلة بصيرة بمنازل الوحي، فإذا كانت الملائكة هي التي بشرته كما قال اللّه، وقد جرت عادته الرسالية باستماع كلامها، وألف مهابطها، و ثلج صدره بما تؤديه عن ربها، فأي عاذرة له-/ إذا-/ في ان يعترضه الريب او يختلجه الشك.

و لو كان مرتابا في بشارته فكيف ينادي ربه فيها «رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ ...»؟!.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 44

قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً وَ اذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَ سَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكارِ (41).

هنا «ثَلاثَةَ أَيَّامٍ» وفي مريم «ثَلاثَ لَيالٍ» تتجاوبان في مجموع الثلاث الليالي والأنهار.

و الآية المطلوبة هنا ليست آية لأصل البشارة كأنه شاك فيها، وانما في زمنها حتى يحضّر نفسه في حالة خاصة وهالة من عبادة راصّة لاستقبال تلك البشارة والتفصيل الى سورة مريم عليها السلام حيث نفصل فيما فصل اللّه ونجمل فيما أجمله اللّه.

وَ إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفاكِ عَلى‏ نِساءِ الْعالَمِينَ (42).

هنا تشافه الملائكة مريم الطاهرة المصطفاة وحيا دون رسالة تحمل شرعة رسالية، فلم تصيح به مرسلة من اللّه كالرسل، وكما «أَوْحَيْنا إِلى‏ أُمِّ مُوسى‏ أَنْ أَرْضِعِيهِ» وحيان هما تقدمتان لوحيين رساليين موسويين «وَ لَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَ لَكُمْ فِيها ما تَدَّعُونَ» (41: 30-/ 31).

و «اصطفاك» الأولى دون متعلق، قد تعني غير الثانية فانها «عَلى‏ نِساءِ الْعالَمِينَ» دونها، إذ لا تصح «و طهرك على نساء العالمين» حتى تقبل العطف.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 45

و هذه العناية المختلفة هي طبيعة الحال في تكرار، ولا سيما بوسيط غير المكرر «وطهرك» فلتكن الاولى اصطفاء غير التطهير المتوسط وغير الإصطفاء الثاني، فقد تعني اصطفاءها على ذكر تطلبته أمها محررا، كما اصطفاها على كل ذكرَ لا ينجب ولدا دون أنثى وهي أنجبت دون ذكر، كما واصطفاها من ذرية الأنبياء المصطفين المرسلين‏ «1» والى سائر الميزات الأنثوية، ولكنها على قمتها بحاجة الى طهارة قمة تذود عنها مستلزمات تحررها لخدمة البيت خلطا بالرجال على أية حال، فلذلك:

«و طهرك» طهارة مطلقة تناسب الإصطفاء سببا ونتيجة و «طهرها من ان يكون في ولادتها من آبائها وأمهاتها سفاح» (2) ومن أن تأتي سفاحا ... ومن ثم الإصطفاء الثاني:

«وَ اصْطَفاكِ عَلى‏ نِساءِ الْعالَمِينَ» اصطفاء يحلق على كل صفوة سامية، ومن ذلك اختصاصها في خطاب ربها «يا مَرْيَمُ اقْنُتِي ..» (3).

أ ترى أن سعة «نِساءِ الْعالَمِينَ» هي عرض المكان وطول الزمان؟ فهي-/ إذا-/ مفضلة على الصديقة الطاهرة-/ وهي خير نساء العالمين من الأولين والآخرين-/!.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1)

. نور الثقلين 1: 336 عن تفسير العياشي عن الحكم بن عتيبة قال سألت أبا جعفر عليهما السلام عن قول‏اللّه في الكتاب «إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ ...» اصطفاها مرتين وإلّا فالإصطفاء إنما هو مرة واحدة؟ قال: فقال لي يا حكم إن لهذا تأويلا وتفسيرا فقلت له ففسره لنا أبقاك اللّه فقال:

يعني اصطفاه إياها أولا من ذرية الأنبياء وطهرها من أن يكون في ولادتها من آبائها وأمهاتها سفاحا واصطفاها بهذا القرآن: «يا مَرْيَمُ اقْنُتِي ....»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 46

رجالا ونساء كما شرحنا عند تفسيرها في آية التطهير بقول فصل، فهي خير العالمين-/ كأبيها وبعلها وبنيها المعصومين-/ رجالا ونساء، فهي مفضلة على نوح وابراهيم وموسى و عيسى عليهم السلام فضلا عن مريم سلام اللّه عليها.

و مايروى عن الرسول صلى الله عليه و آله ان «أفضل نساء العالمين خديجة وفاطمة ومريم وآسية امرأة فرعون» «1» لا يعني مساماتهن مع بعض، وانما فضلهن على النساء، على تفاضلهن فيما بينهن.

ذلك كما وهي سيدة نساء اهل الجنة لا مريم البتول‏ «2» فهي-/ إذا-/ «أفضلهن عالما» «3» في الدنيا والآخرة.

ذلك-/ وليس ذكر مريم سلام اللّه عليها مرات في الذكر الحكيم وتطهيرها

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 2: 23-/ أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس قال قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله أفضل ... وفيه أخرج ابن مردوية عن أنس قال قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله أن اللّه اصطفى على نساء العالمين أربعة آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه و آله، وأخرج أحمد والترمذي وصححه وابن المنذر وابن حبان والحاكم عن أنس أن رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال: حسبك من نساء العالمين ...

(2). المصدر أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير عن فاطمة رضي اللّه عنها قالت قال لي رسول اللّه صلى الله عليه و آله: أنت سيدة نساء أهل الجنة لا مريم البتول‏

(3). المصدر أخرج ابن عساكر من طريق مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي (ص) قال: أربع نسوة سادات عالمهن مريم بنت عمران و آسية بنت مزاحم و خديجة بنت خويلد و فاطمة بنت محمد (ص) و أفضلهن عالما فاطمة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 47

واصطفاءها إلّا ذودا عنها وابنها المسيح عليهما السلام ملابساتهما من الشبهات التي لم يتورع اليهود والنصارى ان يلصقوها بهما، وإلا فلا دافع لذكر النساء بأسمائهن في القرآن كما لم يذكرن فيه إلا هي.

أم ان القدر المعلوم من «العالمين» عالمي زمانها الحاضر، ام والغابر الى حواء، واما المستقبل فلا، فلأن الإصطفاء ماض ف «العالمين» إذا ماضون، فلا يعني إلّا ماضيه في الماضين دون الآتين إلى يوم الدين، فالشمول لمن يأتي بحاجة الى دليل وليس فليس.

صحيح ان العالمين في «رَبِّ الْعالَمِينَ» يعمهم كلهم ولكنه بقرينة الرب المحلق ربوبيته على كلهم، واما الخلق فقضية محدوديته هي محدودية العالمين إلا بدليل.

و اما الصديقة الطاهرة فهي حسب النص «خير نساء العالمين من الأولين‏الآخرين» «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). مجمع البيان: أي‏على نساء عالمي زمانك لأن فاطمة بنت رسول اللّه صلى الله عليه و آله سيدة نساء العالمين وهو قول أبي جعفر عليهما السلام، وفي نور الثقلين عن أمالي الصدوق بإسناده إلى النبي صلى الله عليه و آله أنه قال أيما امرأة صلت في اليوم والليلة خمس صلوات وصامت شهر رمضان وحجت بيت اللّه الحرام وزكت مالها وأطاعت زوجها ووالت عليا دخلت الجنة بشفاعة ابنتي فاطمة عليها السلام وإنها لسيدة نساء العالمين، فقيل يا رسول اللّه هي سيدة عالمي زمانها؟ فقال صلى الله عليه و آله ذاك مريم ابنة عمران وأما ابنتي فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين وإنها لتقوم في محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين وينادونها بما نادت به الملائكة مريم فيقولون يا فاطمة إن اللّه اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين.

أقول: وهذا النص متواتر من طريق الفريقين تواترا معنويا أنها أفضل من نساء العالمين من الأوّلين و الآخرين دونما استثناء وأنها سيدة نساء أهل الجنة (راجع ملحقات احقاق الحق (10: 69-/ 96) و سيدة نساء هذه الأمة (103: 115) تجد مئات الأحاديث من طرق إخواننا حيث تعني أفضليتها المطلقة على نساء العالمين في الدنيا والآخرة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 48

و حتى لو دل دليل على اصطفاء مريم على كل نساء العالمين-/ ولن-/ فآية التطهير ترفع دور فاطمة في العصمة الى القمة المحمدية الفائقة على كل العالمين ومكثت بالبيت تعبد ربها متحررة للخدمة، مخلصة في القيام بالسدانة حتى صارت مضرب الأمثال، لان ربها «أَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً وَ كَفَّلَها زَكَرِيَّا ...».

تقبلها ربها محررة للبيت ولا يحق لخادمة البيت، والمنذور لتلك الخدمة، المقبولة عند ربها، لا يحق لها خدمته أخرى، لزوج وسواه، فلا تفكر-/ إذا-/ في زواج وسواه ما استلزم الخروج عن البيت، او خدمته داخل البيت، ولا تعرضها فكرة الخروج لأية حاجة إذ كانت مكفولة الرب في كل حاجياتها محررة بالبيت.

إذا ففكرة الزواج او اختيار خطيب لها نائية عن خلدها، بعيدة عن تحررها، لأنها تنافي و نذر أمها وتقبل ربها بقبول حسن.

ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (43).

«ذلك» الذي أنبأناك من القصص «مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ» ومنها الاقتراع‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 49

بشأن من يكفل مريم «وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ» وذلك بوحي من اللّه الى زكريا بشأن هذه الكفالة المختصم فيها بين القديسين «وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ».

فقد كان هناك اختصام بشأن تلك الكفالة الكافلة لصالح مريم سلام اللّه عليها، فلأن القرعة لكل امر مشكل، أمروا بذلك الاقتراع حسما للموقف بما يشاء اللّه فيه، وعلّه دون وحي خاص بكفالة زكريا رعاية لذلك الجمع القديس.

و لأن فاطمة سلام اللّه عليها لم تذكر بأي سوء حتى في ألسنة أعدائها فلا موجب لذكرها اللّهم إلا في جماع الطهارة والعصمة العليا مع أبيها وبعلها وبنيها كما في آية التطهير.

يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَ اسْجُدِي وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (43).

ذلك التخصص في خطابها بمثلث القنوت والسجود والركوع لربها، هو صورة لمّاعة من اصطفاءها على نساء عالمي زمانها وقبلها، حيث لم تخاطب من قبلها كآسية وسواها بذلك الخطاب الحنون، فهو خطاب رسالي مهما لم تكن هي من الرسل، تدليلا على القمة البالغة فيها مبلغ الرسل، فتخاطب كما يخاطبون ويوحى إليها كما يوحى إليهم اللّهم إلا وحي الرسالة.

«اقْنُتِي لِرَبِّكِ» في مطلق الطاعة والعبادة، ثم في خاصتها التي هي عمود الدين،

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 50

المذكورة بأسمى سماتها في جموع المصلين «وَ اسْجُدِي وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ».

فكما السجود والركوع هما معنيان بعناية الصلاة، كذلك الإتيان بهما في جماعة لمكان «مع» الشاملة لكليهما، وليس جمعهما إلا في الصلاة، فقد تأتي هذه الآية في عداد آيات فرض الجماعة في فرض الصلاة، ك «وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ» و «لا جُنُباً إِلَّا عابِرِي سَبِيلٍ» و هي سبيل المسجد مكانا لزاما للصلاة.

فليكن القنوت للرب، والمتمثل كأفضله في الصلاة، ليكن في جماعة القانتين، كشعيرة عظيمة جاهرة ليل نهار أمام الناظرين، فان «مَعَ الرَّاكِعِينَ» تعم مثلث القنوت والسجود و الركوع.

فلقد نمت مريم وترعرت وشبت واشتد ساعدها وعمر قلبها بتقواها «و كان رسول الله صلى الله عليه و آله إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج اسمها خرج بها» واقترع صلى الله عليه و آله بين اهل الصفة لتخرج إلى من يبعثهم الى غزوة ذات السلاسل واقترع صلى الله عليه و آله في غنائم حنين ليخرج سهم عيينةالأقرع، «و اقترع علي عليه السلام في الولد الذي كان بين ثلاثة» وكذلك القرعة لتعيين الشاة الموطوئة التي دخلت بين الغنم وليست بمعلومة «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). سفينة البحار 2: 425 عن الصادق عليه السلام وقد رواها كلها عن الأئمة المعصومين عليهم السلام قد وردت زهاء ثلاثين حديثا في مختلف الأبواب في وسائل الشيعة كلها تقول ما معناه «القرعة لكل أمر مشكل»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 51

و حين يقترع النبيون في المشاكل وهم اصحاب الوحي فأحرى بنا ان نقترع استنانا بسنتهم كما أمضاها اللّه تعالى.

و في ناصية الاقتراعات الرسالية ما اقترع رسول اللّه صلى الله عليه و آله ف‏

كان إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه‏ «1».

كما «فاقرع صلى الله عليه و آله بينهم والحق الولد الذي اصابته-/ صارت عليه القرعة» «2».

«فاقرع بينهم فضمن الذي أصابته القرعة ثلثي الدية» «3».

المصلحة الروحية القمة إلّا الاقتراع وهو هنا كان بأقلام الوحي حيث كانوا يكتبون بها، و ما أنسبها بالنسبة لمن يكفل بالوحي، والدة لصاحب الوحي العظيم المسيح عليه السلام.

و لم يكن اختصام هؤلاء الكرام عدائيا كاللئام، وانما سباقا إلى رحمة اللّه وهم رفاق في اللّه وكما اختصم الملأ الأعلى «ما كانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلى‏ إِذْ يَخْتَصِمُونَ» (38:

69) كما واهل الجنة «يَتَنازَعُونَ فِيها كَأْساً لا لَغْوٌ فِيها وَ لا تَأْثِيمٌ» (52: 23).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي 5: 367، أخرجه بألفاظ عدة باتحاد المعنى عن: خ هبة 15-/ جهاد 64-/ شهادات 15، 30-/ مغازي 34، 55-/ تفسير سورة 34، 6-/ نكاح 97-/ م ففضائل الصحابة 88، توبة 56، نكاح 38، جه نكاح 47، أحكام 20، دى جهاد 38، نكاح 26، حم 6، 114، 197، 269

(2). المصدر د طلاق 32، ن نكاح 50، جه أحكام 20

(3). المصدر حم 4، 373، وفيه: إن قوما اختلفوا في الأذان فأقرع بينهم سعد

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 52

و لقد جرى في ذلك المجرى قلم زكريا في الماء على خلاف المجرى خرقا للعادة، تبيينا انه هو المخصوص هنا بكرامة الكفالة على كرامتهم جميعا فقضي الأمر كما أراد اللّه.

و ترى ما هي حدود القرعة حكميا وموضوعيا في شرعة اللّه؟.

حين نرى ان اللّه تعالى يرضى هنا بالاقتراع ولم يشكل عليه حكم ولا موضوع، وإنما رعاية لجمع القديسين، فبأحرى لنا الاقتراع حين يشكل لنا أمر في موضوع وقد انقطعت كافة السبل والبراهين لتعيين الموضوع.

لا أقول اننا نستنبط الحكم بالقرعة، حيث الأحكام العامة مبينة في الكتاب والسنة، فانما ذلك هو الموضوع المبين حكمه، المجهول مصداقه، كواجب الكفالة لمريم عليها السلام، ثم المصداق يتبين بالقرعة واللّه عالم بالحكم والموضوع، ولكن المصلحة تقتضي تعيين الموضوع بالقرعة حسما للاختصام، وتجنبا عن اي ترجيح بلا مرجح ظاهر.

إذا فالاختصام-/ صالحا وسواه-/ هو المورد الصالح للاقتراع إصلاحا للموقف وإيلافا للمختصمين، فأي قضية أعدل من القرعة إذا فوض الأمر الى اللّه تعالى لقوله «فَساهَمَ فَكانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ» وكما استعلم موسى عليه السلام‏

إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَ الآْخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45) وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا وَ مِنَ‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 53

الصَّالِحِينَ (46) قالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قالَ كَذلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ إِذا قَضى‏ أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (47) وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ (48) وَ رَسُولًا إِلى‏ بَنِي إِسْرائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْيِ الْمَوْتى‏ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لآَيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (49) وَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراةِ وَ لِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَ جِئْتُكُمْ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (50) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ (51) فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسى‏ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قالَ مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ اشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (52) رَبَّنا آمَنَّا بِما أَنْزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ (53) وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ (54) إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسى‏ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ رافِعُكَ إِلَيَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ جاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى‏ يَوْمِ الْقِيامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (55) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيا وَ الآْخِرَةِ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ (56) وَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَيُوَفِّيهِمْ‏أُجُورَهُمْ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (57) ذلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآْياتِ وَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ (58) إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 54

مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَ الآْخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (3: 45).

هنا قالات ملائكية لمريم سلام اللّه عليها بما أوحى اللّه، تحمل البشارة بالمسيح عليه السلام مولدا ورسالة عالية بآيات لها، قرا لعينها وقرارا لقلبها، وتخفيفا عن وطئتها بحملها ووضعها دون بعل، «يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ».

لقد تهدّرت الأيام وتهدلت، ففي يوم مّا وهي في محرابها اضطربت نفسها فجأة وداخلتها رهبة لم تعهدها من ذي قبل إذ تظهر أمامها ملاك الرب يبشرونها بوليد لها وجيه في الدارين، ولا وجه لوجيه وغير وجيه من عذراء لم يمسسها بشر ولم تك بغيا!.

في سائر القرآن آيات ثلاث تواصف المسيح بن مريم عليهما السلام ب «كلمة» ثانيتها: «أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيى‏ مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ» (3: 39) وثالثتها: «إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى‏ مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ» (4: 171) فما ذا تعني كلمة اللّه بحقه عليه السلام ولم يوصف اي نبي ولا خاتم النبيين ب «كلمة»؟.

الكلمة لغويا هي ما تدل على معنى، شاملة للألفاظ الموضوعة على معانيها، الموضوعات الدالة على واضعيها، والأفعال الدالة على فاعليها وكيانهم فيها، أماذا من دلالات في دالات وضعية ام ذاتية ام قصدية أماهيه.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 55

ذلك-/ إلّا ان اختصاص المسيح عليه السلام بوصف الكلمة يزيد على تلك الدلالة الأسمائية بما يخصصه بالكلمة.

فهو نتيجة كلمة «كن» و «اسْمُهُ الْمَسِيحُ» وان كان كل مولود يكون عند قوله تعالى:

«كن» فإن كل مولود سواه إنما يكون ب «كن» على طريق العلوق من الرجال، ووسيط اللقاح المتعود من الرجال، وليس كذلك المسيح عليه السلام فليختص بخاصة «كلمة» لخاصة «كن» الخارقة في بعد ثان بحقه.

فهو الكلمة الملقاة الى مريم: «وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى‏ مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ» فالروح هو روحه وعلّ الكلمة-/ إذا-/ هو جسمه: النطفة الرجولية الملقاة إليها دون وسيط رجل، ألقيت من المجرى التناسلي بدفع عبر عنه هنا بالإلقاء وفي غيرها بالنفخ، وهما مشتركان في معنى الدفع.

و قد تعني كلمة المسيح-/ فيما عنت-/ كرور ذكره في منزلات كتب السماء المتقدمة لميلاده و رسالته، فلما خلقه اللّه قال: هذه كلمتي المتقدمة، فقد كانت البشارة-/ التي هي كلمة-/ ابتداء معرفته بواقعه، والمطرقة بين يدي مورده.

و كذلك كلمته التشريعية-/ إضافة إلى تكوينية-/ الدالة عليه، الهادية اليه.

و مهما شاركت المسيح سائر الكلمات تكوينية وتشريعية، لم يكن ليشاركه في «كن»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 56

الخارقة ولادة دون أب، اللهم إلّا آدم عليه السلام ولكنه-/ مع ذلك-/ لا يستحق كرامة هذه «الكلمة» لعدم ولادته هكذا وإنما خلق من تراب ولعدم جمعه سائر معاني الكلمة، إلا في بعضها عِدّة وعُدّة ضئيلة. الخارجة عن المألوف، وقد ألقيت الى مريم لقاحا رجوليا دونما رجل!. «وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَ الآْخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ».

«وجيها» عند اللّه، وعند المخصوصين باللّه، والمقربين إلى اللّه «وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ» وهم أفضل الوجهاء عند اللّه، وهم السابقون كل الخلق في معرفة اللّه وعبادته: «وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» (55: 11).

و المقربون هم الذين قربهم اللّه إليه بما تقربوا إليه سعيا لأعلى قممه، فأتم اللّه تقربهم إليه بما قربهم، فعصمهم من كل زلة وضلة.

أجل «إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ» ليس من صلب رجل وإنما بنفخ منه «اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» وقد تعني تذكير «كلمة» هنا واقع ذكورة المسمّى، وأنها لا تعني-/ فقط-/ كلمة لفظية، بل وتكوينية هي واقع تكوينه المنقطع النظير.

و ذلك من غرائب القرآن وبدايعه وعجائبه، حيث يذكّر الكلمة في الضمير الراجع إليها رجعا الى معناها، فلو قال «اسمها المسيح» لألبس اللفظ إذ لم يتقدم هنا ذكر المسيح عليه السلام ما يؤمن الالتباس.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 57

ثم نراها مؤنثة الضمير فيما أمن الالتباس «وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى‏ مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ» حيث تقدمت هناك أسماء المسيح وتعريفاته التي تؤمن الإلباس.

او يقال تأنيث الضمير الراجع الى «كلمة» مرة وتذكيره أخرى دليل الجواز للصورتين اعتبارا لمجاز التأنيث.

ثم «الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» هو أجمع اسم وأشمله له عليه السلام، وقد جاء المسيح إحدى عشر مرة، وعيسى بن مريم خمسة وعشرون مرة في القرآن كله، مما يدل على ان عيسى بن مريم هو اسمه الأصيل، وعلّ المسيح لقب له يصفه.

«وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا وَ مِنَ الصَّالِحِينَ» ففي المهد لما أشارت إليه «قالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا ...».

«و كهلا» وهو منذ ثلاثة وثلاثين من سني عمره الشريف او العشرين حيث ابتدأ واقع نبوته ودعوته، وهو بين مهده وكهله لم يكلم الناس رساليا، وإنما في المهد رسوليا ذودا عن ساحته وأمه وكما كان يبشّر به بلسان يحيى عليه السلام.

فنبوته-/ وهي بعد رسالته-/ ابتدأت منذ كهولته، مهما كان نبيا ينبأ بالوحي غير الرسالي بين المرحلتين، كما كان محمد صلى الله عليه و آله قبل بعثته». «1»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 1: 346 في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى محمد بن إسماعيل القرشي عمن حدثه عن إسماعيل بن أبي رافع عن أبيه قال قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: إن جبرئيل نزل علي بكتاب فيه خبر ملوك الأرض وخبر من بعث قبلي من الأنبياء والرسل-/ إلى أن قال-/: لما ملك أشج بن أشجان وكان يسمى الكيس وقد كان ملك مأتي وستا وستين سنة ففي سنة إحدى و خمسين من ملكه بعث اللّه عز وجل عيسى بن مريم عليه السلام واستودعه النور والعلم والحكمةجميع علوم الأنبياء قبله وزاده الإنجيل وبعثه إلى بيت المقدس إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى كتابه وحكمته وإلى الإيمان باللّه وبرسوله فأبى أكثرهم إلّا طغيانا وكفرا فلما لم يؤمنوا به دعا ربه وعزم عليه فمسخ منهم شياطين ليريهم آية فيعتبروا فلم يزدهم ذلك إلّا طغياناكفرا فأتى بيت المقدس فمكث يدعوهم ويرغبهم فيما عند اللّه ثلاثا وثلاثين سنة حتى طلبته اليهود وادعت أنها عذبته ودفنته في الأرض حيا وادعى بعضهم أنهم قتلوه وصلبوه وما كان اللّه ليجعل لهم عليه سلطانا وإنما شبه لهم وما قدروا على عذابه ودفنه ولا على قتله وصلبه لقوله عز وجل «إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ رافِعُكَ إِلَيَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» فلم يقدروا على قتله وصلبه لأنهم لو قدروا على ذلك لكان تكذيبا لقوله ولكن رفعه اللّه بعد أن توفاه فلما أراد أن يرفعه أوحى إليه أن يستودع نور اللّه وحكمته وعلم كتابه به شمعون ابن حمون الصفا خليفته على المؤمنين ففعل ذلك.

وفيه عن الرضا عليه السلام قد قام عيسى عليه السلام بالحجة وهو ابن ثلاث سنين، وفيه 257 عنه عليه السلام قال: إن اللّه احتج بعيسى عليه السلام وهو ابن سنتين.

وفي بحار الأنوار 14: 256 عن الكافي الحسين بن محمد عن الخيراني عن أبيه قال كنت واقفا بين يدي أبي الحسن عليه السلام بخراسان فقال له قائل: يا سيدي إن كان كون فإلى من؟ قال: إلى أبي جعفر ابني، فكأن القائل استصغر سن أبي جعفر عليهما السلام فقال أبو الحسن عليه السلام: إن اللّه تبارك‏تعالى بعث عيسى بن مريم عليهما السلام رسولا نبيا صاحب شريعة مبتدأة في أصغر من السن الذي فيه أبو جعفر.

أقول: لا يدل «أصغر» هنا على أنه منذ مهده، فلعله كان منذ سبع أو ثمان قبل التسع التي كان عليها أبو جعفر عليه السلام وكما في البحار 14: 255 عن الكافي عن يزيد الكناسي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام كان عيسى بن مريم عليهما السلام حين تكلم في المهد حجة اللّه على أهل زمانه؟

فقال: كان يومئذ نبيا حجة اللّه غير مرسل أما تسمع لقوله حين قال: «إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ»؟ قلت:

فكان يومئذ حجة اللّه على زكريا عليه السلام في تلك الحال وهو في المهد؟ فقال: كان عيسى في تلك الحال آية للناس ورحمة اللّه من اللّه لمريم عليها السلام حين تكلم فعبّر عنها وكان نبيا حجة على من سمع كلامه في تلك الحال، ثم صمت فلم يتكلم حتى مضت له سنتان وكان زكريا الحجة للّه عز وجل على الناس بعد صمت عيسى عليه السلام بسنتين ثم مات زكريا عليه السلام فورثه ابنه يحيى الكتاب‏الحكمة وهو صبي صغير أما تسمع لقوله عز وجل: «يا يَحْيى‏ خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ وَ آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا»، فلما بلغ عيسى سبع سنين تكلم بالنبوة والرسالة حين أوحى إليه فكان عيسى الحجة على يحيى وعلى الناس أجمعين وليس تبقى الأرض يا أبا خالد يوما واحدا بغير حجة على الناس منذ خلق اللّه آدم عليه السلام وأسكنه الأرض‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 59

فلو أنه كان يكلم الناس رساليا بينهما كما فيهما لكان صحيح العبارة عنه «و يكلم الناس طول عمره-/ او-/ منذ مهده إلى صعوده» ولكنه «فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا» كما يقال مرجعنا مرجع للتقليد في ايران وفي باكستان، حيث لا يعني أنه كذلك مرجع في البلاد الفاصلة بينهما فان حق تعبيره-/ إذا-/ في ايران الى باكستان.

فقد كان تكليمه الناس «فِي الْمَهْدِ» بشارة تمهيدية لرسالته كهلا، وذودا عن ميلاده‏صمة الرجس، فهو يحمل خارقة حالية في أصل تكليمه وهو وليد سويعات، وأخرى استقبالية حيث يكلمهم رساليا «كهلا».

كما وأن تكليمه «كهلا» وهو في نفسه خارقة، تحقيقا لكلامه في المهد، نور على نور يهدي اللّه لنوره من يشاء.

و نرى كهلا يحض فقط السنّي الثلاث لرسالته الظاهرة؟ وهي ثابتة منذ بعثه الى ابتعاث محمد صلى الله عليه و آله!.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 60

إن تكليمه «كهلا» ينقسم إلى التكليم الرسالي منذ بعثه الى صعوده جاهرا ظاهرا، تكليمه برسالته منذ صعوده حتى مبعث الرسول محمد (صلى اللّه عليه وآله‏سلم)، ثم وتكلمه بغير الرسالة الفعلية حين ينزل ويصلي خلف الإمام المهدي عليه السلام، فإنه منذ الرسالة المحمدية أصبح من أمته صلى الله عليه و آله دون عزل عاضل قاحل، وإنما هو انعزال فعلي بشأن الائتمام بمن هو أفضل منه، على عصمته وقداسته الرسالية السامية، حيث العصمة لا تختص بالرسول والإمام معه أو بعده، فقد حمل العصمة الثالثة بعد الأولى وهي نفسها إلا الرسالة.

أنه بدأ بالدعوة الرسالية منذ العشرين، إلّا إذا دل دليل قاطع على أكثر منه، وقد يروى عن الرسول صلى الله عليه و آله ان سني دعوته الرسالية بشخصه كانت ثلاث و ثلاثين سنة، إذا فقد يكون صعوده في ثلاث وخمسين من عمره الشريف، ورسالته منذ كهولته كما تلمحناها من «و كهلا» ويدل عليه الإنجيل‏ «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). في إنجيل يوحنا 1: 19: 27: وهذه شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت؟ فاعترف ولم ينكر وأقر أني لست أنا المسيح فسألوه إذا ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال:

لست أنا، النبي أنت؟ فأجاب لا، فقالوا من أنت لنعطي جوابا للذين أرسلونا ماذا تقول عن نفسك؟ قال: أنا صوت صارخ في البرية، قوّموا طريق الرب كما قال أشعياء النبي وكان المرسلون من الفريسيين فسألوه وقالوا له ما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي أجابهم يوحنا قائلا: أنا أعمد بماء ولكن وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي الذي لست بمستحق أن أحل سيور حذائه».

أقول: فقد كان المسيح قائما بينهم وهم لا يعرفونه بالرسالة الفعلية وكيف يقوم بينهم وهو في المهد صبيا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 61

و ترى ما هو دور «وَ مِنَ الصَّالِحِينَ» هنا، بعد «وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَ الآْخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ» هناك؟

قد تعني «مِنَ الصَّالِحِينَ» الصلوح لتلك الرسالة العظمى والنبوة العليا، دون مطلق الصلاح الشامل لمطلق الوجهاء والمقربين.

ذلك-/ وكما يلتمسه سليمان النبي «وَ أَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبادِكَ الصَّالِحِينَ» (27:

19) و أفضل منه ابراهيم من قبل «رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَ أَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ» (26:

83)-/ (وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ جَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَ الْكِتابَ وَ آتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا وَ إِنَّهُ فِي الآْخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ» (29: 27).

هذا-/ وقد تعني «مِنَ الصَّالِحِينَ» فيما عنت تحليق الصلاح على كل كيانه، كعبارة ناطقة عن كل نبوَة الصلاح وحلقاته بعد ما ذكر قسم منها عظيم، فهو إذا تعميم بعد تخصيص.

قالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قالَ كَذلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ إِذا قَضى‏ أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ 47.

«قالت» محتارة من بشارة الولادة «رب» الذي ربيتني تكوينيا لا أنتج ولدا إلا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 62

بأسبابه المقررة عندك، وتشريعيا إذ طهرتني عن كل سوء وفحشاء ف «أنى» بالإمكان عاديا «أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ» لا حلا ولا-/ عوذا بك-/ حراما: «أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَ لَمْ أَكُ بَغِيًّا» (19: 20).

«قالَ كَذلِكِ» البعيد في حساب الخلق، العظيم الكريم في تكريم من يشاء «يَخْلُقُ ما يَشاءُ» بمشيئة طليقة دونما رادع أو مانع «إِذا قَضى‏ أَمْراً» ليكون أيا كان، فليس يحتاج إلى تقدمات هو مقرّرها ومقدّرها في متعوّد التكوين «فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ» وهو قول الإرادة الربانية ولا مخاطب له إلا التكوين دون الكائن به فانه من تكوين الكائن «كُنْ فَيَكُونُ» دونما نظرة لآمر آخر او أمر آخر.

وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ 48.

علّ «الكتاب» هنا-/ وهو جنسه-/ كل كتابات السماء النازلة قبله، وذلك من شروطات كل رسالة لاحقة أن يعلّم رسولها سابقتها بسابغتها، حيث الرسالات ككل هي سلسلة موصولة بعضها ببعض، صادرة عن مصدر واحد، واردة إلى امة واحدة، مهما اختلفت شكليات وطقوس ظاهرية فيها.

او معناه، استفساراً لبعضه ببعض، واستيحاءً فيما يحتاج الى تفسيره من اللّه.

و ذلك بعد تحكيم فطرته وعقليته وكل إدراكاته وإحساساته بالعصمة البشريةالإلهية

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 63

تحكيما عن كل انفراط وانحطاط ليكون حكيما في حمل رسالة السماء والدعوة الرسالية الى اللّه.

ثم «التورية والإنجيل» هما أهم مصاديق «الكتاب» قبل القرآن، وأتمها رباطا بالرسالة العيسوية، حيث التوراة تحمل شريعة الناموس التي لم تبدل في الإنجيل إلّا نذرا.

و مما يلمح له إفراد «التورية والإنجيل» وحدة كلّ منهما، دون كثرة مختلقة ولا سيما في الإنجيل.

وَ رَسُولًا إِلى‏ بَنِي إِسْرائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْيِ الْمَوْتى‏ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لآَيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ 49.

أ تراه فقط «رَسُولًا إِلى‏ بَنِي إِسْرائِيلَ» دون كافة المكلفين؟ وكما يروى‏ «1» وولاية العزم في رسالة يحملها المسيح تقتضي طليق الرسالة والدعوة دون اختصاص!.

إنه «رَسُولًا إِلى‏ بَنِي إِسْرائِيلَ» كمبدء الدعوة ومنطلقها كما كانت لموسى وابراهيم‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 1: 343 في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى محمد بن الفضل عن أبي‏حمزة الثمالي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام حديث طويل يقول فيه: ثم إن اللّه عز وجل أرسل عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل خاصة فكانت نبوته ببيت المقدس‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 64

ونوح عليهم السلام، وكذلك هذا النبي صلى الله عليه و آله الذي بدأت رسالته في العرب ثم الى الناس كافة.

و هذه طبيعة الحال لكل داعية ان يتبنى في البداية كتلة خاصة هم اقرب اليه وأحوج الى الدعوة ام وأحرى لحملها الى سائر المدعوين، وقد بلغت عامة الرسالة العيسوية لحد «وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ» (4: 159) وهي كالرسالة الموسوية:

«وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ مِنْ بَعْدِ ما أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولى‏ بَصائِرَ لِلنَّاسِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» (28: 43).

ذلك! مع تصاريح عدة في آيات ان الرسولين أرسلا إلى بني إسرائيل كأم الدعوة في قراها توحيدا وتوطيدا لعراها: «وَ ما كانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرى‏ حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّها رَسُولًا» (28: 59).

ثم وطبيعة الحال في رسالة ناسخة لما قبلها وإن في حكم واحد، أن تشمل كافة المكلفين، ذوداً عن اي ترجيح بلا مرجح، وتوحيدا للشرعة الحاكمة على العالمين في كل دور من أدوار الشرايع الخمس «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَ ما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى‏ وَ عِيسى‏ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ» (42:

13) إذا فكيف بالإمكان تفرق شرعة اللّه في دور واحد وبإذن اللّه: «وَ لا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَ لِذلِكَ خَلَقَهُمْ» (11: 119) وحاكمية اكثر من شرعة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 65

واحدة في دور واحد هي حاكمية الاختلاف القاصد وهو خلاف الرحمة.

و اما واقع اتباع شرائع عدة في طائل الزمن الرسالي، فليس الا من واقع التخلف عن شرعة اللّه ما لم يأذن به اللّه، حيث أمرنا «أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ»!.

«جِئْتُكُمْ بآيَةٍ» ربانية على ما أدعيه من رسالة، آية قاطعة قاصعة أنني رسول من اللّه، فليست-/ إذا-/ إلّا خارقة ربانية لا يستطيع عليها أحد إلا اللّه: «أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ» كوسيط في تحقيق الآية الرسالية و «هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ» (35: 3) فنسبة الخالقية إلى المسيح عليه السلام ليست إلّا بوساطة فيها والخالق هو اللّه، كما الوالد والد أصالة وقد يعبر عنه بالخالق وسيطا لخلق اللّه «ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَيْ‏ءٍ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ» (40: 62).

«أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ» فهنا إذنان تكوينيان: خلقا كهيئة الطير وهي الهيئة الجسدانية للطير بالأجزاء الحيوانية عظما ولحما و عروقا ودما وريشا، ثم نفخا فيه تكوينا لروح الطير:

«... وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي ...»

(5: 110) ف «بإذني .... بإذني» تحلقان على كلا الخلقين: خلق جسم الطير ثم خلق روحها.

إذا فلا دور للمسيح هنا في «اخلق» إلا اختلاق صورة طينية من الطير، وأما تحوّل‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 66

الهيئة الطينية هيئة جسدانية للطير، ثم نفخ الروح فيها فتكون طيرا، أما هما فليسا إلّا بإذن اللّه.

و دور المسيح هنا، الممتاز عمن سواه، أنه يحمل آية ربانية دالة على رسالته، أن اللّه يأذن لما صنعه أن يكون كهيئة الطير، ويأذن بما نفخ فيها أن تكون طيرا، تدليلا على اختصاصه باللّه، وما هو هنا إلّا رسالة اللّه.

فلا دور للمسيح في خلق كشريك للّه! أو مخوّل من عند اللّه، وعوذا باللّه! فإنما يحمل آية ربانية على اختصاصه بكرامة الرسالة، دون أن يحيط علما أو قدرة بآية اللّه، وإلا لم تكن آية خاصة باللّه، ليعرف من خلالها رسالة اللّه.

آيات اللّه، فإنما هم رسل اللّه فيما يأتون به من آية رسولية أو رسالية، ليس لهم من الأمر شي‏ء تكوينا ولا تشريعا، فانما هم حملة شرعة اللّه بعصمة ربانية تعصمهم عن الخطإ في البلاغ بأبعاده تحملا للوحي وإبلاغا وتطبيقا شخصيا وجماعيا.

ذلك! وكذلك الثلاثة الأخرى بأضرابها من آيات رسولية او رسالية:

«وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ» وهو المولود مطموس العين، أو أعم منه ومن الضرير بعد كونه بصيرا «و الأبرص» الأبيض الجلد بعضا، وهو داء معروف يصيب الجلد «وَ أُحْيِ الْمَوْتى‏» وكل ذلك كما الطير في بعدية «بِإِذْنِ اللَّهِ» لا سواه: «وَ تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 67

بِإِذْنِي وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتى‏ بِإِذْنِي» (5: 110) كذلك «وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ» بإنبائي، آيات اربع تتجاوب في كونها آية للرسالة العيسوية «إِنَّ فِي ذلِكَ لآَيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

هذه خطوة أولى لهذه الرسالة السامية تثبت نفسها، ومن ثم كتصديق لها وبيان لمادتها الأصيلة: وَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراةِ وَ لِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَ جِئْتُكُمْ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ 50.

فتصديق ما بين يديه من التوراة تصديق لرسالة الإنجيل فإن رسالات السماء تتجاوب في جذورها مهما اختلفت في بعض شواكلها، إلا أن رسالة الإنجيل هي هي رسالة التوراة اللهم إلا في تحليل بعض المحرمات الابتلائية او العقابية: «فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ..» الْبَقَرِ وَ الْغَنَمِ «حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُما إِلَّا ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما أَوِ الْحَوايا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَ إِنَّا لَصادِقُونَ» (6:

146).

و منها: «وَ سْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كانَتْ حاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَ يَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذلِكَ نَبْلُوهُمْ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ» (7: 163).

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 68

فقد تكفي في ولاية العزم بعض الاختلاف بين أحكام الشرعتين نسخا او تكميلا، توسيعا او تضييقا، وشريعة الإنجيل تابعة لشريعة التوراة إلا في تحليل البعض مما حرم في التوراة.

لذلك ترى رسل الجن يعتبرون شرعة القرآن بعد التوراة دون ذكر للإنجيل: «قالُوا يا قَوْمَنا إِنَّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى‏ ...» (46: 29).

فإنما الدعوة الرسالية المسيحية تركز على التصليحات الخلقية في الجو اليهودي القاسي، و تخليص التوراة عما تدخّل فيها من تحريفات وتجديفات، رفعا لأعلام شريعة الناموس‏ «1».

ذلك-/ وقد يصدقه الإنجيل نقلا عن المسيح عليه السلام: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 1: 344 في تفسير العياشي عن محمد الحلبي عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: كان بين داود وعيسى بن مريم أربعمأة سنة وكان شريعة عيسى عليه السلام أنه بعث بالتوحيد والإخلاص وبما أوصى به نوح وإبراهيم وموسى وأنزل عليه الإنجيل وأخذ عليه الميثاق الذي أخذ على النبيين‏شرع له في الكتاب إقام الصلاة مع الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحريم الحرام وتحليل الحلال وأنزل عليه في الإنجيل مواعظ وأمثال وحدوداً ليس فيها قصاص ولا أحكام حدود ولا فرض مواريث وأنزل عليه تخفيف ما كان نزل على موسى في التوراة وهو قول اللّه في الذي قال عيسى ابن مريم لبني إسرائيلى «وَ لِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ» وأمر عيسى من معه ممن اتبعه المؤمنين أن يؤمنوا بشريعة التوراة والإنجيل‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 69

وعلّم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السماوات. وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما في ملكوت السماوات» (متى 5: 17-/ 19) «1».

فالإنجيل تكملةَ وإحياء لروح التوراة، ولروح الدين المطموسة في قلوب بني إسرائيل.

فالتوراة هي قاعدة الإنجيل، حيث تحمل الشرعة التي يقوم عليها نظام المجتمع ولم يعدل فيها الإنجيل إلا القليل، فإنما هو نفخة إحياء وتجديد لروح الدين، وتهذيب وتليين للضمير القاسي الإسرائيلي.

ثم «وَ جِئْتُكُمْ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ» تعني الآية الرسالية وعديدها ومديدها كوحيدها لأنها تتجه إلى جهة واحدة مهما توحدت أو كثرت.

فلما اكتملت الادلة الرسولية والرسالية وتبين القصد من هذه الرسالة، إذا «فَاتَّقُوا اللَّهَ» عن خلافي «و أطيعون» فيما أدعوا اليه:

إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ 51.

ذلك هو أول الأحكام العقائدية المسيحية وكما في (مرقس 12: 29):

«أول الأحكام أن نعرف أن إلهنا واحد» و «ان الحياة الابدية معرفة الله بالوحدانية وان المسيح رسوله» (يوحنا 17: 3).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). و قد يشير هنا السيد المسيح عليه السلام بمن هدّم بناية شريعة الناموس وهو بولص ومعناه الصغير

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 70

ذلك! فالهرطقات الدخيلة الكنسية الانجيلية في انه «ابن اللّه» (متى 3: 17) و «أول مواليده» (رعب 1: 9) وانه «هو الله والكلمة» (يوحنا 1: 1) (الأزلي» (وعب 9:

14) مثل يهوه: «اللّه» (متى 23: 34 ولوقا 11: 49) وما أشبه، هذه الخرافات المتخلفة عن شرعة اللّه هي من الدخائل الشركية المتسربة المترسبة في الأناجيل! أم مؤوّلة، فقد تعني الكلمة التي هو اللّه كلمة القدرة الذاتية، والتي عند اللّه كلمة القدرة الفعلية ومن مظاهرها السيد المسيح وسائر الخليقة.

فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسى‏ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قالَ مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ اشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ 52.

لقد «أَحَسَّ عِيسى‏ مِنْهُمُ الْكُفْرَ» بقالاته الرسالية الخمس وأهمها خامستها: «وَ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ» ولم يكن الكفر فقط من اليهود الناكرين لرسالته، المتهمين إياه أنه وليد السفاح، بل وممن صدقه ولكنه غالى فيه أنه ابن اللّه أو اللّه، فقد هلك فيه اثنان محب غال ومبغض قال، معركة مصيرية صاخبة لا بد من علاجها الصارم، ليس يقوم به وحده فليطلب أنصارا إلى اللّه، ف: «قالَ مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ»؟

«أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ» لا «أنصاري مع الله» خلاف ما قد يهرف بما لا يعرف من مداليل الكلام توجيها ل «إِلَى الْمَرافِقِ» في آية الوضوء لتكون «مع المرافق» تحويلا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 71

عليلا لدلالته المزعومة على غاية الغسل في اليدين وهي تعني غاية المغسول «اغسلوا أيديكم» الكائنة «إِلَى الْمَرافِقِ».

أجل «أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ» إذ لا معية في نصرة اللّه أن يستنصر المسيح كتلة مع اللّه، شركاء ثلاث فيما يريده اللّه! ولا معنى للمعية هنا فان اللّه غاية في مسرح التوحيد وليس سبيلا.

فإنما تعني «أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ» هنا ما تعنيه في الصف: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصارَ اللَّهِ ... قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيل‏

أن يتناصروا في سبيل اللّه والحفاظ على دين اللّه، لا أن يشاركوا اللّه في النصرة الى اللّه‏ «1».

إن نصرة اللّه لا تعني إلّا نصرة دين اللّه، وأما النصرة مع اللّه فهو من الاشراك باللّه! «وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ» (29: 22) (وَ كَفى‏ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَ كَفى‏ بِاللَّهِ نَصِيراً» (4: 45).

و انما سميت النصارى نصارى لأنهم-/ في ذلك المسرح الحاسم-/ أصبحوا أنصار المسيح إلى اللّه فهم-/ إذا-/ أنصار اللّه بنفس المعنى لا أنهم أنصاره مع اللّه!.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع تفسير الآية في الفرقان (28: 319-/ 321)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 72

ف «أَنْصارُ اللَّهِ» هم أنصار الى اللّه وفي اللّه، وليسوا أنصار المسيح أمن سواه مع اللّه، فتقدير «مع» غير وارد في الاضافة بتاتا، فانما المقدر فيه بين «من-/ الى-/ في» الأوسط هو المعني هنا كما تطلبه المسيح عليه السلام مهما صحت «في».

و كما تعني «أَنْصارُ اللَّهِ» أنصارا الى اللّه، كذلك تعنيه «آمَنَّا بِاللَّهِ وَ اشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» فهل انهم بعد أنصار مع اللّه، ايمانا مع اللّه باللّه؟ فبمن يؤمن اللّه والمسيح والأنصار؟! «أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ» و «أَنْصارُ اللَّهِ» و «آمَنَّا بِاللَّهِ» تعبيرات ثلاث عما تطلبه المسيح عليه السلام منهم في هذه المعركة الصاخبة.

فلقد كانت ضرورة رسولية ورسالية ذلك الاستنصار في بزوغ الدعوة حيث ابتليت بإحساس الكفر وهو ظهوره، وهذه هي قضية كل دعوة أنها إذا بزغت عارضته النكران و المعارضة، فلا بد للداعية أن يستخلص من الجموع كتلة مؤمنة صامدة ليمضي معهم قُدماً في دعوته، فلا تذهب هُملًا وسدىً منذ بدايته، وكما فعله رسول الهدى صلى الله عليه و آله في بيعة العقبة والرضوان، تركيزا للطاقات وتجميعا للقوات لاستقامة امر الدعوة.

رَبَّنا آمَنَّا بِما أَنْزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ 53.

و تلك هي غاية الايمان بالرسول ان يكونوا معه أنصارا الى اللّه، ايمانا باللّه إسلاما للّه‏ايمانا بما انزل اللّه وبرسول اللّه، وقد يكون ذلك الايمان الصامد ايحاءً لهم من اللّه اضافة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 73

الى ايمانهم سلفا باللّه: «وَ إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَ بِرَسُولِي قالُوا آمَنَّا وَ اشْهَدْ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ» (5: 111) مما يدل على قمة الإيمان والإسلام بالوحي، فهم-/ إذاً-/ أصبحوا رسلا مع المسيح تحت ظله، ولا تجد تنديدا بهم في الذكر الحكيم إلّا تبجيلا و تجليلا بمثلث الوحي والإيمان والإسلام.

و ترى «فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ» تعني شهادة الأعمال يوم يقوم الأشهاد، علّه هو مهما عنت معه سواه، فكما المسيح شاهد من الشهود يوم يقوم الأشهاد «فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ» هناك، ومنهم السيد المسيح إذ نحن معه أنصار الى اللّه.

و قد تعني-/ مع ما عنت-/ الشهادة على تبليغ الرسالة بعد ما شهدوا على حقيقتها، فهذه معية مثلثة بمثلث الشهادات، بفارق ان العبارة عن الأخريين «من الشاهدين» وتختص «مع» بالأولى.

و خامسة هي شهود اللّه ببصيرة القلب وحقيقة اليقين وكما يروى عن رسول الهدى صلى الله عليه و آله: اعبد ربك كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك.

و سادسة هي شهود العراقيل، وتحمّلها في سبيل الدعوة، أماهيه من شهادات لابقة لائقة بمن هو من أنصار اللّه.

وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ 54.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 74

«و مكروا» هؤلاء الذين كفروا وأحس عيسى منهم الكفر، دون الحواريين-/ وعوذا باللّه-/ إذ هم حقا آمنوا باللّه كما وصدقهم اللّه، فانما الماكرون هم الكافرون من اليهود حيث شروه بثمن بخمس دراهم معدودة وسلموه-/ فيما زعموه-/ الى الصليب، وكما يندّد بهم في الآية التالية «وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» ويعظم موقف الحواريين «وَ جاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى‏ يَوْمِ الْقِيامَةِ ...».

لقد اغتالته اليهود ليقتلوه ويصلبوه بمكر مكروه «وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ»:

«وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ وَ ما قَتَلُوهُ يَقِيناً بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَ كانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً. وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً» (4: 159).

و تراهم كيف مكروا؟ وليس القتل والصلب مكرا إلا تخفيا واغتيالا!؟.

«وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ» في القدر المعلوم مما تعنيه تبين «وَ مَكَرَ اللَّهُ» أنه ألقي صورة المسيح على ما كره فصلب بديلا عنه ورفعه اللّه، فليس الرفع الجاهر مكرا، انما هو بعد إلقاء صورة المسيح على ما كره ورفعه خُفيةً ان المصلوب هو المسيح بما مكروا «ما لهم به من علم الاتباع الظن ..»! واما كيف مكروا؟ «وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ» تلمح انهم دلوا عليه حيلةغيلة.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 75

و المكر في أصله سعي بالفساد في خفية ومداجاة، وهو هو في الماكرين الضالين من الخلق، وهو المقابلة بعملية خافية عدلا وجزاءً وفاقا من اللّه إصلاحا لما أفسد الماكرون.

و قد يروى ان المسيح مع تلاميذه كانوا في غرفة منعزلة عن بأس اليهود المتربصين به دائرة السوء فدلهم واحد منهم او من اليهود وهو «يهودا أسخر يوطي» «1» على مكانه فالقى اللّه شبهه عليه فصلب بديلا عنه، ورواية الصلب المفصلة عائدة الى آية النساء، عندها قول فصل حول تلك المحاولة الماكرة وما مكرهم اللّه ذودا عن ساحة المسيح عليه السلام.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1)

. اتفقت النصارى على أن يهوذا الأسخر يوطي هو الذي دل على يسوع المسيح عليه السلام وكان رجلاعاميا من بلدة «خريوت» في أرض يهوذا، تبع المسيح وصار من خواص أتباعه وحوارييه الاثنى عشر ومن الغريب أنه كان يشبه المسيح في خلقه كما نقل (جورج سايل) الإنكليزي في ترجمته للقرآن فيما علقه على سورة آل عمران، نقل وعزى هذا القول إلى (السيرنثيين والكربوكراتيين) من أقدم فرق النصارى الذين أنكروا صلب المسيح وصرّحوا بأن الذي صلب هو يهوذا الذي كان يشبهه شبها تاما.

أقول: في كون يهوذا من الحواريين وأنه كان يشبه المسيح عليه السلام نظر، حيث ان الحواريين ممدوحون في القرآن وموحى إليهم في الإيمان بالمسيح فهم رسل المسيح من قبل اللّه لا يتطرق إليهم أي‏فسوق فضلا عن تلك الخيانة الكبرى. ثم «شبه لهم» صريحة في حدوث تلك الشبهة، فتنافى كونه شبيهه خلقا.

فالظاهر أنه كان من اليهود الذين دخلوا بين المؤمنين غير الحواريين، فمكر مكره ومكر اللّه واللّه خير الماكرين‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 76

هنا «شبه لهم» دون «عليهم» لئلا يخيل إلينا انه مجرد شبهتهم في قتله او صلبه، بل «شبه» غير المسيح كالمسيح «لهم» هؤلاء الذين أرادوا قتله، واما الحواريون فقد بشرهم المسيح ان اللّه رافعه اليه وان «ايدي اليهود لم تمسه»:

«فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداما ليمسكوه. فقال لهم يسوع انا معكم زمانا يسيرا بعد ثم امضي الى الذي أرسلني ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون انا لا تقدرون أنتم ان تأتوا» (يوحنا 7: 32-/ 34).

و فرية المكر على بعض حواري المسيح عليه السلام تدفعها صيانة الحواريين حسب القرآن، وأن ضمير الجمع في «مكروا» راجع الى «الذين كفروا» مهما تقدم واحد منهم لتحقيق مكرهم أن دلهم على مكانه مكرا بما اشتروه منه بثمن بخس دراهم معدودة ليحققوا مكر القتل والصلب بحقه، او وان يهوذا كان حسب الظاهر من حوارييه منافقا في مظهره فدل على مكانه.

إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسى‏ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ رافِعُكَ إِلَيَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ جاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى‏ يَوْمِ الْقِيامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ 55.

«وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ ... إِذْ قالَ اللَّهُ» فالمكران هما متقارنان، وتوفّيه عليه السلام رفعه هما

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 77

من تتمة مكر اللّه حيث «شبه لهم» أولا ورفعه أخيرا فنجاه من بأسهم وبؤسهم.

و ترى «إِنِّي مُتَوَفِّيكَ» تعني توفي الموت؟ وهو حسب اللغة ومصطلح القرآن أعم من الموت! فهو لغويا الأخذ وافيا، سواء كان توفيا يحلق على الإنسان إماتة: «قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ» (32: 11) حيث يأخذ الأرواح والأجساد في قبضة الصيانة فلا تضل عنه مهما ضلت عمن سواه، ام إنامة: «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها» (39: 42) حيث تضم النوم الى خضمّ التوفي وهو أخذ الروح الحيوانية باقية بقية للحياة، وهما يتشاركان في أخذ الروح الانسانية عن البدن كاملة.

ذلك، ومن التوفي أخذ الإنسان بكلا جزئيه عن مسرح الحياة الارضية الى حياة سماوية دون إماتة موتا ام نوما وهذا هو المستفاد من جماع الآيات بحق المسيح عليه السلام، فليس التوفي هو الإماتة بعينها مهما كانت منها حيث يتوفى الموت: «فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ» (4: 15) والموت لا يميت وانما يأخذ الإنسان وافيا طليقا كما يأخذه النوم نسبيا غير طليق، وثالث يأخذه وافيا دون إماتةلا إنامة.

فهنا «وَ رافِعُكَ إِلَيَّ» تعني مسرح الأمن عن بأس الكفار «و مطهرك» أمن عن لعنة الصلب المختلقة بينهم، وقد يكفي رفعه الى سماءه تطهيرا له عن بأسه في بعدي الصلب،

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 78

قتلا ولعنا ... صحيح ان اللّه ليس له مكان حتى تعني «رافِعُكَ إِلَيَّ» مكانا للّه، ولكنه قد يعني مكانا عليا كما تعنيه في إدريس عليه السلام: «وَ رَفَعْناهُ مَكاناً عَلِيًّا» (19: 57) كما تعنيه-/ ايضا-/ آيات الرجوع الى اللّه، والحياة عند اللّه «بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» والرحمة لدى اللّه، إذا ف «رافِعُكَ إِلَيَّ» رفع له الى مكان الأمن ومكانة الرحمة غير الخليطة بأية زحمة وكما وصفت «إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيها وَ لا تَعْرى‏. وَ أَنَّكَ لا تَظْمَؤُا فِيها وَ لا تَضْحى‏».

ذلك، وتزيده وضوحا آية النساء: «... وَ ما قَتَلُوهُ يَقِيناً. بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ... وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً» (159).

وكما «قال رسول الله صلى الله عليه و آله لليهود إن عيسى لم يمت وانه راجع إليكم قبل يوم القيامة» «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 2: 36 قال الحسن قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله لليهود ... وفي نور الثقلين 1: 571 شهر بن حوشب يسأله الحجاج يا شهر! آية في كتاب اللّه قد أعيتني، قال: أيها الأمير أية آية هي؟ فقال قوله: «وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ» واللّه إني لأمّر باليهودي والنصراني فتضرب عنقه ثم أرمقه بعيني فما أراه يحرك شفتيه حتى يخمد فقلت أصلح اللّه الأمير ليس على ما تأولت قال: كيف هو؟ قلت: إن عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلا يبقى أهل ملة يهودي ولا غيره إلّا آمن به قبل موته ويصلي خلف المهدي عليه السلام قال: ويحك أنى لك هذا ومن أين جئت به؟ فقلت: حدثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، فقال: جئت واللّه بها من عين صافية

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 79

ثم التحول من مسرح الحياة الأرضية لا يخرج عن خمس تحولات: قتلا-/ صلبا-/ موتا-/ نوما-/ وانتقالا الى حياة فوق الارضية في جنة من الكواكب‏ «1» قد تكون هي جنة آدم وقد رفع إليها المسيح عليه السلام.

و الأولان منفيان بآية النساء: «وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ» وكلّ من النوم والموت له صيغته الخاصة، فلا يعني رفعه اليه-/ كما هنا وفي آية النساء-/ إلّا رفعه عن ذلك المسرح‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). البحار 14: 335-/ لي: بإسناده عن حبيب بن عمر قال: لما توفي أمير المؤمنين عليه السلام قام‏الحسن خطيبا فقال: أيها الناس في هذه الليلة رفع عيسى بن مريم عليهما السلام.

وفيه 336 عن حمران بن أعين عن أبي جعفر عليهما السلام قال: إن عيسى وعد أصحابه ليلة رفعه اللّه إليه فاجتمعوا إليه عند المساء وهم إثنا عشر رجلا فأدخلهم بيتا ثم خرج عليهم من عين في زاوية البيت وهو ينفض رأسه من الماء فقال: إن اللّه أوحى إلي أنه رافعي إليه الساعة ومطهري من اليهود ...

وفيه 337 بسند عن جعفر عن آبائه عن النبي صلى الله عليه و آله قال: لما اجتمعت اليهود على عيسى عليه السلام ليقتلوه بزعمهم أتاه جبرئيل عليه السلام فغشاه بجناحه وطمح عيسى ببصره فإذا هو بكتاب في جناح جبرئيل:

«اللهم إني أدعوك باسمك الواحد الأعز وأدعوك اللهم باسمك الصمد وأدعوك اللهم باسمك العظيم الوتر وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعال الذي ثبت أركانك كلها أن تكشف عني ما أصبحت وأمسيت فيه» فلما دعا به عيسى عليه السلام أوحى اللّه تعالى إلى جبرئيل: ارفعه عندي ثم قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله يا بني عبد المطلب سلوا ربكم بهؤلاء الكلمات فو الذي نفسي بيده ما دعا بهن عبد بإخلاص دينه إلّا اهتزله العرش وإلّا قال اللّه لملائكته: اشهدوا أني استجبت له بهن وأعطيته سؤله في عاجل دنياه وآجل آخرته ثم قال لأصحابه: سلوا بها ولا تستبطئوا الإجابة.

وفيه 338 عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: رفع عيسى بن مريم عليهما السلام بمدرعة صوف من غزل مريم ومن نسج مريم ومن خياطة مريم عليها السلام فلما انتهى إلى السماء نودي: يا عيسى ألق عنك زينة الدنيا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 80

النكد البائس، تطهيرا لساحته عن مكر الذين كفروا، وذودا عن سماحته لعنة الصلب، المزعومة لدى الكنسيين البولسيين، فقد توفاه اللّه أخذا وافيا سليما عن بأسهم ثم رفعه اليه استمرارا لتوفيِّه.

فليس رفعه اليه تعالى-/ فقط-/ رفعا معنويا إذ كان رفيعا في معناه ومغزاه، كما لا يعني رفعه عن الحياة، بل هو رفع عن الحياة الأرضية الى حياة سماوية سامية عاشها أبوانا الأولان سويعات، ويعيشها السيد المسيح عليه السلام قرونا طائلة حتى ينزل الى الأرض زمن المهدي عليه السلام. تلك هي الميزة العيسوية، ومن ثم للذين اتبعوه:

«وَ جاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى‏ يَوْمِ الْقِيامَةِ» الفوقية هنا الى يوم القيامة قد لا تشمل نفس القيامة فهي-/ إذا-/ فوقية تناسب الحياة الدنيا تشريعيا وتكوينيا، فالأول يحلق على كافة الكرامات والاختصاصات في حقل الأحكام الشرعية، والثاني قد يعني تفوقا بالحجة، ثم تفوقا زمنيا إن قاموا بشروط النصرة الربانية.

و «الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ» هم المؤمنون به كما آمن الحواريون، فهم-/ إذا-/ المسيحيون الحقيقيون المتبعون للسيد المسيح عقيديا وخلقيا وعمليا على مختلف درجاتهم، ما دامت رسالته و شرعته محكمة، ولمّا جاء رسول الهدى صلى الله عليه و آله فهم المسلمون منهم ومن سواهم، حيث الايمان بشرعة القرآن هو من قضايا الايمان بشرعة الإنجيل، كما يروى عن‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 81

النبي صلى الله عليه و آله قوله: إنها لن تبرح عصابة من امتي يقاتلون على الحق ظاهرين على الناس حتى يأتي امر اللّه وهم على ذلك ثم قرأ هذه الآية «1».

ذلك وقد تعني هذه الفوقية-/ بما عنت-/ فوقية المسيحيين الملتزمين على الكافرين بالمسيح، مهما لم يسلموا، شرط إلا يعاندوا من آمن به المسيح عليه السلام وهو محمد صلى الله عليه و آله.

و لقد نرى تفوق المسيحيين على اليهود قبل الإسلام وبعده حتى الآن، مهما اختلقت دويلة العصابات الصهيونية منذ زمن قريب، فانها من عملاء الاستعمار المسيحي.

و النقطة الرئيسية في ذلك التفوق الموعود توفية أجور المؤمنين والعذاب الشديد للكافرين منذ الدنيا الى يوم الدين كما تبين الآيتان التاليتان، المفرّعتان هذه التوفية على ذلك التفوق، بما انه من أهم درجاته وأعظم مكرماته.

فهذه فوقية روحية مضمونة للذين آمنوا وخلافها على الذين كفروا على طول خط الحياة في الأولى والأخرى، وقد تجاوبها الفوقية الزمنية إن قاموا بشرائط الايمان كملا لم‏يتركوها هملًا وكما قال اللّه «لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَ إِنْ يُقاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ». حيث المخاطبون هم المعنيون بآيات سابقة في خطابات لتحقيق حيويّات‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 2: 37-/ أخرج ابن عساكر عن معاوية بن أبي سفيان قال سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول: ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 82

الإيمان‏ «1».

و أخيرا ف «الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» وهي الدولة العاقبة كل الدول بقيادة المهدى من آل محمد عليهم السلام كما تعدنا آيات وروايات متواترات.

و من ناحية أخرى يقرر ربّنا سوم العذاب على كفرة اليهود على طول خط الحياة:

«وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى‏ يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» (7: 167).

و يقرر بالنهاية سحقا ماحقا لهم في تلك الدولة الكريمة: «فَإِذا جاءَ وَعْدُ الآْخِرَةِ لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً» (17:

9).

و قد «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ ما ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ» (3: 109).

ذلك، ولدرجات الايمان مدخل عظيم في ذلك التفوق في الأولى والأخرى، فهؤلاء هم‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). و هي ألّا يطيعوا الكافرين ويعتصموا باللّه ويتقوا اللّه حق تقاته ويعتصموا بحبل اللّه جميعا دون تفرق ويكن فيهم أمة داعية إلى الخير آمرة ناهية-/ أماهيه؟

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 83

فوق الذين كفروا الى يوم القيامة في ميزان اللّه، كما انهم كذلك في واقع الحياة كلما واجهوا معسكر الكفر-/ بكل حقوله-/ بحقيقة الايمان، والذين يتبعون محمدا صلى الله عليه و آله منذ مبعثه هم في الوقت ذاته اتبعوا مواكب الرسل ومنهم المسيح عليه السلام.

«ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ»:

فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيا وَ الآْخِرَةِ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ 56 وَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ 57.

هنا الايمان والكفر طليقان، ايمانا بالمسيح وسواه وكفرا به وسواه، وإنما الأصل هو الايمان و عمل الصالحات لتوفية الأجور في الأخرى، ثم الكفر لتوفية العذاب فيها.

ذلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآْياتِ وَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ 58.

«ذلك» العميقة المدى الظاهرة الهدى «نَتْلُوهُ عَلَيْكَ» يا رسول الهدى «مِنَ الآْياتِ» الباهرة من كتابات السماء «وَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ» وهو القرآن العظيم.

و الآيات هنا تعم الآيات الرسولية والرسالية، تكوينية وتشريعية، «وَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ» خصوص بعد عموم يعني القرآن الكريم فانه راية بين الآيات وهو غاية الغايات إذ تحمله خاتمة الرسالات.

إِنَّ مَثَلَ عِيسى‏ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (59) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (60) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 84

تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ (61) إِنَّ هذا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلَّا اللَّهُ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (62) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (63) قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى‏ كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (64) يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْراهِيمَ وَ ما أُنْزِلَتِ التَّوْراةُ وَ الْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (65) ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ حاجَجْتُمْ فِيما لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (66) ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَ لا نَصْرانِيًّا وَ لكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (68) وَدَّتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَ ما يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ ما يَشْعُرُونَ (69) يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بآياتِ اللَّهِ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (70) يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْباطِلِ وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (71) وَ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ وَ اكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (72) وَ لا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدى‏ هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتى‏ أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ أَوْ يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (73)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 85

يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (3: 74)

إِنَّ مَثَلَ عِيسى‏ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ 59.

فإذا كان خلق المسيح خارقة أن لم يكن له والد، فخلق آدم خارقتان أن لم يكن له والدان، وانما «خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ» في جثمانه هيكلا ترابيا مثال الإنسان «ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ» إنسانا في الجسم والروح «فيكون» ما كونه اللّه آدم وسواه كما قال اللّه، وقد يعني «خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ» خلق جسمه «ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ» قولا تكوينيا موجها الى جسمه أن كن إنسانا فهو تكوين روحه من جسمه، وهذه عبارة اخرى عن «ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ» في تخليق بنيه.

و قد تكون «فيكون» بديلا عن «فكان» إشارة الى استمرارية هذه الكينونة الخارقة للمألوف، دون اختصاص بآدم، حيث ثنّي بالمسيح عليه السلام، ومن ثم في كافة الآيات المعجزات.

فان كان المسيح لخلقه دون أب ابنا للّه فليكن آدم المخلوق دون أبوين أخا للّه، وان كان المسيح لذلك هو اللّه فليكن آدم أبا للّه، سبحانه وتعالى عما يشركون، ثم وان كان المسيح يستحق الولادة مجازيا تشريفيا، فليشرّف آدم بسمة الأخوة للّه.

ذلك! ولا يصح المجاز إلا فيما يمكن حقيقته، وإذ ليس بالإمكان ابن او أخ للّه، فلا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 86

تشريف-/ إذا-/ بمجاز وسواه، حيث المجاز هو الحقيقة الُمجاز إذ يجوز اللفظ ويعبر منه الى ما يشابهه.

تنزل هذه الآية جوابا عما سأله جماعة من اهل نجران «هل رأيت مثل عيسى أو أنبئت به؟» «1» فقد تحمل اجابة وافية قاطعة لأعذار مؤلهي المسيح ومتبنّيه، ومختلقي انتسال آدم من إنسان ام ارتقاء من حيوان!.

و ذلك التساءل حدث بعد ما كتب النبي صلى الله عليه و آله الى اهل نجران يدعوهم فيه الى الإسلام‏ «2».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1)

. الدر المنثور 2: 37-/ أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق العرفي عن ابن عباس من أهل‏نجران قدموا على النبي صلى الله عليه و آله وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا: ما شأنك تذكر صاحبنا قال:

من هو؟ قالوا: عيسى تزعم أنه عبد اللّه قال: أجل إنه عبد اللّه قالوا فهل رأيت ... فجاء جبرئيل فقال: قل لهم إذا أتوك: إن مثل عيسى عند اللّه كمثل آدم ... وفيه عن قتادة أنهما لقيا نبي اللّه فسألاه عن عيسى فقالا: كل آدمي له أب فما شأن عيسى لا أب له فأنزل اللّه فيه هذه الآية.

وفيه أتاه صلى الله عليه و آله منهم أربعة من خيارهم فسألوه ما تقول في عيسى قال: هو عبد اللّه وروحه‏كلمته قالوا هم: ولكنه هو اللّه نزل من ملكه فدخل في جوف مريم ثم خرج منها فأرانا قدرته وأمره فهل رأيت إنسانا خلق من غير أب فأنزل اللّه هذه الآية

(2). أخرج البيهقي في الدلائل من طريق سلمة بن عبد يسوع عن أبيه عن جده أن رسول اللّه صلى الله عليه و آله كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه طس سليمان: بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من محمد رسول اللّه إلى أسقف نجران إن أسلمتم فإني أحمد اللّه إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة اللّه من عبادة العباد، أدعوكم إلى ولاية اللّه من ولاية العباد فإن أبيتم فقد أذنتم بحرب والسلام، فلما قرء الأسقف الكتاب فظع به وذعر ذعرا شديدا فبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة فدفع إليه كتاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله فقرأه فقال له الأسقف ما رأيك؟ فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد اللّه تعالى إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة فما يؤمن أن يكون هذا الرجل نبيا وليس لي في النبوة رأي لو كان أمر من أمر الدنيا أشرت عليك فيه وجهدت لك فبعث الأسقف إلى واحد بعد واحد من أهل نجران فكلمهم قال مثل قول شرحبيل فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا شرحبيل وعبد اللّه ابنه وحيار بن قنص فيأتوهم بخبر رسول اللّه صلى الله عليه و آله فانطلق الوفد حتى أتوا رسول اللّه صلى الله عليه و آله فسألهم وسألوه فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا: ما تقول في عيسى بن مريم؟ فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله ما عندي فيه شي‏ء يومي هذا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 87

و هنا المماثلة بين آدم والمسيح عليهما السلام ليست إلّا في فقد الأب، ثم يختص آدم بفقد الأم ايضا وخلقه رأسا من تراب، وقد نابت النطفة الرجولية في خلق المسيح مناب اللقاح الرجولي، ان خلقها اللّه تعالى دون صلب وألقاها نفخا الى رحم البتولة العذراءكما فصلناه في سورة مريم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ‏

كهيعص (1) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) إِذْ نادى‏ رَبَّهُ نِداءً خَفِيًّا (3) قالَ رَبِّ إِنِّي‏وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَ لَمْ أَكُنْ بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (4) وَ إِنِّي خِفْتُ الْمَوالِيَ مِنْ وَرائِي وَ كانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5) يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (6) يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيى‏ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (7) قالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَ كانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً وَ قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 88

(8) قالَ كَذلِكَ قالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَ قَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَكُ شَيْئاً (9) قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيًّا (10) فَخَرَجَ عَلى‏ قَوْمِهِ مِنَ الِمحْرابِ فَأَوْحى‏ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَ عَشِيًّا (11) يا يَحْيى‏ خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ وَ آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (12) وَ حَناناً مِنْ لَدُنَّا وَ زَكاةً وَ كانَ تَقِيًّا (13) وَ بَرًّا بِوالِدَيْهِ وَ لَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيًّا (14) وَ سَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ يَمُوتُ وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (19: 15)

سورة تسمت بمريم، ولا تجد في سائر القرآن امرأة اخرى وحتى أفضل منها كفاطمة عليها السلام تسمت باسمها سورة أو يؤتى باسمها في آية، ومريم آتية في أربع وثلاثين آية وخامسة هي «سورة مريم»! أترى ذلك لفضلها على نساء العالمين؟ وفاطمة أفضل منها حسب النصوص الإسلامية «1» وذكر الاسم في القرآن لا يدل على فضيلة، فزيد يذكر في القرآن ولا يذكر الاكثرية الساحقة من النبيين، ولا احد من خلفاء الرسول المعصومين ولا من صحبه الكرام الميامين! ورغم ان القرآن ليس من دأبه ذكر النساء بأسمائهم حفاظا عليهن حتى في أسماءهن، نراه يدأب في ذكر مريم مرات عدّة ليس إلا ذوداً عنها ما مسته اليهود والنصارى من كرامتها ونسبتها الى غير اللائق بحرمتها، فكان من الواجب الرسالي في الوحي الأخير ذكرها في مذكرات شأنها بعصمتها وطهارتها، كما و في سائر

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع سورة الكوثر من الفرقان ج 30

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 89

القرآن مذكرات لعصم المرسلين حيث تعرضت في محرفات من كتابات الوحي لما لا يليق بساحة الرسالة ولا الايمان بل ولا أي‏إنسان! وآي الذكر الحكيم عاصمة عصم الوحي، كما هي عاصمة الرسالة والوحي.

كهيعص (1).

إنها الفريدة في الحروف المقطعة القرآنية في العدد التركيبي، ففي الشورى «حم عسق» خمسة في تركيبين اثنين، وهنا خمسة في تركيب واحد، ثم لا خمسة في سائر القرآن، المتبع من قراءتها هي المتواترة في كتب القرآن «ك-/ ها-/ يا-/ عين-/ صاد» دون سائر القراآت‏ «1».

و لا بد هنا من رباط بينها ومغزى السورة، كما في سائر الحروف المقطعة مهما كانت هنالك إشارات أخرى لا تحويها السورة، فإنها مفاتيح كنوز القرآن وبرقيات رمزية إلى نبي القرآن! روايات من الفريقين تدلنا أنها حروف من أسماء اللّه على اختلافها في‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). من كسر الهاء وفتح الياء وهي قراءة أبي عمرو وابن مبادر او (مناذر) والقطعي عن أيوب ومن عكسها وهي قراءة حمزة والأعمش وطلحة والضحاك عن عاصم، ومن امالتهما كسرا فيهما وهي قراءة الكسائي والمفضل ويحيى عن عاصم والوليد بن اسلم عن ابن عامر والزهري وابن جرير، من ضم الهاء وفتح الياء وهي قراءة الحسن ويروى عنه عكسها ايضا وروى صاحب الكشاف عنه ضمها، واشمامهما شيئا من الضمة (تفسير الفخر الرازي ج 21: 78)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 90

«ما هي تلك الأسماء» «1»

و هذه الأسماء المرموز بها لا تختص بهذه السورة، فقد تأتي بألفاظها أو معانيها في السور كلها! ويروى عن القائم المهدي (عجل اللّه فرجه الشريف) أنها إشارات الى رزية العاشور «2» وليس بذلك البعيد، لمكان المشابهة التامة بين الحسين عليه السلام يحيى، و

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 4: 358-/ اخرج ابن مردويه عن الكلبي انه سئل عن «كهيعص» فحدث عن أبي صالح عن ام هاني عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال: كاف هاد عالم صادق» أقول: لم تذكر هنا اشارة الياء وقد ذكرت فيما رواه القمي عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: هذه اسماء اللّه مقطعة واما قوله «كهيعص» قال: اللّه هو الكافي الهادي العالم الصادق ذو الايادي العظام» «ذو الايادي من اليد فهو رمز الياء وفي معاني الاخبار باسناده الى محمد بن عمارة قال: حضرت عند جعفر بن محمد عليهما السلام فدخل عليه رجل فسأله عن «كهيعص» فقال عليه السلام: «كاف» كاف بشيعتنا «ها» هاد لهم «يا» ولي لهم «عين» عالم باهل طاعتنا «صاد» صادق لهم وعده حتى يبلغ بهم المنزلة التي وعدهم إياها في باطن القرآن» أقول: وهذا يختلف في اشارة الياء «ولي» عن سابقه «ذو الايادي» وظاهر الاشارة فيها الى اسماء اللّه تعالى هو الحرف الاول، فذو الايادي مفضل على «ولي» الا ان تؤول الولاية الى ذي اليد. وفي المجمع روي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال في دعائه: اسألك يا كهيعص‏

(2). نور الثقلين 3: 319 في كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده الى سعد بن عبد اللّه القمي‏عن الحجة القائم حديث طويل وفيه «قلت: فاخبرني يا بن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله‏سلم)، عن تأويل «كهيعص»؟ قال عليه السلام: هذه الحروف من أنباء الغيب، اطلع اللّه عبده زكريا عليها ثم قصها على محمد صلى الله عليه و آله وذلك ان زكريا عليه السلام سأل ربه ان يعلمه اسماء الخمسة فاهبط اللّه عليه جبرئيل عليه السلام فعلمه إياها فكان زكريا إذا ذكر محمد صلى الله عليه و آله وعليا عليه السلام وفاطمة عليها السلام والحسن عليه السلام سرى عنه همه وانجلى كربه وإذا ذكر الحسين عليه السلام خنقته العبرة ووقعت عليه البهرة فقال ذات يوم: إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعا منهم عليهم السلام تسليت بأسمائهم من همومي وإذا ذكرت الحسين عليه السلام تدمع عيني وتثور زفرتي؟ فأنبأه تبارك وتعالى عن قصته فقال: «كهيعص» فالكاف اسم كربلاء والهاء هلاك العترة. والياء يزيد لعنه اللّه وهو ظالم الحسين عليه السلام والعين عطشه والصاد صبره، فلما سمع بذلك زكريا عليه السلام لم يفارق مسجده ثلاثة ايام ومنع فيها الناس من الدخول عليه واقبل على البكاء والنحيب وكانت ندبته: الهي أتفجع خير خلقك بولده؟ أتنزل بلوى هذه الرزية بفناءه؟ أتلبس عليا وفاطمة ثياب هذه المصيبة الهي أتحل كربة هذه الفجيعة بساحتهما؟ ثم كان يقول: الهي ارزقني ولدا تقر به عيني عند الكبر، و اجعله وارثا ووصيا واجعل محله مني محل الحسين عليه السلام فإذا رزقتنيه فافتني بحبه وافجعني به كما تفجع محمدا حبيبك صلى الله عليه و آله بولده، فرزقه اللّه يحيى عليه السلام وفجعه به وكان حمل يحيى ستة أشهر وحمل الحسين عليه السلام كذلك.

و في مناقب ابن شهر آشوب عن إسحاق الاحمري عن الحجة القائم عليه السلام مثله سواء. أقول: لا غرو ان ذلك الترتيب اسم واحد او اسماء من اللّه تعالى تحمل في حروفها إشارات الى ضحية اللّه وثأره‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 91

«كهيعص» هي «ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا» وقد تعنيهما هذه الخمس فيما تعنيه من إشارات، ما وصلتنا منها إلا هذه وتلك.

و ماذا يمنع أن تكون هذه أسماء للّه او حروفا من أسماء للّه، وبضمنها إشارات اخرى منها رزية الحسين عليه السلام وهو اسم من أسماء اللّه وقد حقق كفاية الكافي وهدايته‏عمله وصدقه ويده وولايته في جهاده وجهوده، وهو صنو عظيم من يحيى بن زكريا في «لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا» وفي استشهاده اما ذا من امره المرير.

ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) إِذْ نادى‏ رَبَّهُ نِداءً خَفِيًّا (3).

كأن «ذكر» خبر ل: «كهيعص» ام «هذا» اما ذا؟ والأول أولى لذكر ما يصلح كونه المبتدء، ويناسبه بعض التأويل، فرحمة الكفاية والهداية واليد الولاية والعلم وصدق‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 92

الوعد، رحمات خمس إلهية لعبده زكريا، وكلها رحمات ربانية لعباد اللّه المخلصين، اما ذا من رحمات تذكر في هذه السورة لمريم عليها السلام واضرابها من المكرمين .. وقد يعني «عبده» الرسول محمد صلى الله عليه و آله ف «زكريا» إذا عطف بيان ل «رحمة» ف «كهيعص» و «إِذْ نادى‏ رَبَّهُ»، هي ذكر رحمة ربك زكريا لعبده محمد صلى الله عليه و آله او المعنيان معنيان، ف «عبده» يشملهما على البدل وهو أجمل.

و من رحمته استجابة دعوة عبده «إِذْ نادى‏ رَبَّهُ نِداءً خَفِيًّا»-/ «وَ زَكَرِيَّا إِذْ نادى‏ رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَ أَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ. فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَ وَهَبْنا لَهُ يَحْيى‏ وَ أَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَ يَدْعُونَنا رَغَباً وَ رَهَباً وَ كانُوا لَنا خاشِعِينَ» (21: 90).

و النداء هي الدعوة جهرا للمدعو مهما كانت خفية عن الآخرين وكما «نادى‏ رَبُّكَ مُوسى‏ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» (26: 10) و «إِذْ ناداهُ رَبُّهُ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً» (79:

16) فلا تنافي «نداء» كونها «خفيا» كما الوحي الى موسى جلي لموسى وخفي عمن سواه، ولا سيما بالواد المقدس إذ لم يكن معه أحد حتى أخيه هارون المشارك له في وحي النبوة أحيانا. و من آداب الدعاء كونها خفية: «ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَ خُفْيَةً» (7:) 55) ابتعادا عن الرئاء، و «إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى‏» (20:) 7) فلما ذا الجهر إذا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 93

وان لم تكن رئاء؟!. تخضعا، رغم ان الدعاء حالة القرب حتى للبعيدين عن ساحة القرب فضلا عن المقربين! انه يناجي ربه بعيدا عن أسماع وعيون الناس، إخلاصا لربه وكشفا عما يثقل كاهله وتجنبا عن مقالة هازئة: زكريا يطلب ولدا وقد اشتعل رأسه شيبا وكانت امرأته عاقرا، يدعوه في سر مستسر وان كان ربه يسمع دون دعاء ويرى دون رئاء ولكنما المكروب يستريح الى الدعاء وقد أمره ربه بالدعاء:

وَ قالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» حيث الدعاء التماس والتجاء وهو مخ العبادة:

قالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَ لَمْ أَكُنْ بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (4).

عرض متين من نبيّ أمين لشروط لاستجابة الدعاء ومقتضيات وعدم الموانع فيما لديه: «رب» دون «يا» لتكون اقرب لفظيا كما هو قريب معنويا فان «يا» لنداء البعيد! «اني وهن العظم مني» وإذا وهن العظم وهو المتن المكين فسائر البدن أو هن وسرعة الفناء إليه أهون «وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً» شعلة النور والبيضاء حتى لا تبقي سوادا، فانه بتعبير ما ألطفه عن تكاثر الشيب في الرأس كأنه مشتعل يقهر بياضه وينصل سواده، سرعة في تضاعف الشيب وتزايده وتلاحق مُدده حتى يصير في الإسراع والانتشار كاشتعال النار، يعجز مطفيه ويغلب متلافيه.

و ترى الشيب من شروط استجابة الدعاء وقد يشيب الإنسان على الشقاء؟ «وَ لَمْ‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 94

أَكُنْ بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًّا» لم تسبق لي منذ التكليف لحد المشيب شقوة في دعائك:

دعاءك إياي فيما امرتني ونهيت حيث أطعت الخالصة: «أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَ أَنِ اعْبُدُونِي هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ» (36: 61) ومن عهدكم استجابة الدعاء «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» «وَ لَمْ أَكُنْ» فيما مضى «بدعائك» إياي وهو العهد الأول «رَبِّ شَقِيًّا» وعلى ضوءه، ولم أكن بدعائي إياك وهو العهد الثاني «رَبِّ شَقِيًّا» فان دعاء الأشقياء لا تستجاب، وإذ لم أكن شقيا بدعائك إياي لم أكن شقيا بدعائي إياك‏ «1».

هذه سابقتي المشرقة في بعدين قبل المشيب، أفبعد المشيب وانا أحرى بالاستجابةأرحم أنت لا تستجيب؟.

و رغم «إني وهن العظم مني» فلا يهن العزم منك، ومع أنه «اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً» فرحمتك مشتعلة للشيب اكثر مما قبل المشيب، فحالي الضعيفة وماضيّ من حالي إذ «لَمْ أَكُنْ بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًّا» تقتضي رعاية حالي واستقبالي، وكما لم أكن في حال بدعائك رب شقيا فلا تكن بدعائي ربّ إلا حفيا، فقد عودتني الاستجابة في فتوتي وقوتي فما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). ف «دعائك» يعني المعنيين على الترتيب في الأدب اللفظي باضافة المصدر الى الفاعل كما في «عهدي» ثم اضافته الى المفعول كما في عهدكم، وكما هو الترتيب المعنوي ان استجابة الدعاء من مخلفات استجابة العبد دعاء ربه وما الطفه جمعا لهما لفظيا ومعنويا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 95

أحوجني في هرمي وكبرتي! ثم وليست هذه الاستجابة لصالحي شخصيا، بل والحفاظ على مستقبل الرسالة وراثة الدعوة:

وَ إِنِّي خِفْتُ الْمَوالِيَ مِنْ وَرائِي وَ كانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً (5).

ليس لي ولد يرثني رضيّا، وإني خفت من يليني من ورائي ان يصبحوا أخلافا متخلفين، فلا يقوموا على تراث النبوة مالا وحالا، تضييعا للمال في غير موضعه، وتحويلا للحال الى غير حال.

و رغم ان حالي وماضيّ واستقبالي تقتضي إجابة دعائي لصالحي وصالح استمرارية الدعوة والحفاظ على بيت النبوة، ولكني «و هن العظم مني» كمانع أوّل للإيلاد «وَ كانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً» كمانع ثان للولادة، ولكنك لا يمنعك أيّ مانع ولا يقف دون مشيتك اي رادع، «و كانت» تلمح لكونها عاقرا منذ ماض بعيد وهي الآن شيخة فأصبحت ذات عقرين! فهذه-/ إذا-/ ثلاث! فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5) يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (6).

«هُنالِكَ دَعا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ» (3: 38) «رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَ أَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ» (21: 89).

يدعو ربه بكل ضراعة آيسا من نفسه، وهنا لعظمه وعقرا لزوجه، راجيا ربه أنه‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 96

سميع الدعاء وهو خير الوارثين، فهب لي وليا يرثني خيرا وأنت خير الوارثين، وقد تشير «من لدنك» إلى أن مطلوبه يحمل رحمة لدنية رحمانية حيث الأسباب العادية قاصرة لمكان العقر والشيخوخة ورحمة لدنية رحيمية هي النبوة وهما من خوارق العادة في الرحمتين «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ..»!

و هنا «وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا» تصرف «يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ» عن وراثة النبوة، او تعمها لكل وراثة من مال ونبوة «1» فلو كانت «يرثني» مختصة بوراثة النبوة وهي تتطلب في أصلها وفرعها كون الوارث رضيا، لكانت «وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا» طلبا لتحصيل الحاصل، أو أن اللّه يورث النبوة لغير المرضي فيدعوه زكريا «وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا»!.

فلقد كانت دعائه ذات بعدين «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي ..» «وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا» و كما في آل عمران: «رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ..» (38) كتصريحه ثانية، ثم‏تلميحة في الأنبياء «رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَ أَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ» (89).

فلا يطلب ويستوهب وليا غير رضي، ولا رضيا غير ولي، وانما يطلب وليا رضيا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 4: 259 واخرج الفرياني عن ابن عباس قال كان زكريا لا يولد له فسأل ربه فقال: رب هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب قال: يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 97

يرثه و هو الولد من صلبه فميراث النبوة-/ على مجازها-/ لا يختص بذرية وارثة، كما وهذا الإرث لا يقتضي كون الوارث رضيا. فقد يدعو زكريا ربه أن يهبه ولدا هو مجمع الوارثين، ولو اختصت بوارثة النبوة أصبحت مجازا لا محسن له ولا دليل، وسقطت «و اجعله رضيا» عن الفائدة. فليعنِ ب «وَلِيًّا يَرِثُنِي» ميراث المال والأعم بقرينة «وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ»، وب «وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا» النبوة المجعولة في وارث المال، وعلى أية حال فارث المال أصل قاطع في «يرثني» ولكي ينضبط «وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا»!.

فهنا الحديث المختلق على الرسول صلى الله عليه و آله هضما لفدك البتولة الزهراء عليها السلام، مصلحيةَ الحفاظ على الخلافة البتراء «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة» يردّ الى قائله لمخالفته نصا من كتاب اللّه «يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ..» وحيث لا تختص بإرث النبوة، بل لا تورث النبوة حتى تشملها «1»، وإنما هي المستفادة من «وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا» جعلا الهيا ثانيا باصطفاء بعد جعل الولادة.

و لان عموم الحكم في هذا المختلق معلل بالنبوة «معاشر الأنبياء» فلا تخصيص فيه‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). فالوراثة في وجه عام تختص بالمال حيث ينتقل بحكم الله الى الورثة، فاما العلم‏والتقى، الرسالة واضرابها من الخصائل المعنوية فلا تورث كما المال، اللهم إلا مجازا، ان الله يجعل النبوة في ولد النبي فيعبر عنه بالورثة لمشابهتها وراثة المال رغم الفوارق بينهما، ولا مجال في هذه الآية لهذا المجاز، اللهم الا ان يعنى من «يرثني ..» كلا الميراثين والقدر الثابت وراثة المال، حيث النبوة مذكورة في «وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 98

إلّا تعاميا عن العلة فتغاضيا عن أصل الحكم، فلا يقبل تخصيصا بالكتاب أن وراثة المال في آل يعقوب تستثنى من عموم الحكم رغم عموم النص ونص العموم في «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ» (4: 11) أفعلى عمد يترك كتاب اللّه في عمومه‏خصوصه؟ او ان الصديقة الزهراء لم تكن من أولاد الرسول (صلّى اللّه عليه وآله و سلم) ام لم تكن مسلمة ترث أباها اماهيه؟!.

تقول فيما يروى عنها (سلام اللّه عليها): «أفعلى عمد تركتم كتاب اللّه ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول اللّه تبارك وتعالى: «وَ وَرِثَ سُلَيمانُ داوُدَ» وقال عز وجل فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا: فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا» وقال عز ذكره: «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى‏ بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ» وقال:

«يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ» وقال: «إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ» وزعمتم ان لا حظوة لي ولا ارث من أبي ولا رحم بيننا! أفخصكم اللّه بآية أخرج نبيه منها؟! ام تقولون أهل ملتين لا يتوارثان؟! أو لست وأبي من أهل ملة واحدة؟! أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من النبي صلى الله عليه و آله؟ أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ»؟

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 99

أأغلب على إرثي ظلما وجورا «وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ..» «1».

هنا «يرثني» يعم الإرثين او يخص ارث المال. فما ذا يعني «وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ»؟

قد يعني يعقوب بن ماثان أخا عمران ابن ماثان أبي مريم، وكانت امرأة زكريا اخت مريم، فلأنها من آل يعقوب فإرثه عنها إرث من آل يعقوب، ولكنه بعيد في عرف القرآن حيث لا يذكر فيه يعقوب إلا ابن إسحاق، إذا فآل يعقوب هم بنو إسرائيل فالميراث إذا يعم النبوة والمال: يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيى‏ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (7).

«فَنادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَ هُوَ قائِمٌ يُصَلِّي فِي الِمحْرابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيى‏ مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ سَيِّداً وَ حَصُوراً وَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ» (3: 39) (فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَ وَهَبْنا لَهُ يَحْيى‏ وَ أَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَ يَدْعُونَنا رَغَباً وَ رَهَباً وَ كانُوا لَنا خاشِعِينَ» (21:: 90).

لقد تحققت الاستجابة لتوفر شروطها، مسارعة في سابق الخيرات وسابغها والدعاء رغبا ورهبا والخشوع للّه وقد جمعها في إجمال «وَ لَمْ أَكُنْ بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًّا».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). ج 6 بحار الأنوار، يقول صاحب البحار هذه الخطبة من المشهورات بين الفريقين مع بعض الاختلاف في بعض الألفاظ وينقلها هنا عن كتاب «بلاغات النساء» لابي الفضل احمد بن أبي طاهر

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 100

و قد تعني «وَ أَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ» إصلاحها عن عقرها لتلد، وإصلاحها لإيلاد صالح ليصلح رضيا، مهما كانت صالحة «إِنَّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ ..»!.

كما «وَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ» لا تلمح لنبوة غير صالحة لمكان الوصف‏ «1» ف «نبيا» يعني رفيعا ف «مِنَ الصَّالِحِينَ» تعني رفيعا من الصالحين، لا رضيا كسائر الصالحين، فهي استجابة فوق المستدعى! حيث النبي يصطفى بين الصالحين وهم المرسلون ف «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى‏ بَعْضٍ» وقد فضل يحيى في هذه الدعاء على جماعة من الصالحين بمن فيهم رسل غير أنبياء.

و «لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا» تنفي غلاما قبله اسمه يحيى، وقد تنفي معه من كانت من قبل سمته كيحيى، ف «سميّا» تشمل الاسم والسمة، وهكذا كان يحيى ثم من بعده نجد له أسمياء في الاسم، لا في السمة إلا الحسين بن علي عليهما السلام.

«لَمْ نَجْعَلْ ..» دليل أن اللّه هو الذي سماه يحيى وقد سمى من قبل بعض عباده بأسمائهم، «و سميّا» لا يخص الاسم إذ ليس بخصوصه كثير الاهمية، وإنما هو مع السمة والميزة الخاصة و كما اللّه «فَاعْبُدْهُ وَ اصْطَبِرْ لِعِبادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا» (19: 65) حيث الاسم بمجرده ليس ليخص العبادة والاصطبار لها بالمسمى لأن التسمي باي الأسماء هين،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). فلا يقاس ب «وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا» حيث يقابله غير الرضى، فهو قبل ذلك الجعل ليس من‏الصالحين فضلا عن كونه من النبيين، ولكن الصالحين منهم نبي ومنهم غير نبي وزكريا طلب فقط صلاحه في «وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا» فزاده اللّه تعالى نبوة «وَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ»!

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 101

فالسمي هو المِثل في الاسم والسمة وهي اولى وطالما المسيح كان سميه في سمات عدة فهو بعده‏تنقصه سمة الشهادة الخاصة وهي للإمام الحسين عليه السلام خاصة، وكما لم يجعل له عليه السلام من قبل سمي في الاسم ولا الشهادة، اللهم إلا يحيى في سمة الشهادة! فهو أسمى الاسمياء ليحيى بعده‏ «1» وبعده المسيح عليهما السلام.

و ترى ان اللّه بشره دون وسيط كما تلوح «يا زَكَرِيَّا .. لَمْ نَجْعَلْ لَهُ ..»؟ ام بوسيط الملائكة «فَنادَتْهُ الْمَلائِكَةُ»؟ وكيف الجمع بينهما! .. إن قول ملائكة الوحي المرسلين الى الرسل هو قول اللّه، فلا فرق إذا بين «قالَ رَبُّكَ ..» و «فَنادَتْهُ الْمَلائِكَةُ» أو أنه نداآن، بواسطة الملائكة أولا، ثم دون وسيط ام بوسيط ملك الوحي الخاص جبريل ثانيا! قالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَ كانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً وَ قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (8).

و ترى كيف يختار زكريا فيما يدعو ويختار، فلو كان بعيدا عن رحمة اللّه أو مستحيلا في قدرة اللّه لما كان يختاره بكل ضراعة وإصرار؟ وقد عرض في معرض دعائه مانعا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 3: 224 عن مجمع البيان عن أبي عبد اللّه عليه السلام في الآية وكذلك الحسين عليه السلام لم يكن له من قبل سمي ولم تبك السماء إلّا عليهما أربعين صباحا، قيل له: وما كان بكاءها؟ قال: كانت تطلع حمراء وتغيب حمراء وكان قاتل يحيى ولد زنا وقاتل الحسين ولد زنا وفي ارشاد المفيد روى سفيان بن عينية عن علي بن يزيد عن علي بن الحسين عليه السلام قال: خرجنا مع الحسين بن علي عليهما السلام فما منزل نزلا ولا رحل منه الا ذكر يحيى بن زكريا وقتله وقال: ومن هو ان الدنيا على اللّه أن رأس يحيى بن زكريا اهدي الى بغي من بغايا بني إسرائيل‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 102

منه فيه وفي زوجه، عقرا وكبرا عتيا، رجاء من اللّه أن يزيله فيهب له غلاما رضيا زكيا!

إنه لا يتساءل «كَيْفَ يَكُونُ» استبعادا لأصل الولادة او كيفيتها، وإنما «أَنَّى يَكُونُ» سؤالا عن زمانها، أقريب أم بعيد، رغم أن «امْرَأَتِي عاقِراً وَ قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا» فليكن قريبا لكي تكون لي ولأمه حظوة، ولا فرق عندك بين تعجيله وتأجيله حيث الكبر والعقر قائم ولا سيما في تأجيله.

و ان كان الجواب يلوح باستبعاد لزكريا في الاستجابة «قالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ..»

فانما هو من قصور فيه وفي زوجه، ولا أنه كان يستبعد القدرة الإلهية، أو أنه كان يستبعد الإجابة لأنها خارقة، فأخذته الحيرة لما بشر بيحيى فانفلت من لسانه «أنى»! إذ لم يتمالكه في عجاب البشرى واستفسار خصوصياتها، استغرابا من الأسباب، لا من هبة مسبب الأسباب، كما ولا يذكر إلّا عقرا لامرأته وعتيَّاً لنفسه دون شي‏ء من ربه إلا ماسبق في دعائه «إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ» «وَ لَمْ أَكُنْ بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًّا»!.

هنا يذكر من قصوراته في موانعه: لامرأته عقرا وشيخوخة، فلو لم تكن عاقرا لم تلد الآن للشيخوخة وهي عاقر شيخة! ولنفسه اشتعال الرأس شيخوخة وانخماد الشهوة عتوة: يبسا وجفافا لنبعة النطفة، ضعف على ضعف وعقر على عقر فاستعجاب من بشارة الولادة جانبيا، يستوضح ب «أنّى» زمنها وكيفيتها، لا أصلها المستجاب فيما تطلّبه‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 103

بكل رغبة و: قالَ كَذلِكَ قالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَ قَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَكُ شَيْئاً (9). «قال» اللّه «كذلك» الذي بشرت هو واقع دون منعة مانع ولا دفعة دافع «كَذلِكَ قالَ رَبُّكَ»: «هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ» كيف لا «وَ قَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَكُ شَيْئاً» أفعيّا بعد عن خلق غلام من أبوين؟.

فهو أهون من خلق يحيى من أبوين عاقرين ولا اولوية في هذا القياس! ام يعني خلق الإنسان الاول دون أبوين، المنتهي خلق زكريا إليه؟ والصحيح الفصيح هو الإفصاح عنه ب «و قد خلقت آدم ولم يك شيئا»!.

و قد يلمح «وَ لَمْ تَكُ شَيْئاً» الى خلق المادة الأولية-/ وهو منها-/ لا من شي‏ء، وهو اولوية قاطعة بالنسبة لكل خارقة، حيث الخلق من شي‏ء أهون من الخلق لا من شي‏ءينتهي خلق كل شي‏ء الى «لا من شي‏ء».

أو أنه ليس قياسا وإنما تسوية في الخلق الهيّن بين خلقه من صالحين وبين خلق يحيى منهما بموانعه ف «هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ» كما «قَدْ خَلَقْتُكَ ..» وكان هينا، دونما صعوبة عليّ في خارقة العادة، وهذا هو الواقع في حساب اللّه ان ليس في خلقه على مختلف المراتب سهولة وأسهل وصعوبة وأصعب، وانما ذلك في حسابنا وكما يحدثنا بهذا الحساب: «وَ «هُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» (30: 27) فالصعب يعيي ولكن اللّه‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 104

لا يعيى:

«أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ لَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقادِرٍ عَلى‏ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى‏» (46: 33)! وقد يعنيهما «وَ لَمْ تَكُ شَيْئاً» جمعا بين برهاني قياس المساوات الاولوية! قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيًّا (10).

«... أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً وَ اذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَ سَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكارِ» (3: 41).

ترى وكيف يطلب آية وهو مطمئن ببشارة اللّه وقد طمأنه ثانيا وعد اللّه؟ .. انه لم يطلب آية لتدله على صدق الوعد! وما هي الصلة بين آية خارقة وبين صدق الوعد؟

ونفس الوحي آية هي أقوى من كل آية! وليست إلا لتدل المرسل إليهم الى آية الوحي المدعى للرسول!.

إنه يطلب آية لتدله على زمن تحقق البشارة حيث تتوق اليه نفسه ولا يعلمه بأصل البشارة. والنص «اجْعَلْ لِي آيَةً قالَ آيَتُكَ» آية مرتبطة به لإعلامه الوقت، لا مرتبطة باللّه لكي يصدّق في البشارة، ام ليتأكد أن البشارة هي من اللّه وليس من سواه! فان «رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ» برهان لا مرد له على تأكده انها بشارة ربانية، فرواية هذه‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 105

القيلة مطروحة «1» والأنبياء معصومون في مثلث زاويته الأولى تلقي الوحي، إذ لا يشتبه عليهم غير الوحي بالوحي! وفي إنجيل «لوقا 1: 21) وها أنت تكون صامتا ولا تقدر أن تتكلم الى اليوم الذي يكون فيه هذا لأنك لم تصدق كلامي الذي سيتم في وقته (19) وكان الشعب منتظرين زكريا ومعجبين من إبطائه في الهيكل (20) فلما خرج لم‏يستطع أن يكلمهم ففهموا أنه قد رأى رؤيا في الهيكل فكان يؤمي إليهم وبقي صامتا» (21).

و قد اقحم في هذه الآيات ما يمس من كرامة الرسالة فتعرض عرض الحائط ويصدق ما يصدقه القرآن وسائر البرهان.

و «ألا تكلم الناس-/ ثلاث ليال او ثلاثة ايام سويا إلا رمزا» آية تامة الهية تدله‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). في تفسير العياشي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ان زكريا لما دعا ربه ان يهب له‏ذكرا فنادته الملائكة بما نادته أحب ان يعلم ان ذلك الصوت من الله اوحي اليه ان آية ذلك ان يمسك لسانه عن الكلام ثلاثة ايام قال: لما امسك لسانه ولم يتكلم علم انه لا يقدر على ذلك الا الله.

و في الدر المنثور 4: 261 اخرج إسحاق بن بشير وابن عساكر عن ابن عباس في الآية-/ الى قوله: فقال: رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَ كانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً» خاف انها لا تلد قال: كذلك قال ربك يا زكريا هو علي هين وقد خلقتك من قبل ان أهب لك يحيى ولم تك شيئا وكذلك اقدر ان اخلق من الكبير والعاقر وذلك ان إبليس أتاه فقال: يا زكريا دعاؤك كان خفيا فأجبت بصوت رفيع وبشرت بصوت عال ذلك الصوت من الشيطان ليس من جبريل ولا من ربك قال: رب اجعل لي آية حتى اعرف ان هذه البشرى منك. قال: آتيك .. أقول ماذا يدل على ان الإجابة كانت بصوت جلي، وهل هنالك آية معجزة أقوى من الوحي نفسه؟! فالحديثان مطروحان دون ريب لمخالفة القرآن‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 106

على ما يروم، فقد يكون ترك الكلام لعقدة في اللسان ام لأي‏مرض كان، وهو يقول «سويا»: حال أنك سليم ولو كان لمرض يمنع لم يقتسم بين ناس وسواهم وهو يقول «أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ» فقد يكلم اللّه ويكلم ملائكة اللّه كما كان، لكنه يعجز في وقته المحدّد أن يكلّم الناس «إلا رمزا» ويومر أن يذكر ربه «وَ اذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَ سَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكارِ»!.

و ترى كيف الجمع بين ثلاث ليال، تجمع مع نهارين، وثلاثة أنهار، وثلاثة ايام أليست إلا ثلاثة انهار بلياليهن ام ليلتين؟ ولم يكن الحد الزمني لآيته إلا إحداهما!.

ثلاثة ايام نص في ثلاثة انهار ظاهر في ثلاث ليال. وثلاث ليال نص في لياليها الثلاث‏ظاهر في ثلاثة انهار، ونتيجة الجمع بين النصين والظاهرين هي ثلاثة ايام بمجموع أنهارها ولياليها، واستعمال ثلاث ليال في المجموع سنة مستمرة، وقد يعني الإتيان بالليالي إبرازا لأهميتها في هذا المجال ل «وَ اذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَ سَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكارِ».

ثم «إلا رمزا» سماح له أو أمر لتوجيه الناس الى تسبيح اللّه:

و شكرا على العدّة، و «بُكْرَةً وَ عَشِيًّا» تعني في مجموعة ثلاثة ايام صباحَ مساءٍ، وقد يعني ذكرهما أنهما كانا أصلين لأوقات العبادة في شرعة التورات، أم هما أفضل الأوقات،

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 107

لأنهما البداية والنهاية في اليقظة او الشغل، فليبكروا بتسبيح اللّه وليعشوا به.

ثم «فَأَوْحى‏ إِلَيْهِمْ» هو الرمز المسموح له في تكلم الناس أيا كان فهو «وحي الإشارة» كما يروى عن امير المؤمنين عليه السلام‏ «1».

«يا يَحْيى‏ خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ وَ آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا» (12).

هنا يطوى عن «متى ولد يحيى؟ وكيف ولد؟ وماذا حصل بهذه الولادة؟» طيا لصفحة زكريا في صمته بتسبيحه، وسدلا لستار عليه وعلى الولادة، فتحا لصفحة جديدةمختصرة غير محتصرة عن يحيى عليه السلام حيث ليس كتاب القصة إلا ما يقص منها للنبهة والتذكرة، إبرازا لأهم الحلقات وطيا لسائرها حيث لا تعني ما يعنيه القرآن من قصته.

يؤمر يحيى أن يأخذ الكتاب بقوة، حاكما به وداعيا إليه «صبيا» وهو قبل بلوغ الحلم، ويروى عن النبي صلى الله عليه و آله انه «أعطي الفهم والعبادة وهو ابن سبع سنين» «2» و «قال‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). في تفسير النعماني باسناده عن الصادق عليه السلام قال قال امير المؤمنين عليه السلام حين سألوه عن معنى الوحي فقال: منه وحي النبوة ومنه وحي الإلهام ومنه وحي الاشارة فقوله «فَخَرَجَ عَلى‏ قَوْمِهِ مِنَ الِمحْرابِ فَأَوْحى‏ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَ عَشِيًّا» اي أشار إليهم كقوله تعالى: أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً»

(2). الدر المنثور 4: 360-/ اخرج ابو نعيم وابن مردوية والديلمي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه و آله في‏الآية قال: اعطي ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 108

الغلمان ليحيى بن زكريا اذهب بنا نلعب فقال يحيى: ما للعب خلقنا اذهبوا نصلي فهو قول اللّه: «وَ آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا» «1».

أ ترى ان ذلك الحكم-/ فقط-/ هو الفهم والعبادة من دون وحي ونبوة؟

و له نظائر من الصبيان علما وعملا! وهكذا حكم ليس لزامه أخذ الكتاب بقوة، حيث البالغ المؤمن العادل يأخذ كتاب الشرعة بقوة ودون قوة ويحيى كان نبيا دونما ريبة! أم إنه النبوة وقد عطفت بالكتاب في آيات عدة «2» تجمع بين الكتاب والحكم والنبوة، مما يدل على أن الحكم ليس لزامه النبوة، 1- فقد يؤتى الكتاب دون حكم ولا وحي ولا نبوة، كالمرسل إليهم بكتاب الشرعة، 2- او يؤتى كتابا بوحي الرسالة بحكم الولاية الشرعية كسائر المرسلين 3- ام وحكم الملك كداود وسليمان عليهما السلام 4- او يضاف الى وحي الرسالة بحكميها أو أحدهما النبوة وهي الرفعة في الرسالة، 5- أو يؤتى حكم الولاية الشرعية دون وحي كسائر ولات الشرع، 6- او ولاية الملك فقط على غرار الشرعة دون وحي ولا ولاية شرعية كما لطالوت الملك! فالحكم-/ أيا كان-/ كائن في الخمسة الاخيرة فليس‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). المصدر (361) اخرج الحاكم في تاريخه من طريق سهل بن سعيد عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: ..

(2). (ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ .. (3: 79) (أُولئِكَ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ‏وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ» (6: 89) (وَ لَقَدْ آتَيْنا بَنِي إِسْرائِيلَ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ» (45: 16) (فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً» (4: 54)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 109

لزامه خصوص وحي الرسالة فضلا عن النبوة!

فهل يعني حكم يحيى الذي أوتيه صبيا حكم المُلك؟ ولم يكن مِلكاً وإنما ذبحه كما الحسين عليه السلام ملك ظالم! أم حكم ولاية الرسالة او النبوة؟ ولا دليل عليه حين كان صبيا مهما بلغ بعد صباه الى رسالة ام نبوة! ام حكم الولاية الشرعية ولما يبلغ أشده؟ او حكم العقل والفهم بصورة خارقة للعادة وهو مادة الولاية الشرعية؟ وهو القدر المتيقن من حكمه، كخارقة إلهية لمن لم يبلغ أشده، مهما أبلغه اللّه شدا واحدا وهو العقل الرزين والإدراك المتين‏ «1» فلا نبي فيمن نعرف أوتي حكما قبل ان يبلغ أشده وكما موسى: «وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوى‏ آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً» (28: 14) وفي يوسف «وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْناهُ‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 3: 325 ح 34 في كتاب الاحتجاج للطبرسي وروي عن موسى بن جعفر عليه السلام عن‏أبيه عن آبائه عن الحسين بن علي عليهم السلام قال: ان يهوديا من يهود الشام وأحبارهم قال لأمير المؤمنين عليه السلام فهذا يحيى بن زكريا يقال: انه اوتي الحكم صبيا و الحلم والفهم وانه كان يبكي من غير ذنب وكان يواصل الصوم؟ قال علي عليه السلام: لقد كان كذلك ومحمد صلى الله عليه و آله اعطي أفضل من هذا ان يحيى بن زكريا كان في عصر لا أوثان فيه ولا جاهلية ومحمد صلى الله عليه و آله اوتي الحكم والفهم صبيا بين عبدة الأوثان وحزب الشيطان فلم يرغب لهم في صنم قط ولم ينشط لأعيادهم ولم ير منه صلى الله عليه و آله كذب قط وكان أمينا صدوقا حليما وكان يواصل صوم الأسبوع والأقل والأكثر فيقال له في ذلك فيقول: اني لست كأحدكم اني أظل عند ربي يطعمني ويسقين وكان يبكي صلى الله عليه و آله حتى يبتل مصلاه خشية من اللّه عز وجل من غير جرم.

أقول: قياسه صبا محمد صلى الله عليه و آله بصبا يحيى دليل على ان الحكم فيهما ليس النبوة وانما الحالة المتحضرة للنبوة الآتية

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 110

حُكْماً وَ عِلْماً» (12: 22). ولم يكن عيسى نبيا في المهد مهما تكلم بوحي النبوة، ذودا عن أمه المعصومة، وتبشيرا برسالته كهلا «وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا وَ مِنَ الصَّالِحِينَ» (3: 46) فلم يكلم الناس كرسول بين مهده وكهله! هذا، ومن أئمتنا المعصومين من بلغ الامامة والولاية الكبرى الاسلامية قبل أشده إلا شدا في عقله كالإمام محمد بن الحسن المهدي عجل اللّه تعالى فرجه حيث تقلَّد إمامة الأمة في الخامسة من عمره الشريف، ثم قبله جواد الائمة عليهم السلام في الثامنة او التاسعة من عمره‏ «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). المصدر ح 32-/ الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن علي بن أسباط قال: رأيت أبا جعفر عليه السلام وقد خرج عليّ فأجدت النظر اليه وجعلت انظر الى رأسه ورجليه لأصف قامته لأصحابنا بمصر فبينا انا كذلك حتى قعد فقال يا علي: ان اللّه احتج في الامامة بمثل ما احتج به في النبوة فقال: «وآتيناه الحكم صبيا» ولما بلغ اشده وبلغ أربعين سنة» فقد يجوز ان يؤتى الحكمة وهو صبي ويجوز ان يؤتى الحكمة وهو ابن أربعين سنة» أقول: الآية الثانية غير مرتبطة بالنبوة فان بدايتها «وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً .. حَتَّى إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ ..» الى قوله: إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ» فانها ليست فيها اشارة الى النبوة اللهم الا الايمان الإسلام وهو أعم، ثم الآية الاولى ليس فيها الا الحكم وهو كما قسمناه لا يخص حكم النبوة، إذا فهذه الرواية مؤولة او مطروحة مردودة الى من نسبها الى الامام عليه السلام.

وفيه (35) عن المناقب محمد بن إسحاق بالإسناد جاء ابو سفيان الى علي عليه السلام فقال: يا أبا الحسن جئتك في حاجة قال: وفيم جئتني؟ قال: تمشي معي الى ابن عمك محمد فنسأله ان يعقد لنا عقدا ويكتب لنا كتابا فقال: يا أبا سفيان لقد عقد لك رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله‏سلم) عقدا لا يرجع عنه ابدا وكانت فاطمة عليها السلام من وراء الستر والحسن يدرج بين يديها وهو طفل من أبناء اربعة عشر شهرا فقال لها: يا بنت محمد قولي لهذا الطفل يكلم لي جده فيسود بكلامه العرب والعجم فأقبل الحسن الى أبي سفيان وضرب احدى يديه على انفه‏الاخرى على لحيته ثم أنطقه اللّه عز وجل بأن قال: يا أبا سفيان قل: لا اله الا اللّه محمد رسول اللّه صلى الله عليه و آله حتى أكون شفيعا فقال: الحمد للّه الذي جعل من ذرية محمد المصطفى نظير يحيى بن زكريا «آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا» أقول: ولم يكن الحسن عليه السلام حينذاك اماماانما اوتي حكما: عقلا وفهما

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 111

ثم وما تعني «خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ»؟ أنه أخذ التوراة بقوة العلم والعمل والحكم بهما بين الناس بالولاية الشرعية لمّا يبلغ أشده‏ «1».

وَ حَناناً مِنْ لَدُنَّا وَ زَكاةً وَ كانَ تَقِيًّا (3) وَ بَرًّا بِوالِدَيْهِ وَ لَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيًّا (14) وَ سَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ يَمُوتُ وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (15).

«و» آتيناه حنانا من لدنا وبرا بوالديه ..» إيتاءات وعطيات إلهية «و كان» قبلها وبعدها «تقيا» فلم تكن تلك الموهبات اللدنية دون شي‏ء. فانما «زكاة» من لدنه «وَ كانَ تَقِيًّا» في زكاته، حيث الغايات اللدنية تنزل حسب القابليات والفاعليات فقابلية «زكاة» كانت من لدنه، وفاعلية «وَ كانَ تَقِيًّا» منه عليه السلام نسخة طبق الأصل!.

هنالك حنان وزكاة وبر، وبينها تقىً منذ ولد حتى الممات إذاً فكله «سَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ يَمُوتُ وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا»!.

و الحنان هو الإشفاق المتضمن للصوت الدال على الشفقة. و «من لدنا» تجعله خارقا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 3: 225 ح 21 في اصول الكافي باسناده عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل يقول فيه: مات زكريا فورثه ابنه يحيى الكتاب والحكمة وهو صبي صغير اما تسمع لقوله عز وجل: يا يَحْيى‏ خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ وَ آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا» فلما بلغ عيسى عليه السلام سبع سنين تكلم بالنبوة والرسالة حين اوحى اللّه اليه فكان عيسى الحجة على يحيى وعلى الناس أجمعين‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 112

للعادة المألوفة وفي مربع من الحنّة 1- حنان من اللّه وعطف بما يحمله وحيه الحنون‏رحمته الحنون «كان إذا قال يا رب قال اللّه عز وجل: لبيك يا يحيى‏ «1»»، 2-/ وحنان له من لدنه جعله يحن اليه ليل نهار بحنين وأنينه وعبادته، 3-/ وحنان منه الى عباد اللّه، يد آب في دعوتهم إلى ربهم 4-/ وحنان من الناس إليه وكما في موسى «وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي»! فهو إذا محبط الحنان ومصدره بين اللّه وخلقه، ورأس الزاوية من حنانه انجذابه الخاص الى ربه لحدّ لا يؤلف في سواه اللهم إلا الاخصين من الصالحين محمد (صلّى اللّه عليه‏آله و سلم) وعترته الطاهرين عليهم السلام.

هنالك حنان يمازجه ضيق ببكاء دائب إشفاقا من ربه واشتياقا إليه، صوت المشتاق المفتاق الى ربه مثلما كان لأستوانة الحنّانة حنين بفراق الرسول (صلّى اللّه عليه وآله‏سلم) ولذلك سميت حنانة! «و زكاة»: آتيناه زكاة-/ طهارة عما يدنس ساحة الإنسانية والإيمان الإسلام «و» الحال انه «كانَ تَقِيًّا» ف «الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً» (47:) 17) فلما كان تقيا يتقي الموبقات، آتيناه زكاة عما يتقى من جهل وسوء خلق‏فسوق وعصيان فأصبح زكيا دون عيب في نماءٍ وربوة روحية متعالية، متزكيا في نفسه مزكيا لغيره، زاكيا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). في الكافي باسناده عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: فما عنى بقوله في يحيى: «وَحَناناً مِنْ لَدُنَّا وَ زَكاةً»؟ قال: تحنن اللّه-/ قلت: فما بلغ من تحنن اللّه عليه؟ قال: كان إذا قال: يا رب ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 113

زكيا ذكيا في كل الحقول محلقا على كل العقول.

«و» آتيناه «بَرًّا بِوالِدَيْهِ» وترى إن بر الوالدين من ميزّات الرحمات اللدّنية الربانية؟

ولم يذكر في عدادها لسائر المرسلين! ولا من دونهم من أولياء اللّه المكرمين! فإنه من صفات المؤمنين قبل هذه الدرجات العليا! فكيف يذكر في سائر القرآن بين سائر المرسلين-/ فقط-/ ليحيى وعيسى عليهما السلام؟!.

وَ بَرًّا بِوالِدَتِي وَ لَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًّا (14).

إن السيد المسيح كما يأتي قد افتري عليه بخلاف البرّ لوالدته وأنه كان جبارا عليها عصيا، فدافع عنه القرآن هنا، ولان يحيى الرسول كان مبشرا بالمسيح، وكانت مهمته الرسالية ذلك التبشير: «أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيى‏ مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ سَيِّداً وَ حَصُوراً وَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ» (3: 39).

لذلك يذود عنه ايضا تلك الوصمة كإعداد لأصله المبشّر به، فإذا كان يحيى المبشر بالمسيح برا بوالديه فأحرى بالمسيح كونه برا بوالدته! «وَ لَمْ يَكُنْ جَبَّاراً»: مستعليا مستكبرا يحمل غيره على ما أراد ولا يتحمل عن غيره ما يراد «عصيا»: كثير العصيان.

هذه جوامع أحوال يحيى في نفسه وما آتاه ربه، وأمام الخالق والمخلوق، زوايا ثلاث من حياته منذ ميلاده حتى موته: حاكما حكيما حنونا زكيا تقيا وبرا بوالديه ولم يكن‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 114

جبارا عصيا، فهو جملة وتفصيلا سلام في سلام الى سلام.

وَ سَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ يَمُوتُ وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (15)

صحيح أن «سَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ» (37: 181) جملة وسلام عليهم تفصيلا، إلّا أنّ يحيى وأحرى منه عيسى قيل فيهما أقاويل تمس من كرامة الرسالة ولادة وموتا وبعثا لذلك نجد مثلث السلام لهما في سائر القرآن بين سائر المرسلين، هذا ليحيى ومن ثم المسيح عليه السلام: «وَ السَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا» (33).

ف «ان أوحش ما يكون في هذا الخلق في ثلاثة مواطن، يوم يولد ويخرج من بطن امه فيرى الدنيا، ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها، ويوم يبعث فيرى أحكاما لم يرها في دار الدنيا وقد سلم اللّه عز وجل على الثلاثة المواطن وآمن روعته فقال «وَ سَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ يَمُوتُ وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا» وقد سلّم عيسى بن مريم على نفسه فيها» «1»

فسلام الولادة والموت سلام طول حياة التكليف، وسلام البعث حيا هو سلام الخلود في عطاء غير مجذوذ ويعني مثلث السلام للمسيح عليه السلام اكثر مما يعنيه في يحيى ذودا عن ساحته فيها لا مزيدا لسلامه فيها «2».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 3: 327 ح 38 عيون الاخبار باسناده الى ياسر الخادم قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: ان أوحش‏

(2). يأتي تفصيله في سلامات المسيح بعد قليل‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 115

و «سلام» في إرساله يعم كلّ سلام من كل مسلِّم: من اللّه في رحمتيه، ومن الملائكة طلب الرحمة كما في سائر المرسلين والصالحين، ومنه نفسه كلّما يقدمه لكل سلام منذ الحكم حتى الموت، ومن سائر الناس ان يعتقدوا فيه كل سلام. إذا فهو في مربع السلام تكوينا وتشريعا لا يجوز لأحد ان يقول فيه غير «سلام»! وهل يوجد بين الأتقياء أتقى من يحيى؟ علّه نعم فانه لم يكن من أولي العزم مهما بلغ من تقاه، ثم القرآن يصرح بان الرسول محمدا صلى الله عليه و آله اوّل العابدين! او علّه لا إلا محمد صلى الله عليه و آله مهما سبق سائر اولي العزم في سائر عزمهم على يحيى، ولكنه اتقى منهم‏ «1» ام هم على سواء إلا خاتمهم صلى الله عليه و آله، فسلام‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). ويتبع محمدا صلى الله عليه و آله اهل بيته المعصومون عليه السلام وقد تظافرت الرواية عن الرسول صلى الله عليه و آله في‏فضل يحيى ففي الدر المنثور 4: 262-/ اخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن خزيمة والدار قطني في الافراد وابو نصر السنجري في الابانة والطبراني عن ابن عباس قال كنا حلقة في مسجد النبي صلى الله عليه و آله نتذاكر فضائل الأنبياء، فذكرنا نوحا وطول عبادته وذكرنا ابراهيم وموسى وعيسى ورسول اللّه صلى الله عليه و آله فخرج علينا رسول اللّه صلى الله عليه و آله فقال: ما تذاكرون بينكم فذكرنا له فقال: اما انه لا ينبغي ان يكون احد خيرا من يحيى بن زكريا اما سمعتم اللّه كيف وصفه في القرآن «يا يَحْيى‏ خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ-/ الى قوله-/ وَ كانَ تَقِيًّا-/ لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها أقول: لعله نعم الا محمدا صلى الله عليه و آله لقوله تعالى «قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ» ولآية التطهير وأمثالهما من ادلة تفضيل محمد صلى الله عليه و آله وآله على العالمين أجمعين وفيه اخرج ابن عساكر عن ابن شهاب ان النبي صلى الله عليه و آله خرج على أصحابه يوما وهم يتذاكرون-/ وذكر مثله في معناه-/ فقال النبي (صلّى اللّه عليه وآله‏سلم) اين الشهيد ابن الشهيد يلبس الوبر ويأكل الشجر مخالفة الذنب يحيى بن زكريا وفيه اخرج احمد والحكيم الترمذي في نوادر الأصول والحاكم وابن مردويه عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه و آله قال: ما من احد من ولد آدم الا وقد اخطأ أو هم بخطيئة إلا يحيى بن زكريا لم يهم بخطيئة ولم يعملها وأقول يستثنى من عمل الخطيئة كافة المرسلين وساير المعصومين، ومن الهم بالخطيئة الرعيل الأعلى منهم وفي إنجيل متى»: «عن السيد المسيح «الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان ..»

و هو اسم ثان ليحيى حسب الإنجيل‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 116

عليه من عيسى «وَ سَلامٌ عَلَيْهِ» من اللّه ليحيى قد يلمح لكونه اتقى من عيسى مهما كان المسيح أفضل منه في ولاية العزم اللهم إلا في تقاها «1».

و ترى لماذا «يَوْمَ يَمُوتُ» وهو ميت حال نزول آية السلام؟ لأنه ينقل «سلام» عن حال حياته، لا أنه «سلام» بعد استشهاده حال نزول آية السلام! ولماذا «حيا» بعد «يَوْمَ يُبْعَثُ» والبعث ليس إلا بعث الحياة؟ قد يعني أنه لا يموت عن حياة البرزخ الى حياة الآخرة، وإنما يزداد حياتها الى حياته، لأنه والمسيح ممن استثنى من الصعقة «وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى‏ فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ» (39: 68) فهما ممن شاء اللّه ألا تأخذهم الصعقة بموت أم غشوة، وإنما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 4: 262-/ اخرج عبد الرزاق واحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن قال: ان عيسى ويحيى التقيا فقال عيسى ليحيى استغفر لي أنت خير مني فقال له عيسى بل أنت خير مني سلم اللّه عليك وسلمت انا على نفسي وفيه اخرج احمد وابو يعلى وابن حيان والطبراني والحاكم والضياء عن أبي سعيد قال قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه‏آله و سلم) الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة الا ابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا وأقول قد يعني بذلك من مات شابا فلا يشمل الامام المهدي صلى الله عليه و آله اما الامام الجواد فقد يعني من الشباب غير اهل بيت الرسالة المحمدية فإنهم في الدرجة العليا من العصمة لا يدانيهم احد كما تدل آية التطهير ورواياته!

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 117

انتقالا من برزخ الحياة الى أخراها ببعث لبدن والروح حيّ يزداد حياتا بهذا البعث! وقد تلمح «حيا» فيما تعني أنه حي في البرزخ بحياة الشهادة، حياتا في حياة لاتسلبان عنه إذ «يُبْعَثُ حَيًّا» وما ألطفه جمعا بين الحياتين فيما تعنيه «حيا» «1» وهو-/ إذا-/ حال عن يحيى المضمر في «يبعث» «2».

ف «يَوْمَ يُبْعَثُ» للحياة الآخرة حالكونه «حيا» بالحياة البرزخية وحياة الشهادة، ولا نجد البعث حيا إلّا في يحيى والمسيح عليهما السلام مهما يبعث أضرابهما من أولياء اللّه الكرام أحياء، بحياة إن ماتوا أم حياتين ان استشهدوا، فغيرهم لا يبعثون أحياء، وإنما عن موت برزخي مهما كان الشهداء أحياء قبل البعث اكثر من سائر الاحياء!.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1)

. الدر المنثور 4: 363 واخرج ابن عساكر من طريق علي بن زيد بن جدعان عن علي بن‏الحسين عليه السلام عن الحسين بن علي عليه السلام قال: كان ملك مات وترك امرأته وابنته فورث ملكه اخوه فأراد ان يتزوج امرأة أخيه فاستشار يحيى بن زكريا في ذلك وكانت الملوك في ذلك الزمان يعملون بأمر الأنبياء فقال له: لا تتزوجها فانها بغي فبلغ المرأة ذلك فقالت ليقتلن يحيى او ليخرجن من ملكه فعمدت الى ابنتها فصيغتها ثم قالت: اذهبي الى عمك عند الملاء فانه إذا رآك سيدعوك ويجلسك في حجره ويقول: سليني ما شئت فانك لن تسأليني شيئا الا أعطيتك فإذا قال لك قولي: لا اسألك شيئا الا رأس يحيى وكانت الملوك إذا تكلم أحدهم بشي‏ء على رءوس الملاء ثم لم يمض له نزع من ملكه ففعلت ذلك فجعل يأتيه الموت من قتل يحيى‏جعل يأتيه الموت من خروجه من ملكه فاختار ملكه فقتله، فساخت بأمها الأرض ..»

(2). اجل حال لا مفعول فان البعث يتعدى لمفعول واحد وهو هنا نائب الفاعل في «يبعث» حتى إذا عدي البعث الى مفعولين فلا يتعدى الى ثان هو «حيا» لأنه تحصيل لحياة حاصلة، اللهم إلّا مزيد الحياة المعني ب «حيا» وهي حال ليحيى!

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 118

زكريا ويحيى في القرآن والعهدين‏

يذكر زكريا سبعا ويحيى خمسا في سائر القرآن بكل تبجيل وتجليل، ومن ميزات يحيى أنه ولد خارقة العادة وسماه اللّه يحيى وآتاه الحكم صبيا، وقد تشير «يحيى» إلى انه يحيى حياة طيبة، وأنه تستمر حياته البرزخية إلى بعثة:

«يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا» دون موت في البرزخ! ومما يلمح في رسالة يحيى انها رسالة التبشير بالمسيح عليه السلام و «أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيى‏ مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ سَيِّداً وَ حَصُوراً وَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ» (3:) 39) فرسالة التبشير هذه هي رأس الزاوية من رسالته المباركة.

و لأن شعب إسرائيل حسب البشارة في العهد العتيق كانوا ينتظرون المسيح، ظنوا يحيى و هو يوحنا المعمدان أنه المسيح عليه السلام فنفى لمرات عن نفسه أنه المسيح وكما في «لوقا الاصحاح الثالث»:

«و إذا كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون فى قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح عليه السلام 15 أجاب يوحنا الجميع قائلا: أنا أعمدكم بماء ولكن يأتي من هو أقوى مني الذي لست أهلا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 119

أن أحلّ سيور حذائه وهو سيعمدكم بالروح القدس ونار (16) الذي رفشه في يده وسينقي بيدره ويجمع القمح الى مخزنه (17) وفي يوحنا 1: 19-/ 27: (و هذه شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت؟ فاعترف ولم‏ينكر وأقرّ: إني لست أنا المسيح، فسألوه إذا ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال: لست انا! النبي أنت؟

فأجاب: لا! فقالوا: من أنت لنعطي جوابا للذين أرسلونا ماذا تقول عن نفسك قال:

أنا صوت صارخ في البرية-/ قوّموا طريق الرب كما قال اشعيا النبي-/ وكان المرسلون من الفريسيين، فسألوه وقالوا له ما بالك تعمّد؟ إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي؟

أجابهم يوحنا قائلا: أنا أعمد بماء ولكن وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي الذي لست بمستحق أن أحل سيور حذائه».

هذه الآيات ترسم الجوّ الإسرائيلي بانتظار ثلاثة اشخاص بعد يحيى:

«-/ المسيح-/ إيليا والنبي»! وقد صدقهم يحيى هكذا كما الفريسيون، وليس «النبي» إلا الرسول محمد صلى الله عليه و آله الذي بشرت به كتابات العهدين العتيق‏الجديد، وقد كان معروفا لديهم لحد الغنى عن ذكر اسمه وكأنه-/ فقط-/ نبي لا سواه، و «إيليا» هو علي دون «إلياس النبي» لاختلاف الاسم وسبقه على يحيى بزمن، قد أتى إيليا لعلي في بشارات‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 120

اخرى‏ «1».

ولادة المسيح العجيبة

وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَكاناً شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا (17) قالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قالَ إِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيًّا (19) قالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَ لَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قالَ كَذلِكِ قالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَ لِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَ رَحْمَةً مِنَّا وَ كانَ أَمْراً مَقْضِيًّا (21) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكاناً قَصِيًّا (22) فَأَجاءَهَا الَمخاضُ إِلى‏ جِذْعِ النَّخْلَةِ قالَتْ يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذا وَ كُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا (23) فَناداها مِنْ تَحْتِها أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَ هُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَ اشْرَبِي وَ قَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (26) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَها تَحْمِلُهُ قالُوا يا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا (27) يا أُخْتَ هارُونَ ما كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَ ما كانَتْ أُمُّكِ‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع كتاب «رسول الإسلام في الكتب السماوية»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 121

بَغِيًّا (28) فَأَشارَتْ إِلَيْهِ قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَ جَعَلَنِي مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ وَ أَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا (31) وَ بَرًّا بِوالِدَتِي وَ لَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًّا (32) وَ السَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) ذلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) ما كانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحانَهُ إِذا قَضى‏ أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (35) وَ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ (36) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (37) أَسْمِعْ بِهِمْ وَ أَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنا لكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (38) وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ وَ هُمْ لا يُؤْمِنُونَ (39) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَيْها وَ إِلَيْنا يُرْجَعُونَ (19: 40)

عرض عريض لقصة الولادة والنبوة العجيبة لعيسى تلو يحيى لما بينهما من مشابهات فيهما. فقصته مختصرة عابرة للمبشر تتقدم لتقدمه في رسالة البشارة-/ ثم تتلوها قصة المسيح بداية من أمها في حملها وحملها وولادتها، وهي أعجب من قصة يحيى، فإذا ولد من عاقر وشيخ قد اشتعل رأسه شيبا فهنا الولادة دون بعل من طاهرة عذراء كأعجب ما يشهده تاريخ الإنسان إلا ما لم يشهده من خلق آدم مهما عرف بوحي القرآن.

كما أن هذه دلالة على أوليتها دون أب ليهتدي أولاء وهؤلاء فلا يخيّل إليهم أصل الأنواع ولا البنوة الإلهية، وهذه الولادة بجنب ذلك خارقة لبيت إسرائيل الخارفة التي‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 122

لاتحن إلى آية الهية خارقة، اللهم إلّا جديدة محيرة كهذه، رغم ان طائفة منهم اتخذوها فرية واخرى بنوة إلهية دون أية حجة إلّا أهواء مضللة! يولد المسيح هكذا «وَ لِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ» مثالا للخلق الأوّل وخارقة للآخرين، تدليلا على حرية وطلاقة القدرة الإلهية دون احتباس في النواميس التي قررها ف «اللَّهُ غالِبٌ عَلى‏ أَمْرِهِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ» حادثة واحدة لن تتكرر حيث انقطعت النبوة بعد محمد صلى الله عليه و آله ولكي تبقى معلما بارزا أمام البشرية على حرية المشية الإلهية!.

وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَكاناً شَرْقِيًّا (16).

«مريم» لغة سريانية تعني الغالبة المرتفعة، وعلّها لأنها غلبت شهوتها وأحصنت فرجها رغم جمالها وكثرة الراغبين إليها، وغلبت على الولد الذي هوته أمها في قداستهاإنتاجها. و ارتفعت عما افتروا عليها، وعن أقرانها من نساء العالمين وقبل كل ذلك هي موهوبة الرب وقد «تقبلها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ» (3: 37) تقبلها مريم كما تسمت بما تعنيه من معانيها!.

و في حين تذكر مريم خمسا وثلاثين مرة في القرآن بكل تبجيل وتجليل، لا تذكر في الإنجيل إلّا خمسا بكل مهانة وتخجيل‏ «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). و هي 1: قصة فانا الجليل (يوحنا 2: 3) 2: إذ أرادت ان تكلم ابنها وهو يعلم تلاميذه و (متى 12: 46) ومرقس 3: 31 ولوقا 8: 19 3: عند صلبه (يوحنا 19: 26) 4: وفي الأيام الاولى بعد صعوده (يوحنا 141: 14) 5: عند ذكر ابنائها: يعقوب، يوشي، يهودا، شمعون وعدة من بناتها (متى 13: 55 و 27: 56 ومرقس 6: 3 و 15: 40 و 47. أقول لم يكن لها ولد الا المسيح حسب القرآن والحديث ويأتي توضيح موارد الاهانة بها في هذه الآيات‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 123

«وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ مَرْيَمَ» هنا يؤمر الرسول أن يذكر في الكتاب مريم وما هو ذلك الكتاب؟ أهو القرآن وذاكر مريم وسواها مما يذكر فيه ليس إلّا اللّه، فانه كلام اللّه والرسول وسيط لنقله الى العالمين! إنه ذكرها في القرآن بالوحي، فالقرآن هو كلام اللّه في الأصل، وهو كلام الرسول كرسول «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ» (81: 20) ف «اذْكُرْ فِي الْكِتابِ مَرْيَمَ» ذكر بالوحي في بعدي اللفظ والمعنى كما في «ابراهيم وموسى وإسماعيل وإدريس» «1» وذكري الخمسة كلها في هذه السورة! ..

او انه ذكرها في نفسه صلى الله عليه و آله مما أوحي إليه ليلة القدر وهنا التفصيل، فالكتاب إذا هو القرآن المحكم، أو أنه يعنيهما جملة وتفصيلا.

و ذكر مريم في سورتها وسواها ذكر لواجب قصتها التي تتبنى طهارتها وطهارة المسيح عليهما السلام، لا سردها على طولها كما تقص في كتب القصص! ان مريم هي فتاة عذراء، قديسة حوراء، تستوهبها أمها من ربها فيهبها «فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً وَ كَفَّلَها زَكَرِيَّا كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الِمحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً ..» (3: 37) ...

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). و هم على الترتيب في 19: 16-/ 41-/ 51-/ 54-/ 56

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 124

هذه الفتاة-/ وهي حليفة المحراب، تأخذها انتباذات وهزات تنبض لها ولابنها المسيح بآية دائبة وحياة! وهي بعد ما اهتزت بالبشارة الملائكية من قبلها.

نبذة أولى: «إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَكاناً شَرْقِيًّا ..» ثم هزة «فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا. قالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا».

و هزة ثانية: «لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيًّا قالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ ..».

و هزة ثالثة: «فحملته» وهنا نبذة ثانية «فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكاناً قَصِيًّا».

و هزة رابعة: «فَأَجاءَهَا الَمخاضُ إِلى‏ جِذْعِ النَّخْلَةِ قالَتْ يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذا وَ كُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا» وهنا بشارة تخفف عنها هزاتها «فَناداها مِنْ تَحْتِها أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا».

ثم هزة خامسة: هي الاخيرة «يا أُخْتَ هارُونَ ما كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ» ولكنها تسكن الى رياحة ورحمة: «قالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ...» «ذلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ»!.

«إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَكاناً شَرْقِيًّا» والنبذ هو الطرح المضمّن معنى الرفض امتهانا أحيانا: «فَنَبَذْناهُمْ فِي الْيَمِّ» (28: 40) (فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ» (3: 187) وامتحانا أخرى «فَنَبَذْناهُ بِالْعَراءِ وَ هُوَ سَقِيمٌ» (37:) 145) فمنه مذموم «لَوْ لا أَنْ تَدارَكَهُ نِعْمَةٌ

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 125

مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَراءِ وَ هُوَ مَذْمُومٌ» (68: 49) ومنه غير مذموم وإن ترائى انه مذموم، كالتكاليف النسائية الواجبة من غسل وأمثاله. حيضها، حيث يقتضي الاحتجاب عنهم مكانا شرقيا تشرق عليها الشمس تخفيفا عن برودة الماء.

و لأنها كانت دائبة المقام في محرابها كما نذرت لذلك فلم تكن عند أهلها إلا أيام عذرها. فانتباذها إذا من أهلها مكانا شرقيا واتخاذها من دونهم حجابا، ليس انعزالا في عبادتها و انما فيما يستحى منه وإلّا فلما ذا الانتباذ والحجاب والمكان الشرقي؟!.

فها هي ذي في شأنها الخاص حيث توارث حتى عن أهلها وهي عارية عن ملابسها تفاجأ مفاجأة عنيفة تهز أركانها وتفز مذعورة منتفضة لأول مرة في حياتها:

فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا (17).

ها هي محتجبة عن أهلها وحتى عن أمها، مشغولة بشأنها في غسلها مطمئنة الى انفرادها وهي عريانة بكامل جسدها، فإذا بشر سوي أمامها يفجأها في خلوتها وعراها رغم حجابها! فتداخلها رهبة تفجئها رغم أهبتها بما بشرت في الأولى، إذ ترى أمامها بشرا سويا وليس هنالك سوي ولا غير سوي ليكون هو منهم، فانها «انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَكاناً شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً» فما لها وبشرا أمامها، إلا اختلاسا عليها إذ يحضر عندها وهي عارية في شأنها الخاص دون أهبة ولا استئذان. كأنه من أقرب‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 126

المحارم، بل هو زوج لا يكاد يستأذن زوجه! وترى من هو «روحنا» المتمثل «لَها بَشَراً سَوِيًّا» «الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا» (66: 12) وهي تفسر «فَنَفَخْنا فِيها مِنْ رُوحِنا» (21: 91) أن النفخ من روحنا فيها لم يكن إلّا في فرجها «1» وإضافة «نا» الإلهية فيهما لا تعني إلا تشريفا للنافخ والمنفوخ أنهما من الأرواح المشرفة التي خلقها، كما في آدم عليه السلام «فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» (38: 72) ثم في بنيه: «...

وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ، ثُمَّ سَوَّاهُ وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ» (32: 9) وهذه الأرواح الاربعة:

«روحنا»-/ «من روحنا» «من روحي» «من روحه» كلها من أمر اللّه لا من ذاته «وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» (17: 85) فانها تفسر الأرواح كلها أنها من أمر اللّه، وليس أمر اللّه ذاته او من ذاته، وإنما هو فعله المختلف عن ذاته بكل بينونة ذاتية وصفاتية، مهما كان مفضلا على سائر الأرواح أماذا؟.

«و روحنا» المرسل لذلك النفخ ليس إلا الروح الأمين النازل بالوحي «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى‏ قَلْبِكَ» (26: 193) والنازل بروح النبوة على رجالات الوحي:

«يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ..» (16: 2) فهو النازل بروح المسيح وجسمه «وَ

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع ج 28 الفرقان ص 451-/ 455-/ تجد كيف النفخ والحمل؟

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 127

كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى‏ مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ» (4: 171) مهما كان النافخ في الحق هو اللّه «فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا» (66: 12).

و مهما كانت هذه الأرواح المضافة الى اللّه مفضلة على سائر الأرواح جملة، ففيها التفاضل بينها كما بينها وبين سائرها، ف «روحنا» يمتاز عن «روحي» كما «روحي» يمتاز عن «روحه» حضورا لجمعيته الصفات في أوّلها، وحضورا دونها في ثانيها، وغيابا مفردا في ثالثها، كما وأن روح المسيح عليه السلام مفضّل على روح آدم، وهو مفضل على بنيه كمجموعة، اللهم إلا المفضلين عليه كبعض النبيين وأكابر المعصومين! وإنما تمثل لها بشرا، حيث التجلي بالصورة الملكية ليس إلّا أحيانا لرجالات الوحي دون الآخرين: «وَ لَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلًا وَ لَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ» (6: 9) .. ومن ثم «سويا» فان غير السوي لا يناسب تمثل «روحنا» فإنه إزراء به، ولا المتمثل لها فانه إخافة لها ومهانة في الرسالة إليها، ثم وفي بشر سوي هزة صادقة لها تهيئة لتحمّل حَمل هو حِمل لها في ظاهر حالها!.

هذه هزة اولى تأخذها، عضة على أركان طهارتها وهي الطاهرة الزكية البريئة.

قالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18).

تحاول الهرب مستعيذة باللّه إذ تظنه معتديا أثيما، او فاجرا زنيما، وهي التقية المؤمنة،

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 128

العفيفة الطاهرة، وتستعيذ بالرحمان خالقها منه إن كان تقيا يتقي بأس الرحمان، فغير التقي لا يستعاذ منه حيث لا يتقي على أية حال إلا بمعجزة ينجيها اللّه بها منه، وهي تستعيذ بالرحمن منه إن كان تقيا، استيقاظا لروح التقوى فيه واستجاشته لكيلا يقر بها مخافة الرحمن! ثم لماذا العوذة بخصوص «الرحمن» العام، دون «الرحيم» الخاص، وعوذة التقى تناسب الرحيم؟

هنالك عوذة خالصة باللّه من الشيطان وحزبه لا يخاطب فيها الشيطان وانما اللّه:

«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» ومن ثم عوذة بالرحمن ممن يؤمن به وهي ذات بعدين، اصيل هي بالرحمن، وفرع هي بمن كان «لقد علمت مريم ان التقي ذو نهية» «1» التقي ينتفض وجدانه عند ذكر الرحمن ويرجع عن دفعة الشهوة ونزعة الشيطان وقد كانت ملامح التقى ظاهرة فالمؤمن ينظر بنور اللّه! ف «اللّه» يستعاذ-/ فقط-/ به عند الإياس عن كل دافع عن الشيطان، و «الرحيم» يستعاذ به فيما تكون للرحمة الخاصة موقع كأن يكون المستعاذ منه ذو رحمة خاصة تدفعه عما يخاف، وكما نعوذ باللّه منه «أعوذ بك منك»! بشفاعة رحمته الخاصة، ثم الرحمان يستعاذ به ممن غلبته الشهوة وهو تقي، والشهوة الغالبة لا تعرف رحمة، وانما التقوى من الرحمن، تذكر بتلك الرحمة الشاملة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 4: 267-/ اخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي وائل في الآية: ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 129

التي تنفذ في كل شي‏ء، وأنا الطاهرة مريم شي‏ء، وأنت البشر السوي شي‏ء. وهنا ليس احد يدفع إلا الرحمن ف «إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا»

.. ولكنه يعيد طمأنينتها ويسكن روعتها إذ:

قالَ إِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيًّا (19).

انا فوق التقي الذي يتحول عند الشهوة الى شقي «إِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ» ينحصر كوني‏كياني وتمثلي عندك برسالة ربك، رسالة تربوية معصومة من ربك الذي ربّاك حتى الآن ويربيك ما دمت حيا، أما تستقبلين رسول ربك حيث يحمل لك هبة ربانية منقطعة النظير، هو البشير النذير «لِأَهَبَ لَكِ» في هذه الرسالة بإذن ربك «غُلاماً زَكِيًّا» بكل طهارة وسلام؟ وكل نضارة ووئام.

فلقد طمأنها في هذا اللقاء بأمرين: «أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ» بعيد عن الشهوة الجنسية فلا حاجة إلى عوذة! «لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيًّا» من دون وقاع مهما كان حلا فضلا عن الحرام، وانما احمل هبة ربانية هي خارقة.

و لكن كيف تصدقه وقد تكون حيلة فاتك يستغل طيبتها، وكيف تهب لي غلاما زكيا و أنت رسول وأنا ما عرفت رجلا، وهي الآن في هذه الهزة الثانية تسأل في صراحة تغاضيا عن احتمال الحيلة، كأنها لا هي مصدقة برسالته فتطمئن الى هبة ربها، ولا مكذبة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 130

فتجانبه فورا، فرغم أنها اطمأنت بالأمان من ناحيته تغشيها سحابة الحزن من أخرى، وتطوف بها موجة من الأسى، إلّا ان هول الموقف ليس ليعقد لسانها، حيث تذكر هذه البشرى قبلئذ على إجمالها من ملاك ربها، ولكن هول البشرى-/ إذ هي على أشراف تحققها دون بعل، وقد تخلف تهم الجاهلين-/ إنه يبعثها لسؤالها حائرة ذعرة.

قالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَ لَمْ أَكُ بَغِيًّا (20).

هبة الغلام لها وسيلة تكوينية من نكاح أم سفاح ولا أعرف ثالثة، ف «أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ» اي زمن وأيان؟ «وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ» بنكاح «وَ لَمْ أَكُ بَغِيًّا» بسفاح؟

و ترى ألم تكن هناك في خلدها وسيلة مستقبلة لهذه الهبة الربانية بهذه البشارة؟ كلا! حيث «لأهب» تقاطع كل وسيلة مستقبلة، وتصرف مثلث زمن الهبة الى الحال، بواسطة رسول الرب! فلا وسيلة لأصل الهبة حيث تتحقق الآن إلا ماضية من نكاح او سفاح وهي منتفية، فلا تعرف هي من «لأهب». تغاضيا عن مقاربته-/ معنى إلا البشارة بغلام زكي انعقد قبل البشارة وهي نافية لكل انعقاد ماض! ولمّا يخلد بخلدها أنها بشارة بخارقة ربانية دون اي لقاح من نكاح ام سفاح! اللهم الا ما بشرته الملائكة باجمال ... فيأتي الجواب الحاسم هنا كما أتاها من ذي قبل:

قالَ كَذلِكِ قالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَ لِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَ رَحْمَةً مِنَّا وَ كانَ أَمْراً

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 131

مَقْضِيًّا (21).

ربك «قالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ» أن تلدي دون زوج، ولما ذا؟ لحكم شتى ..

«وَ لِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ» برهانا ساطعا قاطعا على القدرة الخارقة الإلهية، وعلى صدق الرسالة العيسوية، لهؤلاء الذين لا تكفيهم آيات مضت في الرسالة الموسوية «وَ رَحْمَةً مِنَّا» عليك خاصة وعلى الناس عامة، فهو إذا آية ورحمة، مهما كان عليك حملا وزحمة، فانه من الألطاف الخفية الالهية على صعوباته «وَ كانَ أَمْراً مَقْضِيًّا» لا يتحول بإباء ولا دعاء! فأستعدّي لهذه الآية الرحمة مهما بلغت بك الصعوبة! هنالك تنتهي الحوار بينهما حيث استسلمت لحكم ربها في هذه الهبة الزكية، ونرى في آل عمران حوارا بينهما وبين اللّه والملائكة، فما هو التلاحم بينهما؟:

«إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَ الآْخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ. وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا وَ مِنَ الصَّالِحِينَ.

قالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قالَ كَذلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ إِذا قَضى‏ أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» (3: 47).

تستوحش من هذا البشارة الملائكية، وحق لها إذ لا ترى لنفسها ضجيعا، ولم تعرض بخلدها حتى الآن قصة الزواج، وهي عارفة أن البشارة محققة لمستقبل قريب لا تلائمة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 132

الولادة كالعادة: ان تتزوج وتلد من فوره! وهل «الملائكة» هم «روحنا» جمعا في واحد؟ وهي هنا تحاور ربها في استعجابها أن يكون لها ولد وهناك الحوار مع «روحنا»! إنها عرض لبشارتها بالملائكة قبل ان يتمثل لها «روحنا» بشرا سويا، تعبيدا هذه الكلمة البشرى، سائلة ربها «أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ ..» فطويت الحوار هنا طيا وهي بانتظار كيف تتحقق البشرى، «فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا» لا للبشرى إذ تقدمت بالملائكة وانما لتحقيق البشرى: «لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيًّا» ولكنها ذعرت إذ فوجئت بما لم تحسب له حسابا أن البشارة تتحقق ببشر سوي، فحق لها ان تحتار مترددة هل إنه الذي يحقق البشرى، وما طمأنت له حتى «قالَ إِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ ..» بما سبقت لك فيه البشرى، فاطمأنت لحدّمّا، ولكنها بعد متحيرة ولكي تطمئن «قالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ ..» فلما سمعت نفس الصيغة الماضية من الملائكة في بشراها «قالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ...» انتهت الحوار وأصبحت كأنها في قرار! مستسلمة لتحقيق البشرى:

فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكاناً قَصِيًّا (22).

فقد حملت الغلام الزكي الموهوب بنفخ رباني وإلقاء: نفخ «روحنا» وإلقاء «كلمته».

هنا «فحملته» وفي اخرى «وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى‏ مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ» (4: 171) وفي ثالثة «فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا» (66: 12) فالحامل للغلام الزكي الموهوب هو

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 133

«روحنا» المحمول هنا هو الغلام، ثم المنفوخ هو «من روحنا» والملقى «كَلِمَتُهُ .. وَ رُوحٌ مِنْهُ» والحاملة هي مريم، وهل هنا فرق بين الغلام الزكي وروح منه ومن روحنا وكلمته الملقاة الى مريم؟

تعبيرات اربع في سائر القرآن عن تكوين المسيح عليه السلام.

و لأن ضمير الغائب في «حملته» راجع الى «غُلاماً زَكِيًّا» فليكن هو المحمول بروحه‏جسمه، وعلّ جسمه هو الكلمة الملقاة وروحه هو المنفوح، فتحققت إذا ازدواجية ذلك الحمل المبارك، وفي قرن «كلمته» ب «روح منه» تلميح بذلك القرن في حملها، وكلا النفخ فلقد كان حملا بإلقاء الكلمة في الفرج وهي النطفة الرجولية التي تشكل جسم المسيح، إلقاء بدفع في قعر الرحم لتتزاوج نطفة الأنثى لتكوّن الجنين، بنفخ الروح تباعا في الجسم الكلمة ومن ثم الولادة! وترى إن مكوث الحمل كأصله كان خارقا للعادة؟ كأنه هو حيث «فحملته» تطوى زمن حلول الروح في الجسم طيا كأنهما مقارفتان ام مقارنتان بان البويضة في هذه الخارقة ما سارت بعد النفخة سيرها كسيرتها العادية، بل اختصرت مراحلها اختصارا، وأعقبهما تكوّن الجنين ونموّه واكتماله في فترة وجيزة! «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). مجمع البيان وروي عن الباقر عليه السلام .. فكمل الولد في الرحم من ساعته .. فخرجت من المستحم وهي حامل فحج مثقل فنظرت إليها خالتها فأنكرتها ومضت مريم على وجهها مستحيية من خالتها ومن زكريا ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 134

ثم «فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكاناً قَصِيًّا» دلالة ثانية على هذا الطي، حيث الفاء لتفريع القريب، فالانتباذ كان تلو الحمل، ولا داعي الى الانتباذ فور الحمل إلّا طيا لدور الحمل، فقد اقتلعت عن مكان الحمل الى مكان قصي لوضع الحمل.

ترى أكان الحمل كاملا من ساعته أم تسع ساعات ام أية سويعات، او ستة أشهر «1»؟ لاندري إلا ما تلمح لنا آية الحمل الانتباذ المخاض، قدر ما يحتاجه انتباذها الى مكان قصي!

و كيف انتبذت مكانا قصيا واين ذلك المكان؟ لا ندري! وقد يكون انتباذها بنبذة الهبة خارقة ولا سيما ان المنتبذ إليه مكان قصي، أو أنها لشدة هزتها بهذه الوشيكة المواجهة بها أهلها بالفضيحة، لذلك انتبذت مكانا قصيا بعيدا عنهم خلوا عمن يعرفها! وهذه الانتباذة تناسب بيت اللحم المعروف أنه مولد المسيح عليه السلام وتلك الخارقة تناسب‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). هنا روايات ثلاث في مدة حملها من ساعة كما رواه في المجمع عن الباقر عليه السلام انه تناول‏جيب مدرعتها فنفخ فيه نفخة فكمل الولد في الرحم من ساعته كما يكمل في أرحام النساء تسعة أشهر، ومن تسع ساعات يرويها عن أبي عبد اللّه عليه السلام ومن ستة أشهر رواها في العلل والكافي عن أبي عبد اللّه ولفظها «و لم يولد-/ ولم يعش-/ لستة أشهر الا عيسى بن مريم والحسين بن علي عليهما السلام ورواية رابعة في الكافي عن أبي الحسن موسى عليه السلام في حديثه مع نصراني ... واما اليوم الذي حملت فيه مريم فهو يوم الجمعة للزوال ... واما اليوم الذي ولدت فيه مريم فهو يوم الثلثاء لأربع ساعات ونصف من النهار ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 135

الفرات كما وردت بها روايات‏ «1»! ومما يلمح بأقصر الحمل «إِنَّ مَثَلَ عِيسى‏ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» (3: 59) ومطلق المماثلة يقتضي الولادة فور الحمل او بفصل قريب، و «ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» تؤيده الا تدرج في هذا الحل كما لم‏يكن في خلق آدم!

فَأَجاءَهَا الَمخاضُ إِلى‏ جِذْعِ النَّخْلَةِ قالَتْ يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذا وَ كُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا (23).

فاجأها المخاض فأجاءها-/ ان جاء بها-/ الى جذع النخلة لتجعله لبأسها سنادا ولظهرها عمادا. فانها وحيدة تعاني حيرة العذراء في اوّل مخاض، دون ان تعرف منه شيئا او يعينها احد في شي‏ء فلجئت الى جذع النخلة كقابلة تسندها.

معاناة المخاض من ناحية وغربتها من اخرى وهزتها من ولادة دون بعل من ثالثة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 3: 326 ح 29 عن اصول الكافي عن أبي الحسن موسى عليه السلام في حديثه لنصراني ... والنهر الذي ولدت عليه مريم عيسى هل تعرفه؟ قال: لا قال: هو الفرات وعليه شجر النخل والكرم وليس يساوى بالفرات شي‏ء للكروم والنخل ... وفي تهذيب الأحكام عن علي بن الحسين في الآية قال: خرجت من دمشق حتى أتت كربلا فوضعت في موضع قبر الحسين عليه السلام ثم رجعت من ليلتها وح م د في روضة الكافي عن سليمان بن داود المنقري عن حفص قال: رأيت أبا عبد اللّه عليه السلام يتخلل بساتين الكوفة فانتهى الى نخلة فتوضأ عندها ثم ركع و سجد فأحصيت في سجدة خمسمائة تسبيحة ثم استند الى النخلة فدعا بدعوات ثم قال: يا حفص انها واللّه النخلة التي قال اللّه جل ذكره لمريم عليها السلام «وَ هُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 136

تسقطها في يديها وتحيرها في أمرها وتشد حزنها وتغلي مرجل غيظها فتقول متأوهة حائرة: «يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذا وَ كُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا»! ترى وكيف قالت قولتها هذه وهي عارفة بأن هذه الولادة هي من اللّه آية للناس ورحمة للعالمين؟ علّها لكربتها وغربتهاشدة وطئتها نسيت الآية الرحمة، و «لأنها لم تر في قومها رشيدا ذا فراسة ينزهها عن السوء» «1»

مهما دافع عنها أهلها «مِتُّ قَبْلَ هذا» قد يعني قبل حملها، او يعني قبل وضعها ام يعنيهما حتى لا تقع في هذا المأزق المزلق، «وَ كُنْتُ نَسْياً» ما يحق ان ينسى لدناءته كخرقة حيض او علقته، ثم «منسيا» يعني نسيانا على نسيان! ألا يتذاكروني في شي‏ء وأنا منذ الآن علقة الألسن تتداولني في نقاض ونقاش!

أ ترى لماذا «إِلى‏ جِذْعِ النَّخْلَةِ» دون «النخلة»؟ عله للاشارة الى يبوستها أن بقي لها جذع خشبة تلتجئ به! حيث الجذع هو القطع فهو إذا مقطوع النخل منفصلا عنه ام قطعا عن حياته وما أنسبه لجوء العذراء التي ليست لتلد دون بعل الى جذع النخلة اليابسة عن وليد الثمر، وليتشابها حين أثمر! فَناداها مِنْ تَحْتِها أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 3: 220 ح 46 مجمع البيان في الآية انما تمنت عليها السلام الموت استحياء من الناس ان يظنوا بها سوء عن السدي وروي عن الصادق عليه السلام: انها ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 137

لقد ولد المسيح عليه السلام هكذا إلى جذع النخلة وفي حديث أنه كان يوم العاشور «1» أم ماذا «2» ما ندري إلّا أنه ولد فيا للّه! طفل هو حِمل لفترة قصيرة ووليد اللحظة، ينادي أمه من تحتها، يطمئنها في حالها الغريبة المضطربة، ونفس نداءه تطمئنها دون ان تحمل هذه البشارات: «أَلَّا تَحْزَنِي» لكربتك على غربتك، لوحدتك حين وهدتك «قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا» من الرّفعة، وهو المسيح الرفيع، او من السري: السريان: نهرا سريا خلق الساعة «3»، ووليدا سريا يسرى صيته ويجري صوته في مشارق الأرض ومغاربها، ناداها المسيح فانه محور الكلام وحاصل المخاض فهو من تحتها، دون جبريل أم ملك سواه إذ ليس تحتها «4» وسريّها هو نهرها الساري تحتهاوليدها الخارج من تحتها فانه سرو رفيع وسار منيع، ويا للسريين هذين من رفعة و مناعة فإنهما صنيعا ربهما كما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 3: 22 في تهذيب الأحكام عن أبي جعفر الباقر عليه السلام انه قال وقد ذكر يوم عاشوراء-/ وهذا اليوم الذي ولد فيه عيسى بن مريم عليه السلام ..

(2). المصدر في من لا يحضره الفقيه عن الرضا عليه السلام قال: ليلة خمس وعشرون من ذي القعدة ولدفيها ابراهيم عليه السلام وولد فيها عيسى بن مريم عليه السلام‏

(3). الدر المنثور 4: 268 واخرج الطبراني وابن مردوية وابن النجار عن ابن عمر سمعت رسول‏اللّه صلى الله عليه و آله يقول: ان السري الذي قال اللّه لمريم «قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا» نهر أخرجه اللّه لها لتشرب منه واخرج مثله الطبراني في الصغير وابن مردويه عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه و آله وقد روي في المجمع عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: ضرب جبرئيل برجله فظهر ماء عذب يجري‏

(4). المسيح هو آخر المراجع الصالحة لضمير الغائب في ناداها اضافة الى ما ذكر في المتن وانهاما كانت تطمئن الى هذه المقالة في حالتها المزرية الا مقالة المشاهد وهو المسيح‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 138

وصنع لها رطبا جنيا، مثلثا من خارق العادة رأس زاويته سري المسيح.

وَ هُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا (25) فلأنها اهتزت لما ولدت دون بعل، فلتهز جذع النخلة اليابسة فتهتز بالحياة دون سبب ظاهر فتحمل وتساقط عليها رطبا جنيا دون لقاح باهر ودون مكوث لفترة الإيراق والإثمار والإيناع ونحسبها علها اندهشت في حظوة وبهتت على أهبة كيف تمتد يدها الى جذع النخلة اليابسة لتساقط عليها رطبا جنيا فإذا بالنخلة المورقة المثمرة المونعة تساقط عليها ودْقا من رطب جني طري!.

و يا لها من طاهرة عذراء تحمل دون بعل، فأجاءها المخاض الى جذع نخلة يابسة بتراء «1» فإذا هي تثمر دون وقتها-/ ولا لقاح-/ وبعد موتها، كما أن العذراء تلد فور وهبة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 3: 331 ح 55 عن كتاب المناقب عبد اللّه بن كثير قال: نزل ابو جعفر عليه السلام بوادفضرب خباءه فيه ثم خرج يمشي حتى انتهى الى نخلة يابسة فحمد اللّه عندها ثم تكلم بكلام لم اسمع بمثله ثم قال: أيتها النخلة أطعمينا ما جعل اللّه فيك فتساقطت رطبا احمراصفر فأكل ومعه ابو امية الانصاري فقال: يا أبا امية هذه الآية فينا كالآية في مريم ان هزت إليها النخلة فتساقطت رطبا جنيا.

أقول وفي بصائر الدرجات روى مثله عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: أيتها النخلة السامعة الطيبة المطيعة لربها أطعمينا مما جعل اللّه فيك فتساقط علينا رطبا مختلفا ألوانه فأكلنا حتى تضلعنا فقال عليه السلام: إليكم سنة كسنة مريم عليها السلام وفيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام في بعض عمره ومعه رجل من ولد الزبير كان يقول بإمامته قال: فنزلوا في منزل من تلك المنازل تحت نخل يابس قد يبس من العطش قال: ففرش للحسن تحت نخلة وللزبيري بحذاه تحت نخلة اخرى قال فقال الزبيري ورفع رأسه: لو كان في هذا النخل رطب لأكلنا منه فقال الحسن عليه السلام وانك لتشتهي الرطب؟ قال: نعم فرفع الحسن عليه السلام يده الى السماء ودعا بكلام لم يفهمه الزبيري فاخضرت النخلة ثم صارت الى حالها فأورقت وحملت رطبا قال فقال الجمال الذي اكتروا منه: سحر والله! فقال الحسن عليه السلام: ويلك ليس بسحر ولكن دعوة ابن نبي مجابة! قال: فصعدوا الى النخلة حتى تصرموا ما كان فيها فأكفاهم‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 139

ربها دون وقتها ولا لقاح، ويجري في لحظتها ينبوع طعام وشراب محضران بخارقة الرب كما هي وابنها آية للعالمين:

فَكُلِي وَ اشْرَبِي وَ قَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (26).

كلي من رطب جني واشربي من السري، وما أحسنه وأسلمه اكلا للنفساء رطب جني ف «أكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام ليس من الشجر شجرة تلقح غيرها-/ أطعموا نساءكم الرطب فان لم يكن رطب فتمر فليس من الشجر شجرة أكرم من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران» «1» «و لو علم الله طعاما هو خير لها من التمر لأطعمها إياه» «2».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1)

. الدر المنثور 4: 269-/ اخرج ابو يعلى وابن أبي حاتم وابن السنى وابو نعيم معا في الطب‏النبوي والعقيلي وابن عدي وابن مردويه وابن عساكر عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله ... وفيه اخرج ابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال سألنا رسول الله صلى الله عليه و آله مما ذا خلقت النخلة؟ قال: خلقت النخلة والرمان والعنب من فضل طينة آدم عليه السلام‏

(2). اخرج ابن عساكر عن سلمة بن قيس قال قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: أطعموا نساءكم في نفاسهن التمر فانه من كان طعامها في نفاسها التمر خرج ولدا حليما فانه كان طعام مريم حيث ولدت عيسى ولو علم اللّه .. وفي نور الثقلين 3: 330 ح 50 في كتاب الخصال فيما علم امير المؤمنين عليه السلام أصحابه من الأربعمأة باب مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه ما تأكل الحامل من شي‏ء ولا تتداوى به أفضل من الرطب قال اللّه تعالى لمريم: «وَ هُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا ..

أقول: قول المسيح حينذاك وحيا هو من قول اللّه وفي (51) عن الكافي عنه عليه السلام قال قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله ليكن اوّل ما تأكل النفساء الرطب فان اللّه عز وجل ... قيل يا رسول اللّه فان لم يكن ابان الرطب؟ قال: سبع تمرات من تمر المدينة فان لم يكن فسبع تمرات من تمر أمصاركم فان اللّه عز وجل يقول:

و عزتي وجلالي وعظمتي وارتفاع مكاني لا تأكل النفساء يوم تلد الرطب فيكون غلاما الا كان حليما وان كانت جارية كانت حليمة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 140

هنا اطمأنت نفسها وعاد إليها ما عزب من لبها واستجمعت قوتها، ومع الدستور الصارم تخفيفا لوضعها العارم: «فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي ...» لا تكلمي بشرا يواجهك إلا قولة الإشارة: «إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً» للصمت لا عن الأكل والشرب «فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ» واليوم فقط «إنسيا» مهما أكلم ربي وغير الانس من ملك امن ذا، ولأن الانسي هو الذي يعارضني في ولدي دون بعل، واللّه بملائكته يؤنسني غير مليم! هذا طرف من قصة الولادة المباركة العجيبة للمسيح بن مريم عليه السلام وهنالك هرطقات إنجيلية تعارضها، مما يجعل الجمعية الرسولية الامريكية تعترض على جوانب من هذه القصة حسب القرآن قائلة: «1» (ان القرآن مشتبه في قصة مريم إذ ينسب إليها قصة هاجر

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع كتابنا «عقائدنا» ص 500-/ 503 وما قبلها وبعدها ففيها تفصيل مقارن للقصة بين‏القرآن و الإنجيل‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 141

أم إسماعيل، فانها هي التي كانت في البرية وهزت إليها بجذع النخلة ومريم كانت في بيت لحم اليهودية والمسيح لم يتكلم في المهد «1» وهذه كلها مأخوذة من خرافات المسيحيين دون سناد عن كتابات الوحي.

و عجب من هؤلاء كيف يخطئون في قصة هاجر وهي في برية لا ماء فيها ولا كلاء ولانخلة أماذا؟ ثم أنى لهم أن المكان القصي الذي انتبذته مريم كانت برية قفرا فلا شجرة فيها و لا نخلة، فهل القصي في قاموسهم هو القصي عن الماء والكلاء؟ وليس إلا البعيد القاصي عن أهلها وعن ملاء الناس لكيلا يرونها تضع حملها فلا يسارعونها في الإتهام، و ليست النخلة إلا في المعمورة، فقصيهم-/ إذا-/ قصي عما يرام! فهل ان القصي الطري المعمور بالنخلة ورطبها الجني أحرى بهذه الولادة المباركة للعذراء الطاهرة أم الآخور معلف الحيوان كما ينقله الإنجيل؟

فان زعمت الجمعية الرسولية أن مكانها القصي خلو من النخل فإنجيل يوحنا يصرح: «ان الكثيرين في أورشليم أخذوا سعوف النخل وخرجوا للقاء المسيح» (13:

12-/ 13) وبيت اللحم من ضواحي أورشليم‏ «2».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1)

. ج 2 ص 92-/ 93 من الهداية للجمعية الرسولية الامريكية نقلا بالمعنى‏

(2). سبق ان من المحتمل في المكان القصي بعد بيت اللحم هو الكوفة وكلاهما من منابت النخل كما في روضة الكافي باسناده الى حفص قال: رأيت أبا عبد اللّه يتخلل بساتين الكوفة فانتهى الى نخلة فتوضأ عندها ثم ركع وسجد فأحصيت في سجدة خمسمائة تسبيحة ثم استند الى النخلة فدعا بدعوات ثم قال: يا حفص! إنها واللّه النخلة التي قال اللّه جل ذكره لمريم عليها السلام. «وَ هُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 142

و حين لا تسمح هذه الجمعية لمريم الطاهرة كرامة الرطب الجني تدنس ساحتها وتصدق الخرافة الهاتكة الانجيلية «انها جاعت فانفتحت السماء ونزل عليها إناء فيه كل دواب الأرض والزحافات والطيور وقيل لها: إذ بحي وكلي فقالت: يا رب! اني لم آكل قط شيئا نجسا؟ فقيل لها: ما ظهره الله فلا تدنيسه» (يوحنا: 110-/ 16) فهل إن اللّه ينزل على مريم شيئا نجسا ويأمرها بأكله أن طهره أمره، ام كيف تعارض الطاهرة المتعبدة أمر ربها، أتريد ابطال حكم إلهي تعبيدا لطريقة المسيح الذي يفتدي البشرية عن لعنة الناموس ابطالا لشريعة التوراة؟

و حين تحيل الجمعية الرسولية اخضرار النخلة واثمرارها من ساعتها بأمر اللّه، فلتحل مثل ذلك في عصى موسى حيث «وضعها في خيمة الشهادة وفي الغد وجدها قد أفرخت فروخا، وأزهرت زهرا وأنضجت لوزا» (عد 17: 7-/ 11 وعب 9: 4)! (... فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً» رؤية حتمية لبشر «ترين» إذا حصلت «إمّا»-/ «أحدا» جنس البشر واحدا او اكثر «فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ ..» وكيف تقول مقالتها

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 143

و هي حسبها صائمة عن أية قولة لبشر؟-/.

هنا تقول الجمعية الرسولية: (2: 52) إله القرآن يأمر مريمه تقول كذبا: إنها نذرت للرحمن صوما فلن تكلم اليوم إنسيا، وهي لم تكن صائمة بدليل أمره إياها ان تهز إليها بجذع النخلة ..» فَكُلِي وَ اشْرَبِي وَ قَرِّي عَيْناً ..» .. ثم أمره إياها أن تقول إنها صائمة لاتتكلم متناقض حيث أمرت ان تقول: «إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً ..».

و عجب من هؤلاء الاغفال كيف جمعوا بين صوم الصمت والطعام، و «فَلَنْ أُكَلِّمَ ..»

دليل انه صوم الصمت! ثم «قولي» لا يختص بقول الكلام، حيث الإشارة المفهمة قول كما الكلام: «فَأَشارَتْ إِلَيْهِ قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا» ولم يقل «قالت» وحتى لو قالت ف «إِنِّي نَذَرْتُ ...» لا يحدد بداية الصوم ولعلها بعد هذه القولة إن كانت لفظة ولم تكن.!.

و يا لها من كرامة للعذراء تعتذر بعذر شرعي شرعه لها ربها حتى لا تواجه بشرا بشرط كلمة قبل ان يذاد عنها بخارقة الهية «إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً»، وعلّه فقط صوم الصمت‏ «1» ام صوم يعم الصمت ولم يكن أكلها وشربها إلا قبل ان تواجه بشرا فلم‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). المصدر ح 60 في كتاب المناقب لابن شهر آشوب في مناقب أبي جعفر الباقر عليه السلام و سأل‏طاووس اليماني أبا جعفر عليه السلام عن صوم لا يحجز عن أكل وشرب؟ فقال: الصوم من قوله تعالى: اني نذرت للرحمن صوما

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 144

يشمله صومها إن عمّ الطعام كما الكلام، ولكنه الصمت فقط حيث النفاس من حالات منعة سائر الصيام، وتفريعها على صومها: «فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا»! فآيات الصوم تمنع فيما تمنع عن ما سوى الصمت، اللهم إلّا صمتا عن الكذب على اللّه ورسوله حيث يبطل الصوم، ام مطلق الكذب حيث ينتقصه، وكما ثبت بالسنة الثابتة «1» واما الصمت المطلق فلا صوم فيه إسلاميا!

كيف نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29).

«فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَها»-/ أن مكانها القصي لم يكن بذلك البعيد كالكوفة «فَأَتَتْ ..

تَحْمِلُهُ» دون ان تتركه مخافة العار حيث اطمأنت أنه عطية ربانية فهو ذائد عنها ما يمس كرامتها «قالُوا يا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا»: موضعا لفرية، بالغة المدى ام عظيما بديعا ف «لقد» تأكيد ان و «فريا» كمبالغة الفرية تشكل عليها ثالوث الفرية ومن ثم التأنيب كأنها ثابتة لا حول عنها: «يا أُخْتَ هارُونَ ما كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ ...»!

و هنالك مندوحة للعذراء الوالدة-/ مع الغض عن احتمال معجزة الهية-/:

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 3: 332 ح 58 في الكافي باسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: ان الصيام ليس من‏الطعام والشراب وحده ثم قال: قالت مريم: اني نذرت للرحمن صوما-/ أي‏صوما صمتا-/ صمتا-/ فإذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم وغضوا ابصاركم ولا تنازعوا ولا تحاسدوا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 145

علها اجتذبت نطفة الرجولة دون لقاح أن جلست مكانا فيه النطفة، وحالة المؤمن، فعله محمولة على الصحة، أفلم يلمس قومها ايمانها وهي عائشة المحراب، تاذرة الذهاب‏الإياب، فالحة في حراب الشهوات؟!.

ثم ولماذا «يا أُخْتَ هارُونَ» وهو أخو موسى وبينهما قرون خلت؟ كما اعترضته الجمعية الرسولية الامريكان (3: 31): (خلط هارون أخا موسى باخي مريم!» وكأنهم يخصون اسم هارون باخي موسى ثم لا يحق لمن بعده ان يتسمى بهارون!

«ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم» «1»؟!.

و لماذا يتقدم هارون أخوها على أبيها ومن ثم أمها؟ علّه لأن هارون كان اقدس أنسبائها و أشهر في قدسيته من أبيها لحد يتعالى حتى عن أن ينفى عنه السوء، ثم أبوها ما كان امرء سوء، ثم أمها ما كانت بغيا! ومثلث النسبة هذه والرعاية العالية الطاهرة في ظله يجعل من البنت طاهرة بعيدة عن هذه الفعلة العاهرة، فيا للمفارقة بين هذه النسبة المباركةتلك المقارفة النكدة الدنيئة التي لا تأتيها إلا بنات بغايا والآباء السوء!.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 4: 270-/ اخرج ابن أبي شيبة واحمد وعبد بن حميد ومسلم والترمذي والنسائي و ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن المغيرة بن شعبة قال بعثني رسول اللّه صلى الله عليه و آله الى اهل نجران فقالوا أرأيت ما تقرؤون «يا أُخْتَ هارُونَ» وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فرجعت فذكرت ذلك لرسول اللّه صلى الله عليه و آله فقال: ألا أخبرتهم.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 146

و القول إن هارون هذا لم يكن أخاها وإنما مثيلها في التقوى مشهورا بها، غير فصيح ولاصحيح، حيث الحقيقة لا تصرف الى مجاز إلا بقرينة، وأنهم كانوا في تقريعها وتأنيبها سابق الجملة: «لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا» ولا حقها:

«ما كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ ..» والاخوة المثيلة بهارون، لها مدحة بالغة! «1».

أشارت إليه إشارة قائلة «إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً» واسألوه فانه المجيب عما تسألون! أم قالت لهم نذرها قبل بدايته وقبل أن يكلموها، ثم أشارت إليه إجابة عما افتروا عليها، هنا يبهرهم العجاب على الغيظ الذي ساورهم، كيف تتجح فتسخر من متسائليها، صامتة مشيرة الى «مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا» قالوا جوابا عن إشارتها الهازئة الفالتة في حسبانهم «كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا»؟!.

و ترى ما هي مكانة «كان» هنا وكل أحد كان في المهد صبيا مهما كان الآن ايضا صبيا ام شابا او شائبا هرما؟

علّ «كان» هنا تامة وصبيا حال، كيف نكلم طفل المهد حال صباه وليس يأهل‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). مجمع البيان: يا اخت هارون فيه اقوال: أحدها ان هارون هذا كان رجلا صالحا في بني إسرائيل ينسب اليه كل من عرف بالصلاح عن ابن عباس وقتادة وكعب وابن زيد والمغيرة بن شعبة يرفعه الى النبي صلى الله عليه و آله أقول وهذا المرفوع اليه مرفوع عنه في المعنى لما قلنا ومضى عنه صلى الله عليه و آله. والراوي عنه في هذين المتعارضين واحدفصاحة القرآن تنافي الثانية

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 147

لكلام او حوار ما كان في المهد، إذا ف «كان» تركز صباه انه بعدُ طفل المهد ولما يخرج منه حتى يؤهل لكلام، و «كان» هذا كاضرابها في سائر القرآن تدليلا على تمكّن مدلولها في حال ام ماذا «1».

و القول ان «كان» هنا زائد زائد من القول إذ لا يليق بفصيح الكلام كسائر القول هنا إلا ما نبهنا عليه واللّه اعلم بما «كان»!.

قالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَ جَعَلَنِي مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ وَ أَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا (31) وَ بَرًّا بِوالِدَتِي وَ لَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًّا (32) وَ السَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) ذلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34).

تنزيهات سبع تخصه، تغلق عليه السبع أبواب جحيم الافترائات الموجهة اليه، المفتحة عليه، وثامنة هي تقديسة تامة هامة تكرس حياته الطاهرة وحياة امه الزاهرة العذراء:

«وَ السَّلامُ عَلَيَّ»! والحق أقول إنه بيان صارم على اختصاره يجرف عنها كل هرطقة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). مثل قوله تعالى: «قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا» (17: 93) ان البشرية والرسالة تمكنتا في فلا املك ما يملكه ربي-/ وقوله تعالى: «وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً» (17: 36) حيث النصرة لزام الولي المقتول .. وكذلك «مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا» حيث الصبا بعد لزامه ولما يخرج من صباه!

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 148

عارمة تهرف او كلمة تحرف في كتابات مزورة!.

1 قالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ..؟

إن كلامه وهو في المهد صبي رضيع، وبهذه البداية المباركة يذود عنه تفريط المفرطين:

انه ولد زنا. وإفراط المفرطين انه اللّه او ابن اللّه، فكيف ينطق ولد زنا بخارقة الهية اللهم إلّا من اصطفاه اللّه، وكيف يعترف اللّه او ابن اللّه ام اقنوم الالوهية انه عبد اللّه؟!.

ففي حين أنه لم يصرح هنا بالطهارة عن الزنا استلزم كلامه في بعدية أنه الطاهر المصطفى آية للّه: «وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً» (23: 50) وهنا يتهدم صرح كل مفرط ومفرّط بحق المسيح وأمه عليهما السلام، حيث الأقاويل فيهما ولا سيما فيه متشابكة متشاكسة لا يكاد تخمد نيرانها إلا بصراح القول من المسيح نفسه وهو في المهد صبي! نجد قرابة ثمانين موضعا في الأناجيل أن المسيح يعترف بعبوديته للّه وأنه ابن الإنسان‏ «1» ورغم تحرّفها لا نجد فيها ولا تصريحة واحدة من وحي الإنجيل أنه اللّه إلا «الآب والابن‏روح القدس» والآب باللغة اليونانية تعني الخالق، فالابن ليس إلا مخلوقا للخالق وهو ابن الإنسان،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). كما في إنجيل يوحنا 1: 51 و 4: 6 و 3: 26 و 24 و 4: 34 و 19 و 44 و 5: 19 و 24، و 30 و 44 و 6: 14 و 28 و 29 و 44 و 7: 16 و 18 و 28 و 33 و 40 و 8 و 26 و 28 و 11: 41 و 12: 27 هو عبد اللّه.

و في متى 8: 20 و 9: 6 و 16: 13 و 27 و 17: 9 و 12 و 22 و 18: 11 و 19: 28 و 20: 18 و 20-/ انه ابن الإنسان‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 149

وروح القدس هو الوسيط بين الخالق والابن. ولكنهم رغم الحفاظ على الصيغة اليونانية يفسرونها بالأب كأنها عربية مع الغض عن مدّها، تحريفا خارفا مجازفا جارفا لم يتنبه له إلّا القليل ممن وفي لرعاية الحق من العارفين.

«إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ» حاله ومقاله وسمة أفعاله طول حياته، مهما اختلق عليه مقالات اخرى‏ «1» فهو لا يعرف لنفسه صلاحا بجنب ربه فكيف يجعل نفسه عِدلا لربه؟: «و إذا واحد تقدم وقال له: أيها المعلم الصالح .. فقال له:

لماذا تدعوني صالحا؟ ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله» (متى 19: 16-/ 19) و (مرقس 10: 18) (لوقا 18: 19) ويندد ببطرس المتطرف، المتطرق له لقب الرب:

«حاشاك يا رب! فالتفت وقال لبطرس: اذهب عني يا شيطان! أنت معثرة لي لأنك لاتهتم بما لله لكن بما للناس» (متى 16: 22-/ 23).

و يندد بمن اختاله معادلا لربه: آبي يعمل وأنا أعمل فمن أجل هذا قالوا: إنه كسر

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). كالقائلة انه ابن اللّه: (متى 3: 17) وأول مواليده (عب 1: 9) وابن اللّه المبارك (مرقس 14: 61) والقائلة انه هو اللّه والكلمة: (يوحنا 1: 1) الازلي (عب 9: 14) والرب وقد كرر في الأناجيل و انه عمانوئيل: اللّه معنا (متى 1: 23) ويعارضها التصريحات الثمانون في الرقم (1) ومثل: يهوه-/ اللّه: يرسل أنبياء وحكماء وكتبة (متى 23: 34) و (لوقا 11: 49) ويهوه هو رب الشريعة فبقدرته الشخصية يتم ناموس موسى ويعدله (متى 5: 21) ويهوه يعقد عهدا مع البشر (متى 26: 28 ومرقس 14: 24 ولوقا 22: 20)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 150

السبت و جعل نفسه معادلا للّه» (يوحنا ف 17) «1».

2- آتانِيَ الْكِتابَ ..

فرية أخرى على المسيح عليه السلام ان ليس له كتاب شرعة، وإنما الحواريون ومن اتباعهم هم الكاتبون سيرته وسموها الإنجيل، لذلك لا نرى عندهم إنجيلا ينسب الى المسيح إلا ما تطرق له التاريخ وأصبح منسيا مع الزمن وهو انجيل برنابا.

إن القرآن يثبت له إنجيلا: «وَ آتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَ نُورٌ» (5:) 46)! وجماعة من المسيحيين ينكرون هذه الحقيقة الناصعة، ك: القس وت. جردنر الإنجليزي‏ «2» و: او ميم ميلر «3» رغم اعتراف جماعة آخرين منهم بإنجيل المسيح وكما في الإنجيل الحالي نفسه:

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع كتابنا: عقائدنا ص 65-/ 145-/ تجد فيه تفصيلا واسعا عن خرافة الالوهية والنبوة للمسيح وتزييفها

(2). في كتابه: محاورة الوحي باعتبار التوراة والإنجيل والقرآن، صدر من الجمعية الاسقفيةببولاق مصر-/ طبع بمطبعة النيل المسيحية بشارع المناخ نمرة 37-/ يقول فيه:

«في القرون التي مضت بين المسيح ومحمد صلى الله عليه و آله لم يعترف المسيحيون بإنجيل غير الإنجيل الحالي اي: العهد الجديد-/ وليس هناك اقل بينة تدل على انه كان لدى المسيحيين كتاب آخر غير الكتاب الحالي او الإنجيل الحقيقي او ان الحقيقي فقد بعد زمن الهجرة .. ان الإنجيل الحالي هو إذا الإنجيل الحقيقي، وان زعم وجود كتاب آخر انزل على عيسى هو وهم و خطأ، فيكفي ان نقول فقط: ان كاتبي اسفار الإنجيل ألهموا ان يدونوها بطرق مختلفة ووسائل متنوعة ولذلك يعتبر جوهر ما دونوه موحى به»

(3). هو العالم الشهير الانجيلي في كتابه: التمدن القديم في باب تعاليم المسيح، يقول فيه: «ان‏ربنا عيسى المسيح لم تكن له شريعة كموسى، انما قرر شريعة التوراة، انه كلمة اللّه الطاهرة وكان عنده خزائن علم اللّه وحكمته فلم يكن من اللازم ان ينزل عليه كتاب، والمؤمنون الأولون انما كانوا يستفيضون من كلماته النيرة، فأين لزوم كتاب ينزل عليه؟ فان اعماله وكلماته كانت مكتوبة على صحائف قلوب الحواريين، فلم يكونوا إذا بحاجة الى كتاب شريعة إذ كانت تكفيهم شريعة التوراة، ولا كتاب سنة عملية أخلاقية لأن المسيح كان ذلك الكتاب بأعماله وأقواله-/ ولكن المسيحيين لما لم يروا المسيح في الجسم على الأكثر، فهم بحاجة الى كتابات تذكرهم بمعجزات المسيح وحياته لكي يغنيهم البيان عن العيان، لذلك رأى مؤلفوا الأناجيل الذين كانوا يعرفون حياة المسيح بعيان وبصيرة-/ رأوا من المفروض عليهم تأليف هذه الأناجيل ويشرحوا فيها أحواله و أقواله ومعجزاته وهذه الكتب هي المراجع الدينية الثانوية بعد المسيح وتلاميذه»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 151

«بعد ما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز-/ يبشر-/ بإنجيل ملكوت الله ويقول:

قد كمل الزمان و اقترب ملكوت اللّه فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» (مرقس 1: 15) «1» (و كان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز بإنجيل الملكوت» (متى 4: 23 و 9: 35) ويعرف به بولس قائلا: «أولا أشكر الهي يسوع المسيح من جهة جميعكم أن ايمانكم ينادي به في كل العالم فإن الله الذي أعبده بروحي في إنجيل ابنه شاهد لي كيف بلا انقطاع اذكرهم» (روم: 1) وفي: برنابا: «و لقد قال لي صدق يا برنابا اني اعرف كل نبي وكل نبوة وكل ما أقوله إنما جاء من ذلك الكتاب» «2» (و أنتم شهداء على هذا كيف‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). هذه الآية تلمح كأنهم ما كانوا ليصدقوا إنجيله إذ كان عبئا وحملا عليهم، حتى يفسح لهم‏مجال اختلاق اناجيل اخرى‏

(2). حينئذ قال التلاميذ: حقا ان اللّه تكلم على لسانك لأنه لم يتكلم انسان قط كما تتكلم؟ أجاب‏يسوع: صدقوني: انه لما اختارني اللّه ليرسلني الى بيت إسرائيل أعطاني كتابا يشبه مرآة نقية نزلت الى قلبي حتى ان كل ما أقول يصدر عن هذا الكتاب ومتى انتهى صدور ذلك الكتاب من فمي اصعد عن العالم، أجاب بطرس: يا معلم! هل ما تتكلم الآن به مكتوب في ذلك الكتاب؟ أجاب يسوع: ان كل ما أقوله لمعرفة اللّه ولخدمة اللّه ولمعرفة الإنسان ولخلاص الجنس البشري انما هو جميعه صادر من ذلك الكتاب الذي هو انجيلي (برنابا 168: 1-/ 5)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 152

أنكر على هؤلاء الأشرار الذين بعد انصرافي عن العالم سيبطلون حق إنجيلي بعمل الشيطان، ولكنني سأعود قبل النهاية» (برنابا 52: 14-/ 15) (... مع أنني الآن أبكي شفقة على الجنس البشري لأطيلن في ذلك اليوم عدلا بدون رحمة لهؤلاء الذين يحتقرون كلامي ولا سيما أولئك الذين ينجسون إنجيلي» (برنابا 58: 21-/ 22) وكما يشهد بولس بهذه الخيانة الفاضحة إذ يندد بهم: «إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا من الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر؛ ليس هو آخر. غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون ان يحولوا إنجيل المسيح» (اغلا: 6-/ 7)!

و هنالك في الأناجيل اللاحقة لهذه الأصول الانجيلية عندهم تصريحات تتجاوب معها، ك «إنجيل السلام للمسيح» (1 ف 6: 15) و «إنجيل الخلاص» (1: 13) وإنجيل الرب «أول تسلو» (2: 9).

و كذلك تصريحات اخرى من علماء المسيحية ومؤلفيهم، ك «نارتن» حيث ينقل عن «اكهارن» وتذكر دائرة المعارف الإنجليزية إنجيل المسيح عليه السلام في عداد خمسة و عشرين إنجيلا «1» ويؤيده كتاب اكسهوموا «2» و «اكهارن» وكثير من متأخري علماء النمسا، ومال‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). في المطبوعة 13 ص 179-/ 180 تحت عنوان: ابو كريفل لتريچر: خرافات الادبيات‏

(2). ألفه حكيم بروتستاني يذكره في الباب 5 من كتابه المطبوع 1813 م في لندن.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 153

إليه المحققون: «ليكلرك-/ كوب-/ ميكايلس-/ ليسنك-/ نيميرمارش» «1».

3-/ (وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا ..» ترى كيف تأخرت النبوة عن إتيان الكتاب الذي يضم النبوءةالرسالة كلتيهما؟ لأن النبوّة للرسول هي الرفعة في رسالته. فهناك نبوءة ثم رسالة ثم نبوّة، فمن نبي‏ءٍ ليس برسول ومن رسول ليس بنبيّ، وكما تتأخر النبوة الجامعة مع الرسالة عنها في سائر القرآن، تدليلا على أنها أخص من الرسالة: «وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ مُوسى‏ إِنَّهُ كانَ مُخْلَصاً وَ كانَ رَسُولًا نَبِيًّا» (19:) 51) (وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِسْماعِيلَ إِنَّهُ كانَ صادِقَ الْوَعْدِ وَ كانَ رَسُولًا نَبِيًّا» (19: 54) (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ» (7: 157) «فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ..» (7: 158) (وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ ..» (22: 52)

فهذه النبوة السامية كسائر النبوات متدرجة من العبودية «إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ» الى نبوءة وحي ثم رسالة: «آتانِيَ الْكِتابَ» ثم نبوّة «وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا» فبين النبوة والنبوة متوسط الرسالة، وكل من هذه الرحلات درجات حسب درجات النبوات.

ثم «وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا» تحصر كيانه ككل في النبوة رفضا لما سواها من الوهية او بنوة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع كتابنا «المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية» ص 9-/ 60 تجد فيه تفاصيل الأناجيل‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 154

حقيقية او تشريفية اماهيه مما يهرفه الخارفون حول السيد المسيح عليه السلام من وراثة الالوهية او النبوة! وَ جَعَلَنِي مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ بركة شاملة تكرس كيانه ككل، تسلب عن ساحته كل المثالب والمآلب التي اختلقته أيدي الدس والتجديف، ف «أَيْنَ ما كُنْتُ» تضرب إلى أعماق الماضي في أصلاب شامخة وأرحام مطهرة حيث تنقل من كل الى اخرى والى امه الطاهرة العذراء، ما يطهر ساحته في ماضيه وبأحرى حاله‏مستقبله كما يشملها مثلث السلام، فلم تكن في هذا البين مقاربة محرمة على أية حال، ولا مقارفة لها في كل حلّ وترحال ومن مستقبله المجيد.

إنه لم يخلد بخلد مريم الطاهرة إلا رجاء الذود عن ساحة هذه الولادة، فإذا هي تجد وليدها:

«جعلني نفاعا للناس أين اتجهت» «1» ومعلما ومؤدبا «2».

في بركة كاملة كافلة لكافة الأصلاب والأرحام التي تنقلا بينها.

و ذلك تعريض عريض على كل التقولات الكتابية في عهدي القديم والجديد، مما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 4: 270-/ اخرج الاسماعيلي في معجمه وابو نعيم في الحلية وابن لآل في مكارم الأخلاق وابن مردويه وابن النجار في تاريخه عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه و آله قول عيسى عليه السلام وجعلني مباركا أينما كنت قال: جعلني .. وروى مثله في معاني الاخبار باسناده الى عبد اللّه بن جبلة عن رجل عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: نفاعا، هذا تفسير بالمصداق الجلي‏

(2). المصدر اخرج ابن عدي وابن عساكر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه و آله في الآية ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 155

تدنّس هذه الساحة المباركة بمن قبلها من ساحات النبوات وسواها من أصلاب وأرحام! وصحة هذه الأناجيل خطر على قدسية المسيح عليه السلام.

العهدان يتناصران في تبعيد المسيح عليه السلام عن حزب اللّه ولا يسمحان له الدخول في جمعية الرب إذ يفتريان عليه أنه من جدود أربعة هم من أولاد زنا-/ وعوذا باللّه! موآب-/ فارص-/ بن عمي-/ سليمان:

هؤلاء الأربعة من أجداد المسيح حسب الإنجيل، تجد كلهم من أولاد الزنا حسب الكتابات المقدسة!:

«موآب»: عوبيد جد داود النبي أمه روث» (متى 1: 5-/ 6) وهي من نسل موآب، المسيح من نسل داود من سليمان (متى 1: 1) فموآب أحد أجداد المسيح وداودسليمان.

«بن عمي»: رحبعام بن سليمان من أجداد المسيح (متى 1: 7) امه من نسل بن عمي (املوك 14: 21).

«فارص»: وهو ايضا في سلسلة أجداد المسيح (متى 1: 1-/ 4) ونحن نجد هؤلاء الثلاثة وسليمان في التوراة من ولد الزنا! فموآب وبن عمي هما ابنا لوط حيث زنى ببنتيه سكرانا فولد من الكبرى موآب، ومن الصغرى بن عمي، وهما يرأسان سلسلتي موآب‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 156

و بن عمي (تكوين 19: وفارص او برص ولد من زنا من «تامار» حليلة ابن يهودا حيث زنى بها فولدت فارص وزارح توامين (تكوين 38: 6-/ 30) وسليمان من ولد «بت شبع» امرأة او ريّا حيث زنى بها داود النبي (متى 1: 6) وحاشاه.

فداود وسليمان والمسيح هم أولاد زنا-/ وعوذا باللّه-/ من المحارم، نتيجة تجاوب العهدين في عرض نسبهم، ثم التورات تأتي بتصريحات تخرج المسيح وهؤلاء من حزب اللّه ولا تأذن لهم الدخول في جمعية الرب!.

... «لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب، حتى الجليل العاشر لا يدخل منه أحد في جماعة الرب. لا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الرب حتى الجيل العاشر. لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب الى الأبد ... لا تلتمس سلامهم ولا خيرهم كل أيامك إلى الأبد» (تثنية 23: 2-/ 3 و 6)! إذا فلا خير في مسيح الإنجيل ولا يدخل في جماعة الرب فضلا عن أن يرأسهم-/ لا يدخل: نهيا او إخبارا-/ هو وكل ولد زنى ولا سيما الموآبين وبن عمين وهو منهما! فكيف يعتبر نبيا عظيما من اولي العزم أو ابنا للّه ام إلها متجسدا في الناسوت، هذا الافك والبهت الزور في العهدين تجتثه مقالة مسيح القرآن. «وَ جَعَلَنِي مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ». وَ أَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا (31).

تلك هي وصية خاصة رابية على أمته، بالصلاة: أداء لها بنفسه وإقامة في أمته وكما في‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 157

موسى: «إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَ أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي» (20: 14) وابراهيم:

«رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي» (14: 40) وإسماعيل «وَ كانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ» (19: 55) وهذا النبي والذين معه: «وَ أْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَ اصْطَبِرْ عَلَيْها» (20: 132) (اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ وَ أَقِمِ الصَّلاةَ» (29: 45).

و قد تدل «و اوصاني» في المسيح عليه السلام إضافة إلى ما يعم المرسلين انه ما كان إلا عبد اللّه، لا إلها او ابنه وإلّا فلمن كان يصلي؟! وَ بَرًّا بِوالِدَتِي .. جعلني برا بوالدتي ويا للعجاب أن يصبح البر بالوالدة من الميزات الرسالية وهو من النواميس العامة، والرسالة تتخطى برا بوالدتي أما ذا من قبيله، وتختص بالميزة القمة التي لا تشارك فيها الأمة أم أدنى من القمة كإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، دون البر بالوالدة، ولا نجد في سائر القرآن، يعتبره ميزة رسالية اللهم إلا بر الرحمة الالهية: «إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ» (52: 28) وفي يحيى «وَ بَرًّا بِوالِدَيْهِ وَ لَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيًّا» (19: 14) ثم وآيات الإحسان بالوالدين تعم الأمم! ولكن «بَرًّا بِوالِدَتِي» في المسيح تعني ايجابية البر بها التي لا اثر عنها في الكتابات الإنجيلية، وكما أن: وَ لَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً عصِيًّا (32). تعني الذود عن ساحته ما مست منه هذه الكتابات إنه كان بها جبارا شقيا!.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 158

المسيح وأمه حسب الإنجيل:

نبدأ هنا بقصة قانا الجليل ما أسوءها لمريم وعيساها إذ تنسب الى المسيح معجزة صناعة الخمر كاولى معجزاته التي دعت تلاميذه إلى الايمان به، وذلك باستدعاء مريم وهو يهتكها في استدعائها رغم أنه يطبّقها: «و ساعتي بعد-/ ومن فوره يأتي ساعته قائلا: املأ و الأجران ماء .. فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمرا ...».

هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه»! (يوحنا: 2-/ 1: 11) .. فمسيح القصة يهتك أمه في كلمة لاذعة «ما لي ولك يا امرأة» رغم إجابتها من فورها لمأمورها كمعجزة أولى!.

هذا-/ وفتك ثان بها في قصة ثانية يتهمها فيها بعدم الإيمان: «إذ كان يكلم تلاميذه فجاءت حينئذ إخوته وأمه ووقفوا خارجا وأرسلوا إليه يدعونه وكان الجمع جالسا حوله فقالوا: هوذا أمك وإخوتك خارجا يطلبونك. فأجابهم قائلا: من امي وإخوتي؟ ثم نظر حوله الى الجالسين وقال: ها أمي وإخوتي لأن من يصنع مشيئة اللّه هو أخي وأختي وأمي (مرقس 3: 31) (امي واخوتي هم الذين يسمعون كلام الله ويعملون بها» (لوقا 8: 19-/ 21) (متى 12: 46-/ 50).

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 159

فيا لها من نسبة فاسقة كافرة الى مريم واخوته تمنُّعا عن مكالمتها فرية عليها أنها تاركة للصالحات، وفي حين أنه يؤكد بالغ التوكيد باحترام الأمهات وانه من النواميس العشرة التوراتية دون شرط الإيمان وهي الطاهرة المعصومة (متى 19: 19) (مرقس 10:

19) (لوقا 18: 10) أفنقضا للنواميس وتناقضا بين القول والعمل بهذه المثابة. وتذليل الأبوين يخلّف لعنة إلهية بتأمين شعب اللّه: «ملعون من يستخف بأبيه أو أمه ويقول جميع الشعب آمين» (تثنية 27: 16).

ثم هو في قصة ثالثة وهي عند صلبه! ينعزل عن بنوّته لها ويهبها لمن يحبه من تلاميذه: (يوحنا) لتكون له اما: وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه واخت مريم زوجه «كلوبا» و «مريم المجدلية». فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذي كان يحبه واقفا قال لأمه: يا امرأة! هوذا ابنك. ثم قال للتلميذ: هوذا أمك. ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته» (يوحنا 19: 25-/ 27)!.

هذا-/ ثم المختصر في علم اللاهوت العقائدي يحاول انجبار حالة مسيح الإنجيل الجبار العصبي‏ «1»!.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). تأليف لوديغ اوث ج 2 ص 112-/ 118-/ يقول فيه: .. ومريم قد اكتسبت استحقاقات وافرة لا بكفاحها ضد الرغبات الحسية بل بمحبتها للّه وبفضائلها الاخرى: الايمان-/ التواضع-/ الطاعة: (انظر القديس توما 3/ 27: 3 على الثاني) .. فعند تقديس مريم في أحشاء أمها قيدت الشهوات بحيث انتفت كل حركة حسية منحرفة، أما لدن الحمل بالمسيح فقد أخمدت الشهوات إخمادا بحيث ان القوى الحسية صارت خاضعة كل الخضوع لقيادة العقل: (انظر القديس توماس 3/ 27: 3) ... أعلن المجلس التريدنيتني: «ما من بار يستطيع مدة حياته كلها ان يتحاشى كل الخطايا حتى العرضية الا بامتياز خاص من اللّه كما تعتقد الكنيسة انه الحال في الطوباوية العذراء. (833) وقد قال البابابيوس الثاني عشر في رسالته عن العذراء ام اللّه: «بأنها كانت في عصمة من كل خطيئة شخصية او وراثية (2291) هذه العصمة هي متضمنة في نص لوقا (1: 28) (السلام عليك يا ممتلئة نعمة ...»-/

كان الآباء اللاتين يجزمون بعصمة مريم من الخطيئة فيعلّم القديس او غسطينوس: ان كل خطيئة شخصية يجب ان تنتفي من العذراء مريم-/ والقديس افرام يضع مريم البريئة من الدنس في مقام المسيح (انظر: 3)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 160

هذه مريم عليها السلام ومسيح الجبار العصي تجاهها حسب الإنجيل، ثم نجده وامه حسب القرآن في ارفع مقامات العصمة والطهارة.

مريم في القرآن‏

«إِذْ قالَتِ امْرَأَتُ عِمْرانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ ما فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. فَلَمَّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى‏ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى‏ وَ إِنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ وَ إِنِّي أُعِيذُها بِكَ وَ ذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ. فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً وَ كَفَّلَها زَكَرِيَّا كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الِمحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً قالَ يا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 161

حِسابٍ» (3: 35-/ 37).-/ «وَ إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفاكِ عَلى‏ نِساءِ الْعالَمِينَ يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَ اسْجُدِي وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ» (3: 43) (وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا وَ صَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها وَ كُتُبِهِ وَ كانَتْ مِنَ الْقانِتِينَ» (66: 12) وهكذا الى: 35 مرة تذكر في سائر القرآن!.

المسيح في القرآن‏

إنه عبد اللّه ونبيه-/ جعله مباركا أينما كان عبر الأصلاب والأرحام وعبر حياته النيرة (19: 30-/ 32) وَلَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ» (4: 172) وانما مقالته وحالته طول حياته «إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ» (3: 51) و «إِنَّ مَثَلَ عِيسى‏ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» (3: 59) (إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنا عَلَيْهِ وَ جَعَلْناهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرائِيلَ» (43: 59) (وَ إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قالَ سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَ لا أَعْلَم.

و هو واحد من اولي العزم الخمس: «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَ الَّذِي‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 162

أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَ ما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى‏ وَ عِيسى‏ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ..» (42: 12) وكتابه الإنجيل: (3: 3 و 48 و 5: 46) وقد سماه اللّه بالمسيح «وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى‏ مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ» (4: 171) وهو من شهداء الأعمال يوم القيامة» (4: 159) و (5: 187) (وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَ الآْخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ» (3: 45) ومن المصطفين المجتبين الصالحين» (3: 33 و 6: 86-/ 87) وقد علمه الله الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل» (3: 48) وكان مبشرا برسول يأتي من بعده اسمه أحمد صلى الله عليه و آله (3: 48) (وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ وَ ما قَتَلُوهُ يَقِيناً. بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ..» (4: 157-/ 158) وسيؤمن به أهل الكتاب قاطبة قبل موته:

«وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ..» (4: 159) والى (11) مرة عيسى (25) مرة المسيح المذكورة في سائر القرآن، وتربوا مرة واحدة على امه الطاهرة مريم عليها السلام!.

«وَ السَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا» (33).

هنا في مثلث الولادة والموت وبعثه حيا بعد الموت دلالة شاملة على كيانه الإنساني فالرب لا يولد ولا يموت حتى يبعث حيا، وفي «يَوْمَ أَمُوتُ» دلالة على نكران صلبه‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 163

فإنه قتل وليس موتا، ودلالة ثانية أنه يموت ولا يبقى حيا كما اللّه خلاف ما يهرفونه!.

وسلام يوم يموت عن أية وصمة او لعنة، خلاف ما اختلقه عليه جماعات من المسيحيين: أنه صلب وبصلبه لعن تحملا عن لعنة سريعة الناموس، ما يتقولونه عليه أنه أبطل شريعة العمل وحصر الشريعة في عدة عقائد خرافية، وما لعنة الصليب عندهم إلا فداء عما اقترفه المذنبون من أمته هتكا لشريعة الناموس! .. وسلام «يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا» عن كل وصمة إلا سمة العصمة والطهارة القمة! «أُبْعَثُ حَيًّا» في عيسى عليه السلام ك «يُبْعَثُ حَيًّا» في يحيى يدل على أنه ممن شاء اللّه ألا تأخذه الصعقة الموت حين البعث كما قدمناه في يحيى عليه السلام.

و من قبل كان مثلث السلام على يحيى المبشر بالمسيح عليه السلام كما «و برا بوالدي» كتقدمه للمسيح أن ليس هو المسيح فقط برا بوالدته بل والمبشر به بر بوالديه!.

و ترى إن «سلام» في ذلك المثلث من المسيح على نفسه، فيتفضل يحيى عليه إذ اللّه هو المسلم عليه؟ كلا! حيث المسيح وهو في المهد صبي ليس كلامه الخارق إلا وحيا من ربه ف «سلام علي» يعني سلام اللّه علي وكما اوحى اللّه الي، ان اللّه سلمني ويسلمني في مثلث الزمان من كل ما لا يناسب ساحة رسالة سامية. ف «سلام» من «السلام» على المسيح «السلام» عليه السلام دونما قيد او شرط إلّا: «إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 164

وَ جَعَلَنِي مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ وَ أَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا وَ بَرًّا بِوالِدَتِي وَ لَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًّا»!. ذلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34).

اعني «قَوْلَ الْحَقِّ» فيه لا نفسه «الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ» لا ذاك، فرغم أن المسيح واحد كونا، هو متناقض كيانا حسب القرآن والعهدين واين مسيح من مسيح!.

ما كانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحانَهُ إِذا قَضى‏ أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (35) وَ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ (36).

«ذلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ..» و «ما كانَ لِلَّهِ ..» جملتان معترضتان تبعد كيان المسيح عما تقولوا عليه ثم «وَ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي ..» هو البند التاسع من كلام المسيح عليه السلام في المهد صبيا.

نجده «فَما كانَ لَهُ» في سائر القرآن نفي يضرب إلى اعماق الماضي تكوينا او تشريعا كإحالة لمدخولها، ولماذا اللّه يتخذ من ولد لنفسه حتى ولو أمكن وهو محال؟ «سبحانه» في ذاته وصفاته وأفعاله «أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ» ولادة ذاتية ام تشريفية اماهيه، ف «من» جنس و «ما كان» ينفي ذلك الجنس أيا كان ولماذا؟ حيث «إِذا قَضى‏ أَمْراً» عاديا ام خارقا العادة «فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» وقوله هنا فعله بإرادته، والمخاطب تكوينا قد يكون شيئا يتحول الى شي‏ء أخر عاديا كسائر الولادات، ام خارق العادة كما في‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 165

آدم‏المسيح، ام لا يكون شيئا فعليا كالمادة الأولية وأول ما خلق اللّه فهنا المخاطب غيره هناك، حيث التكوين هنا إيجاد لا من شي‏ء، لا من لا شي‏ء، كما أنه هناك ايحاد من شي‏ء، والأشياء بجنب الإرادة التكوينية ثلاثة:

1-/ لا شي‏ء بالفعل، وبالإمكان أن يوجد شيئا، فبعلاقة الأول يسمى قبل شيئه شيئا.

3-/ شي‏ء يجوز تحويله الى غير شيئه عاديا ام خارق العادة وهو الشي‏ء حقيقة، وأما المستحيل ذاتيا فليس يسمى شيئا حتى تتعلق به القدرة و «إِنَّ اللَّهَ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ» من تلكم الثلاث «قدير» لا على اللاشي‏ء الذي لا يستحق الشيئية ولا تمكن فيه الشيئية ذاتيا! «1».

فكلما أن اللّه تعالى قضى خلق آدم من تراب دون أب وأم، كذلك قضى خلق المسيح دون أب مع ام وهو أهون عليه و «إِنَّ مَثَلَ عِيسى‏ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» (3: 59).

إن الحاجة الى الولد تنسيلا من الوالد مستحيلة على اللّه إذ لا أجزاء له، وإلى اتخاذ الولد خروجا عن الوحدة، وسندا في الوحشة مستحيلة لعدم الحاجة، فلما ذا يتخذ ولدا سبحانه وهو مستحيل على ساحته ذاتيا وفي صفاته وفعاله؟ «إِذا قَضى‏ أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع ج 29 من الفرقان-/ كلام في القدرة من اوّل سورة الملك‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 166

كُنْ فَيَكُونُ»!.

«وَ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ ..» تشبه الآية الإنجيلية «اني ذاهب الى آبي وأبيكم ..»:

خالقي‏خالقكم، ولكنهم تغامضوا عن مد الآب حيث يعني الخالق في لغته اليونانيةفسروه بالأب، وقد جيئت بنصها في آل عمران والزخرف!. إذا فهي معطوفة على «إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ..» والايتان قبلها معترضتان، وأصبحت البنود التسعة من كلامه اعترافا بعبوديته بداية «إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ..» ونهاية «وَ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ» خير بدايةخير ختام «متى أرسل بالإنجيل وصار نبيا؟» أترى بعد ذلك كله ان المسيح عليه السلام آتاه اللّه الإنجيل وجعله نبيا وهو في المهد صبيا؟ ولم تنقل عنه ولا شطر كلمة رسالية حين صباه الى كهولته إلا هذه المعرفة لكيانه الرسالي والذائدة عن امه الطاهرة؟ ان تكليمه الرسالي بداية وهو في المهد-/ ومن ثم منذ الكهولة حتى صعوده «وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا وَ مِنَ الصَّالِحِينَ» (3:

46) (إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا ..» (5: 110).

فقد كان مؤيدا بروح القدس إذ يكلم الناس في المهد وكهلا، ولم يقل من المهد الى الكهولة، وانما «فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا ..» مما يختص تكليمه في الحالين دون ما بينهما، فتكليمه في المهد يكرس أنباء رسالته كهلا ويذود عن امه وقد سئل الرسول (صلّى اللّه عليه‏آله و سلم) «فما شأنك لم تتكلم بالحكمة حين خرجت من بطن أمك كما تكلم عيسى بن مريم‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 167

على زعمك وقد كنت نبيا قبل ذلك؟ فقال النبي صلى الله عليه و آله: إنه ليس أمري كأمر عيسى بن مريم ان عيسى بن مريم خلقه اللّه عز وجل من أم ليس له أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم ولو ان عيسى حين خرج من امه لم ينطق بالحكمة لم يكن لامه عذر عند الناس وقد أتت به من غير أب وكانوا يأخذونها كما يؤخذ مثلها من المحصنات فجعل اللّه عز وجل منطقه عذرا لأمه» «1».

فقد «كان يومئذ نبيا حجة لله غير مرسل» «2»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 3: 336 ح 76 في كتاب علل الشرايع عن وهب اليماني قال: ان يهوديا سأل النبي صلى الله عليه و آله فقال: يا محمد! كنت في ام الكتاب نبيا قبل ان يخلق آدم عليه السلام؟ قال: نعم-/ قال: وهؤلاء أصحابك المؤمنون مثبتون معك قبل ان يخلقوا؟ قال: نعم-/ قال: فما شأنك ..» أقول يعني به ثبوت النبوة في علم اللّه وفي الايمان به من النبيين اجمع قبل ان يخلق ويبعث، فعلى هذه السابقة الشريفة المنقطعة النظير فما شأنك .. وقد بحثنا عن نبوءته قبل رسالته في «الضحى» نبوءة ونبوة غير ظاهرة الرسالة، لم يؤمر بها قبل الأربعين كما لم يوح اليه القرآن قبله‏

(2). المصدر 333 ح 66 في اصول الكافي باسناده الى أبي جعفر الكناسي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام أكان عيسى بن مريم حين يكلم في المهد حجة اللّه على اهل زمانه؟ فقال: كان يومئذ نبيا حجة للّه غير مرسل اما تسمع لقوله حين قال: اني عبد اللّه آتاني الكتاب وجعلني نبيا و جعلني مباركا أينما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا» قلت: فكان يومئذ حجة اللّه على زكريا في تلك الحال وهو في المهد؟ فقال: كان عيسى في تلك الحال آية للّه ورحمة من اللّه لمريم حين يكلم فعبر عنها وكان نبيا حجة على من سمع كلامه في تلك الحال، ثم صمت فلم يتكلم حتى مضت له سنتان وكان زكريا الحجة للّه عز وجل بعد صمت عيسى بسنتين ثم مات زكريا فورثه ابنه يحيى الكتاب والحكمة وهو صبي صغير اما تسمع لقوله عز وجل «يا يَحْيى‏ خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ وَ آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا» فلما بلغ سبع سنين تكلم بالنبوة والرسالة حين اوحى اللّه اليه فكان عيسى الحجة على يحيى وعلى الناس أجمعين وليس تبقى الأرض يا أبا خالد يوما واحدا بغير حجة للّه على الناس منذ يوم خلق اللّه آدم عليه السلام واسكنه الأرض»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 168

حيث تنبأ بنبإ الوحي ولما أرسل بكتاب، وما كلامه عن كتابه ووصيته بالصلاة والزكاة ما دام حيا وبرا بوالديه، إلا انباء لمستقبل أمره، فكتابه الرسالي هو منذ كهولته، وصلاته و زكاته وبره منذ بلوغه او غلمته واما عبوديته للّه فمنذ ولادته.

و لو كان رسولا حجة على الخلق أجمعين منذ تكلّمه في المهد لكان حجة على زكريايحيى، وإنما «كان في تلك الحال آية لله ورحمة من الله لمريم حين يكلم فعبر عنها و كان نبيا حجة على من سمع كلامه في تلك الحال» (2) دون الخلق أجمعين فضلا عن زكريا ويحيى! وهذه الكرامة الالهية للمسيح تفسح مجالا لتصديق كرامات اخرى لآخرين من أولياءه الصالحين كما للبعض من أئمتنا المعصومين في مظاهر أمرهم‏ «1» وان‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 3: 334 ح 67-/ عن اصول الكافي عن صفوان بن يحيى قال قلت‏للرضا عليه السلام قد كنانسألك قبل ان يهب اللّه لك أبا جعفر فكنت تقول: يهب اللّه لي غلاما، فقد وهب اللّه لك فقر عيوننا فلا أرانا اللّه يومك فان كان كون فالى متى؟ فاشار بيده الى أبي جعفر عليه السلام وهو قائم بين يديه فقلت: جعلت فداك هذا ابن ثلاث سنين! قال: وما يضره من ذلك شي‏ء قد قام عيسى عليه السلام بالحجة وهو ابن ثلاث سنين وفي نقل آخر عنه عليه السلام: ان اللّه تبارك وتعالى بعث عيسى ابن مريم رسولا نبيا صاحب شريعة مبتدأة في أصغر من السن الذي فيه ابو جعفر عليه السلام.

أقول: الرسالة الفعلية للمسيح عليه السلام منذ ثلاث من عمره لا يصدقها تاريخ رسالته ولا القرآن، بل و «كهلا» في آيتيه لعله يعارضها، اضافة الى الحديث السابق حيث بدء رسالته من السبع، فلا يصدق من هذه الروايات الا ما يصدقه القرآن او لا يكذبه واللّه اعلم‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 169

كان كلهم اصحاب هذه الكرامات منذ ولادتهم!

فَاخْتَلَفَ الْأَحْزابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (37).

اختلفوا في كل من هذه البنود الثمانية، في-/ 1-/ عبوديته-/ 2-/ وكتابه-/ 3-/ ونبوته-/ 4-/ و بركته-/ 5-/ وصلاته وزكاته-/ 6-/ وبره بوالدته 7-/ وان لم يكن جبارا شقيا!-/ 8-/ السلام عليه.

ففي كونه عبدا وهو أهم كونه اختلفوا من بينهم بين مثلثين‏ «1» ومريميين ثنوية «2» او مثلثين‏ «3» ومؤلهي المسيح كإله واحد «4»، غضا عن الوهية اللّه وموحدين حقيقيين‏قليل ما هم‏ «5» وكما اختلفوا في ولادته وحياته وموته، وفي كتابه وشريعته أما ذا من كيانه‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى‏ مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ فَ‏آمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَ لا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلهٌ واحِدٌ سُبْحانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ كَفى‏ بِاللَّهِ وَكِيلًا» (4: 171)

(2). (وَ إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ...» (5: 116)

(3). في اللاهوت العقائدي ج 2 ص 108 لمؤلفه لوديغ اوث «ان مريم هي حقا ام اللّه تقول‏الكنيسة في قانون الرسل بان ابن اللّه ولد من مريم العذراء فهي ام اللّه من حيث هي ام ابن اللّه‏

(4). (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ..» (5: 72) (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ» (5: 73)

(5). هم الثلثان من أعضاء نيقية الموحدون حيث اضطهدوا بالثلث غير الموحدين ويأتي تفصيله‏بطيات آياته‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 170

وامه!.

«فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا» عن القول الحق في المسيح عليه السلام «مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ» اوّله يوم الرجعة حيث ينزل المسيح عليه السلام وثانيه يوم الموت، وثالثه يوم القيامة و هي ايام اللّه وان كان الأخير أعظمها!-/:

أَسْمِعْ بِهِمْ وَ أَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنا لكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (38).

«يَوْمَ يَأْتُونَنا» فرادى و «يَوْمَ يَأْتُونَنا» جماعات يومي الموت والقيامة الكبرى «أَسْمِعْ بِهِمْ وَ أَبْصِرْ»: ما أسمعهم وأبصرهم بالحق فيهما بعد ما عاشوا صما وبكما في الظلمات يوم الدنيا، فلا ينفعهم ما يسمعون من الحق وما يبصرون إذ قضى الأمر ولات حين مناص، فليقولوا حاسرين «رَبَّنا أَبْصَرْنا وَ سَمِعْنا فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ» (32: 12) (لكِنِ الظَّالِمُونَ» إذ ظلموا في صممهم وعما هم عامدين «الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ» في ضلال هناك نتيجةَ ضلالهم هنا عن رحمة اللّه، فقد تناسوا في اليوم الأول غده ثم ليس لليوم الآخر غد يقدمون له!.

ثم الحق الذي يسمعونه ويبصرون هو كل الحق، ما تركوه وكذبوا به، وما خلّفه تكذيبهم، حيث السمع والبصر هنالك حديد: «لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» (50: 32).

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 171

حالة هؤلاء الظالمين النكدة، إذا ف «اسمع» جامعة هنا بين الأمر وأفعل التعجب، ولا يعني العجاب هنا إلا أنه موضعه لمن يعجب دون اللّه سبحانه فانه ليس ليعجب!.

وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ وَ هُمْ لا يُؤْمِنُونَ (39).

«يَوْمَ الْحَسْرَةِ» هو يوما الموت والقيامة الكبرى حسرة على الظالمين: «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتى‏ عَلى‏ ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ» (39: 56) (كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النَّارِ» (2: 167) (حَتَّى إِذا جاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قالُوا يا حَسْرَتَنا عَلى‏ ما فَرَّطْنا فِيها» (6: 31) لذلك فهو لهم «يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ» أمر التكليف ومجال التوبة عما أترفوا فيه، فلا حسرة عما مضى إن كان هنالك انجبار يصلح ما يأتي.

و قد يعني يوم الحسرة هنا فقط يوم الموت «وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ وَ هُمْ لا يُؤْمِنُونَ» حيث البرزخ ليس يوم الغفلة ولا يوم الايمان حتى يندّدوا بعدم الايمان، اللهم الا لمن يجمع يوميه ظالما وهو الذي يموت بالنفخة الاولى ويحيى بالثانية وهم قلة قليلة امام جمع الظالمين المحشورين، فمهما كان يوم القيامة الكبرى هو يوم الحسرة الكبرى ولكن «وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ وَ هُمْ لا يُؤْمِنُونَ» يختصه هنا بالقيامة الصغرى، اللهم إلّا ان يعتبر اليومان واحدا هما «يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ» ف «هُمْ فِي غَفْلَةٍ وَ هُمْ لا يُؤْمِنُونَ» يعني بداية يوم‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 172

الحسرة وهو القيامة الصغرى، وقد يعني «إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ»-/ فيما يعني-/ قضاء امر الموت‏ «1»

لأهل الجنة تماما، ولأهل النار ما داموا هم في النار.

إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَيْها وَ إِلَيْنا يُرْجَعُونَ (40).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 4: 371-/ اخرج سعيد بن منصور واحمد وعبد بن حميد والبخاري‏و مسلم‏الترمذي والنسائي وابو يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حيان وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: إذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال:

يا اهل الجنة! هل تعرفون هذا؟ فيشرفون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم يقال يا اهل النار هل تعرفون هذا فيشرفون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيؤمر به فيذبح فيقال يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت ثم قرأ رسول اللّه صلى الله عليه و آله «وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ» وأشار بيده‏قال: اهل الدنيا في غفلة» وفي تفسير القمي ابو ولاد الحناط عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: سئل عن قوله «وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ» قال:-/ وذكر مثله الى قوله: ثم يقال: يا اهل الجنة خلود فلا موت ابدا ويا اهل النار خلود فلا موت ابدا وهو قوله عز وجل: «وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ» اي: قضي على اهل الجنة بالخلود فيها وقضي على اهل النار بالخلود فيها.

أقول: يختلف الخلودان والأبدان في الخلودين في الحديثين، فالخالدون في الجنة لا يموتون ابدا فانها «عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ» والخالدون في النار منهم من يخرج الى الجنة فلا يموت كسائر اهل الجنة، ومنهم من يظل في النار ما دامت النار فلا موت إذا في النار، واما الفناء بفناء النار فلا ينافي الخلود ولا أبده في النار، فأبد الخلود في النار يقدر بقدر ابد النار كما الجنة بالجنة-/ راجع ج 30 تفسير قوله تعالى «لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً» وسورة الاسراء من هذا التفسير ففيه بحث فصل حول الخالدين في النار

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 173

تأكيدات اربع «ان-/ نا-/ نحن-/ نرث» تدليلا صارما على وراثة الأرض ومن عليها للّه الواحد القهار، ومن ثم «وَ إِلَيْنا يُرْجَعُونَ».

بشارة من المسيح (ع) بأحمد (ص)

وَ إِذْ قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يا بَنِي إِسْرائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراةِ وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جاءَهُمْ بِالْبَيِّناتِ قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ:

آية بينة عديمة النظير في القرآن من حيث البشارة الصريحة التي تحملها عن السيد المسيح عليه السلام، تؤيدها عشرات من آيات البشارات العامة في القرآن، وفي سائر كتابات الوحي، تنقبنا عنها في مؤلفنا الخاص بها «1».

و مما يجلب النظر في هذه الآية أنها تحصر رسالة السيد المسيح في مهمتين اثنتين أو أنهما من أهمها: تصديق التوراة، التبشير بخاتم النبيين، وفي الحق لم تكن الرسالة الإنجيلية مستقلة عن شريعة التوراة، وكما يصرح في آيات أنه بعث بشريعة التوراة وزيادات‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). رسول الإسلام في الكتب السماوية وهو يضم تسعة وخمسين بشارة من الكتب السماوية بصورة المناظرة مع علماء أهل الكتاب، ولقد بشر فيها ب: «أحمد-/ محمد-/ بمئد مئد-/ قدوس» كما ذكر مولده وصفاته ودعوته وسائر ميزاته‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 174

أخلاقية وتحليل بعض ما حرّم على اليهود تأديبا «1» ثم البشارة الأحمدية-/ التي يلمح لها في الإنجيل ببشارة الملكوت-/ هي المهمة الثانية، طالما هي الاولى في الدعوات الرسالية لأنها الأساس في الرسالات الإلهية من آدم إلى السيد المسيح ومن بينهما.

و بما ان التبشير هو الاخبار السارّ، وليس مجي‏ء رسول بذهاب آخر بشرى سارة إلا إذا كان أفضل منه، وشريعته أكمل من شريعته، فآية البشارة هذه تفضل المبشَّر به على المبشِّر، وكما ان «أحمد» في نص البشارة تدل على ذلك: انه أحمد وأفضل مَن المسيح‏من قبله من حملة الرسالات.

«و» أذكر بين ذكريات الرسالات المعرقلة من قبل المناوئين، والبشارات المكذوبة بهم «إِذْ قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» وطالما النبيون وغيرهم لا يذكرون بنسبة الآباء والأمهات في القرآن، لأن بناء شخصية الإنسان ما يتبناه هو لا سواه، نرى السيد المسيح ينسب إلى امه، لا لإثبات شخصية روحانية له من قبلها، وإنما لإثبات آية خارقة إلهية هي ولادته دون أب، وللذود عن ساحة مريم عليه السلام إذ نسبت إلى الزنا، فليس المسيح ابن رجل لا حلالا ولا حراما، إنما ابن باكرة طاهرة! إِذْ قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يا بَنِي إِسْرائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ولا تعني «إليكم» تخصيص الرسالة الإنجيلية ببني إسرائيل، وإنما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع سورة الجن في الآية «إِنَّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى‏»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 175

هم المحور والمنطق الأول لهذه الرسالة، يجب أن تتخطاهم إلى العالم كله، كما تناصرت بذلك الآيات القرآنية والإنجيلية سواء «مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراةِ» لا «ما بَيْنَ أَيْدِيكُمْ» فأين ما بين أيديهم من التوراة المحرفة: «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ» (2: 79)، أين هو مما بين يدي المسيح من خالص وحي التوراة: «إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هادُوا وَ الرَّبَّانِيُّونَ وَ الْأَحْبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللَّهِ» (5: 44) وإن كان فيما بين أيديهم الشي‏ء الكثير مما بين أيدي السيد المسيح، وبذلك يحتج عليهم، وبذلك يستقر بهم الى دعوته.

وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ:

الأفعل والمفعّل من مادة الحمد، أو أية مادة، يفسران بمعنى واحد رغم اختلاف الصيغة، و إن كان أحمد أفضل بحكم (أفعل) ومن القريب ان اسم المبشر به على لسان السيد المسيح كان (أحمد) ثم يوحنا الذي ألف انجيله باللغة اليونانية، ترجمه إلى ما يفيد معناه في لغة (بيركلتوس).

هذا-/ وإن كان المحرفون الكنسيون حرفوا (بيركلتوس) أيضا إلى (باراكلتوس) ليحولوا محمدا إلى المسلّي، ولكنما ألفاظ البشارة نفسها تنأبى إلا أن تكون بشارة برسول‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 176

بعد السيد المسيح عليه السلام هو أعظم منه وأكمل-/ كما وأن البشارة لغويا تلمح بأنه أكمل منه وممن قبله أيضا، فهو إذا رسول، لا روح القدس الذي كان معه، وهاكم نص البشارة حسب الأصل السرياني المترجم عن الأصل اليوناني:

في يوحنا 14: 16 (و أنا بت طالبن من ببي وخين پارقليطا بت يبل لو خون هل أبد).

(و أنا أطلب من الآب (الخالق) فيعطيكم (بيركلتوس) آخر ليمكث معكم إلى الأبد-/ روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم).

و في يوحنا 15: 26 (إين إيمن دأتي پارقليطا هود أنا شادو رون لكسلو خون من لكس ببّي روخاد سر ستوتا هود من لكس ببّي پالت هو بت يبل سهدوت بس ديّى).

(و متى جاء (بيركلتوس) الذي سأرسله أنا إليكم من الآب (الخالق) روح الحق من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معي من الابتداء).

و في يوحنا 16: 7-/ 15 (إلا أن سر ستوتا بمرون إلّو خون وصپايلا قتوخون دأن لا أزن سبب د أن لا أزن پارقليطا لي أتى «لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن انطلق.

لأنه إن لم انطلق لا يأتيكم (البيركلتوس)، ولكني ان ذهبت أرسله إليكم، ومتى جاء

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 177

يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة. أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي. وأما على بر فلأني ذاهب إلى خالقي ولا ترونني أيضا. وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين: ان لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ويمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم. كل ما للأب هو لي، لهذا قلت انه يأخذ مما لي ويخبركم» «1».

ان (بيركلتوس) هنا وهناك، نصا ومواصفات، لا تنطبق إلا على الرسول الأقدس (أحمد) محمد بن عبد اللّه صلى الله عليه و آله مهما حاول المحولون المحرفون الكلم عن مواضعه، ان يحرفوها عنه صلى الله عليه و آله فالحق يتجلى كالشمس بين ظلمات الأباطيل وزخرفات الأقاويل.

و لقد صرح بعض الخبراء باللغة اليونانية من المستشرقين‏ «2» ومعهم بعض الكتاب‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نقل الترجمة عن اللغة اليونانية سنة 1906-/ الكتاب المقدس-/ ونحن نقلناها هنا حرفيا إلا ترجمة البار قليطا، والترجمة هنا تزيد عن الأصل السرياني، إذ المقصود من نقل الأصل الإشارة إلى نص «بار قليطا» وإلا فالأصل الأولي يوناني، وقد ترجمنا «الآب» ب «الخالق» حسب ما تعنيه في اللغة اليونانية خلاف الترجمات الإنجيلية التي تطلب من (الآب) أن يكون (الأب) لكي يصبح المسيح ابنه‏

(2). كالدكتور (كارلونلينو) المستشرق الطلياني إذ يسأله فتحي عثمان-/ كما في كتابه (مع المسيح‏في الأناجيل الأربعة ص 348) قلت له: ما معنى بيركلتوس؟ فأجابني بقوله: ان القسس يقولون معناها المعزي، فقلت: إني اسأل الدكتور (كارلونلينو) الحاصل على شهادة الدكتوراه في آداب اللغة اليونانية القديمة، فقال: ان معناه: الذي له حمد كثير، فقلت: هل ذلك يوافق أفعل التفضيل حمد؟ فقال: نعم-/ فقلت ان رسول الإسلام من أسمائه احمد!

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 178

المسيحيين المبشرين‏ «1» ان (بيركلتوس) اليونانية تعني: الذي له حمد كثير: (أحمد-/ محمد)، مهما حاول الآخرون أن يجعلوها (باركلتوس) لكي تعنى المسلي حتى يتخلصوا عن محمد الرسول صلى الله عليه و آله ويتسلوا إلى روح القدس المزعوم الذي يوحي لهم كما يشتهون، فيصبحوا أنبياء يوحي الكنيسة من الروح، إلا أن تواجد الاولى في الترجمات الإنجيلية قبل الإسلام، ثم تحرّفها إلى الثانية بعد الإسلام مما يكشف عن مدى ميدهم عن حق البشارة إلى باطل يهوونه، غلطة عامدة تجرهم إلى غلطات.

و مما يدلنا تاريخيا ان المبشر به هنا نبي بعد السيد المسيح لا روح القدس المسلي دعوى جماعة من المسيحيين انهم (بيركلتوس) الموعود المنتظر «2».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1)

. كعبد المسيح في ينابيع الإسلام ص 152 حيث يقول: زعم العرب ان فار قليطا معرب‏بريكليطوس ولكنه من بار اكليطوس، وكالاستاذ الحداد في كتابه مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي‏

(2). يقول وليم ميور في كتابه لب التاريخ ط 1848-/ ان «منتنس المسيحي الذي كان رجلا تقيا شديد الرياضة ادعى في آسيا الصغرى اني فارقليط موعود المسيح الذي تنتظرونه فآمن به طائفة منهم، ويقول أيضا: ان اليهود والنصارى زمن محمد كانوا بانتظار النبي الموعود فار قليطا فاتخذه محمد ظرفا صالحا للادعاء اني أنا فار قليطا موعود المسيح.

و في التواريخ والآثار: انه لما كتب الرسول محمد صلى الله عليه و آله كتاب الدعوة إلى الإسلام للنجاشي، انه لما وصله الكتاب قال: أشهد باللّه انه هو النبي الذي ينتظره أهل الكتاب وكتب في جوابه: أشهد انك رسول اللّه صلى الله عليه و آله‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 179

و من ثم مواصفات المبشر به في آياتها تحيل أن يكون هو روح القدس المسلي، فإنه:

(بيركلتوس آخر) (يوحنا 14: 16) وروح القدس واحد ليس معه ولا بعده آخر، فانما هو نبي آخر، حيث الحمد الكثير يحمله النبيون أجمع فهم كلهم معنويا: (بيركلتوس):

أحمد، وإن كانوا في ذلك درجات، ثم النبي الآخر له من معناه النصيب الأوفر، لحدّ خص باسمه دونهم (أحمد-/ محمد) مهما شاركوه في درجات أدنى من معناه: الحمد الكثير!

و لئن سئلنا لماذا بشر بأحمد؟ ومحمد أشهر! فالجواب: ان (بيركلتوس) اسم وصفي عني به محمد وصفا في: (بيركلتوس آخر): نبي آخر، فان النبيين كلهم محمّدون أوصافا إذ يحملون الحمد الكثير، مهما حمله محمد الأخير اسما ووصفا وكما في نص سليمان عليه السلام (و كولو محمّد يم): وكله محمد: اسما ووصفا وخلقا ودينا وفي كل شي‏ء «1»، ثم‏عني به أحمد في سواه‏ «2» إذ قصد تفضيله على السيد المسيح وسواه كما في النص الثالث الآتي شرحه، فأحمد هو الأفضل إطلاقا في حمل الحمد، وكما هو حامل لواء الحمد يوم القيامة.

و مما يفضل به هذا المحمد الآخر انه الأخير من مواكب الرسالات الإلهية أيضا:

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). في نشيد الأناشيد 5: 15 (حكو ممتقيم وكولو محمد يم زه دودي وزه رعى بنت يرشالام، أي: فمه حلو وكله محمد هذا محبوبي وهذا ناصري الذي يرعاني يا بنات أورشليم‏

(2). إذا فلا يتم في «احمد» رغم ما يتقوله الأستاذ حداد في (مدخل إلى الحوار الاسلامي‏المسيحي) بقوله: اسم النبي العربي في القرآن هو محمد كما يرد في أربع آيات: (3: 144) (33: 40) (47: 2) (48: 29) لذلك فوروده بلفظ احمد مرة يتيمة مشبوه ولا يعرفه الواقع التاريخي‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 180

«فيعطيكم بيركلتوس آخر ليمكث معكم إلى الأبد» (يوحنا 14: 16) ف (كم) هنا لا يعني-/ ومحال أن يعني-/ الجماعة المخاطبين زمن المسيح فقط، إذ لم يكونوا مؤبدين بأشخاصهم، وكما أن أبدية المحمد الآخر هي أبدية الشخصية الرسالية لا الشخص، فهو خاتم النبيين.

و سمة أخرى ل (بيركلتوس) يعنى فيها (أحمد) «انه خير لكم أن أنطلق لأنه ان لم انطلق لا يأتيكم (بيركلتوس)» فهل ان روح القدس خير من السيد المسيح حتى يصبح ذهابه لمجي‏ء الروح خيرا لهم؟ أم وإذا كان خيرا منه، أينفصل عنه ولحد استحالة الجمع بينهما؟ «إن لم انطلق لا يأتيكم» وهذه تصريحة بينة ان المبشر به كائن مستحيل الاتصال بالسيد المسيح، وإذا كان هو روح القدس المتصل بالنبيين أجمع، استحالت نبوة السيد المسيح، فالذين يحاولون في تحويل أحمد إلى روح القدس، انهم يحيلون نبوة السيد المسيح في الوقت ذاته، إذ أحال المسيح مجي‏ء (بيركلتوس) لو لم يذهب هو، وجنّد ذهابه لمجي‏ء (بيركلتوس) فهل هو إذا روح القدس ملازم النبيين، وملازم السيد المسيح طوال رسالته؟! إنه أفضل من السيد المسيح إذ اعتبر ذهابه خيرا لغاية مجي‏ء (بيركلتوس) لأنه (أحمد) أفضل منه محامد وممن سواه، فليكن من أفضل أولى العزم من الرسل، ومن شهود هذه الأحمدية: «و لكن متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق» (يوحنا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 181

16: 13) مما يوحي أن السيد المسيح لم يرشد إلى جميع الحق، ولأن حامل هذا الإرشاد الشامل، شرطه أن يحمل الحمد الشامل:

أن يكون (أحمد) ليرشد العالم مع الأبد إلى كل خير، كما وأن لفظ البشارة (أحمد) يوحي بهذه الأفضلية الأحمدية.

لذلك، وأن المبشر به يحمل الرسالة الأخيرة التي هي الرسالات كلها وزيادة نرى السيد المسيح يردد تأكيده به في توصيات: «الآن قلت لكم قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون» (يوحنا 14: 29).

و أنه يعتبر حفظ وصاياه من شروط مجي‏ء (بيركلتوس): «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي. وأنا أطلب من الخالق فيعطيكم (بيركلتوس) آخر ليمكث معكم إلى الأبد» (يوحنا 14: 15-/ 16).

و لقد عبر عن أحمد في نص يوناني آخر ب (ايودكيا) كما في (لوقا 3: 14):

«و ظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماويين يسبحون اللّه ويقولون: الحمد للّه في الأعالي وعلى الأرض (إسلام) وللناس (احمد)، رغم ان التراجم تقول:

«و على الأرض السّلام للناس الذين بهم المسرة» وكما هو دأبهم في تحريف الترجمات عن البشارات المحمدية.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 182

(إسلام واحمد) حسب الأصل اليوناني واقعيا ولغويا.

واقعيا لأن الأرض لا تحمل السّلام التام ما دام فيها تضارب العقائد والأحكام.

فهذا هو السيد المسيح عليه السلام يقول عن سلام الأرض: «ما جئت لألقي سلاما على الأرض بل سيفا» (متى 10: 34) (جئت لألقي نارا على الأرض أتظنون أني جئت لألقي سلاما؟ كلا! أقول لكم بل انقساما» (لوقا 12: 53).

إذا ف (ايريني) على الأرض ليس سلامها، وإنما هو إسلامها الذي سوف ينتهي إلى سلامها التام في دولة القائم المنتظر عليه السلام: ملكوت اللّه الذي يلتمسه المسيحيون في صلواتهم ليل نهار، والملائكة تعني بهذا الهتاف ان (أحمد) سوف يؤسس الإسلام على الأرض فيشملها كما الحمد للّه شامل في الأعالي.

و لغويا: الحق ان (ايودكيا) مركبة من (ايو-/ دكيا) ايو بمعنى: حسن، جيد، صالح، مرحي، حقيقي، حسن ملاحة-/ و (دوكيا) لم نجدها هكذا في كتب اللغة وإنما (دو كوئه) أي: الحمد، الاشتهاء، الشوق، الرغبة، البيان، الفكر، ثم الصفات المشتقة من (دوكسا):

وهي، حمد، محمود، ممدوح، نفيس، مشتهي، مرغوب، مجيد، والمركب من هذين هو «محمدأحمد».

كما وان الأصل العبراني (شلم حمد) هو الإسلام وأحمد، لا السّلام والمسرة، وإن كان‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 183

الإسلام وأحمد سلاما ومسرة للمؤمنين‏ «1».

هذان الأحمدان طرف من البشارات الإنجيلية بجنب العديد من البشارات المحمدية في التوراة والإنجيل نتحدث عنها في طيات آياتها إنشاء اللّه تعالى ومنها ما في كتاب أشعياء (42: 10) (يسبحون الرب تسبيحا جديدا ويبقى أثر سلطانه بعده واسمه (أحمد)» «2».

هكذا يترجم الآية القسيس أو سكان الأرمني، بعد الآيات السابقة لها، المبشرة برسالة عالمية من نسل قيدار بن إسماعيل، وأحمد صلى الله عليه و آله من ولده.

و هكذا يبشر السيد المسيح بني إسرائيل والحواريين بالرسالة الأحمدية المحمدية، مفضلا له على نفسه وسواه، وانه يستقل بشريعة عالمية خالدة فيها تبيان كل شي‏ء:

كما بشر به النبيون من قبل:

فَلَمَّا جاءَهُمْ بِالْبَيِّناتِ قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ: بينات فيما بشر به من اسمه وسماته وصفاته، آيات بينات في كتابه تبين بوضوح انه من عند اللّه العزيز الحكيم، وبينات في تشريعاته وتصرفاته، بحيث أصبح كله بينات، ولكنهم لحقدهم العصيب «قالُوا هذا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع كتابنا (رسول الإسلام في الكتب السماوية) تجد فيه تفصيل القول حول «بيركلتوس» «ايريني ايودكيا»، ننقله عن الأب عبد الأحد الآشوري العراقي من كتابه «الإنجيل‏الصليب» ط القاهرة 1351، نقله عن التركية إلى العربية مسلم عراقي‏

(2). راجع (رسول الإسلام) ص 58-/ 61

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 184

سِحْرٌ مُبِينٌ» ترى كيف تكون الحقيقة إذا كانت البينات الأحمدية سحرا؟! ان صيغ البشارة بالنبي الآتي، التي نعهدها من حملة الرسالات الإلهية، تصور لنا حلقات الرسالة المترابطة، يسلم بعضها إلى بعض، وهي وحدة متماسكة في أصلها واتجاهها، مهما اختلفت في شكلياتها حسب المقتضيات، انها ممتدة من السماء إلى الأرض، وبشارة السيد المسيح ثابتة بهذا النص، سواء تواجدت في الأناجيل الحالية أم لا، ولكنها موجودة كما عرفناه وإن كان عليها سمة التحريف فإن نور اللّه لا يطفئ مهما حاول الكافرون في إطفائه.

و بشارة السيد المسيح لا تختص باسم (أحمد) وإن كانت أفضلها إذ يحمل تفضيله صلى الله عليه و آله .. فالنص «و إذ قال» مما يدل على انه من بشاراته، لا «إذ كان يقول» حتى تدل على انه كان (أحمد) دائما، بل و (محمد) أيضا.

هنا نلفت أنظار الذين يقولون: اننا مسيحيون، ثم لا يؤمنون بمحمد صلّى اللّه عليه وآله و سلّم انهم ليسوا بمسيحيين أيضا إذ رفضوا بشارته وتركوا وصيته في محمد صلى الله عليه و آله.

و أما الذين آمنوا به فهم حقا مسيحيون ومسلمون إذ آمنوا به تطبيقا لوصية السيد المسيح عليه السلام.

وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى‏ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُوَ يُدْعى‏ إِلَى الْإِسْلامِ وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ:

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 185

المفترون على اللّه الكذب فرق شتى، بين مفتر لا يعلم، ومتجاهل يعلم، وعالم لا يجهل بل يتجاهل، وإنما يفتري علما وعنادا فلا أظلم منه، ومنهم من يدعى إلى الإسلام، بحجة البشارات الصادقة لرسول الإسلام، وبسائر الحجج القاطعة للأعذار، ورغم كل ذلك يفتري على اللّه الكذب، في تكذيب رسوله المبشر به من قبل، وتكذيب رسالته التي تحمل كافة بينات الصدق، فمن أظلم منه «وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» إذ لا يريدون الهداية ويرفضون الهداة.

يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ:

نور اللّه هنا هو الرسول محمد صلى الله عليه و آله، فإنه نور الأنوار الرسالية، وهو القرآن:

«فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (7: 157) (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ» (9: 32).

و الفرق بين «ليطفئوا» و «أن يطفئوا» أن في الأول الإرادة واجهة لأمر يتوصلون به إلى إطفاء نور اللّه، كنكران البشارات، وتسحير المعجزات، ولكي يطفأ النور المحمدي، وفي الثاني القصد إلى إطفاء نور اللّه بالقضاء على النبي ودعوته قصدا بالذات.

إبقاء نوره وإتمامه، وكما نرى البشارات المحرّفة بأيدي الدس والتحريف، انها تدلّ على‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 186

تحرّفها، وتدلّ من خلاله دلالات بيّنة على صاحب الرسالة السامية محمد صلى الله عليه و آله وتفضح المحرفين، فالذين حوّلوا (بيركلتوس): أحمد-/ إلى (باركلتوس): المسلي، لكي يحوّلوه عن أحمد الرسول إلى مسلي الروح، فهل باستطاعتهم تحويل صفاته وسماته إلى غيرها؟ لذلك ظلّت هذه البشارة الأحمدية مشرقة دائبة خارقة ظلمات التحريف والتجديف! وهي الإرادة ليطفئوا نور اللّه، وكذلك إطفاءه بالقضاء على الدعوة الإسلامية، فإنها مطلّة على العالم أجمع وطالعة ما طلعت الشمس‏غربت، لا تطفئ نوره ولا ذاته وصفاته.

إنه نص يرثي الكافرين مستهزئا بهم، فما قولهم بأفواههم «هذا سِحْرٌ مُبِينٌ» إشارة الى المعجزة التامة الكافلة، إلا كمن يحاول إطفاء نور الشمس بنفخة من فيه، فما أفضحه وأعجزه من هؤلاء الضعاف المهازيل!.

فالنار هي التي تطفأ مهما طالت زبانيتها، ولكنما النور، المستمدة من نور اللّه وإرادته، إنها ليست بالتي تطفأ، وإنما تزداد إشراقا رغم تطاول الإطفائيات الطائلة الجاهلة، مهما يخيّل للطغاة الجبارين، وللأبطال المصطنعين بأيدي وعلى أعين الصليبيين الصهاينة المجرمين، أنهم بالغوا هذا الهدف البعيد.

ترى ان اللّه تطفأ ذاته النورية بإطفاء الكافرين؟ فكذلك نوره، فإنه طالع من مطلع ليس له أفول وهو الحضرة الإلهية: «اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 187

مِصْباحٌ الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَ لا غَرْبِيَّةٍ يَكادُ زَيْتُها يُضِي‏ءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى‏ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْ‏ءٍ عَلِيمٌ. فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَ الآْصالِ. رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقامِ الصَّلاةِ وَ إِيتاءِ الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصارُ» (24: 37).

متواتر الآثار

إنه ليس إتمام النور المحمدي بإبقاء شخصه حيّا، ولا ببقاء دينه حينا سليما عن النقص‏النقض، وإنما هو إظهاره على الدين كله: أن يحكم العالم أجمع ولو كره الكافرون المشركون:

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى‏ وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ «هُوَ الَّذِي ... وَ كَفى‏ بِاللَّهِ شَهِيداً» (48: 28).

«هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ»: كأنه الرسول لا سواه، فمن هكذا إضافة يستفاد الحصر، ولأنه يحمل الرسالات الإلهية وزيادة خالدة «بِالْهُدى‏»: كل الهدى التي تتطلبها وتحتاجها الحياة العقلانية وأضرابها على طول الخط، دون نقص أو نسخ «وَ دِينِ الْحَقِّ»: دين‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 188

للحق: الثابت-/ لا «الدين الحق» لأن رسل اللّه كلهم مرسلون بالدين الحق، ف «دين الحق» هو الثابت من الدين الذي ليس له دور خاص ولا جماعة خاصة، فدوره شامل ما دامت هذه الحياة قائمة، وجماعته هم المكلفون أجمعون، حق بكافة معانيه: ثبوتا وجاه زلازل التشويهات والتمزيقات والتحريفات، وثبوتا تجاه النسخ بشريعة اخرى إلهية، فإنه لا شريعة بعده، فهو حق يجري في مجاري الحياة جري الشمس.

فلقد حرفت الكتب الإلهامية الاخرى، وانتهت لحال لا تصلح معها لشي‏ء من قيادة الحياة، وحتى لو ظلت سليمة عن التحريفات، فهي نسخة سابقة مؤقتة لأدوارها المحددة لها، لا تشمل كافة طلبات الحياة المترامية الأطراف، المتجددة دائبة، فليست هي «دين الحق» مهما كانت «الدين الحق».

و «دين الحق» هكذا يستحق الظهور على الدين كله، وكما جعل غاية لحقه:

الشيطان، وعلى الدين الحق كله‏ «1»، إذ ينسخ الشرائع كلها، ويكمّلها، فلا يبقى دين إلا دين الإسلام، وكما وعدناه في دولة القائم المهدي محمد بن الحسن العسكري عليه السلام الذي به يملأ اللّه الأرض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا.

إن جذور ومؤهلات هذه الغاية متواجدة في شريعة الإسلام، مهما لم تتحقق زمن‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). تفسير البرهان 4: 330-/ عن أبي الفضيل عن أبي الحسن الماضي عليه السلام في الآية قال: يظهره‏على جميع الأديان عند قيام القائم عليه السلام‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 189

الرسول صلى الله عليه و آله وخلفائه حتى الآن ظهورا على الأديان، ولكنها سوف تتحقق في الدولة المحمدية الأخيرة التي يبتدء بها مؤسسا لها حفيده المهدي المنتظر عليه السلام «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ»: ظهورا وغلبا شاملا بدينه وكتابه، بشخصيته الرسالية، مهما قضى شخصه نحبه، وانقضى دوره كشخص، ولكنه مستمر في دعوته، في كتابه وكيانه، في خلفائه الأوصياء الأوفياء، فيمن تخضع له الأمم كما بشرنا به في كتابات السماء «1».

إن الديانات الاخرى، من حق وباطل، ليست لها مؤهلات الغلبة الشاملة، وتأسيس دولة موحدة عالمية، لا في ذواتها، ولا في زعاماتها، ولكنما الإسلام يملك هذه الأهلية فيهما معا، فدستوره العالمي هو قرآنه الكامل، الحافل لكافة متطلبات الحياة، وقيادته العالمية هي الظاهرة في رسوله وأوصيائه، والباهرة أخيرا في القائم المهدي عليه السلام «وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ»: الذين يشركون باللّه في طاعته وعبادته، في دينه وحكمه، فليحكم دين اللّه وحده، ظاهرا على الدين كله «وَ كَفى‏ بِاللَّهِ شَهِيداً» إذ يشهد في كتاباته ببشارات تتلاحق بحق هذا الدين وهذا الظهور، وإذ يشهد بما يؤيد أهل هذا الدين فيما يأملون، من كانوا يعلمون ويعملون، «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى‏».

إن الإسلام ليس فكرا أو نظرية في بطون الكتب، تترسمها الأجيال فيعيشوا الخيال‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع (رسول الإسلام في الكتب السماوية) تجد فيه بشارات عدة بشأن القائم المهدي عليه السلام‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 190

بعيدا عن الواقع، إنما هو دين الحياة الواقعة، حقيقة في عالم الواقع، ما تزال هذه الحقيقة تنبعث بين حين وآخر، وتنبض وتنتفض قائمة على جذورها المجردة عن الأباطيل، رغم كل ما جرّد على الإسلام والمسلمين من كيد وحرب وتنكيل، وظهرت قوة وحقيقة ونظاما على سائر الدين قدر ما أظهرتها جماعتها، فدانت لها معظم الرقعة العامرة مدى قرون من الزمن .. وإلى أن يدين لها كل المعمورة طوعا أو كرها بقوة النور والنار، طوع الأبراركره الأشرار «وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ الْمُشْرِكُونَ».

إن إتمام نور الإسلام ليس إلا في زمن يشمل العالم كله، فيرتفع فيه علم الإسلام مرفرفا لا ندّ له ولا ضد، وكما سمع علي عليه السلام يقول تفسيرا لهذه الآية:

(كلا والذي نفسي بيده حتى لا يبقى قرية إلا وينادى فيها بشهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه بكرة وعشيا) «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). تفسير العياشي بالإسناد عن عمران بن هيثم عن عباية انه سمع أمير المؤمنين عليه السلام يقول في الآية: أظهر ذلك بعد؟ قالوا: نعم. قال: كلا ...

و عن ابن عباس في الآية قال: لا يكون ذلك حتى لا يبقى يهودي ولا نصراني ولا صاحب ملة إلا صار الى الإسلام، حتى تأمن الشاة والذئب والبقرة والأسد والإنسان والحية، حتى لا تقرض فارة جرابا وحتى توضع الجزية ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، وهو قوله تعالى: «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» وذلك يكون عند قيام القائم عليه السلام.

و عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام في الآية قال: يظهره اللّه عز وجل في الرجعة (تفسير البرهان 4: 330)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 191

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى‏ تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ. تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ:

هنا إيمان أول هو رسمه وصورته قبل أن يتعرّق في القلوب، وهو الإيمان التقليدي، فهو لا ينجي-/ بمجرده-/ من عذاب أليم، إنما هو رأس مال يتجر به، والتجارة تصرف في رأس المال طلبا للربح، وهذا الإيمان الأول هو رأس مال لربح الإيمان العريق باللّه ورسوله‏الجهاد في سبيله بالأموال والأنفس، ثم هذا الربح أيضا رأس مال لتجارة ثانيةربحها النجاة من عذاب أليم، تجارة متسلسلة ترجع لآخر المطاف الى نجاة قاطعة عن حياة بئيسة في الدنيا وفي الآخرة، دون اختصاص بالأولى، مهما كانت في الآخرة أتمّ وأولى.

إنها تجارة من رأس مالها أنفس المؤمنين وأموالهم-/ وهي من اللّه-/: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى‏ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ ...

فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ» (9: 111).

فبأنفسهم يؤمنون باللّه ورسوله ثانيا، ويفتدون بهما في سبيل اللّه مجاهدين، وبأموالهم كذلك يجاهدون صرفا لها في سبيل اللّه، ولكي تصبح حياتهم المؤمنة كلها قنطرةسبيلا للّه دون أن يكون لغير اللّه فيها نصيب.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 192

في آية التجارة تقدّم الأموال لتقدّمها في تقديم المجاهدين بالعدد المكافحة، ثم إذا نفدت الأموال أو ما كفت أو ما أفادت لحسم جذور الفساد، فلتقدّم الأنفس فداء بعد الأموال في سبيل اللّه، وفي الآية الثانية تقدّم الأنفس لأنها الأصل في الجهاد، وإذا قدّم الأصل فتقديم الفرع-/ وهو المال-/ سهل.

و من عوائد هذه التجارة غفر الذنوب ودخول الجنة، إيجابا للرحمة بعد البعد عن العذاب:

يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ يُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَ مَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ:

«إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ» (11: 114) وكبائر المعاصي تركا: «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَ نُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيماً» (4: 31)، ثم بقية حاضرة بجنب أمثالها والمستقبلة:

وَ أُخْرى‏ تُحِبُّونَها نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ:

و تجارة وعائدة أخرى، تحبونها هنا «نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ» إذ تنصرون دينه «وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ»: فتح مكة المكرمة وهو فتح الفتوح فيما مضى، وفتح القائم المهدي عليه السلام‏ «1»، وهو

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). القمي أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في الآية: يعني في الدنيا بفتح القائم عليه السلام، وأيضا فتح‏مكة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 193

أشمل، وإن كان متأخرا بزمن، فكل آت قريب.

فقد تربحكم هذه التجارة في الحياتين «وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» بهذه الفتوحات والأرباح الدائبة، وإنما المؤمنين المجاهدين بكل ما لديهم من إمكانيات، لا القاعدين.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصارَ اللَّهِ كَما قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوارِيِّينَ مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ وَ كَفَرَتْ طائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلى‏ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظاهِرِينَ:

هذه المقالة من السيد المسيح هي لما أحسّ منهم الكفر: «فلما أحسّ عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى اللّه قال الحواريون نحن أنصار اللّه آمنّا باللّه واشهد بأنّا مسلمون. ربنا آمنّا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين.

وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ (3: 54).

كون الإنسان من أنصار اللّه والأنصار إلى اللّه لا يعني أن اللّه بحاجة إلى نصرة في ذاته أو صفاته أو أفعاله إلى عباده الضعفاء المهازيل، وإنما يعني نصرة الإنسان نفسه في صالحه الحيوي بكافة مجالاتها، الذي لا يصلح إلا بإرادة اللّه ودلالته، فليس بإمكان الإنسان أيا كان أن ينصر نفسه إلا على ضوء شريعة اللّه المسنونة لصالح الإنسان، وتوفيقه الذي يرافقه فيه: «وَ أَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 194

بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ» (6: 153).

و من نصرة اللّه نصرة رسوله الدال عليه، السالك سبيله: «قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى‏ بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي» (12: 108) كما والتنظير: «كَما قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوارِيِّينَ مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ» يوحي بأصالة هذه النصرة في نصرة اللّه، فكونوا أنصارا لرسول اللّه في الدعوة والاتجاه الى اللّه، وتطبيق ونشر شريعة اللّه، في صفوف متراصّة رزينة رصينة صامدة لا تنفصم: «فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (7: 157) وتعاكس نصرة اللّه هكذا أن ينصر ناصريه، مما يدلّ على أن نصرته تعالى هي نصرتهم أنفسهم بدلالته وتوفيقه: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ» (47: 7) (وَ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ» (22: 40).

و الحواريون الأنصار هم تلاميذ السيد المسيح، الأخصاء، منطلق دعوته الذين كانوا يلوذون به ويأخذون عنه، منقطعين عمن سواه من معلمين «قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ» أنصارك الى اللّه، بما أنك وسيط في هذه السبيل، لا أصيل «فَ‏آمَنَتْ طائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ» بالمسيح أو بنصرته الى اللّه «وَ كَفَرَتْ طائِفَةٌ» كذلك «فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلى‏ عَدُوِّهِمْ» الكافرين والتاركين لنصرته «فأصبحوا» بإيمانهم باللّه ومن ثم بتأييد اللّه‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 195

«ظاهرين» غالبين على عدوهم، ومن ذلك أنهم «مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ» في محاولة صلبه إذ صلب من ألقي عليه شبهه ورفع هو الى سماء رحمة اللّه، هكذا يكون دور الإيمان والمناصرة في اللّه، عاليا ظاهرا على الأعداء مهما كانت جولة الباطل، فإن للحق دولة!.

و العبرة المستفادة عبر نصرة الحواريين والذين حذوا حذوهم، هي استنهاض همّة المؤمنين بالشريعة الأخيرة من دين اللّه، المختارين لهذه المهمة الكبرى، أن يقوموا قومة رجل واحد لنصرة صاحب الرسالة السامية الأخيرة، ليؤدّوا هذه ولعمر اللّه إن نصرة المؤمنين بهذه الرسالة كانت عالية غالية، إذ نصروا الرسول صلى الله عليه و آله في مختلف الأخطار الحاسمة «1»، خلاف ما نبّئنا عن أنصار السيد المسيح، إذ كانوا قلة وهم لم ينصروه إلا قليلا حتى رفعه اللّه!.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1)

. اصول الكافي عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: إن حواري عيسى كانوا شيعته وإن شيعتنا حواريناوما كان حواري عيسى بأطوع له من حوارينا لنا، وإنما قال عيسى للحواريين من أنصاري الى اللّه قال الحواريون نحن أنصار اللّه، فلا واللّه ما نصروه من اليهود ولا قاتلوهم دونه، وشيعتنا واللّه لا يزالون منذ قبض اللّه عز وجل رسوله ينصروننا ويقاتلون دوننا ويحرقون ويعذبون ويشردون من البلدان، جزاهم الله عنا خيرا. وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: واللّه لو ضربت خيشوم محبينا بالسيف ما أبغضونا، واللّه لو آويت مبغضيه أو حبوت لهم من المال ما أحبونا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 196

خلقة آدم (ع) مثل لخلقة المسيح (ع)

وَ لَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (57) وَ قالُوا أَ آلِهَتُنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (58) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنا عَلَيْهِ وَ جَعَلْناهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرائِيلَ (59) ترى من هنا ضارب المثل وما هو هذا المثل الذي فاجأ صدا من هؤلاء ضجّا وضحكا؟! «1» ثم احتجوا بما احتجوا جدلا وخصومة، فجاءت الإجابة «إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنا عَلَيْهِ.».؟

هل هو المثل المضروب بابن مريم في سورة مريم عليها السلام فإنها المكية الوحيدة التي أتت بذكر عيسى بن مريم، حيث يذكر مع جموع من النبيين من ذرية آدم، وتختم قصته معهم بأنه عبد أنعم عليه كما هم:

«أُولئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَ مِمَّنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ وَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْراهِيمَ وَ إِسْرائِيلَ وَ مِمَّنْ هَدَيْنا وَ اجْتَبَيْنا ..» (58) ثم وفيها رد على الذين تبنّوا المسيح للَّه «ما كانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحانَهُ .. وَ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الصدّ بالكسر هو الضج الصريخ والضحك وقد يروى كذلك عن رسول اللَّه (صلى اللَّه عليه‏آله‏وسلم) «الصدود في العربية الضّحك، معاني الاخبار للصدوق بسند متصل عنه صلى الله عليه و آله وفي الدر المنثور 6: 30-/ اخرج ابن مردويه‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 197

صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ (36).

فهنالك «قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ»: ضجة وضحكة، فضجة وإنكارا لما ضرب أنه عبدليس إلها ولا ابنه فلا يعبد، وإنما هو حسب النصارى وهم أهل كتاب، إله أو ابن إله.

يعبد، ومن ثم ضحكا: كيف أنت تصدنا عما نعبد من ملائكة وهم آلهتنا «1» وهؤلاء الكتابيون: يعبدون بشرا «أَ آلِهَتُنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ» طبعا آلهتنا الملائكة! فأنت تصدّنا ونحن منك نصّد! «ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا» فالقرآن يضرب ابن مريم مثلا للتوحيد، وهم يحولونه إلى مزعمة النصارى مثلا للشرك، فمثل الحق يحوّل إلى مثل الباطل، ضجة في تحويله‏ضحكة من تحوّله: «أَ آلِهَتُنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ»! وطبعا آلهتهم-/ في زعمهم-/ خير من ابن مريم في زعم النصارى.

و هذا تبرير كتابي في جدلهم الخصوم أن يعبدوا آلهتهم الملائكة من دون اللَّه! فيأتي الجواب كما لمح له في مريم «إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنا عَلَيْهِ.»!

أم إن ضارب المثل هو من هؤلاء لما نزل «إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ» قال قائلهم للرسول صلى الله عليه و آله:

خاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال (صلى اللَّه عليه وآله): بل لجميع الأمم! فقال‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدليل على ان هؤلاء القوم كانوا عبدة الملائكة هنا قوله فيما بعد «وَ لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ‏مَلائِكَةً» وفيما سبق «وَ جَعَلُوا الْمَلائِكَةَ (19):: وَ قالُوا لَوْ شاءَ الرَّحْمنُ ما عَبَدْناهُمْ» (20)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 198

خصمتك ورب الكعبة ألست تزعم أن عيسى بن مريم نبي وتثني عليه خيرا وعلى أمه و قد علمت أن النصارى يعبدونهما واليهود يعبدون عزيرا والملائكة يعبدون فإذا كان هؤلاء في النار فقد رضينا نحن وآلهتنا أن نكون معهم، فسكت النبي (صلى اللَّه عليه‏آله) و فرح القوم وضحكوا وضجوا فأنزل اللَّه تعالى «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى‏ أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ»!

و نزلت هذه الآية ايضا «وَ لَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ:» «1».

و هنالك تنقلب الحجة عكس ما مضت «أَ آلِهَتُنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ» لعله هو! فإذا هو في‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). وفي الدر المنثور 6: 20-/ اخرج احمد وابن أبي حاتم والطبراني وأبن مردوية عن ابن عباس ان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال لقريش انه ليس احد يعبد من دون اللَّه فيه خير فقالوا: الست تزعم أن عيسى كان نبيا وعبدا من عباد اللَّه صالحا وقد عبدته النصارى فان كنت صادقا فانه كآلهتهم فانزل اللَّه «وَ لَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ» قال يضجون‏انه لعلم للساعة قال: خروج عيسى بن مريم قبل يوم القيامة، وفيه اخرج ابن مردويه عن ابن عباس ان المشركين أتوا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقالوا له أرأيت ما يعبد من دون اللَّه اين هم؟ قال: في النار قالوا، والشمس والقمر قال: والشمس والقمر، قالوا فعيسى بن مريم فأنزل اللَّه «إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنا عَلَيْهِ وَ جَعَلْناهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرائِيلَ».

أقول: وما ذكرناه في المتن تجده في تفسير الرازي ج 27 ص 221 وفي هامشه: ان الرسول صلى الله عليه و آله رد عليه عند ذلك بقوله لابن الزبعري «ما أجهلك بلغة قومك، «ما» لما لا يعقل، وحينذ فلا تقع على الذين اتخذهم الكفار آلهة من الأنبياء والملائكة والصالحين وانما عنى من الأصنام التي عبدوها، ثم أقول: ان «ما» في «ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» يخص غير ذوي العقول فلا يشملهم الا بدليل و «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى‏» يستثني الصالحين!

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 199

الجحيم فنحن وآلهتنا نرضى ذلك الجحيم! أو أن ضارب المثل رسول اللَّه (صلى اللَّه عليه وآله) حيث شبه عليا عليه السلام بابن مريم كما رواه سادة أهل البيت عن علي عليه السلام قال: جئت إلى النبي (صلى اللَّه عليه وآله) يوما فوجدته في ملاء من قريش فنظر اليّ ثم قال: يا علي! إنما مثلك في هذه الأمة كمثل عيسى بن مريم عليهما السلام أحبه قوم فأفرطوا في حبه فهلكوا وأبغضه قوم فأفرطوا في بغضه فهلكوا واقتصد فيه قوم فنجوا فعظم ذلك عليهم وضحكوا وقالوا يشبهه بالأنبياء والرسل فنزلت هذه الآية» «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). رواه في مجمع البيان وفي نور الثقلين 4: 609 عن روضة الكافي بسند متصل عن أبي بصير قال: بينا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ذات يوم جالسا إذ اقبل امير المؤمنين عليه السلام فقال له رسول اللَّه عليه السلام: ان فيك شبها من عيسى بن مريم لولا ان تقول فيك طوائف من امتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك قولا لا تمر بملإ من الناس الا أخذوا التراب من تحت قدميك يلتمسون بذلك البركة قال: فغضب الأعرابيان والمغيرة بن شعبة و عدة من قريش معهم فقالوا: ما رضي ان يضرب لابن عمه مثلا الا عيسى بن مريم فانزل اللَّه على نبيه صلى الله عليه و آله: ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون ..

و في كتاب الخصال في احتجاج علي عليه السلام على الناس يوم الشورى قال: قال: نشدتكم باللَّه هل فيكم احد قال له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله احفظ الباب فان زوارا من الملائكة يزورونني فلا تأذن لأحد فجاء عمر فرددته ثلاث مرات وأخبرته ان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله محتجب وعنده زوار من الملائكة وعدّتهم كذا وكذا ثم اذن فدخل فقال يا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله! اني جئتك ثلاث مرات غير مرة وكل ذلك يردني علي‏يقول: ان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله محتجب وعنده زوار من الملائكة وعدتهم كذا وكذا فكيف علم بالعدة، أعاينهم! فقال: يا علي! كيف علمت بعدتهم؟ قلت: اختلفت علي التحيات وسمعت الأصوات فأحصيت العدد قال صلى الله عليه و آله صدقت فان فيك شبها من اخي عيسى فخرج عمر وهو يقول: ضربه لابن مريم مثلا فأنزل اللَّه «وَ لَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ.» غيري؟ قالوا: اللهم لا.

و في مناقب ابن شهر آشوب، قال النبي صلى الله عليه و آله يدخل من هذا الباب رجل أشبه الخلق بعيسى فدخل علي عليه السلام فضحكوا من هذا القول فنزلت هذه الآية:

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 200

فالوجهان الأولان موجّهان بالقرآن أولا فالأول وثانيا فالثاني، وهذا الأخير موجّه‏على هامش القرآن بالسنة «1» لا أنه المقصود فقط أم بالأصالة، وانما تأويلا يلائم القرآن حيث الجواب عن صدهم «إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ» لا يناسب نصا إلّا الأولين، والأخير يناسب التأويل بتأويل الدليل! «ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا»: إن المثل الذي ضرب بابن مريم نحن ضربناه حقا وأنت، وهم ضربوه لك جدلا «بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ».

فلو كان الجدال بحق وإلى حق فبالتي هي أحسن: «وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» وإن كان بباطل وإلى باطل فهي أسوء الجدال، أم بباطل إلى حق أو حق إلى باطل فهو سيئ‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). أخرج في كفاية الخصام بهذا الصدد عشرين حديثا (13) منه من طريق إخواننا والباقية من‏طرقنا وممن رواه من إخواننا الحافظ ابو نعيم الاصفهاني في كتابه نزول القرآن في علي عن ربيعة بن ناجد عن علي عليه السلام انها نزلت في شأنه، ومحمد بن العباس بسنده عن ابن عباس‏عبد اللَّه بن احمد بن حنبل بسنده عن الشعبي وبسنده عن علي عليه السلام ومحمد بن قاسم بسنده عن ربيعة بن ناجد عن علي عليه السلام، وفي ملحقات إحقاق الحق 3: 398 ورواه احمد بن حنبل في فضائل الصحابة 172 والنسائي في الخصائص 39 ومحب الدين الطبري في ذخائر العقبى 92 وابن عبد ربه الاندلسي في عقد الفريد: 194 وابن مردويه في المناقب كما في كشف الغمة 95 وابن حجر الهيثمي في الصواعق 121 والسيوطي في تاريخ الخلفاء 117 والمتقى الهندي في منتخب كنز العمال بهامش المسند 5: 34 والمير محمد صالح الكشفي الترمذي في مناقب مرتضوي 58 والقندوزى في ينابيع المودة 109، ومنهم سعيد بن الحسني وسفيان بن وكيع وابن عقدة وعبد اللَّه بن احمد وابن الصلت والوكيع واحمد بن القاسم كما في البحار 9: 60-/ 62

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 201

وليس إلّا خصومة للحق‏ «1».

إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنا عَلَيْهِ وَ جَعَلْناهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرائِيلَ (57) (إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ» لا إله او ابن إله حتى يقاس بآلهتكم أيهما خير فليس العبد إلا ابن عبد «أَنْعَمْنا عَلَيْهِ» بما أنعمنا، كما بيّن في مريم «وَ جَعَلْناهُ مَثَلًا» آية بنفسه حيث ولد دون أب، وآية برسالته وآياتها، مثلا إلهيا ف «لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلى‏ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» والمسيح من المثل الأعلى في الأرض «مَثَلًا لِبَنِي إِسْرائِيلَ» كحجر الأساس في رسالته ودعوته ثم وللعالمين أجمعين، فنحن جعلناه مثلا لنا، ثم جماعة جعلوه لنا مِثلا فنسوا المَثل وضلوا في المِثل!:

وَ لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ (60) وَ إِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَ‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 6: 21-/ اخرج سعيد بن منصور واحمد وعبد بن حميد والترمذي وصححه وابن ماجة وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان عن أبي امامة قال قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ثم قرأ «ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ» وفيه اخرج سعيد بن منصور عن أبي إدريس الخولاني قال قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ما ثار قوم فتنة إلّا أوتوا بها جدلا وما ثار

قوم في فتنة الا كانوا لها حرزا، وفيه اخرج ابن عدي والخرائطي في مساوي الأخلاق عن أبي امامة قال قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: ان الكذب باب من أبواب النفاق وان آية النفاق ان يكون الرجل جدلا خصما.

ويروي ابن جرير الطبري في جامع البيان بسند متصل عن أبي امامة قال: ان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله خرج على الناس وهم يتنازعون في القرآن فغضب غضبا شديدا حتى كأنما صب على وجهه الخل ثم قال صلى الله عليه و آله: لا تضربوا كتاب اللَّه بعضه ببعض فانه ما ضل قوم قط الا أوتوا الجدل ثم تلا صلى الله عليه و آله «ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 202

بِها وَ اتَّبِعُونِ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ (61) (وَ لا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (62).

أنتم البشر تعبدون الملائكة لكونهم ملائكة؟ «وَ لَوْ نَشاءُ» ولن «لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً» أن نبدلكم ملائكة، أو نجعلكم في عصمتهم وطهارتهم كملائكة «فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ» كونهم أناسي من قبل، ويخلف بعضهم بعضا بالتناسل!

إذا فأنتم تعبدون أمثالكم، ومن بالإمكان تبديلكم بهم.

«وَ إِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ» وما هو المرجع لضمير الغائب في «إنه»؟ هل هو المسيح عليه السلام في خارقة ولادته علم للساعة الخارقة عندكم، وكذلك في سائر خوارقه ولا سيما إحياء الموتى؟ أو أنه في نزوله آخر الزمان فإنه من أشراط الساعة «1»؟ وهو كذلك في كل ذلك!

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 6: 30-/ أخرجه الفرياني وسعيد بن منصور ومسدد وعبد بن حميد وابن أبي‏حاتم والطبراني من طرق ابن عباس «قال: خروج عيسى قبل يوم القيامة «و اخرج عبد بن حميد عن أبي هريرة في الآية قال: خروج عيسى يمكث في الأرض أربعين سنة تكون تلك الأربعون اربع سنين يحج ويعتمر، واخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد قال: آية للساعة خروج عيسى بن مريم قبل يوم القيامة وأخرجه عبد بن حميد وابن جرير عن الحسن مثله.

وفي مجمع البيان قال ابن جريح اخبرني ابو الزبير انه سمع جابر بن عبد اللَّه يقول سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم تعال صل بنا فيقول ان بعضكم على بعض أمراء تكرمة من اللَّه لهذه الامة-/ أورده مسلم في الصحيح وفي حديث آخر: كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم؟

واخرج مالك والشيخان وابو داود عن أبي هريرة قال قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: و الذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير و يضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها، أقول: وحديث نزول المسيح عليه السلام تواتر عن طريق الفريقين وانه يصلي خلف المهدي عليه السلام وفي قوله تعالى: «وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً» دلالة قوية على هذا النزول‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 203

أو أن القرآن بما هو خاتمة الوحي في آخر الزمان لعلم للساعة؟ وهو كذلك! أو أن نزول الملائكة إلى الأرض علم للساعة «لَوْ ما تَأْتِينا بِالْمَلائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ما نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ ما كانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ» (15:) 8)؟

كل ذلك علم للساعة فكل محتمل والجمع أجمل على درجات لهذه المحتملات «فَلا تَمْتَرُنَّ بِها وَ اتَّبِعُونِ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ»! إنه لعلم للساعة، لا إله الساعة او الدنيا أمّا ذا، وانما مثل للعالمين يوم الدنيا وعلم للساعة فلا تمترن بها! «وَ لا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ».

صد متأكد للشيطان عليكم ف «لا يصدنكم» وعداء متأكدة له عليكم يبينه لكم «إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ».

وَ لَمَّا جاءَ عِيسى‏ بِالْبَيِّناتِ قالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَ لِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (63) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ (64). فَاخْتَلَفَ الْأَحْزابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (65).

بينات عيسى التي جاء بها هي الآيات المعجزة البينة وآيات الإنجيل وآيات من‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 204

نفسه المقدسة حيث التربية والعناية الإلهية بيّنة في هذه الثلاث وإن كانت درجات، «قالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ» وهذه كلها حكمة والرسالة كلها حكمة عقلية وعلمية وعملية، تحكم ما انفصل وفصل بين الناس، أو بين الإنسان ونفسه من المشككات «وَ لِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ» فالكل موكول الى خاتمة الرسالات محمد (صلى اللَّه عليه وآله) كما ينطق به القرآن: «وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْ‏ءٍ» (16: 89) «1» وينطق به الإنجيل كما في يوحنا 16: 7-/ 15) ومما فيه «و ان عندي كثيرا أقوله لكم ولكنكم لا تطيقون حمله الآن (12) ولكن متى جاء روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 4: 611 عن بصائر الدرجات علي بن إسماعيل عن محمد بن عمروالزيات عن‏عبد اللَّه ابن وليد قال قال لي ابو عبد اللَّه عليه السلام: اي شي‏ء يقول الشيعة في عيسى وموسى و امير المؤمنين عليه السلام قلت: يقولون ان عيسى وموسى أفضل من امير المؤمنين عليه السلام قال: أيزعمون ان امير المؤمنين قد علم ما علم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قلت: نعم-/ ولكن لا يقدمون على اولى العزم من الرسل أحدا قال ابو عبد اللَّه عليه السلام فخاصمهم بكتاب اللَّه قلت: وفي اي موضع منه أخاصمهم؟ قال: قال اللَّه تبارك وتعالى لموسى «وَ كَتَبْنا لَهُ فِي الْأَلْواحِ مِنْ كُلِّ شَيْ‏ءٍ» علمنا انه لم يكتب لموسى كل شي‏ء وقال اللَّه تبارك وتعالى لعيسى: «وَ لِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ» وقال تبارك وتعالى لمحمد (صلى اللَّه عليه وآله و سلم): «وَ جِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلى‏ هؤُلاءِ وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْ‏ءٍ».

وفي الاحتجاج للطبرسي عن الصادق عليه السلام يستدل بدلا عنها: وقال لصاحبكم امير المؤمنين عليه السلام قل كفى باللَّه شهيدا، بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب، و «وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ» وعلم هذا الكتاب عنده‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 205

الحق.» «1»!

ثم الحكمة هي الناحية الإيجابية من الشرعة الانجيلية «و لأبين:» من الناحية السلبية التي تتكلف بيان جذور من الخلافات والانشقاقات بينهم «فَاتَّقُوا اللَّهَ»: في سلبياته «وَ أَطِيعُونِ» في حكَمه الإيجابية ومنها «إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ» سواء ولا أمتاز عنكم بربوبيته، فأنا وأنتم عبيد رب واحد «فاعبدوه» لا سواه «هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ» لا سواه‏لكن.

«فَاخْتَلَفَ الْأَحْزابُ مِنْ بَيْنِهِمْ» أحزاب مذهبية متخلفة عن شرعة الحق، كان من بين هؤلاء اختلفوا في البينات والحكم والبيان التي جاء بها المسيح ظلما «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ» بين قائل إنه اللَّه، وقائل إنه ابن اللَّه، وقائل بالثالوث، وقائل بألوهية المسيح وأمه، وآخرين في أخريات من العقائد والطقوس تأتي في طيات آياتها المفصلات‏ «2».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). اوردنا في كتابنا رسول الإسلام في الكتب السماوية بشارات ثلاث من يوحنا 14: 16 و 15: 16: 7-/ 15: يبشر فيها المسيح بمجي‏ء بريكليطوس «محمد-/ احمد» ومن ضمنها انه يرشدكم الى جميع الحق-/ راجع ص 146-/ 157

(2). شرحناها في كتبنا الثلاثة «عقائدنا-/ المقارنات-/ رسول الإسلام في الكتب السماوية»: ومن هؤلاء الأحزاب طائفة الصدوقيين التي تولت الكهانة من عهد داود وسليمان وهم حسب احترافهم كانوا متشددين في شكليات العبادات وطقوسها وينكرون البدع وهم مترخصون في ملاذ الحياة ناكرون للقيامة.

و طائفة الفريسيين وكانوا على شقاق مع الصدوقيين ينكرون ذلك التشدد وجحدهم للقيامة، السمة الغالبة عليهم هي الزهد والتصوف وفي بعضهم اغترار بالعلم والمعرفة والمسيح ينكر عليهم تلك الخيلاء والشقشقة.

و طائفة السامريين وكانوا خليطا من اليهود والآشوريين تدين بالكتب الخمسة في العهد القديم المعروفة بالكتب الموسوية وتنفي ما عداها من المضافات إليها.

و طائفة الآسين او الأسينيين وكانوا متأثرين ببعض المذاهب الفلسفية يعيشون عزلة عن سائر طوائف اليهود ويأخذون أنفسهم بالشدة والتقشف: وهناك غير هذه الطوائف نحل فردية شتى‏بلبلة في الاعتقادات والتقاليد بين بني إسرائيل الراضخين لضغط الامبراطورية الرومانية الذين ينتظرون الخلاص على يد المخلص المنتظر من الجميع. ابن عساكر-/ ويصرف عن اهل الأرض البلاء والغرق.

وفيه اخرج الخلال في كتاب كرامات الأولياء عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: ان اللّه ليدفع عن القرية بسبعة مؤمنين يكونون فيها

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 206

جاء المسيح بصراح التوحيد والتسامح الروحي والخُلقي قبل الشكليات الخاوية التي تخلت عن هذه الروح فحاربه المحترفون الناكرون له وجماعة من المعترفين إياه، تفريطا من هؤلاء وإفراطا من أولاء، فأصبح بين من يلعنونه ومن يؤلّهونه على مختلف مذاهبهم الفلسفية وسواها، وبقي القليل ممن وفى لرعاية الحق وهم الموحدون المخلصون حيث اتبعوه وتعرضوا لأنواع العقوبات من قبل الأحزاب!

تِلْكَ آياتُ اللَّهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ 252.

«تلك» العظيمة العزيمة «آياتُ اللَّهِ» تكوينية وتشريعية «نَتْلُوها عَلَيْكَ» يا حامل الرسالة الأخيرة، وحامل الرسالات كلها «بالحق» آيات بالحق، نتلوها عليك بالحق،

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 207

بسبب الهدف الحق، ومصاحبة الحق، ولكي تهدي العالمين الى صالح الحياة الإيمانية بمكافحة دائبة ضد الظلم والطغيان، جهادا دائبا في فسيح الزمان ووسيع المكان، حفاظا على صالح الحياة طردا لفاسدها «وَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ» بهذه الرسالة السامية، التي تحقق كل الرسالات الإلهية.

«تِلْكَ آياتُ اللَّهِ» عبرة لاولي الألباب عَبْر الزمان والمكان ما عاش إنس او جان، لاسيما آية الدفع، ولكي تصغي إليها آذان صاغية من هذه الأمة المرحومة، فتعيش كل حياتها دفاعا عن الحق، فلا تتأسن الحياة وتتعفن بالتكاسل والتخاذل من هؤلاء الذين حمّلوا راية الصلاح والإصلاح، ولا يظنوا ان الإصلاح انما هو بيد صاحب الأمر، وأما الذين قبله فليس لهم أمر إلا السكوت والخنوع أمام السلطات الكافرة.

و من دفع اللّه الناس بعضهم ببعض ان يدفع بعض الناس ببعض الى صالح الحياة الجماعية وكما تعنيه آية السخري: وَ رَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا وَ رَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (43: 32).

فإن في تسخير الفاقد لشي‏ء الواجد له اكتمالا لنفسه فيما فقده وإكمالا لغيره فيما يحتاجه، إن في ذلك تجاوبا في الحصول على حاجيات الحياة، إذ لايتمكن اي أحد مهما بلغ من القوة و العبقرية أن يكون مستغنيا في الحياة عن سواه، مستقلا فيها، اللّهم الا مستغِلا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 208

ومستغَلا تكافئا في مختلف الحاجيات الحيوية.

هذا-/ ولكن الدفع هنا معدّى ب «الى» المقدرة، وفي الأولين ب «عن»: دفعا عن المحاظير، او دفعا إلى المصلح، الجامعان للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مهما شمل النهي إخفاق أثر المنكر بواقع المعروف من الصالحين كما في ثاني المحتملين الأولين.

بينات للمسيح وتأييده بروح القدس‏

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى‏ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ وَ آتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ وَ لكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَ لكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ 253.

الصلة البارزة بين هذه الآية وما قبلها قد تكون ب «وَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ» إذ قد تخيّل أن الرسل على سواء في فضائل الرسالة وأنت منهم، ولكنه لا، بل: «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى‏ بَعْضٍ ...» في الفضائل الذاتية علمية وروحية معرفية، في الفضائل الدعائية و ما حُمِّلوه من شرعة اللّه، فليسوا هم على سواء لأنهم-/ ككل-/ رسل اللّه، بل فيهم تفاضل كما في سائر الناس، وكل ذلك بما فضل اللّه، تفضيلا فضيلا بحكمة بارعة ربانية

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 209

دونما فوضى جزاف، ف: «تلك» البعيدون عن الآفاق البشرية في كل الأبعاد الروحيةالعملية بسناد وحي العصمة عصمة الوحي من آدم عليه السلام وخاتمة الى خاتم الرسل محمد صلى الله عليه و آله-/ بينهما متوسطون-/ «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى‏ بَعْضٍ» ضابطة اجمالية في ذلك التفضيل الفضيل دونما ذكر لمادة الفضيلة إلا لمحة انها في فضائل الرسالة، ولا ذكر لمن حملها، وانما كل ما هنا «فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى‏ بَعْضٍ» ليذهب إلى خَلَد السامعين كل مذهب في مفضّل بفضله.

ثم يذكر امثلة ثلاثة لذلك التفضيل، منها مثالان في موسى والمسيح عليهما السلام، كلّ يحمل فضيلة واحدة على من يفقدها، فموسى «مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ»-/: «وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسى‏ تَكْلِيماً» دونما وسيط ملك الوحي، مهما كان يحمله وسيط نار النور في الشجرة إماهيه والمسيح «وَ آتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ» من بينة الولادة العجيبة وتكلمه في المهد صبيا، ثم البينات الرسالية الأخرى كما الرسولية، وهو منقطع النظير في هذه المجموعة بين كل بشير ونذير.

ثم المثال الأجل الأمثل والأفضل، الذي لا يدانى، ولا يساوى او يسامى في حقل الرسالة الإلهية، من لا تحمل فضائله هذه القصيرات من الكلمات، من «كلم الله-/ و-/ البينات»: «وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ» لا درجة واحدة كموسى والمسيح واضرابهما عليهم السلام‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 210

ولا على بعض دون بعض، وكما لإبراهيم فضل عليهما في غير ما ذكر لهما، بل «وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ» على الكل دون إبقاء «درجات» في كل الأبعاد الرسولية الرسالية مادة ومدة، عِدة وعُدة، فضائل ذاتية ورسالية وكتابية وفي الشرعة القرآنية ف «فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى‏ بَعْضٍ» تجمع بعض التفضيل-/ كتفضيل لبعض على بعض، كما في المذكورين وغيرهما الى كل التفضيل على الكل كما هنا «وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ» وليس درجة كما فيهما، او على بعض كما هما، وانما «رفع» رفعا شاملا لم يعبر عنه «أَوَّلُ الْعابِدِينَ»: قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ (43: 81)، إذا فكل المرسلين هم في الرتبة التالية لأول العابدين، و «رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ»: وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ (21: 107) ولا نجد هذه الرحمة العالمية في الذكر الحكيم لمن سواه من المرسلين! «1» لا فحسب بل هو أفضل الخلق أجمعين وكما قال (صلى اللّه عليه وآله‏سلم): «ما خلق الله خلقا أفضل مني ولا أكرم عليه مني» فقال علي عليه السلام: أفأنت أفضل ام جبرئيل؟ فقال: يا علي‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). في إنجيل القديس برنابا الحوارى (43: 13-/ 31) يقول: 13 الحق أقول ان كل نبي متى جاءإنما يحمل لأمة واحدة فقط علامة رحمة اللّه (14) ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذي أرسلوا اليه (15) ولكن رسول اللّه متى جاء يعطيه اللّه ما هو بمثابة خاتم بيده (16) فيحمل خلاصا ورحمة لأمم الأرض الذين يقبلون تعليمه (17) وسيأتي بقوة على الظالمين (19) ويبيد الأصنام بحيث يخزي الشيطان (19) لأنه هكذا وعد اللّه ابراهيم قائلا: انظر فإني بنسلك أبارك كل قبائل الأرض وكما حطمت يا ابراهيم الأصنام تحطيما هكذا سيفعل نسلك ... (31) صدقوني لأني أقول لكم الحق: «ان العهد صنع بإسماعيل لا بإسحاق».

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 211

ان اللّه تعالى فضل أنبياءه المرسلين والفضل بعدي لك يا علي وللائمة من بعدك وان الملائكة لخدامنا وخدام محبينا ... «1» ورسولا الى النبيين أجمعين: وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلى‏ ذلِكُمْ إِصْرِي قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (3: 81) وكما يروى عنه صلى الله عليه و آله: «آدم ومن دونه تحت لوائى» و «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» وأطهر المطهرين: إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (22: 22)، وان كتابه خالد مهيمن لما بين يديه فهو كذلك مهيمن على الرسل بين يديه وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ (5: 48).

و أنه خاتم النبيين، لا يصدّق نبي إلّا بختمه وتصديقه كما لا يبعث نبي ولا رسول بعده: ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ (33: 40).

و ان معجزته الخالدة تفوق معجزاتهم في كمها وكيفها، فأما كمها فقرابة ألفين ومأتين في القرآن نفسه إذ تحدى بسورة من مثله واقصر سورة منه وهي الكوثر تحمل آيات ثلاث، فكل ثلاث معجزة خارقة، ثم وكيفها انه دائم دوام شرعته الى يوم القيامة غير

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 1: 254 في عيون الأخبار باسناده الى علي بن موسى عليهما السلام قال قال رسول‏اللّه صلى الله عليه و آله: ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 212

فاشل في حجته ولا منسوخ، بل يزداد بهورا وظهورا على تقدم العقل والعلم.

و لئن كلم اللّه موسى تكليما في حجاب النور النار من الشجرة المباركة على الطور، فقد كلم اللّه محمدا صلى الله عليه و آله بلا اي حجاب عند السدرة المنتهى «عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوى‏. فَأَوْحى‏ إِلى‏ عَبْدِهِ ما أَوْحى‏».

و لئن لم يستطع موسى ان يرى ربه بقمة المعرفة إذ قال: «لَنْ تَرانِي» فقد رآه محمد صلى الله عليه و آله عند السدرة بنور اليقين: «وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى‏. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى‏»-/ «فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى‏».

وقد يروى عنه صلى الله عليه و آله في معترك الآراء فيمن هو أفضل-/ قوله: «ألا وانا حبيب اللّه ولا فخر، وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا اوّل شافع وأنا اوّل مشفع يوم القيامة، ولا فخر وأنا اوّل حلقة الجنة فيفتح لي فأدخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر» «1».

وقال صلى الله عليه و آله: انا سيد ولد آدم ولا فخر، و «لا يدخل الجنة احد من النبيين حتى أدخلها

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). تفسير الفخر الرازي 6: 197 عن ابن عباس قال جلس ناس من الصحابة يتذاكرون فسمع رسول اللّه صلى الله عليه و آله حديثهم فقال بعضهم عجبا ان اللّه اتخذ ابراهيم خليلاقال آخر: ماذا بأعجب من كلام موسى كلمة تكليما، وقال آخر: فعيسى كلمة اللّه وروحه وقال آخر: آدم اصطفاه اللّه، فخرج رسول اللّه صلى الله عليه و آله وقال: قد سمعت كلامكم‏حجتكم إن ابراهيم خليل اللّه وهو كذلك وآدم اصطفاه اللّه وهو كذلك، ألا وانا حبيب اللّه ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 213

انا، وقال: انا أول الناس خروجا إذا بعثوا وانا خطيبهم إذا وفدواانا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد بيدي وانا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر» «1».

و لقد تطامن عيسى ابن مريم صاحب البينات والمؤيد بروح القدس أمام محمد صلى الله عليه و آله وكما ينقله عنه القديس برنابا الحواري في انجيله بكل تبجيله: مع أني لست مستحقا أن أحل سير حذائه قد نلت نعمة ورحمة من اللّه لأراه (2) فأجاب حينئذ الكاهن مع الوالي والملك قائلين:

لا تزعج نفسك يا يسوع قدوس اللّه فإنّ هذه الفتنة لا تحدث في زمننا مرة اخرى (3) لأننا سنكتب إلى مجلس الشيوخ الروماني المقدس بإصدار أمر ملكي أن لا احد يدعوك فيما بعد اللّه او ابن اللّه (4) فقال حينئذ يسوع ان كلامكم لا يعزيني لأنه يأتي ظلام حيث ترجون النور (5) ولكن يعوزني في مجي‏ء الرسول الذي سيبيد كل رأى كاذب فيّ وسيمتد دينه ويعم العالم بأسره لأنه هكذا وعد اللّه أبانا إبراهيم (6) وان ما يعزيني هو أن لا نهاية لدينه لأن اللّه سيحفظه صحيحا (7) أجاب الكاهن: أيأتي رسل آخرون بعد مجي‏ء رسول اللّه (8) فأجاب يسوع لا يأتي بعده أنبياء صادقون مرسلون من اللّه (9) ولكن يأتي عدد غفير من الأنبياء الكذبة وهو ما يحزنني (10) لأن الشيطان‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). تفسير الفخر الرازي 6: 197

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 214

سيثيرهم بحكم اللّه العادل فيتسترون بدعوى انجيلي ... (13) فقال الكاهن ماذا يسمى مسيّا وما هي العلامة التي تعلن مجيئه (14) أجاب يسوع ان اسم مسيا عجيب لأن اللّه نفسه سماه لما خلق نفسه ووضعها في بهاء سماوي (15) قال اللّه: اصبر يا محمد لأني لأجلك أريد أن اخلق الجنة والعالم وجما غفيرا من الخلائق التي أهبها لك حتى أن من يباركك يكون مباركا، ومن يلعنك يكون ملعونا (16) ومتى أرسلتك إلى العالم أجعلك رسولي للخلاص وتكون كلمتك صادقة حتى ان السماء والأرض تهنان ولكن إيمانك لا يهن ابدا (17) ان اسمه المبارك «محمّد» (18) حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين: يا الله أرسل لنا رسولك (97: 1-/ 18) «1» ذلك، و كثير أمثاله، كما يقول موسى الذي كلمه اللّه تكليما: «هذه بركة باركها موسى رجل الله بني إسرائيل عند موته (1) وقال: الله من سيناء جاء، تجلى من ساعير، تلعلع من جبل فاران وورد مع آلاف المقديسين، من يمينه ظهرت الشريعة النارية» (التثنية 33: 1-/ 2).

فهذه ظهورات ثلاث ربانية رسالية، من سيناء موسى ومن ساعير عيسى ومن فاران محمد صلوات اللّه عليهم أجمعين، وفي الأخيرة ميزة التلعلع تشريفا له بآلاف المقديسين، وان شريعته نارية قوية أقوى من كل شرعة إلهية (2).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1)

. (1، 2) لاطلاع اكثر راجع كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 215

اجل فقد «رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ» على من كلم اللّه وأوتي البينات وأيد بروح القدس، حيث أوتي ما أوتينا وأتوا وزيادة خالدة تحلق على كافة الدرجات الرسولية والرسالية، بهيمنة عالية متعالية عليها، لحدّ يعبر عنه بالرسول دون سائر الرسل، كأنه هو الرسول فقط، ويعبر عن وحيه ب «وَ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ» حين يعبر عن سائر الوحي بالوصية: «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَ ما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى‏ وَ عِيسى‏ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ...»!.

و يعبر عنه بين الشهود الرساليين بشهيد الشهداء وبكتابه تبيانا لكل شي‏ء: وَ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلى‏ هؤُلاءِ وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْ‏ءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً وَ بُشْرى‏ لِلْمُسْلِمِينَ (16: 89)، كما وهو رسول إلى النبيين: ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ ... (3: 81)، وحين يقسم اللّه بعمر لايقسم بينهم الا بعمره: لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (15: 72).

ذلك! وقد ارتسمت للبشرية في هذه الرسالة الطليقة، الحقيقة بالخلود، هندسة البناء لكل ما يتبناه ما طلعت الشمس وغربت، إعلانا صارحا صارخا بذلك المنهج الواسع الذي يسع كل النشاطات البشرية-/ أماهيه-/ المقبلة، إماما لها على طول خطها إلى يوم الدين، «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ ...»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 216

«لو» هنا تحيل مصلحيا تلك المشية التكوينية المسيرة لترك الاقتتال من بعد الرسل، فالرسالة الإلهية هي رمز الوحدة الدينية القاضية على كل الخلافات الضارية، المنتهية إلى الاقتتال.

لم تختلف في شرعة اللّه «وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ» ولم تترك هذه الشرعة الى سواها من مختلفات مختلقات، ولكنها اختلفت فيها بعد ما شرعت إيمانا وكفرا، ثم الذين أوتوه اختلفوا فيها بغيا بينهم، فنشبت في هذه الخلافات والاختلافات اقتتالات: «وَ لكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ» كفرا بأصل الرسالة، ام كفرا جانبيا بمادة الرسالة تحريفا لها وتجديفا، ام صمودا على رسالة منسوخة بأخرى.

«وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا» بان يجعل لهم-/ ككل-/ شرعة واحدة، ثم يحملهم عليها إزالة لاختيارهم، ولكن الشرعة الواحدة قليلة الابتلاء: «لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً ... لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً» (5: 48).

و كما والشرعة المسيّر إليها فاقدة الابتلاء، والدنيا هي دار التكليف والابتلاء: «وَ لكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ» من صالح العباد في اصل الشرعة وعديدها، وفي عدم التسيير على ترك القتال.

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَ لا خُلَّةٌ وَ لا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 217

شَفاعَةٌ وَ الْكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ» 254.

ان الإنفاق من رزق اللّه هو قضية الإيمان، و «مِمَّا رَزَقْناكُمْ» تعم كلّما يمكن إنفاقه ويحل من مال او حال: إرشادا عقليا او علميا، أم أي‏انفاق صالح دون افراط ولا تفريط.

«أَنْفِقُوا ... مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَ لا خُلَّةٌ وَ لا شَفاعَةٌ» وهو يوم انقطاع حياة التكليف موتا فرديا الى البرزخ، ام موتا جماعيا الى القيامة الكبرى، ثم «وَ الْكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ» مهما كان كفر العقيدة كمن يكفر بالإيمان، ام كفر العمل كمن لا ينفق من رزق اللّه.

النصارى اقرب مودة للمؤمنين‏

وَ لَوْ كانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ النَّبِيِّ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِياءَ وَ لكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فاسِقُونَ (81):

و ترى «النبي» هنا هو نبينا؟ والقضية الأولى للإيمان به وما أنزل إليه هي ولاية المؤمنين به حيث «الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ»! أم هو «النبي» الذي به يعتقدون-/ على حدّ دعواهم-/؟ والإيمان به يصونهم-/ لأقل تقدير-/ عن اتخاذ المشركين أولياء فإنه القضية الأولى للإيمان الكتابي!.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 218

و قد يعني «لو كانوا» إلى ذلك المعني «لو كانوا» هؤلاء الكفار الذين اتخذوهم هؤلاء أولياء «لَوْ كانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ النَّبِيِّ» محمد «وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِ» كما المسلمون «مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِياءَ» لانطباعهم على الكفر، فهم يحيدون عن الإيمان والمؤمنين باللَّه، وتصديق ذلك العداء العارم على المؤمنين المسلمين:

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَداوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى‏ ذلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَ رُهْباناً وَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (82):

هنا يقتسم الناس وجاه الذين آمنوا إلى ثلاث، فالنسناس منهم هم «أَشَدَّ النَّاسِ عَداوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا» من اليهود والمشركين، إخوان اثنان في ذلك الأشد بأشدّه، والناس منهم هم «يا أَيّهَا الّذينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصارَ اللّهِ كَما قالَ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوارِيِّينَ مَنْ أَنْصاري إِلَى اللّهِ قالَ الْحَوارِيّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللّهِ فَ‏آمَنَتْ طائِفَةٌ مِنْ بَني إِسْرائيلَ وَ كَفَرَتْ طائِفَةٌ فَأَيّدْنَا الّذينَ آمَنُوا عَلى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظاهِرينَ» (61: 14).

فهم أولاء الذين «قالُوا إِنَّا نَصارى‏» من الحواريين الصادقين في إيمانهم ومن تبعهم بإحسان، وهم الموحدون القلة بين المثلثين الكثرة، مؤمنين بالرسالة العيسوية كما يصح، و من أهم قضاياه البشارة بالرسالة المحمدية صلى الله عليه و آله.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 219

فالإيمان الكتابي الصادق مصدّق بالإيمان القرآني اللّاحق وهو بارز في جمع من النصارى، ولكن اليهود العنود هم أعدى الأعداء «لِلَّذِينَ آمَنُوا» إذ لم يؤمنوا بالرسالة الموسوية إلّا نفاقا عارما أو كفرا صارما، اللّهم إلّا القليل ممن وفى لرعاية الحق منهم.

ذلك، وقد يروى عن النبي صلى الله عليه و آله قوله: «ما خلا يهودي بمسلم إلا هم بقتله-/ أو-/ حدث نفسه بقتله» «1» وأما هؤلاء النصارى ف «أولئك كانوا قوما بين عيسى ومحمد عليهما السلام ينتظرون مجي‏ء محمد صلى الله عليه و آله‏ «2» وأضرابهم من المؤمنين بالحق.

ذلك، ولكنه هل ترى المودة النصرانية غير المحلّقة على كلهم للذين آمنوا، كيف تجعلهم أقرب مودة لهم، دون اليهود والمشركين وقد آمن منهما جموع كما آمن من النصارى؟.

هذا، لأن الذين قالوا إنا نصارى هم جمع خصوص من المسيحيين، ولا نجد جمعا هكذا بين اليهود والمشركين اللهمّ إلّا فالتين عنهم.

ثم و «بِأَنَّ مِنْهُمْ ..» علل ثلاث لكونهم ككلّ، وبطبيعة الحال الكتابية السليمة، هم‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 2: 302-/ أخرج ابو الشيخ وابن مردويه عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله:

(2). نور الثقلين 1: 663 في تفسير العياشي عن مروان عن بعض أصحابنا عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: ذكر النصارى وعداوتهم فقال: قول اللَّه «ذلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَ رُهْباناً وَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ» قال: أولئك.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 220

أقرب مودة للذين آمنوا.

فمهما كان بين اليهود أحبار كما بين النصارى قسيسون ورهبان، ولكن أين أحبار من اليهود وأين قسيسون ورهبان من النصارى، فظاهرة الاستكبار في أحبار اليهود، ظاهرة عدم الاستكبار في القسيسين والرهبان، هما ظاهرتان متناحرتان تجعلان اليهود والنصارى ككل متناحرين في حقل المودة للذين آمنوا.

ذلك، لأن الحياة السعيدة قائمة بالعلم والتواضع أمام الحق، والقيادة العلمية المتواضعة بين الذين قالوا إنا نصارى تجعل من شعوبهم عارفين الحق، والتواضع البارز فيهم يجعل منهم غير متصلبين أمام الحق، وليس لليهود طول تاريخهم-/ إلّا القليل-/ هذه القيادة السليمة.

و أما المشركون فهم يفقدون أصل القيادة الصالحة إلى قيادة شركية طالحة بحتة كالحة، أنحس منهم اليهود الذين يعاندون الذين آمنوا كما المشركين أو اكثر منهم، وهم أهل كتاب وبينهم قيادات روحية توراتية!.

ذلك، وأما العداء العارم الذي يحمله المبشرون المسيحيون ضد الإسلام، بدعايات‏كتابات ومحاولات مضللة أخرى ضد الإسلام، في حين لا نجد لليهود هكذا دعايات؟.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 221

نقول فيها أولا انهم ليسوا من النصارى مهما «قالُوا إِنَّا نَصارى‏» حيث لم يفوا لرعاية الحق في المسيح عليه السلام فهم خارجون عمن يصفهم اللَّه تعالى بتلك المودة الايمانية.

و أما جحود اليهود عن الدعاية اليهودية؟ فلأنهم يرونهم أنفسهم شعب اللَّه المختار، فلا يختارون-/ إذا-/ ذلك الإختيار لمن سواهم، ثم هم يعرقلون ضد المسلمين كافة العرقلات في مختلف الحقول حتى يخرجوهم «وقضينا الى بني إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَ لَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً ..».

ذلك، ولا تعني «أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا» إلّا «الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى‏» بمواصفات لهؤلاء ليس يحملها إلّا جماعة خصوص من النصارى.

فهنا «ذلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَ رُهْباناً وَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ» والقسّيس هو معرب كشيش، عالم النصارى، والرهبان هم المتعبدون المتزهدون علماء وسواهم، فالعلم‏الزهادة في القيادة هما المؤثران الرئيسيان في إصلاح الشعوب، إضافة إلى عدم الاستكبار في تلك القيادة، ومن ثم، وعلى أثر هذه الثلاث: «قالُوا: ... قِسِّيسِينَ وَ رُهْباناً وَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ» فهم:

وَ إِذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرى‏ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83):

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 222

و هؤلاء هم-/ ممن سبق-/ نصارى الحبشة حين بعث الرسول صلى الله عليه و آله جماعة من المسلمين إلى النجاشي فلقوا إجابة لهذه الرسالة السامية دونما نكول أو خمول‏ «1» ولم يسبق لهم مثيل في اليهود، ولا في المشركين، اللهمّ إلّا في فتح مكة حيث أسلم المشركون طوعا أو كرها بعد ردح طويل من الزمن من محارباتهم ومضايقاتهم ضد الرسول صلى الله عليه و آله والذين آمنوا معه.

فقد «كان رسول الله صلى الله عليه و آله وهو بمكة يخاف على أصحابه من المشركين فبعث جعفر بن أبي طالب وابن مسعود وعثمان ابن مظعون في رهط من أصحابه إلى النجاشي ملك الحبشة ..» «2» مهاجرة مؤقتة، ودعاية للإسلام، فاستنصارا بمن يؤمن في هذه الرحلة، قد

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 3: 302-/ أخرج عن جماعة انه بعث رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عمرو بن امية الضمري‏كتب‏معه كتابا الى النجاشي فقدم على النجاشي فقرأ كتاب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه وأرسل النجاشي الى الرهبان والقسيسين فجمعهم ثم امر جعفر بن أبي طالب ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ عليهم سورة مريم فآمنوا بالقرآن وفاضت أعينهم من الدمع وهم الذين انزل فيهم «وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً-/ الى-/ الشَّاهِدِينَ» وفيه عن سعيد بن جبير في الآية قال: هم رسل النجاشي الذين أرسل بإسلامه وإسلام قومه كانوا سبعين رجلا اختارهم من قومه الخير فالخير في الفقه‏و السن، وفي لفظ بعث من خيار أصحابه الى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ثلاثين رجلا فلما أتوا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله دخلوا عليه فقرأ عليهم سورة يس فبكوا حين سمعوا القرآن‏عرفوا انه الحق فانزل اللَّه فيهم «ذلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ ..»

(2). المصدر: .... لما بلغ المشركين بعثوا عمرو بن العاصي في رهط منهم ذكروا أنهم سبقوااصحاب النبي صلى الله عليه و آله الى النجاشي فقالوا: انه قد خرج فينا رجل سفه عقول قريش وأحلامها زعم انه نبي وانه بعث إليك رهطا ليفسد عليك قومك فأحببنا أن نأتيك ونخبرك خبرهم، قال: إن جاءوني نظرت فيما يقولون، فلما قدم أصحاب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فأتوا إلى باب النجاشي فقالوا: استأذن لأولياء اللَّه فقال: ائذن لهم فمرحبا بأولياء اللَّه فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط من المشركين الم تر أيها الملك أنا صدقناك وانهم لم يحيوك بتحيتك التي تحيا بها؟ فقال لهم: ما يمنعكم أن تحيوني بتحيتي؟ قالوا: إنا حييناك بتحية اهل الجنة والملائكة، فقال لهم: ما يقول صاحبكم في عيسى وامه؟ قالوا: يقول: عبد اللَّه ورسوله وكلمة من اللَّه وروح منه ألقاها الى مريم، ويقول في مريم: انها العذراء الطيبة البتول، قال: فأخذ عودا من الأرض فقال: ما زاد عيسى و امه على ما قال صاحبكم هذا العود، فكره المشركون قوله وتغير وجوههم فقال: هل تقرءون شيئا مما انزل عليكم؟ قالوا: نعم، قال: فاقرأوا فقرأوا وحوله القسيسون والرهبان وسائر النصارى فجعلت طائفة من القسيسين والرهبان كلما قرءوا آية انحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق، قال اللَّه: ذلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ-/ الى-/ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ».

وفي نور الثقلين 1: 661 عن تفسير القمي كان سبب نزول هذه الآية انه لما اشتدت قريش في أذى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأصحابه الذين آمنوا به بمكة قبل الهجرة أمرهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أن يخرجوا إلى الحبشة وامر جعفر بن أبي طالب ان يخرج معهم فخرج جعفر ومعه سبعون رجلا من المسلمين حتى ركبوا البحر-/ ثم يستمر في القصة بزيادات عما نقلناه عن الدر المنثور الى قوله-/: و رجع عمرو الى قريش فأخبرهم ان جعفرا في ارض الحبشة في أكرم كرامة .. فكتب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى النجاشي يخطب أم حبيب فبعث إليها النجاشي فخطبها لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله فأجابته فزوجها منه وأصدقها اربعمائة دينار وساقها عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وبعث إليه صلى الله عليه و آله بمارية القبطية ام ابراهيم وبعث اليه بثياب وطيب وفرس وبعث ثلاثين رجلا من القسيسين فقال لهم انظروا إلى كلامه وإلى مقعده ومشربه ومصلاه فلما وافوا المدينة دعاهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى الإسلام وقرأ عليهم القرآن: «إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَ عَلى‏ والِدَتِكَ-/ الى قوله-/: فَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ» فلما سمعوا ذلك من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بكوا وآمنوارجعوا إلى النجاشي فأخبروه خبر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وقرءوا عليه ما قرأ عليهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فبكى النجاشي وبكى القسيسون واسلم النجاشي ولم يظهر للحبشة إسلامه وخافهم على نفسه فخرج من بلاد الحبشة يريد النبي صلى الله عليه و آله فلما عبر البحر توفي فأنزل اللَّه على رسوله: «لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ-/ الى قوله-/: ذلِكَ جَزاءُ الُمحْسِنِينَ»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 224

حصلت كأحسن ما يرام لصالح الإسلام حيث آمن النجاشي وجمع من القسيسين‏الرهبان وسواهم من «الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى‏».

فهؤلاء القدامى ومن يتابعهم بإحسان طول التاريخ الإسلامي، هم المعنيون بهذه الآيات الواصفة ل «الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى‏» دون الضالين منهم والمضللين، ف «إِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بآياتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلًا أُولئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ» (3: 199).

ولقد أمر الرسول صلى الله عليه و آله المؤمنين أن يصلوا على النجاشي حيث مات في طريقه إليه صلى الله عليه و آله مؤمنا بهذه الرسالة السامية، فقال المنافقون: أنظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني حبشي لم يره قط وليس على دينه فأنزل اللَّه هذه الآية «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). بحار الأنوار 18: 411 عن الطبرسي قيل نزلت «إِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ ..» في النجاشي ملك الحبشة واسمه اصحمة وهو بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعاه جبرائيل لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله في اليوم الذي مات فيه فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: أخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم، قالوا: و من هو؟ قال: النجاشي، فخرج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله الى البقيع وكشف له من المدينة الى ارض الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه، فقال المنافقون ...

و قيل: نزلت في جماعة من اليهود كانوا اسلموا منهم عبد اللَّه بن سلام ومن معه عن ابن جريح‏ابن زيد وابن إسحاق، وقيل:

نزلت في مؤمني اهل الكتاب كلهم.

أقول: هذا الأخير هو الأصح إذ «لَيْسُوا سَواءً مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ ... وَ ما يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ» مهما كانت النصارى اقرب ايمانا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 225

ولقد كان من كتاب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى النجاشي حين بعث وفده إلى الحبشة: «بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول اللَّه إلى النجاشي الأصحم صاحب حبشة، سلام عليك، إني أحمد إليك اللَّه الملك القدوس المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح اللَّه وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه فيه وإني أدعوك إلى اللَّه وحده لا شريك له، الموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بي وبالذي جاءني فإني رسول اللَّه قد بعثت إليكم ابن عمي جعفر بن أبي طالب معه نفر من المسلمين فإذا جاءوك فأقرهم ودع التجبر فإني أدعوك وجيرتك إلى اللَّه تعالى وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي‏السلام على من اتبع الهدى.

وَ ما لَنا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ ما جاءَنا مِنَ الْحَقِّ وَ نَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنا رَبُّنا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (84):

«و مالنا» استفهام استنكار لعدم الإيمان بعد مجي‏ء الحق الناصع، أن الحق بنفسه مطلوب فطري وعقلي، ولا سيما في رجاء الرحمة على ضوء الإيمان به «وَ نَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنا رَبُّنا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ» الذين سبقونا بصالح الإيمان.

فالإيمان باللَّه هنا رأس الزاوية، «وَ ما جاءَنا مِنَ الْحَقِّ» من اللَّه هو شرعة الحق، «وَ

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 226

نَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنا» هو النتاج الآجل-/ بعد العاجل-/ للإيمان الحق، وهذه هي أصول الدين بفروعه في الشرعة القرآنية.

فَأَثابَهُمُ اللَّهُ بِما قالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ ذلِكَ جَزاءُ الُمحْسِنِينَ (85):

«... بِما قالُوا» قولة الإيمان والعمل الصالح دون مجرد قولة اللسان، وهذه الإثابة مما يبرهن لنا أن «أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا» ليسوا كل النصارى، وإنما هم الموصوفون بهذه المواصفات الناحية منحى الإيمان، دون الناحية عن الإيمان أو العوان بين الإيمان واللّاإيمان.

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بآياتِنا أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ (86):

تلك هي ضفّة صالح الإيمان، وهذه ضفّة كالح الكفر وبينهما متوسطات بين «فَأَثابَهُمُ اللَّهُ» و «أَصْحابُ الْجَحِيمِ» فقد يعذبون قدر ما يستحقون ثم مصيرهم إلى الجنة.

ذلك، ولأن جدد الإيمان من المسيحيين ظلوا شيئا مّا على الرهبانية المبتدعة فأثرت في المسلمين، لذلك تأتي هدى من اللَّه تعدل هذه الحالة إلى ما شرّعه اللَّه:

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 227

خطوات اسرائيلية لئيمة و تقفية رسل بعيسى بن مريم‏

هنا عرض لعشرة كاملة من المواثيق أمرا ونهيا، التي نقضوها كلها وهم يعتبرونها من النواميس الأحكامية الأصيلة في الشرعة التوراتية، ثم عرض آخر لإرسال الرسل إليهم تترى، استكبارا أمام من لا تهواه أنفسهم تكذيبا لهم وقتلا، وتكذيبا-/ في النهاية-/ بالقرآن وهم عرفوه من قبل استفتاحا-/ بمستقبل نزوله-/ على المشركين، بحجة اختصاص إيمانهم بما نزل عليهم فقط وقد كفروا به وقتلوا أنبياءهم من قبل، كما اتخذوا العجل أمام موسى.

ميثاق في شرعة التوراة عليهم، مذكور فيها بصيغة «الناموس» وتذكر هنا بنود الميثاق تقديما للأهم فالأهم:

1- (لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ» أمر بصيغة الإخبار، تأكيدا أكيدا على تطبيقه وكأنه واقع قبله، مما يوحي ألّا بديل عنه ولا عذر في تركه، فكما اللّه واقع لا مرد له، كذلك عبادة اللّه واقعة لا مرد لها، مزوّدة بحكم الفطرة والعقل وكلّ الأعراف المصدّقة بوجود اللّه.

2- (وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً» دون «تحسنون بالوالدين» تنازلا عن أكيد الأمر الى مرحلة ثانية، كما والإحسان بالوالدين ليس فرضه إلّا بعد فرض عبادة اللّه، وليس-/

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 228

فقط-/ أن تحرم الإساءة إليهما، بل الفرض هنا واجب الإحسان بهما في كافة الاتصالات والانفصالات الحيوية، روحية ومادية.

3-/ 5 (وَ ذِي الْقُرْبى‏ وَ الْيَتامى‏ وَ الْمَساكِينِ» مرحلة ثالثة من الفرض على اختلاف مراتب هذه الثلاث، فالإحسان بهؤلاء يأتي في ظل الإحسان بالوالدين، لتأخره عنه، دمجهم في «إحسانا» في الوالدين، وكما الإحسان بالوالدين كان مدمجا في ظل عبادة اللّه، وكل هذه من فروع عبادة اللّه.

ثم و «ذي القربى» في نفسها درجات «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى‏ بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ» وكذلك اليتامى والمساكين، الأيتم منهم والأسوء حالا ومسكنة.

فالأقرب الأيتم الأسكن، هو أوجب ممن سواه، وعلى هذا القياس دونما فوضى جزاف.

الخالق والخلق، فانه «يعني الناس كلهم» «1» ف «قولوا» تفرض حسن العشرة العملية بالأولوية القطعية، وليس «قولوا» هنا إلّا بيانا لأقل الواجب تجاه الناس، و «حُسنا» دون «حَسنا» تفرض خالص الإحسان وكأنه تجسّد للحُسن، مبالغة بليغة في الحد المفروض من حسن العشرة قولية وعملية مع الناس، كضابطة ضابطة كلّ التخلفات‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 1: 85-/ اخرج البيهقي في شعب الايمان عن علي بن أبي طالب عليه السلام في الآية: ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 229

الخلقية في عشرة الناس كل الناس «إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ» ف «جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها»:

«ادْعُ إِلى‏ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ»-/ «وَ لا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ».

فالضابطة السارية الجارية كأصل أوّلي في عشرة الناس هي الحسن، بل ومعاقبة الظالمين أيضا حسن بالناس، بل وحسن بالظالمين أيضا لكي يرتدعوا، أم ينتهوا شاءوا أم أبوا، ولكي يخفف عنهم يوم الحساب!.

ف «قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال فيكم» «1» «و لا تقولوا إلّا خيرا حتى تعلموا ما هو» «2» ف «اتقوا اللّه ولا تحملوا الناس على أكتافكم ...» «3».

أجل «للناس كلهم مؤمنهم ومخالفهم، أما المؤمنون فيبسط لهم وجهه، وأما المخالفون فيكلمهم بالمداراة لاجتذابهم إلى الإيمان فان ييأس من ذلك يكف شرورهم عن نفسه و عن إخوانهم ...» «4» ف «لا تدع النصيحة في كل حال» «5».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 1: 94 في اصول الكافي باسناده الى جابر بن زيد عن أبي جعفر عليهما السلام في الآية ..

(2). فيه باسناده الى معاوية بن عمار عن أبي عبد اللّه عليه السلام في الآية ...

(3). في تفسير العياشي عن عبد اللّه بن سنان عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال سمعته يقول: ان اللّه يقول في كتابه: وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً

(4). تفسير البرهان 1: 122 عن الأمام العسكري عليه السلام قال قال الصادق عليه السلام قولوا للناس حسنا، قال: ... ثم قال: ان مداراة اعداء اللّه من أفضل‏صدقة المرء على نفسه‏إخوانه، كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله في منزله، إذن استأذن عليه عبد اللّه بن أبي سلول فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: بئس أخو العشيرة ائذنوا له، فلما دخل أجلسه وبشر في وجهه فلما خرج قالت عائشة يا رسول اللّه صلى الله عليه و آله: قلت فيه ما قلت وفعلت فيه من البشر ما فعلت؟ فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله يا عويش يا حميراء ان شر الناس عند اللّه يوم القيامة من يكرم اتقاء شره‏

(5). نور الثقلين عن مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام: قال اللّه: وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 230

فالمؤمن حَسن ومحسن أيا كان وأيان، يصلح ولا يفسد في كل مجالات العشرة الحيوية، فكل قوله «حسن» وكل فعله «حسن» وكل نيته وعقيدته حسنة، فهو في نفسه جنة لا تبوء إلى نار حتى يلاقي ربه في دار القرار.

ثم حسن القول يعم الدعوة الحسنى، والأمر والنهي بالحسنى، وسائر العشرة القولية بالحسنى، ولكي يخلق المؤمن حسن الحب بحسن القول للناس وحسن المعاملة والعشرة معهم.

7 و 8 (وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ ...» هنا إقام الصلاة عبارة أخرى عن «لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ» بأفضل مصاديقها، وقد تعني إقام الصلاة فيما عنت إقام الصلوة على محمد وآله، وهي من إتمام الصلاة «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). تفسير بيان السعادة 1: 111 قد فسر في الخبر اقامة الصلاة بإتمام ركوعها وسجودها وحفظ مواقيتهاو أداء حقوقها التي إذا لم تؤدّ لم يتقبلها رب الخلائق، و (قال عليه السلام أتدرون ما تلك الحقوق؟ هو اتباعها بالصلاة على محمد وعلي وآلهما صلوات اللّه عليهم منطويا على الاعتقاد بأنهم أفضل خيرة اللّه والقوّام بحقوق اللّه والنصّار لدين اللّه تعالى.

قال عليه السلام: وأقيموا الصلاة على محمد وآله عند احوال غضبكم ورضاكم وشدتكم‏رخاكم و همومكم المعلقة بقلوبكم‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 231

كما وإيتاء الزكوة عبارة أخرى عن كل مراحل الإحسان روحيا وماديا، حيث الزكوة تعم زكوة الأرواح الأحوال إلى زكوة الأبدان والأموال «و هي زكوة المال والجاه وقوة البدن» «1».

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُعْرِضُونَ 83.

«توليتم» عن كل هذه الثمان أم بعضها «إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ» إذ أقبلوا إليها «و أنتم» المتولون «معرضون».

وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ وَ لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ 84.

9-/ 10 هنا تكملة للعشرة ناموسا أحكاميا للشريعة، حرمة الدماء والأموال: «لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ» لأن سفك دم أخيك هو سفك لدمك نفسك، فإن نفسه نفسك ونفسك‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). تفسير البرهان 1: 122 عن تفسير الامام العسكري عليه السلام قال: وآتوا الزكاة من المال‏الجاه وقوة البدن، فمن الحال مواسات إخوانك المؤمنين، ومن الجاه إيصالهم الى ما يتقاعسون عنه لضعفهم عن حوائجهم المترددة في صدورهم، وبالقوة معونة أخ لك قد سقط حماره او حمله في صحراء او طريق وهو يستغيث ولا يغاث من يعينه حتى يحمل عليه متاعه‏تركبه وتنهضه حتى يلحق القافلة وأنت في ذلك كله معتقد لموالات محمد وآله الطيبين‏ان اللّه يزكي أعمالك ويضاعفها بموالاتك لهم وبرائتك من أعدائهم‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 232

نفسه، فكما يحرم عليك سفك دمك، كذلك نفس محرمة أخرى غير مهدورة الدم، لا يحل سفكه، وكذلك إخراج أنفسكم من دياركم بنفس النمط، فان حرمة مال المسلم كحرمة دمه.

ثم في واجهة أخرى إن قتل نفس الغير وإخراجها من ديارها يخلف نفس القتل‏الإخراج لأنفسكم قصاصا وجزاءً، ف «لا تقتلون ولا تُخرجون» لها أبعاد ثلاثة كلها منهية مهما اختلفت.

تلك عشرة كاملة تولوا عنها وهم معرضون:

ثُمَّ أَنْتُمْ هؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ وَ إِنْ يَأْتُوكُمْ أُسارى‏ تُفادُوهُمْ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّونَ إِلى‏ أَشَدِّ الْعَذابِ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ 85.

«أنتم» لحاضر الخطاب و «هؤلاء» لغائبه، فكيف يجتمعان والحضور في الخطاب هنا هم الغُيَّب؟

قد يعني «أنتم» شعب إسرائيل المتمثل في الحاضرين زمن الخطاب، وهؤلاء هم السابقون منهم القاتلون أنفسهم والمخرجون، دمجا للحضور في الغيَّب لأنهم نفس‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 233

النمط، لهم نفس الخلق مأخوذين بنفس المأخذ، لأنهم سلسلة موصولة فيما كانوا يفتعلون، و لا أقل أنهم كانوا بما فعلوا راضين، والراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم.

أم إن «هؤلاء» هنا كمنادى تكرار منبّها لهؤلاء الحماقي أم كإشارة إليهم تأكيدا لصدور الجريمة منهم الأوس والخزرج، فقد كانوا كلهم مشركين، ويهود المدينة هم-/ وقتئذ-/ أحياء ثلاثة، مرتبطة بعهود، كلّ مع كلّ من حيي الشرك، فبنوا قينقاع وبنو النضير هما حلفاء الخزرج، وبنو قريظة هم حلفاء الأوس، فكانت الحرب إذا نشبت بينهم قاتل كل فريق من اليهود مع حلفاءه المشركين ضد آخرين ومعهم يهود آخرون، فيقتل اليهودي مثله كما يقتل المشرك دونما تمييز تمسكا بالأحلاف، وتناسيا لحلف اللّه وميثاقه الذي واثقهم به.

كما وكانوا يخرجون فريقا منهم من ديارهم إذا غلب فريقهم، نهبا لأموالهم وسبيا لفريق منهم حلفاء مع عدوهم «تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ» كما تتظاهرون على خلطاءهم المشركين، وهذا خلاف نص الميثاق في ناموس التوراة.

و من ثم «وَ إِنْ يَأْتُوكُمْ أُسارى‏ تُفادُوهُمْ» دافعين الفدية عنهم حتى تستلموهم اوتحرروهم، وفقا لنص آخر من التوراة «وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ» فكيف الجمع بين قتالهم‏قتلهم و إخراجهم وأسرهم، وبين مفاداتهم «أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 234

فتفادونهم «وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ» فتقاتلونهم وتخرجونهم من ديارهم وتأسرونهم؟.

و «هو» هنا إمّا ضمير شأن، أو مبتدء مبهم مفسّر ب «محرمّ» والجملة الخبرية خبرها.

«فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ» النقض لشرعة الميثاق التوراتي «مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا» أن تقاتلو إخوانكم لصالح أعداءكم المشركين «وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّونَ إِلى‏ أَشَدِّ الْعَذابِ» لأن ذلك من أشد العصيان ولكي يلفت أنظار المسلمين إلى أهمية ذلك المحظور، دون اختصاص باليهود، يخاطبهم:

أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَياةَ الدُّنْيا بِالآْخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ 86.

إعلان صارخ في هذه الإذاعة القرآنية يحذر المسلمين عن مثل ما افتعله اليهود، كيلا يحارب بعضهم بعضا لصالح الكافرين.

خطة تقليدية لعينة إسرائيلية في إمساك عِصيِّهم من أوساطها، انضماما إلى المعسكرات المتطاحنة كلها حيطة على مصالحهم المادية ومغانمهم على أية حال، نقضا لميثاق اللّه الذي واثقهم به، وتحكيما لميثاقهم مع أعداء اللّه، مصلحة وقائية وقتية، تجعل شرعتهم على هامشها، أم رفضا لها عُجالة حتى يربحوا المسرح، اشتراء للحياة الدنيا بالآخرة!.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 235

و ترى الآخرة كانت مملوكة لهم حتى يشتروا بها الدنيا فهم مالكوها؟ وذلك بيع ما لا يملك!.

لكلّ من المكلفين نصيب مقدّر من نعيم الآخرة إن عمل لها، فالذي لا يعمل لها كأنه باعها حيث بطل على نفسه استبدالا بها نعيم الدنيا، و «الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى‏ فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ».

«فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ» في تجارتهم الخاسرة من خسارهم «وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ» إذ لا ناصر يومئذ إلّا اللّه وليس بمخفف العذاب.

وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَ قَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَ آتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَ فَكُلَّما جاءَكُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى‏ أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ 87.

ذكر المسيح، ظاهرتان: الأولى: يقفي القرآن على كل الرسل بالمسيح، ولا يقفي على المسيح بأحد (2: 87) يعني هذه، و (5: 46) (57: 27).

الثانية: المسيح نفسه في ما ذكر القرآن عنه لا يبشر بأحد من بعده على الإطلاق إلّا في بعض تلك الآية اليتيمة: «وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» وهذا يجعل تعارضا ما بين الموقف المتواتر والموقف الشاذ اليتيم فيه، والعقيدة في كتاب منزل تؤخذ

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 236

من المحكم فيه لا من المتشابه‏ «1».

يستدل بآيات التقفية-/ الثلاث-/ على أن المسيح هو خاتم النبيين، فالثانية «وَ قَفَّيْنا عَلى‏ آثارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ وَ آتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَ نُورٌ وَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ وَ هُدىً وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ» (46).

و الثالثة: «ثُمَّ قَفَّيْنا عَلى‏ آثارِهِمْ بِرُسُلِنا وَ قَفَّيْنا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ آتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ ...»

(27).

و لكن آية البقرة تؤتي موسى الكتاب ثم تقفّي من بعده بالرسل، فلو كان المعني منهم كل الرسل لخرج المسيح عليه السلام ايضا عن جماعة الرسل، فهم-/ إذا-/ معظم الرسل الإسرائيليين، وقد قفي من بعدهم بالمسيح وهو خاتم الرسل الإسرائليين، وليست هذه التقفية الإسرائيلية إلّا توطئة لبيان انتقال الرسالة إلى رسول غير إسرائيلي‏

«... وَ لَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكافِرِينَ» (90)! فقد تلعن-/ بين الملعونين-/ القائلين أن المسيح هو خاتم المرسلين على الإطلاق، ناكرين رسالة القرآن العظيم! كما وأن آية المائدة أيضا لا تقفّي بالمسيح إلّا على الرسل الإسرائيليين:

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). ذكره الحداد البيروتي في كتابه مدخل الى الحوار الاسلامي المسيحي ص 364 ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 237

«إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ... وَ قَفَّيْنا عَلى‏ آثارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ...» مما يبرهن ان المسيح عليه السلام هو آخر الرسل الإسرائيليين التابعين لشرعة التوراة، ثم «لْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ... وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمَّا جاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ لكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» (48)! وكذلك آية الحديد، فإنها لا تقفي بالمسيح إلّا الرسل الذين ذكروا قبله، لا كل الرسل، «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً وَ إِبْراهِيمَ وَ جَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَ الْكِتابَ ... ثُمَّ قَفَّيْنا عَلى‏ آثارِهِمْ بِرُسُلِنا وَ قَفَّيْنا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ...» ثم يقفي بهذا الرسول خاتما لكل الرسالات: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ ...» «1».

فتراهم-/ هؤلاء البعيدين عن علم الكتاب-/ كيف يستندون بآيات الرسالة الختمية المحمدية على نكران رسالته عن بكرتها، ولا يفضحون إلّا أنفسهم لو كانوا يشعرون!.

ثم التقفية بالرسول أم برسول تعني تأييد كل لا حق من الرسل سابقه، وبيان ما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع رسول الإسلام في الكتب السماوية 162-/ 177

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 238

حرّف بأيدي الدس والتحريف، فليست لتعني الختم في الرسالة على أية حال، فالرسالات الإلهية هي سلسلة موصولة طول التاريخ الرسالي، ف «لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ»! لقد أتاهم رسلهم تترى تِلو بعض ولصِق بعض، كلّهم رسل التوراة، داعين إليه، وآخرهم عيسى بن مريم المزوّد بالبينات، المؤيد بروح القدس، ولكنهم كفروا وكذبوا:

«أَ فَكُلَّما جاءَكُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى‏ أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ) على هؤلاء الرسل (فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ».

هذه صنيعتهم برسلهم في ماضيهم النّحس النّجس، فما ذا يرجى من حاضرهم أمام نبيّ إسماعيلي؟!.

و إذا كانت رسالات إسرائيلية لا تمشي على أهواءهم فهم بها يكفرون رغم توافق العنصرية، فما ذا يرجى منهم أمام رسالة غير إسرائيلية لا توافق هذه العنصرية.

«وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» علّه روح القدس الرسالي ككل وهو مثلث الوحي والعصمة الرسالية وملك الوحي، وهذه الثلاث لا يصيبها ما يصيب سائر الأرواح الإنسانية «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 1: 98 في أصول الكافي باسناده الى المنخل عن جابر عن أبي جعفر عليهما السلام قال: سألته عن علم العالم؟ فقال لي: يا جابر إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس وروح الايمان وروح الحياة وروح القوة وروح الشهوة، فبروح القدس يا جابر عرفوا، تحت العرش الى ما تحت الثرى، ثم قال يا جابر! إن هذه الأربعة الأرواح يصيبها الحدثان الا روح القدس فإنها لا تلهو ولا تلعب.

وبإسناده إلى محمد بن سنان عن المفضل بن عمر عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: سألته عن عم الامام بما في أقطار الأرض، وهو في بيته مرضى عليه ستره؟ فقال: يا مفضل إن اللّه تبارك وتعالى جعل في النبي خمسة أرواح روح الحيوة فبه رب ودرج، وروح القوة في نهض وجاهه، وروح الشهوة فبه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الايمان فبه آمن وعدل، وروح القدس فبه حمل النبوة، فإذا قبض النبي انتقل روح القدس فصار إلى الامام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو ولا يلعب، والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتلهو وتزهو وروح القدس كان يرى به‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 239

وَ قالُوا قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا ما يُؤْمِنُونَ 88.

«غلف» هي جميع أغلف أو غلاف، وهو الذي في غلاف مبالغة، أو كالمتعود من غلاف السيف، فهل يعنون بغلف قلوبهم أنها «فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ» لا تنفذ إليها دعوة جديدة غير إسرائيلية: «وَ قالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَ فِي آذانِنا وَقْرٌ وَ مِنْ بَيْنِنا وَ بَيْنِكَ حِجابٌ» (41: 5).

فهي-/ إذا-/ غلف بطبيعة الحال عما تدعونا إليه، فما هو ذنبنا وقد خلقنا غلف القلوب، الجواب كلمة واحدة: «بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا ما يُؤْمِنُونَ»-/ «فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ»-/ «وَ جَعَلْنا عَلى‏ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً» (6: 25).

فليست هي غلفا بما خلق اللّه، بل «فَبما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَ جَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً» (5: 13).

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 240

أم يعنون أنها غنية عن أية شرعة غير إسرائيلية، فهي مغلفة عن غيرها، غنية بها، مليئة منها، ومن ثم «أنها أوعية للخير والعلوم قد أحاطت بها واشتملت عليها، ثم هي معذلك لا تعرف لك يا محمد فضلا مذكورا في شي‏ء من كتب اللّه ولا على لسان أحد من أنبياء اللّه» «1».

قد يعنون ذلك الثالوث من غلف القلوب، وردا عليهم فيها كلمة واحدة: «بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ» قلوب لعينة مقلوبة عن الخير بكفرهم، امتناعا لقبول الحق بالاختيار!.

و لأن اللّه لعنهم بكفرهم «فَقَلِيلًا ما يُؤْمِنُونَ» قليلا منهم، وقليلا من الإيمان، والقلتان معنيتان، فإنهما من خلفيات لعنهم بكفرهم، فقليلا منهم يتخلصون عن كفرهم، وقليلا يؤمنون حين يتخلصون.

ويروى عن النبي صلى الله عليه و آله «القلوب أربعة قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغفل مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مفصح، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجه فيه. وأما القلب الأغلف فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر، وأما القلب المفصح فقلب فيه ايمان ونفاق، ومثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم فاي المدتين غلبت على‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). تفسير الامام الحسن العسكري قال عليه السلام في تفسير الآية ... ومثله في الدر المنثور عن ابن عباس‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 241

الأخرى غلبت عليه‏ «1».

لقد قالوا قولتهم الهارفة الخارقة هذه تئييسا لمحمد صلى الله عليه و آله وتعليلا لعدم إجابتهم له:

وَ لَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكافِرِينَ 89.

هنا «مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ» لا تصدق كلّ ما معهم، فإنه دخيل من كل تحريف وتجديف، إذاً فهو الذي كانوا يستفتحون به على الذين كفروا من بشارات هذه الرسالة السامية القرآنية «2».

ثم وفي وجه آخر لما معهم، هو وحي التوراة خالصا عما يشوبه، حيث القرآن يصدق‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 1: 87-/ اخرج احمد بسند جيد عن أبي سعيد قال قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله وسلم): ... وفيه-/ اخرج ابن أبي شيبة في كتاب الايمان والبيهقي في شعب الايمان عن علي رضي اللّه عنه قال: ان الايمان يبدو لحظة بيضاء في القلب فكلما ازداد الايمان عظما ازداد ذلك البياض فإذا استكمل الايمان ابيض القلب كله، وان النفاق لحظة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق عظما ازداد ذلك السواد فإذا استكمل النفاق اسود القلب كله وايم اللّه لو شققتم على قلب مؤمن لوجدتموه ابيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه اسود».

أقول: يعني منه قلب الروح و «لو» المحيلة لذلك الشق يؤيده ولا استحالة في شق قلب الجسم‏

(2). تفسير البرهان 1: 126 قال الامام العسكري عليه السلام ذم اللّه اليهود فقال: «وَ لَمَّا جاءَهُمْ» يعني هؤلاء اليهود الذين تقدم ذكرهم وإخوانهم من اليهود جائهم «كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» القرآن «مصدق» ذلك الكتاب «لِما مَعَهُمْ» من التوراة التي يبين فيها ان محمدا الامي من ولد إسماعيل ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 242

كل كتابات الوحي، ويزيف كل دخيل فيها لأنه مهيمن عليها:

«وَ لْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ. وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ ..» (5: 48).

و الاستفتاح هنا هو طلب الفتح على المشركين، كقولهم فيما يروى «اللّهم إنا نستنصرك بحق النبي الأمي إلا نصرتنا عليهم» «1» أو وطلب الفتح منهم أن يخبروهم هل‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 1: 88-/ اخرج ابو نعيم في الدلائل من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس قال:

كانت يهود بني قريظة والنضير من قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه و آله يستفتحون اللّه يدعون على الذين كفروا ويقولون: اللهم ... فلما جاءهم ما عرفوا-/ يريد محمدا ولم يشكوا فيه-/ كفروا به. ومن طريق أصحابنا في نور الثقلين أخرجه بأسانيد وأخصرها متنا ما رواه القمي عن إسحاق بن عمار قال سألت أبا عبد اللّه عليه السلام في الآية قال: كان قوم فيما بين محمدعيسى صلوات اللّه عليهما، وكانوا يتوعدون اهل الأصنام بالنبي (صلّى اللّه عليه وآله‏سلم) و يقولون ليخرجن نبي فليكسرنّ أصنامكم وليفعلن بكم وليفعلن، فلما خرج رسول اللّه (صلى اللّه-/ عليه وآله وسلم) كفروا به. وفيه عن روضة الكافي عنه عليه السلام يقول فيه بعد تفصيل للقصة وكانت اليهود تقول لهم-/ المشركين القاطنين بالمدينة-/ اما لو قد بعث محمد لنخرجنكم من ديارنا وأموالنا، فلما بعث اللّه محمدا صلى الله عليه و آله آمنت به الأنصار-/ وهم وقتئذ من المشركين-/ وكفرت به اليهود وهو قول اللّه عز وجل وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ...

وفي تفسير الامام العسكري عليه السلام ... وكان اللّه عز وجل امر اليهود في ايام موسى وبعده إذا دهمهم أمر او دهتهم داهية ان يدعو اللّه عز وجل بمحمد وآله الطيبين وان يستنصروا بهم‏كانوا يفعلون ذلك، حتى كانت اليهود من اهل المدينة قبل ظهور محمد صلى الله عليه و آله بسنين كثيرة يفعلون ذلك فيكفون البلاء والدهماء والداهية

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 243

ولد من وصفته التوراة؟ ولكنه لا يصلح إلّا ضمن المعني من الاستفتاح عليهم لأنه طلب الفتح منهم لا عليهم!.

لقد كانوا يستفتحون ببشارة القرآن في توراتهم، على المشركين، كمصلحة وقتية «فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا» من ذلك الفتح الرسالي «كَفَرُوا بِهِ» مصلحية الحفاظ على الشرعة العنصرية «فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكافِرِينَ».

بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِما أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلى‏ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ فَباؤُ بِغَضَبٍ عَلى‏ غَضَبٍ وَ لِلْكافِرِينَ عَذابٌ مُهِينٌ 90.

فالإنسان-/ أيا كان-/ يعادل نفسه بثمن ما قليلا أو كثيرا، وأما أن يعادلها بالكفر بآيات اللّه، فتلك هي أبخس الصفقات وأنحسها، وذلك واقع إسرائيلي أن اشتروا أنفسهم بالكفر، بغيا وحسدا من عند أنفسهم أن ينزل اللّه من فضله على من يشاء من عباده، كفرا بما عرفوه في استفتاحهم، وبما حسدوا صاحب هذه الرسالة الأخيرة «فَباؤُ» رجوعا عن ذلك المتجر الخاسر الحاسر «بِغَضَبٍ عَلى‏ غَضَبٍ» لبعدي الكفر بالتوراة وبالقرآن «وَ لِلْكافِرِينَ» المغضوب عليهم «عَذابٌ مُهِينٌ» كما أهانوا رسالة اللّه.

و إليكم إشارات من بشارات الفتح التي كانوا بها يستفتحون، ففي كتاب حبقوق النبي (3: 3-/ 6) في الأصل العبراني:

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 244

«إلوه متيماه يا بوء وقادوش مهر پاران سلاه كيثاه شاميم هودو ويتهلاتو مالآيه ها آرص 3 ونغه كاأور تهيه قرنيم ميادو لو شام حبيون عوزه 4 لفاناي يلخ دابر ويسي‏ء رشف لرجلايو 5 عامد ويمودد آرص رآه ويتر غويم ويت تصصو هر ري عد شحو جبعوت عولام هليخوت عولام لو 6).

«الله من تيمان يأتي والقدوس من جبل پاران: حرى‏- فاراني (يأتي) مع الأبد.

غطى جلاله السماوات وامتلأت الأرض من تسبيحه 3 شعاعه كالشمس وشع من يمينه النور و هناك استتار قوته 4 قدام وجهه يسير الوباء، وأمام قدميه تبرز حمّى ملهبة 5 وقف‏مسح الأرض، نظر وأذاب الأمم، وتبددت الجبال القديمة وخسفت وانحنت إكام‏أتلال القدم، مسالك الأزال له (6).

و في الأصل العبراني (تث 33: 1-/ 2) من التوراة:

«و زئت هبراخاه أشر برخ موشه إيش ها إلوهيم ات بني يسرائيل لفني موتوا (1) ويومر يهواه مسيني باو زارح مسعير لامو هو فيع مهر فاران وآتاه مر ببت قدش مى مينو اش دات لامو (2).

«و هذه بركة باركها موسى رجل الله بني إسرائيل عند موته (1) وقال: الله من سيناء جاء، تجلى من ساعير، تلعلع من فاران، وورد مع آلاف المقدسين، من يمينه‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 245

ظهرت الشريعة النارية (2).

هنا يبشر اللّه بلسان موسى عليه السلام بتجليات ربانية ثلاث، فموسى «من سيناء» والمسيح «من ساعير» ومحمد صلى الله عليه و آله «من فاران» تعبيرا عن الكل بالماضي تثبيتا لتحقق وقوعها، تزويدا لمحمد المتجلي من فاران أنه ورد ومن يمينه ظهرت الشريعة النار وهي شريعة الجهاد.

و في سالفة لها تختصر البشارة بآيتين «من تيمان» وهو مبعث المسيح فانه ساعير جنوبي القدس، ومن فاران وهو مبعث محمد صلى الله عليه و آله ثم تصفه بشرعته ما تصف، بهيمنةشوكة وأبدية ... «1».

هكذا كانوا يستفتحون به على الذين كفروا وهم يعرفونه «فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكافِرِينَ. بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِما أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلى‏ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ فَباؤُ بِغَضَبٍ عَلى‏ غَضَبٍ وَ لِلْكافِرِينَ عَذابٌ مُهِينٌ».

وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَيْنا وَ يَكْفُرُونَ بِما وَراءَهُ وَ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ 91.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع رسول الإسلام في الكتب السماوية 44-/ 53

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 246

«نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَيْنا» جوابا عن «آمِنُوا بِما أَنْزَلَ اللَّهُ» قسمة ضيزى في الإيمان بما أنزل اللّه، قضية العنصرية الحمقاء فيهم، ف «يَكْفُرُونَ بِما وَراءَهُ» أيا كان النازل وعلى أيّ كان، ما لم يكن نازلا على إسرائيل! «و هو» «ما أنزل الله» الخالص الناصع دون خليط و لا تبدّل حتى آخر زمن التكليف، فمهما كان النازل عليهم حقا في أصله فهو حقّ وليس «هو الحق» كلّه، وهذا «هو الحق» كلّه هنا لكونه «مُصَدِّقاً لِما مَعَهُمْ» فيما كانوا به يستفتحون.

و حتى لو أنكم تؤمنون بما أنزل إليكم «فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ» وهم منكم «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» بخصوص الوحي النازل على الرسل الإسرائيليين؟!

تقفية رسل بعيسى بن مريم‏

وَ قَفَّيْنا عَلى‏ آثارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ وَ آتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَ نُورٌ وَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ وَ هُدىً وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (46).

«و قفّينا» أن جعلنا خليفة النبوة «عَلى‏ آثارِهِمْ» أولاء «النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا» وهم الأنبياء الإسرائيليون «بعيسى بن مريم» فإنه منهم وهو خاتمهم.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 247

هوّات الجهالات‏ «1» حيث «هم» في «آثارهم» لا مرجع لها إلّا «النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا» إذ يحكمون بالتوراة، وبعد ختام شريعة التوراة التي يحكم بها النبيون الإسرائيليون وآخرهم المسيح عليه السلام يصرح بالشرعة القرآنية المقفّى بها كافة الشرائع عن بكرتها: «وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمَّا جاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ لكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» (2).

و آيات التقفية-/ الثلاث-/ وهذه منها-/ لا تقفّي بالمسيح كافة الرسل، إنما هم الرسل الإسرائيليون، وذكراهم كلهم تهيئة لذكرى هذه الرسالة غير الإسرائيلية، المهيمنة عليها كلها.

فآية البقرة: «وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَ قَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَ آتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ» (87) لا تعني بالرسل كلهم، وإلّا لخرج المسيح عن الرسل حيث قفت‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). (1، 2). كالاستاذ حداد البيروتي حيث يقول في كتابه «القرآن والكتاب» في القرآن كله في‏النصوص كلها التي يرد فيها ذكر المسيح ظاهرتان: الأولى يقفي القرآن على كل الرسل بالمسيح‏لا يقفي على المسيح بأحد (2: 87) (5: 49) (57: 47).

هو يذكر (47) بديلا عن (27) مما يدل على أنه لم يراجع القرآن نفسه إنما ينقل ما يتقوله نقلا عن أضرابه، فيا ليته راجعه حتى يعرف بتأمل قليل خطأ المنقول عنه!

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 248

الآية الرسل كلهم من بعد موسى، فهم رسل إسرائيليون لم يبق منهم إلّا خاتمهم وهو المسيح عليه السلام ولم يقفّ به-/ كذلك-/ كل الرسل حيث النص «قَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ» لا «قفينا بالمسيح الرسل» بل إن رسالة موسى وتقفيته بالرسل الإسرائيليين وخاتمهم المسيح عليه السلام هي توطئة لذكرى الرسالة الأخيرة غير الإسرائيلية وكما هيه بفصل آيتين:

«وَ لَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكافِرِينَ»

و منهم من يقفّي بالمسيح عليه السلام كافة المرسلين سنادا إلى هذه الآيات التي هي تقدمة لذكرى جميلة عن محمد صلى الله عليه و آله خاتم النبيين.

و هكذا الآية الثالثة في حقل التقفية: «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً وَ إِبْراهِيمَ وَ جَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ ... ثُمَّ قَفَّيْنا عَلى‏ آثارِهِمْ بِرُسُلِنا وَ قَفَّيْنا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ» (57: 27) فهنا «برسلنا» تعم الرسل الإسماعيليين إلى الرسل الإسرائيليين لمكان «ذريتهما» ومنهم إسماعيل، ثم التقفية بعيسى بن مريم تختص بالرسل الإسرائيليين.

ثم تقفي الآية التالية لها بهذه الرسالة السامية: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ ... لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلى‏ شَيْ‏ءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» (23).

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 249

فما أجهله من يستند إلى القرآن نفسه لنكران الرسالة القرآنية بالآيات التي تصرح بهذه الرسالة السامية بعد الرسالات كلها، كأصل أصيل بينها وهي لها تقدمات كلها!.

ذلك، والتقفية على آثار الرسل الإسرائيليين بعيسى بن مريم إخبار بأن المسيح هو من هؤلاء النبيين الذين أسلموا، الحاكمين بالتوراة، وأن الإنجيل لا يحمل شرعة مستقلة عن التوراة، اللّهم إلّا شذرا من تحريم طيبات حرمت على اليهود عقوبة وقتية: «وَ لِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ» ومن آثارهم بعد الخاصة التوراتية هذه الآثار الرسالية العامة وفي قمتها أثر الدعاية التوحيدية وسائر الدعايات المحلّقة على كل الرسالات دونما استثناء.

«وَ آتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ» وقد وصف هنا بمواصفات خمس: (1 فِيهِ هُدىً-/ 2 وَ نُورٌ-/ 3 وَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ-/ 4 وَ هُدىً-/ 5 وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ».

القرآن، مما يلمح بأن اللسان كأنه فقط للموعظة! وهكذا يجب أن يكون لسان الإنسان كإنسان فضلا عمن يحمل الإيمان.

و هنا المحور الأصيل من الخمس «هُدىً وَ نُورٌ» كما التوراة، ولكنه هدى أحكامية ونور لها حيث ينير الدرب على السالكين مسلك الشرعة التوراتية، خالصة عن كل تحريف و تجديف، وهكذا يكون الإنجيل «مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ» تصديقا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 250

عمليا في شرعة الإنجيل إلى جانب التصديق العقيدي أن التوراة النازلة من اللّه هي وحي اللّه.

و هنا «هدى» مرة ثانية قد تعني الهدى الجديدة الجادة التي تحملها الإنجيل في حالته التصفوية لشرعة التوراة المحرّفة عن جهات من أشراعها، ثم «وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ» لمكان واجهة العظة الشاملة التي تتغلب على الإنجيل، حيث تحتل الأغلبية الساحقة من آياته.

و لقد كان لزاما لشرعة الإنجيل بعد التوراة هذه الهيمنة الخلقية حيث تواجه-/ أول ما تواجه-/ قلوبا قاسية جاسية صلدة صلتة من اليهود.

و لقد يشهد الإنجيل بآياته عامة وخاصة، أن شرعة الناموس-/ وهي شرعة التوراة-/ غير منسوخة بالإنجيل إلّا في أحكام عقابية مؤقتة.

فقد يقول السيد المسيح عليه السلام كما في إنجيل متى 5: 17-/ 19-/: (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى، وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السماوات. وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما في ملكوت السماوات».

و في إنجيل لوقا 10: 25-/ 26: (و إذا ناموسي قام يجر به قائلا: يا معلم ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال له: ما هو مكتوب في الناموس».

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 251

«وَ لْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ» أهل الإنجيل هم الآهلون لتفهّمه، المتخرجون من الحوزة الاستحفاظية الإنجيلية، كما على أهل التوراة ربانيين وأحبارا أن يحكموا بالتوراة بما استحفظوا من كتاب اللّه وكانوا عليه شهداء، فليحكموا كل بما أنزل اللّه دون ما أنزله غير اللّه من تحريف وتجديف، ودون ما تهواه أنفسهم تأويلا لما أنزل اللّه، فليحكم أهل الإنجيل في كل الأحكام بما أنزل اللّه في التوراة حيث الإنجيل يأمرهم بإتباع شريعة الناموس إلّا شذرا فيه: «وَ لِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ» ليحكموا بما أنزل اللّه فيه من البشارات الواردة بحق محمد صلى الله عليه و آله وقرآنه العظيم. «وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ» حيث فسقوا عن شرعة اللّه إلى أهواءهم.

و ترى حين لا حكم للإنجيل وسواه من كتب السماء بعد نزول القرآن فكيف يؤمر أهل الإنجيل أن يحكموا بما أنزل اللّه فيه؟!.

ذلك، لأنهم لو حكموا بما أنزل اللّه فيه لأصبحوا مسلمين، فإن مما أنزل اللّه فيه البشارات المحمدية، ثم هم إذا لا يؤمنون بهذه الرسالة فليؤمنوا بكتابهم الذي هم به معترفون، وهذه حجة إقناعية ثانية حين لا يهتدي الخصم إلى الحق المرام.

ذلك، والتلحيقة المتكررة «وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ» هي ضابطة عامة دون اختصاص بحقل خاص، فقد يعم المسلمين بأحرى من الكتابيين، إذ كلّما كان الكتاب‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 252

أعظم فليكن الحكم به أعزم، فترك الحكم به-/ إذا-/ ألعن.

قول فصل في الحكم:

الذين لا يحكمون بما أنزل اللّه وهم في موقف الحكم بما أنزل اللّه، متخرجين عن حوزته الاستحفاظية توراتية وإنجيلية وبأحرى منهما الحوزة الاستحفاظية القرآنية.

«وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ» «... هُمُ الظَّالِمُونَ» «... هُمُ الْفاسِقُونَ» فمثلث الشرطية هذه تحلّق حكم الكفر والظلم والفسق على كل هؤلاء الذين لا يحكمون بما أنزل اللّه، حيث هم سكوت في مجالات الحكم عن أن يحكموا بما أنزل اللّه مهما لم يحكموا بغير ما أنزل اللّه، فإن حكموا بغير ما أنزل اللّه فهم أنذل وأرذل حيث هم-/ إذا-/ أكفر وأظلم وأفسق من هؤلاء الساكتين عن الحكم بما أنزل اللّه.

و بصيغة واحدة «إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَ هُوَ خَيْرُ الْفاصِلِينَ» (6: 57) وذلك يعم كافة الأحكام بين عباد اللّه، من أحكام خاصة هي الأقضية بين المتنازعين، والأحكام العامة الشاملة لكافة المسئوليات الشرعية.

و ما رسل اللّه عليهم السلام إلّا حملة لأحكام اللّه حيث يحكمون وحيا بما أنزل اللّه، ثم من يخلفهم من خلفاءهم المعصومين عليهم السلام، ومن ثمّ العلماء الربانيون المتخرجون من الحوزة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 253

الاستحفاظية فيما أنزل اللّه أيّا كان، وأحفظ الحوزات الاستحفاظية للذين يحكمون بما أنزل اللّه هي الحوزة القرآنية السامية، وعلى ضوءها حوزة السنة المحمدية صلى الله عليه و آله. فكل حكم بغير ما أنزل اللّه-/ أيّا كان سنده وسناده-/ هو حكم الجاهلية مهما اختلفت دركاته:

«أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» (5:) 50).

فحكام الشرع في الحوزات الإفتائية العامة، أو الحوزات القضائية الخاصة، ليس لهم أن يصدروا في أحكامهم إلّا «ما أَنْزَلَ اللَّهُ» شرط تخرّجهم عن الحوزة الاستحفاظية القرآنية علميا عقيديا وعمليا، فغير الحائز ليس محبورا، فلا يحكم حاكم إلّا بكتاب اللّه تعالى أو سنة رسول اللّه صلى الله عليه و آله وإلّا فليسكت، ف «العلم ثلاثة كتاب وسنة ولا أدري» «1» و «القضاة أربعة ثلاثة في النار، وواحد في الجنة، رجل قضى بجور وهو يعلم فهو في النار، ورجل قضى بجور وهو لا يعلم فهو في النار، ورجل قضى بالحق وهو لا يعلم فهو في النار ورجل قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة» «2».

فالقصد من «يعلم» الأول هو العلم بجوره في قضاءه، ومن «يعلم» الثاني هو علم القضاء بتوفر شروطه وإن أخطأ حيث العصمة في القضاء خاصة بأهل العصمة، كما أن «لا يعلم» في «قضى بجور وقضى بالحق» هو كذلك علم القضاء وصلاحيته له.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1)

. أصول الكافي باب العلم عن الإمام الصادق عليه السلام‏

(2). وسائل الشيعة باب القضاء عن الإمام الصادق عليه السلام‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 254

إذا فثالوث أهل النار هم غير المستأهلين للقضاء حيث «لا يعلم ... لا يعلم» والمستأهل له علميا ولكنه يقضي بالجور على علمه بجوره وعلمه بشؤون القضاء، ثم واحد الجنة هو القاضي بالحق وهو مستأهل له حيث تخرّج عن الحوزة الاستحفاظية القرآنية بشروطها الثلاثة.

إذا فباختصار واحتصار «الحكم حكمان حكم الله عز وجل وحكم أهل الجاهلية» «1» فحكم اللّه من المعصومين هو حكمه كما حكم دون أي‏خطأ قاصر أو مقصر، ومن العلماء الربانيين هو الحكم بالكتاب والسنة مهما أخطأوا قاصرين وإن لم يكونوا فيه محبورين كما ليسوا بمحظورين.

فالخطأ المقصر هو المحظور، تقصيرا في الجلوس على منصب القضاء أو تقصيرا في الحكم، و قد يعنيه «أي‏قاض قضى بين إثنين فأخطأ سقط أبعد من السماء» «2».

وقد يروى عن النبي صلى الله عليه و آله قوله: «لسان القاضي بين جمرتين من نار حتى يقضي بين الناس فإما إلى الجنة أو إلى النار».

و من الشروط المحتومة للمتخرج عن الحوزة الاستحفاظية القضائية التدرّب في القضاء على أضواء أقضية القضاة المعصومين وكما يروى عن الإمام الصادق عليه السلام: «إياكم‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). وسائل الشيعة ج 18 ح 7

(2). المصدر ص 18 باب 3 ح 18

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 255

أن يحاكم بعضكم بعضا إلى أهل الجور ولكن أنظروا إلى رجل منكم يعلم شيئا من قضايانا فاجعلوه بينكم فإني قد جعلته قاضيا فتحاكموا إليه» «1».

و لقد نسمع أقضى القضاة عليا عليه السلام يقول لشريح: «يا شريح قد جلست مجلسا لا يجلسه إلا نبي أو وصي نبي أو شقي» «2» وفي توسعة بالضرورة القضائية زمن الغيبة-/ ل «وصي نبي» قد تعني بعد المعصومين أقرب العلماء الربانيين إليهم حيث هم نوابهم زمن غيابهم عليهم السلام، إذا فلا يحق القضاء لكل رطب ويابس!.

و إذا كان القاضي زمن المعصوم فعليه أن يعرض قضاءه عليه تجنّبا عن الأخطاء القاصرة «3» ف «اتقوا الحكومة فإن الحكومة إنما هي للإمام العالم بالقضاء العادل في المسلمين لنبي (كنبي) أو وصي نبي» «4».

و إليكم جماع شروط الحكم بين الناس من كتاب علي أمير المؤمنين عليه السلام إلى مالك‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). المصدر 18 ص 4 ح 5

(2). وسائل الشيعة 18: 7 وروضة المتقين 6: 18 رواه الكليني والشيخ في القوي عن إسحاق بن‏عمار عن أبي عبد اللّه عليه السلام عنه عليه السلام‏

(3). في التهذيب باب من إليه الحكم الحديث 1 و 2 (لما ولى أمير المؤمنين عليه السلام شريحا القضاءاشترط عليه ألا ينفذ القضاء حتى يعرضه عليه»

(4). الوسائل باب القضاء عن علي عليه السلام، وفي الكافي باب ادب الحكم ح 6 والتهذيب باب‏آداب الحكام في الصحيح عن الصادق عليه السلام إذا كان الحاكم يقول لمن عن يمينه ولمن عن يساره ما تقول-/ ما ترى؟ «فعلى ذلك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ألا يقوم من مجلسه‏يجلسهما مكانه»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 256

الأشتر حين ولّاه مصر: «اختر للحكم بين الناس 1- أفضل رعيتك في نفسك- 2- ممن لا تضيق به الأمور-/ 3- ولا تمحكه الخصوم-/ 4- ولا يتمادى في الزلة-/ 5- ولا يحصر من الفي‏ء إلى الحق إذا عرفه-/ 6- ولا تشرف نفسه على طمع-/ 7- ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه-/ 8- وأوقفهم في الشبهات-/ 9- وآخذهم بالحجج-/ 10- وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم-/ 11- وأصبرهم على تكشف الأمور-/ 12- وأصرمهم عند اتضاح الحكم-/ 13- ممن لا يزدهيه إطراء-/ 14- ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل.

ثم 1- أكثر تعاهد قضاءه-/ 2- وافسح له في البذل ما يزيل علته وتقل معه حاجته إلى الناس-/ 3- وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك-/ 4- فأنظر في ذلك نظرا بليغا فإن هذا الدين قد كان أسيرا في أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا».

فهذه شروط في اصطفاء القضاة، فيهم أربعة عشر، وفيمن يصطفيهم متعاهدا إياهم أربعة.

وفي كلام له عليه السلام آخر نسمع مواصفات القضاة السوء حيث يقول: «إن أبغض الخلائق إلى اللّه رجلان رجل وكله اللّه إلى نفسه، فهو جائر عن قصد السبيل، مشغوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة، فهو فتنة لمن افتتن به، ضالّ عن هدى من كان قبله، مضل‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 257

لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته، حمال خطايا غيره رهن بخطيئة.

و رجل قمش جهلا، موضع في جهال الأمة، عاد في أغباش الفتنة، عم بما في عقد الهدنة، قد سماه أشباه الناس عالما وليس به، بكّر فاستكثر من جمع، ما قل منه خير مما كثر، حتى إذا ارتوى عن آجن، واكتنز من غير طائل، جلس بين الناس قاضيا لتخليص ما التبس على غيره، فإن نزلت به إحدى المبهمات هيّا لها حشوا من رأيه ثم قطع به، فهو من لبس الشبهات في مثل نسيج العنكبوت، لا يدري أصاب أم أخطأ، فإن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ، وإن أخطأ رجى أن يكون قد أصاب، جاهل خبّاط جهالات، عاش ركّاب عشوات، لم يعضّ على العلم بضرس قاطع، يذري الروايات إذراء الريح الهشيم، لا ملي‏ء و اللّه بإصدار ما ورد عليه، ولا هو أهل لما فوّض إليه، يحسب العلم في شي‏ء مما أنكره، لا يرى أن من وراء ما بلغ مذهبا لغيره، وإن أظلم أمرا اكتتم لما يعلم من جهل نفسه، تصرخ من جور قضاءه الدماء، وتعج منه المواريث، إلى اللّه أشكو من معشر يعيشون جهالا ويموتون ضلّالا، ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته، لاسلعة أنفق بيعا ولا أغلى ثمنا من الكتاب إذا حرف عن مواضعه، ولا عندهم أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر» «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 1: 628 في كتاب الإحتجاج عن معمر بن راشد قال سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله وقد ذكر الأنبياء صلوات اللّه عليهم، «و إن الله عز وجل جعل كتابي المهمين على كتبهم الناسخ لها ...» وفيه في روضة الكافي بسند متصل عن علي بن عيسى رفعه قال: «إن موسى عليه السلام ناجاه ربه تبارك وتعالى فقال في مناجاته أوصيك يا موسى وصية الشفيق المشفق بابن البتول عيسى بن مريم ومن بعده بصاحب الجمل الأحمر الطيب الطاهر المطهر فمثله في كتابك إنه مؤمن مهيمن على الكتب كلها ...»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 258

ذلك «وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ» إنما يحكم بكفره وفسقه وظلمه حين يعلم أنه تارك لحكم اللّه وهو في موقف تبيانه، فهو كفر عملي، وأما من يحكم بغير ما أنزل اللّه وهو يعلم فهو كفر عقيدي، وأما الذي لا يعلم ويحكم على جهله، فهو أيضا كافر عمليا، وكما الكفر دركات كذلك الحكم بغير ما أنزل اللّه كتركه دركات لا تحسب بحساب واحد.

ذلك، وتلاوة الكتاب حق تلاوته هي أن يمحور القرآن كأصل أصيل في الأصول الإسلامية، فالفتاوى التي لا تتبنى القرآن هي داخلة في الحكم بغير ما أنزل اللّه، فإن كلّ مغاير لما أنزل اللّه مهما كان حديثا يروى أو إجماعا يدعى كل ذلك داخلة في غير ما أنزل اللّه.

ان شجرة النبوة الواحدة الباسقة، تمتد من فجرها وجذرها الأول الأصيل: نوح، وإلى ابراهيم وموسى وعيسى، وتنتهي إلى خاتم النبيين محمد صلى الله عليه و آله وبين هؤلاء الأصول فروع متشابكة غير متشاكسة، تنبت من تلكم الأصول، ذرية بعضها من بعض (فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ) وفي مقدمتهم النبيون الذرية (وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ) فليست النبوة للذرية لأنهم ذرية

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 259

وارثة، فالنبوة لا تعرف الذرية ولا تورث، وإنما انتجاب من بين الذرية (وَ جَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَ الْكِتابَ) لا أن كلهم أنبياء ذووا الكتاب.

ثُمَّ قَفَّيْنا عَلى‏ آثارِهِمْ بِرُسُلِنا وَ قَفَّيْنا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ آتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ وَ جَعَلْنا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَ رَحْمَةً وَ رَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللَّهِ فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ:

«ثم قفينا» التقفية هي جعل شي‏ء إثر آخر استمرارا فيه بما كان، فالرسل بعد نوح‏ابراهيم الى عيسى بن مريم، بعضهم استمرار بعض: كل لاحق لسابقه في رسالة واحدة مهما كانت حملتها كثرة، كقوافي الشعر المتلائمة التي تشد بعضها بعضا بالاقتفاء.

و «عَلى‏ آثارِهِمْ» مما يؤكد هذه التقفية الاقتداء، وليس اقتداء رسول برسول مما يجعل المقتدي أدنى من المقتدى وهو أعلى من المقتدي، ف «إِنَّ الْهُدى‏ هُدَى اللَّهِ» (2:

120) لا هدى النبيين، إلا حملا لها أمانة و (برسلنا) هنا لا تعم الرسل أجمع، وإلا خرج عنهم نوح وابراهيم من قبل، والمسيح ومحمد صلى الله عليه و آله من بعد، وإنما هم من بين نوح وابراهيم والمسيح، مع التصريح بهؤلاء الثلاثة والتلميح أخيرا بمحمد صلى الله عليه و آله: (فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ):

من المؤمنين بالمسيح، فالإيمان الثاني هو الايمان بالنبي المبشر به في الإنجيل محمد صلى الله عليه و آله،

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 260

كما ويصرح به وبكتابه في آية تجاوبها: (وَ قَفَّيْنا عَلى‏ آثارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ وَ آتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَ نُورٌ وَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ وَ هُدىً وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ، وَ لْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ. وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ ...

لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً ...) (5: 48).

فلا تعني تقفية هؤلاء الرسل بالمسيح: (وَ قَفَّيْنا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) لا هنا ولا هناك انه خاتم المرسلين، وإنما كتقفية لكل سابق بلاحقه، ومعظمه هنا تقفية الرسل الاسرائيليين بخاتمهم السيد المسيح، ومن ثم يقفّى بالرسول الاسماعيلي الذي هو بكتابه مهيمن على الكتب والرسل أجمعين.

فمن الهراء القولة الفارغة ان المسيح المقفى به الرسل هو خاتم المرسلين، خلافا للتلويح هنا و التصريح هناك ان محمدا هو الخاتم لا سواه‏ «1».

و لماذا لم يذكر موسى عليه السلام بعدهما وقبل المسيح عليه السلام وهو من الخمسة أولي العزم؟ علّه لأن المقام ليس مقام تعديدهم، ولذلك لم يذكر أيضا سيدهم وخاتمهم محمدا صلى الله عليه و آله إلا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). حاول الكاتب المسيحي (الحداد) في كتابه (القرآن دعوة نصرانية) إثبات ان المسيح خاتم النبيين بهذه الآية، بان الرسل يشمل الكل، فلما قفوا بالمسيح فهو آخرهم وهو زور هراء كما بيننا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 261

تلويحا. والعناية بذكر المسيح بعد الأولين ليس إلا لاستعراض بعض الأحوال من الذين اتبعوه أو ابتدعوا في شرعته، كما أن ذكر نوح وإبراهيم يعني بيان ذرية النبوة في أصليها.

مثلا لذلك ترى إنجيل المسيح لا يذكر بعد التوراة مع ذكر القرآن «إِنَّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى‏» (46: 30) إيحاء بأن الإنجيل هو الكتاب الوحي الفرع، لا يستقل عن التوراة، فليس نبي الإنجيل أفضل من نبي التوراة حتى يترك اسمه قبل المسيح هنا.

و كون المسيح من ذرية نوح وإبراهيم، ولا ينسب إليهما إلا من ناحية الام، يؤيد صدق الذرية على أولاد البنات، فالنصوص الإسلامية الدالة على اختصاص سهم السادة بذرية الرسول صلى الله عليه و آله تشمل المنتسبين اليه بالأمهات، وأصرح منها آية «أبناءنا» «1».

«وَ آتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ» نص على نزول إنجيل واحد على السيد المسيح، لا أناجيل عدة متناحرة ألّفه مؤلفون عدة، حصروا بعد ردح من الزمن وبعد غربلات في أربعة، وهم مع ذلك مجهولون أو مجهولة نسبة هذه الأناجيل إليهم‏ «2»، وقد نجد اسما أو ممثلا عن إنجيل‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ»

(2). راجع كتابنا «المقارنات» وكما اوردنا فيه مقالة (لاردنر) نقلا عن (فالتس): «ان هذا الأمرتحقق ان هذا العهد الجديد لم يصنفه المسيح ولا الحواريون مطلقا، بل صنفه رجل مجهول ونسبه الى الحواريين ليعتبره الناس، وآذى المريدين لعيسى إيذاء بليغا بأن ألف الكتب التي فيها الأغلاط التناقضات» (ص 48).

و تذكر دائرة المعارف الفرنسية عن بعض الأساقفة ان نسبة إنجيل مرقس ويوحنا إليهما زورافتراء و إنما ألفهما بولص (50). وفي دائرة المعارف البريطانية: «اما إنجيل يوحنا فلا شك ولا مراء انه كتاب مزور» (51). ويقول المفسر الانجيلي الشهير (هورن): الحالات التي وصلت إلينا في باب زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخي الكنيسة منقطعة وغير معينة لا توصلنا الى امر معين (52).

من مقالات الأستاذ (لن) ان إنجيل يوحنا بكامله تصنيف طالب من طلاب مدرسة الاسكندرية دونما تردد، ونسبه الى يوحنا زورا، ولقد كانت فرقة (لوجين) في ق 2 م تنكر هذا الإنجيل‏جميع ما أسند الى يوحنا (50) ... (1). إنجيل المسيح كان في العهد الأول في متناول الأيدي، وكما في دائرة المعارف الانجليزية وكتاب اكسهومو، واختاره الفاضل (اكهارن) وكثير من المتأخرين من علماء النمسا، ومال اليه المحققون: ليكلرك-/ كوب-/ ميكايلس-/ ليسنك-/ نيمير ومارش، وممن ظفر أخيرا بهذا الإنجيل المغفور له حيدر قليخان قرلباش المعروف بسر دار كابلي مترجم إنجيل برنابا الى اللغة الفارسية. ويقال ان بروفسور (كربن) الفرنسي مندوب الأدباء الفرنسيين في إيران، اشترى هذا الإنجيل من مكتبة الكابلي ب 000، 000، 5 ريالا إيرانيا وأرسله الى باريس.

و مما يمثل هذا الإنجيل إنجيل برنابا القديس (راجع المقارنات)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 262

المسيح في بوتقات النسيان والتناسي، يضي‏ء أحيانا لمن شاء أن يستضي‏ء (1).

و أما الرأفة والرحمة المجعولة في قلوب الذين اتبعوه، فهما أمر ملموس، لا في المسيحيين أجمع، وإنما الذين اتبعوه، وقد كان رؤفا رحيما، فيمن اتبعه، وفي رأفته ورحمته، فاللّه يجعلهما في قلبه زيادة في هداه.

و هؤلاء المتبعون هم نصارى المسيح الذين نصروه في زمنه وينصرونه بعده.

و من نصرته تصديقه بمن بشّر به: النبي محمد صلى الله عليه و آله وبالمودّة للمسلمين: «... وَ لَتَجِدَنَ‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 263

أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى‏ ذلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَ رُهْباناً وَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ. وَ إِذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرى‏ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ، يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ» (5: 83).

و هؤلاء هم الذين جعلهم اللّه فوق الكافرين الى يوم الدين: «إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسى‏ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ رافِعُكَ إِلَيَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ جاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى‏ يَوْمِ الْقِيامَةِ ...» (3: 55).

هؤلاء الأماجد، لا المسيحيين الناكرين للرسالة الإسلامية، جاهدين لها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوّا، أو الكارهين للفحص والتحري عنها، المتجاهلين عنادا الحق فيها، و أما الجاهلون القاصرون منهم، المؤمنون، فلهم أجرهم ولا يظلمون نقيرا.

الرهبانية المبتدعة

وَ رَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللَّهِ فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ: وما هي الرهبانية المبتدعة؟ كيف يجمع بين البدعة والكتابة الإلهية؟

و ما هو حق رعايتها؟ وهل في الإسلام رهبانية كما في المسيحية؟ الرهبانية في أصلها

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 264

من الرّهبة: الخوف مع تحرّز واضطراب، والرهبانية من اللّه مأمور بها: «إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ» (16: 51) (إِنَّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَ يَدْعُونَنا رَغَباً وَ رَهَباً» (21: 90)، وهي من غير اللّه منهي عنها، «فَلا تَخافُوهُمْ وَ خافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» (3:

175) و (من خاف اللّه أخاف اللّه منه كل شي‏ء، ومن لم يخف اللّه أخافه اللّه من كل شي‏ء).

و ترى إذا كانت الرهبانية من الرهبة: الخوف، فكيف تكون مبتدعة عند النصارى، منهية عندنا؟! ...

أقول: لأنها شاكلة خاصة من الرهبة، منسوبة الى الرهبان: المتعبدون اللّه في الأديرة والصومعات، بعيدة معزولة عن المجتمعات، فالرهبانية مصدر الراهب، ثم تحوّلت اسما لما فضل عن المقدار وأفرط فيه، أن تعيش بعيدا عن الحياة والأحياء، شاغلا عن حاجيات الدنيا الى عبادة اللّه، بترك ملاذها، والزهد والتقشف فيها، والعزلة عن أهلها و تعهّد مشاقها وكأنك في قبرك! فالرهبنة من مبتدعات النصارى وليست من زمن خاص وكما يروى‏ «1»، ففريق رعوها حق رعايتها، وآخرون لم يرعوها.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). مجمع البيان عن ابن مسعود قال: كنت رديف رسول اللّه صلى الله عليه و آله على الحمار فقال يا ابن ام عبد! هل تدري من أين أحدثت بنو إسرائيل الرهبانية؟ فقلت: اللّه ورسوله أعلم، فقال:

ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى عليه السلام يعملون بمعاصي اللّه، فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم، فهزم اهل الإيمان ثلاث مرات فلم يبق منهم إلا القليل فقالوا: إن ظهرنا لهؤلاء أفنونا ولم يبق للدين أحد يدعو اليه، فتعالوا نتفرق في الأرض الى ان يبعث اللّه النبي الذي وعدنا به عيسى عليه السلام-/ يعنون به محمدا صلى الله عليه و آله-/ فتفرقوا في غيران الجبال وأحدثوا رهبانية، فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر، ثم تلا هذه الآية: «و رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان اللّه»، ثم قال صلى الله عليه و آله: يا ابن ام عبد! أتدري ما رهبانية امتي؟ قال: اللّه ورسوله أعلم، قال: الهجرة والجهاد والصلاة والصوم و الحج والعمرة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 265

و قد تكون «رهبانية» بين جعل وكتابة إلهيين على كونها عطفا ل «مودّة ورحمة» فالمجعول هو رهبة الرهبانية، جعلها اللّه في قلوبهم مع المودّة والرحمة:

«وَ جَعَلْنا ... وَ رَحْمَةً وَ رَهْبانِيَّةً ...» والمكتوب هو الرهبانية الحقة بعد ما ابتدعوها، المبتدعة هي الانعزالية المطلقة عن الحياة إلى عبادة اللّه‏ «1».

إنهم حينما ابتدعوا الرهبانية، كتبها اللّه عليهم ابتغاء رضوانه، رفضا لما فيها من غايات اخرى، فأصبحوا إذاً مرتبطين بها أمام اللّه أن يرعوها حق رعايتها بما رفضوه عن أنفسهم وحرّم اللّه، وما فرضوه على أنفسهم وكتب اللّه، حفاظا على متطلباتها من تطهّر و ترفُّع وعفة ومناعة وقناعة وعبادة، مما يحقق في نفوسهم حقيقة التجرّد للّه، ولكنها انتهت في الغالب الى طقوس جوفاء، فارغة عن الروح البراء، تجارة كغيرها من تجارات، إلا أنها بالدين وما أتعسه وأخسره من عناء لعناء!.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). (إِلَّا ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللَّهِ» استثناء متصل كما بينا، وكونه منقطعا ينافي وجود المفعول «ها» في «ما كتبناها» فلا معنى لكونه منقطعا إلا على تاويل مستهجن يذاد عنه ساحة كلام اللّه بل وكل كلام فصيح او وعادي غير فصيح‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 266

فمن حق الرعاية للرهبانية حصرها بزمن التقية، حفاظا على دين اللّه وعلى البقية الباقية من المؤمنين باللّه، وأما أن يترك فيها اللذات المحللات كأنها محرمات، كالنساء وأمثالهن فلا!.

و أما أن يستمر بها في كل زمن كأنها من صلب الدين وحتى زمن القدرة على إظهاره‏الدعوة اليه، وكما قد يفعله الرهبان المسيحيون، فلا.

و من حق رعايتها الإيمان بالرسول المبشر به من المسيح والنبيين قبله:

محمد صلى الله عليه و آله كما قال: «من آمن بي وصدقني فقد رعاها حق رعايتها و من لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون»، فإن الرهبة الحقيقية من اللّه تحلّ عُقد العصبية، و تشرح الصدر لتصديق ما وصى به اللّه.

فهؤلاء الكرام هم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه و آله وصدقوه «فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ»: الذين كفروا به وجحدوه‏ «1» (فلما بعث النبي صلى الله عليه و آله انحط

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 6: 177 أخرج جماعة من الحفاظ عن ابن مسعود قال قال لي رسول اللّه صلى الله عليه و آله: ياعبد اللّه! قلت لبيك يا رسول اللّه! ثلاث مرات، قال صلى الله عليه و آله: هل تدري أي‏عرى الايمان أوثق؟ قلت: اللّه ورسوله أعلم، قال: أوثق عرى الايمان الولاية في اللّه بالحب فيه والبغض فيه، قال: هل تدري أي‏الناس أفضل؟ قلت: اللّه ورسوله أعلم، قال: أفضل الناس أفضلهم عملا إذا تفقهوا في الدين، يا عبد اللّه هل تدري أي‏الناس أعلم، قلت: اللّه ورسوله أعلم، قال: أعلم الناس أبصرهم بالحق إذا اختلف الناس وان كان مقصرا بالعمل، وان كان يزحف على استه، واختلف من كان قبلنا على اثنين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرها، فرقة وآزرت الملوك وقاتلتهم على دين اللّه وعيسى بن مريم حتى قتلوا، وفرقة لم يكن لهم طاقة بمؤازرة الملوك ولا بالمقام معهم فساحوا في الجبال وترهبوا فيها وهم الذين قال اللّه: «وَ رَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللَّهِ فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ»: الذين آمنوا بي‏صدقوني «وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ»: الذين كفروا بي وجحدوني، وروي الذي قبله ابن مسعود عنه صلى الله عليه و آله‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 267

صاحب الصومعة من صومعته وجاء السائح من سياحته وصاحب الدير من ديره ف‏آمنوا به وصدقوه» «1» وهؤلاء هم القلة القليلة الذين رعوا الرهبانية حق رعايتها «وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ» كما وهم لا يزالون في الصوامع والأديرة، دكّات التجارات والغايات، وأديرة التحمير والاستثمارات!.

فكثير من الراهبين التاركين الزواج بواحدة، يغوصون في بحر من الدعارات بالراهبات، و كثير من الراهبات التاركات الشهوات، الرافضات الزواج الواحد، يتلوثن بدعارات في الأديرة مع جماعات الرهبان.

هذا! ولكنما الرهبانية في الإسلام ممنوعة بكافة صورها، فكان من حق رعايتها للرهبان المؤمنين بمحمد أن تركوها لأنها ممنوعة في الإسلام، كما قال الرسول صلّى اللّه عليه وآله و سلّم: «رهبانية امتي الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة» «2»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). المصدر أخرج النسائي والحكيم الترمذي في نوادر الايمان وابن جرير وابن مردويه عن ابن‏عباس في حديث طويل ..

(2). كما مضى حديثه عن المجمع عن ابن مسعود وفي عيون الأخبار عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: صلاة الليل‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 268

جمعا بين ألوان الواجبات الجماعية والفردية ومن أهمها الجهاد وكما قال: «رهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل اللّه» «1» طبعا وبكل الطاقات:

نفسا ونفيسا، قلما ولسانا وفكرا أم ماذا، دون الرهبانية الانعزالية الصومعية التقشفية، العازلة عن الحياة، المنعزلة عن المجتمعات، ولو كانت محصورة في العبادات، فالإسلام كله حياة، وكله هجرة، وكله جهاد، وكله حج وعمرة وصلاة، لا تختلف إلا في الصورة، وأما السيرة والمسيرة فصيغة واحدة هي:

سبيل اللّه!.

ان الرهبانية حتى الحقيقية منها لم تكتب علينا، وإنما أبدل عنها بالجهاد، وما ألطفه‏

المروي عن الرسول صلى الله عليه و آله حيث يقول: «إني لم أؤمر بالرهبانية» «2»

«ان الرهبانية لم تكتب علينا» «3» «و عليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام» «4» حتى ولا حالة التقية، دونما حاجة الى صومعة أو دير، ويروى أن نفرا من الصحابة أخذهم الخوف و الخشية حتى أراد بعضهم أن يعتزل عن النساء، وبعضهم الإقامة في رؤوس‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 6: 178 أخرج أحمد والحكيم والترمذي في نوادر الأصول وأبو يعلي والبيهقي في الشعب عن انس أن النبي صلى الله عليه و آله قال: لكل امة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل اللّه‏

(2). أحمد بن حنبل 3، 82، 266

(3). سنن الدارمي نكاح 3

(4). أحمد بن حنبل 6: 226

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 269

الجبال، بعضهم ترك الأكل والشرب فنهاهم النبي صلى الله عليه و آله عنها وقال: «لا رهبانية في الإسلام»، وقال: «رهبانية امتي في المسجد»، وان كنت ولا بد، فكن في الناس-/ إذا-/ ولا تكن معهم، وآخر المطاف أن تهاجر بدينك الى بلد يحملك أو تتحمله، أو القتل أخيرا في سبيل اللّه، فإن الحياة عقيدة وجهاد.

فبدعة الرهبانية فلتة بين البدع، إذ ليست في النار «و كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار» فإنهم حفاظا على إيمانهم لم يجدوا بدا من هذه البدعة، وقد احتفت بجعل إلهي لرهب الرهبنة من قبل مع المودة والرحمة في قلوبهم، وبكتابتها كرهبنة حقيقية بعد ما ابتدعوها: «وَ جَعَلْنا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَ رَحْمَةً وَ رَهْبانِيَّةً ... ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللَّهِ».

و من ثم المؤمنون أجمع سواء المسلمون وسواهم كالذين اتبعوا المسيح، هم يؤمرون أن يؤمنوا بالرسول صلى الله عليه و آله تكملة الإيمان بالرسالة، أو الإيمان بها:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ:

هنا يبرز الرسول محمد صلى الله عليه و آله بشموخ الرسالة كأنه الرسول لا سواه:

«وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ» وان الرسل قبله قد هيأوا ظروف رسالته العالمية الختمية دون أن‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 270

يستقلوا بجنبه في شي‏ء، اللهم إلا رسالة للتعريف به وتعبيد المسالك لوصوله، كالصفوف التكميلية المهيأة لقمة الثقافة!.

الابن والأم آية واحدة

وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً وَ آوَيْناهُما إِلى‏ رَبْوَةٍ ذاتِ قَرارٍ وَ مَعِينٍ (50).

و لماذا «ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً» وهما اثنان، وكل-/ إذا-/ آية؟ حيث القصد من «آية» هنا هي الآية الخارقة الرسالية، وهما معا يشكّلان آية الولادة دون أب.

«و آويناهما» إسكانا مطمئنا في مأوى مُريح «الى ربوة» مكان مرتفع راب من الأرض، هي «ذاتِ قَرارٍ» لعيشة راضية دون اضطراب «و معين» ماء جار.

و قد عبر عن هذه الربوة في «مريم» ب «سريا»: «فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكاناً قَصِيًّا.

فَأَجاءَهَا الَمخاضُ إِلى‏ جِذْعِ النَّخْلَةِ .. فَناداها مِنْ تَحْتِها أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا. وَ هُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا. فَكُلِي وَ اشْرَبِي وَ قَرِّي عَيْناً ..» (36)

«رَبْوَةٍ ذاتِ قَرارٍ» حين الولادة، وذات قرار بعدها، ويروى انها دمشق الشام‏ «1»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 5: 10-/ اخرج ابن عساكر بسند ضعيف عن أبي امامة عن النبي (صلى اللّه‏عليه‏آله وسلم) انه تلا هذه الآية قال: أتدرون اين هي؟ قالوا: اللّه ورسوله اعلم، قال: هي بالشام بأرض يقال لها الغوطة مدينة يقال لها دمشق هي خير مدن الشام‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 271

وعلها توسعة للقدس حيث الشام كان يشمل تلك الدويلات الحاضرة من فلسطين ككل‏لبنان وسوريا والأردن.

يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ وَ اعْمَلُوا صالِحاً إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ 51 وَ إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ 52 فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ 53.

«إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ. وَ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنا راجِعُونَ (21: 93): نداء عام للرسل أولا في بعد البشرية «كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ» فليست محرمة عليهم مهما حرمها عليهم حارمون حراميون، فلا اصل الاكل ينافي الرسالة ولا أكل الطيبات: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ» (7: 32) «فان الله طيب لا يقبل الا طيبا وانه امر المؤمنين بما امر به المرسلين» «1».

ثم في بعد الايمان «وَ اعْمَلُوا صالِحاً» فلا تضمن لكم رسالتكم صالحا دون ان تعملوا صالحا، وليست الرسالة سياجا عن عقوبات التخلفات، بل والمسؤولية الرسالية تملي‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 3: 545 في المجمع. روي عن النبي صلى الله عليه و آله ان اللّه .. فقال: يا أَيُّهَا الرُّسُلُ. كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ ..» وقال: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 272

صالحا اكثر.

ثم البعد الثالث «ان هذه» الأمم بأسرها «أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً» في مسيرها ومصيرها لوحدة الرسالة فوحدة الائتمام «وَ أَنَا رَبُّكُمْ» لا سواي «فاعبدون» لا سواي.

فالحكم الحاكم عليهم في كل دور رسالي هو شريعة من الأمر تصدر عنه وتتجه اليه دون تقطّع، وليس عديد الشرائع من ذلك الأمر الدين تقطيعا لأصل الأمر فانه مصدرها بأمر اللّه «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ» «ثُمَّ جَعَلْناكَ عَلى‏ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ»، ولكنهم:

«فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً» حيث جعلوا عديد الزبر للشرائع وسيلة للتقطع تحريفا لها و تهريفا بها، وتحزبوا أحزابا كتابية متناحرين بحربة شرعة ضد شرعة وكتاب ضد كتاب «كل حزب» من هؤلاء المتقطعين «بِما لَدَيْهِمْ» كأنه الحق وسواه باطل «فرحون» واللّه لا يرضى من عباده تقطعا في أمره «إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْ‏ءٍ إِنَّما أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ (6: 159) (وَ لا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَ لِذلِكَ خَلَقَهُمْ» (11: 118) خلقهم لرحمة الوحدة ووحدة الرحمة على ضوء توحيد الكلمة على كلمة التوحيد في كل زمن كما يريد اللّه، فلا اممية في امر اللّه ودينه ولا رايات مختلف الكتابات السماوية، كلّ ضد الأخرى، محاربة شرعة إلهية لأخرى!.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 273

ففي كل دور من الأدوار الخمسة الرسالية الاصيلة يجب على العالمين ككل إتباع رسولها، ثم إذا جاء دور التالي، فعلى الكل النقلة إلى التالي وللتالي إلى الشرعة القرآنية التي تحلّق منذ بزوغها على الطول التاريخي ومن مصائب التحجر في ذلك التقطع ان كل قطاعة متحزبة ضد الاخرى ترى الحق معها كله والباطل مع من سواها كله، فتمضي فرحا مرحا لا تفكر في شي‏ء ولا يلتفت إلى شي‏ء إلا إلى شيئه المتقطع، مغلقة على أنفسها جميع المنافذ التي تأتيه منها أية نسمة طليقة، او يدخل إليها منها اي شعاع مضي‏ء، تعيش كلّ في تلك الغمرة الهامرة «فذرهم ..»:

فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ 54.

لقد غمرتهم واغرقتهم حيونة الجهالة وجهالة الحيونة، والغمرة هي إزالة اثر الشي‏ء، هي معظم الماء الساتر لمقرها، وهم أزالوا آثار الانسانية كلها، واختصوا أنفسهم بآثار الحيوانية كلها بل هم أضل سبيلا «فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ» يغمرهم العذاب في لجة او يأتيهم الموت قُبلا، او حتى حين يؤذن لك في حربهم حيث تغمرهم، او حين ينجو منهم من ينحوا منحى النجاة.

أَ يَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَ بَنِينَ 55 نُسارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْراتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ 56.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 274

ذلك الحسبان هو ظن الذين كفروا حيث يستمدون بمدّ اللّه لهم من اموال وبنين لتثبيت قاعدتهم وانهم-/ فقط-/ على خير، رغم ان ذلك المدّ مزلة ومضلة لكثير من المؤمنين فضلا عن الكافرين «بَلْ لا يَشْعُرُونَ» شعورا في الأمور، ودقة تميزّ لهم المحبور عن المحظور.

وقد قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله إن اللّه تعالى يقول:

يحزن عبدي المؤمن إذا قترت عليه شيئا من الدنيا وذلك اقرب له مني، ويفرح إذا بسطت له الدنيا وذلك أبعد له مني ... ان ذلك فتنة لهم» (1).

وقال علي عليه السلام: «فلو رخص الله في الكبر لأحد لرخص لأنبيائه ورسله‏لكنه سبحانه كره التكابر ورضي لهم التواضع، فألصقوا بالأرض خدودهم، وعفروا في التراب وجوههم، وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين، فكونوا قوما مستضعفين قد اختبرهم الله بالمخمصة، وابتلاهم بالمجهدة وامتحنهم بالمخاوف ومحصهم بالمكاره، فلا تعتبروا الرضا والسخط بالمال والولد جهلا بمواقع الفتنة والاختبار في موضع الغنا والإقتار فقد قال سبحانه: «أَ يَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَ بَنِينَ نُسارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْراتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ» فان اللّه سبحانه يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم بأوليائه المستضعفين في أعينهم».

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 275

اجلّ هؤلاء الحماقى لا يشعرون أن مدّ الأموال والبنين ليس مسارعة في الخيرات، فهم يسارعون في ذلك البلاء المبين تلوما يمد اللّه لهم فيه زعما انه مسارعة في الخيرات.

الى كلمة سواء

إِنَّ هذا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلَّا اللَّهُ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (62) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ 63.

«القصص» ككل هو اتباع الأثر تحسسا عما فيه أثر لتبني الحياة الحسنى، وهكذا يقص القرآن القصص الحق الذي لا مرية فيه، رفضا للقصص الباطل الذي ملأ الأجواء المضللة.

«ان هذا» الذي قص من قصة الحوار بين الرسول صلى الله عليه و آله ونصارى نجران «لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ» وهو المختصر المحتصر «وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلَّا اللَّهُ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»-/ «فَإِنْ تَوَلَّوْا» عن ذلك التوحيد الوحيد، الى توحيد الثالوث-/ بزعمهم-/ الوهيد «فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ» عقيديا-/ ف: قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى‏ كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (64).

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 276

دون التخلف في توحيد المعبود، فانه الميزة البارزة القمة للشرعة الكتابية عن الإشراك باللّه و الإلحاد في اللّه، فالتزام الكتابي بتوحيد اللّه حق مشترك لا حول عنه إلّا للمرتد عن كتب اللّه الداعية إلى توحيد اللّه، وانها كلمة جامعة قامعة وقد أتت في كتابات للرسول صلى الله عليه و آله يدعو فيها الملوك والشيوخ والزعماء إلى الإسلام وكما نقرؤه في كتابه الى هرقل عظيم الروم‏ «1».

و هذه الدعوة هي القاطعة القاصعة في كل حوار ان يتبنى المحاورون كلمة سواء بينهم ولا سواء بين الكتابيين أفضل وأحرى بالبناء من كلمة التوحيد، وهكذا ندرس من القرآن كيف نحاور معارضينا كحجة أخيرة حين لا تنفع سائر الحجج وكما نراها هنا بين الرسول صلى الله عليه و آله والكتابيين.

و كما أن كلمة التوحيد هي كلمة سواء بيننا وبين كافة الموحدين، كذلك القرآن كلمة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 1: 40-/ أخرج عبد الرزاق والبخاري ومسلم والنسائي وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال حدثني أبو سفيان أن هرقل دعا بكتاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله فقرأه فإذا فيه «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم أسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ويا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى‏ كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً-/ إلى قوله-/ اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» وفيه أخرج الطبراني عن ابن عباس أن كتاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله إلى الكفار «تَعالَوْا إِلى‏ كَلِمَةٍ سَواءٍ ..» وفيه أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن جريح في الآية قال بلغني أن النبي صلى الله عليه و آله دعا يهود أهل المدينة إلى ذلك فأبوا عليه فجاهدهم حتى أتوا بالجزية

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 277

سواء بيننا نحن المسلمين، فنحن المتابعون للقرآن كأصل هو رأس الزاوية في كل الاسلاميات، نقول للذين اخلدوا الى دراسات غير قرآنية، تعالوا إلى كلمة القرآن وهي سواء بيننا وبينكم، أن نتبناه في كافة الأصول والفروع.

ألستم تقولون إن القرآن هو الدليل الاول والمحور الأصيل، فلما ذا لا نجده أصيلا في دراساتكم الحوزوية، وإذا أقبل طلاب مظلومون الى ذلك الكتاب المظلوم تتقولون في نواديكم المنكرة انهم ليسوا من طلاب الحوزة الرسميين؟!.

و ترى «أَهْلَ الْكِتابِ» ككل كانوا يعبدون غير اللّه، والشرعة الكتابية-/ ككل-/ هي شرعة التوحيد وهم كانوا يطعنون في رأي من عبد غير اللّه تعالى من مشركة الأمم ومؤلهي الصنم؟.

اجل فإن منهم من يعبدون المسيح كما اللّه حيث اعتقدوا فيه انه اللّه او ابن اللّه، فعبادته-/ إذا-/ هي عبادة اللّه!: «أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ» (5: 116).

و من ثم فهم عظموا رؤساءهم ورحبوا علماءهم وقلدوهم في التحليل والتحريم والتأخير و التقديم وتقحموا ما قحّموهم من فاسد العقيدة والمذاهب الرديئة، قلدوهم كأنهم آلهة إلّا اللّه، تقليدا طليقا يحلق على ما يناحر العقلية الكتابية ونصوصها: «اتَّخَذُوا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 278

أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ..» (5: 31).

ذلك وكما نراهم يركعون ويسجدون للصليب ولتمثال المسيح، بل ولعلمائهم، سجودا وتكفيرا وتضاءلا وخضوعا بالغا-/ كما للّه-/ لكبرائهم وديانيهم واولي التقدم في دينهم، وكذلك ملاك أمورهم زمنيا او اقتصاديا او ثقافيا، يطيعونهم حين لا يطيعون اللّه، فالربوبيات الواقعية تربويا لا بد وان تنتهي الى ربوبية اللّه دونما محادة ومشاقة.

ففيما يسئل رسول الهدى صلى الله عليه و آله: ما كنا نعبدهم يا رسول اللّه! يقول: أما كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم؟ فقال: فالتوحيد الحق هو جماع التوحيد المحلّق على وحدة الذات وهي مع الصفات والصفات مع بعضها البعض، وحدة الخالقية والمعبودية والطاعة وما الى ذلك من شؤون الألوهية والربوبية في وحدات، فمن نقض واحدة منها فقد نقض كامل التوحيد، داخلا في الإشراك باللّه ما لم ينزل به سلطانا.

«فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» للّه في كامل توحيده وأنتم غير مسلمين له.

فالمسلمون للّه هم المعتقدون المحققون كامل درجات التوحيد، خصيصة تميزهم عمن سواهم، وأهم مراحل التوحيد هي توحيد العبودية والطاعة، فهو التحرر الطليق عن كل عبودية او طاعة سوى اللّه، اللهم إلّا بأمر اللّه كطاعة رسول اللّه، وأما العبودية فكلّا.

في حقول الانظمة الأرضية تتوفر عبادة من دون اللّه واتخاذ بعض بعضا أربابا من‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 279

دون اللّه، سواء أكان في أرقى الديمقراطيات ام في أحط الدكتاتوريات، مهما كانت تلك العبوديات في سجود او ركوع ام في طاعات طليقة لغير اللّه.

و لكن النظام الاسلامي السامي يحرر الإنسان عن كل عبودية وطاعة لمن سوى اللّه، حيوية سليمة طليقة في بعد واحد هو اللّه.

و لقد تركزت الدعوة التوحيدية الموجهة الى اهل الكتاب إلى مثلثة الجهات، رفضا لثالوث العبوديات.

1 (أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ» في أية مرحلة من مراحل العبودية، في السيرة والصورة، في قالة وحالة أماهيه.

2 (وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً» فيما يختص بساحة الربوبية، في اية دركة من دركات الإشراك باللّه قالة وحالة وفعالة، عبادة وطاعة وتأثيرا في تكوين او تشريع.

3 (وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ» في الربوبية الخاصة باللّه، وسائر الربوبيات المناحرة لربوبية اللّه.

و في «بَعْضُنا بَعْضاً» برهانان اثنان أحدهما على بطلان الربوبية في هذا البين لمكان المباعضة، إذ لا يمتاز بعض عن بعض لمشاركتها في الكيان أيا كان، وثانيهما على ان اللّه ليس كمثله شي‏ء فلا مباعضة بين الرب والمربوبين فلذلك يستحق هو الربوبية لا سواه.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 280

فمهما كان لبعض على بعض-/ في المتشاركين-/ فضل، وليس ليأهل ربوبية على قسيمه، فانها غنى مطلقة والربوبية فقر مطلق.

فيا له برهانا ما أوضحه على كلمة التوحيد «لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ» في جميع شؤون الألوهية، كلمة سواء في العقلية الإنسانية والكتابية، فالمتولي عنها متول عنهما على سواء.

و قد ينضم ثالوث السلب في «لا إله» كما توحيد الإيجاب في «إلّا اللّه» ولا تعني ساير كلمات التوحيد وعباراته إلا كلمة الإخلاص هذه «لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ».

فليست صيغة «الإسلام-/ و-/ المسلمون» مما تصوغ كامل التوحيد، كما وأن صيغة التهود والتنصر ليست لتصوغ الإشراك باللّه، ف «لَيْسَ بِأَمانِيِّكُمْ وَ لا أَمانِيِّ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَ لا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً» (4: 123).

و ليست «كَلِمَةٍ سَواءٍ»-/ فقط-/ لفظة تقال مهما تأولوها بما لا تعنيه كتوحيد التثليث او التثنية أماهيه، ام كانت اعمالهم واتجاهاتهم تضادها ام لا تتجاوب معها، فقد تعني كلمة التوحيد بعد قالها حالها واعمالها في كافة مدارجها، فهي التي يقول اللّه عنها «كلمة لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي».

و يا له حوارا ما أجمله وأنصفه ان يدخل الرسول صلى الله عليه و آله نفسه‏الذين معه في جموع اهل الكتاب ل «كَلِمَةٍ سَواءٍ» دون ان يختصهم بمثلث النهي، لئلا يكون تعريضا عليهم صراحا،

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 281

فانما هو ختام للجدال بالتي هي احسن بأنصف النصفة وهو الالتزام بما هو لزام الشرعة الكتابية لأهلها هودا ونصارى ومسلمين.

ثم وأخيرا «فَإِنْ تَوَلَّوْا» عن «كَلِمَةٍ سَواءٍ»-/ «فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» دونكم دونكم أنتم كافرون.

و هنا ندرس من ادب الحوار الرسالي لكل داعية أنه-/ ككل-/ استجاشة للفطرة والعقلية الانسانية والوحدوية الكتابية ما يقرب الى الحق، او-/ لأقل تقدير-/ لا يغرب عنه، دونما سباب او انتقام في الخصام.

و العقلية الانسانية فالمتخلف عنها متخلف عن الكلمة السواء مهما كان مسلما او من هود او نصارى.

يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْراهِيمَ وَ ما أُنْزِلَتِ التَّوْراةُ وَ الْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (65).

لقد حاج أهل الكتاب رسول الهدى صلى الله عليه و آله في إبراهيم كأنه يهودي أو نصراني، حجة واقعية من الرسالة الإبراهيمية المقبولة لدى الكل، فتهوده او تنصره قد يقضي على «كَلِمَةٍ سَواءٍ» او يتهافتان.

و لكنهم محجوجون في هذا المسرح قبل كل شي‏ء بأنه «ما أُنْزِلَتِ التَّوْراةُ وَ الْإِنْجِيلُ‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 282

إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ» فكيف يعقل تهوّده وتنصره «أَ فَلا تَعْقِلُونَ» «أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطَ كانُوا هُوداً أَوْ نَصارى‏ قُلْ أَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ» (2: 140).

ذلك ولقد جرت العادة للمبطلين ان يضموا أنفسهم الى قادة المحقين لكي يبرروا باطلهم كأنه حق، حينما كلّت كل حججهم عن إثبات الباطل وتزييف الحق.

ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ حاجَجْتُمْ فِيما لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (66).

المحاجة الحقة الصادقة هي التي تتبنى العلم، والتي لا تتبناه هي من الباطل، فلتكن لأهل الكتاب محاجّتان اثنتان حقة وباطلة، فما هي الأولى؟

و الأخيرة ظاهرة من تلك الحوار، من المحاجة الحقة للنصارى ما احتجوا به لإثبات رسالة السيد المسيح على اليهود وهم ناكروها، ومنها لليهود عليهم ما احتجوا به لإبطال ألوهية المسيح والتثليث أماذا من حجاجات حقة بينهم أنفسهم.

الحق في الحجاج الباطلة، وإنما يقدر كل بقدرة.

ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَ لا نَصْرانِيًّا وَ لكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67).

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 283

لأن التهوّد والتنصر اختلقا منذ نزول التوراة والإنجيل، وهما-/ دون ريب-/ أنزلتا بعد إبراهيم عليه السلام فمن المستحيل كون ابراهيم يهوديا او نصرانيا حتى يتمسك في صحتهما بشيخ المرسلين.

و لكن يبقى سؤال: كيف يشك أي‏ذي مسكة أو سفيه أن ابراهيم الذي عاش قبل نزول الكتابين بقرون هو يهودي او نصراني، حتى يتطلب ذلك النقاش العريض في عديد من آي الذكر الحكيم؟.

و الجواب أن كلّا من الهود والنصارى كانوا-/ ولا يزالون-/ يدعون ان الشرعة الإلهية هي شرعة التوراة او الإنجيل، امتدادا زمنيا خلفيا وأماميا مهما جاء بهما الرسولان، فليكن ابراهيم ومن قبله ومن بعده إلى يوم القيامة هودا او نصارى: «وَ قالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى‏» فالنبيون الاوّلون والآخرون والذين معهم هم هود في الأصل او نصارى حتى يستحقوا دخول الجنة.

و من الامتداد الخلفي المدّعى: «أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطَ كانُوا هُوداً أَوْ نَصارى‏ ..» (2: 140).

و القرآن يزيف في آيات عدّة أولا نزول التوراة والإنجيل إلّا من بعد ابراهيم، ثم وفي أخرى يصرح بعديد الشرايع الإلهية: «لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً» (5: 48)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 284

(لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً هُمْ ناسِكُوهُ فَلا يُنازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ» (22: 67).

و ذلك هو الشأن الشائن كل الطائفيّين المتصلبين، كأن شرعتهم هي شرعة الكل، فالمتخلف عنها خارج عن شرعة اللّه، تنديدا بسائر كتابات الوحي ورسالاته بأممها.

و ترى «حَنِيفاً مُسْلِماً» ليس رجوعا الى مثل الدعوى وقد أنزل القرآن من بعده؟.

كلّا، حيث الإسلام هو التسليم للّه في كافة الأدوار الرسالية، فالنبيون والذين معهم كلهم كانوا مسلمين للّه وكما في آيات عدة، وما اختصاص المسلمين الآخرين باسم الإسلام، إلا لمقابلته بالذين يكفرون بشرعة القرآن، وانها لم تحرّف أو تبدّل فحفظ إسلامه سليما كما أنزل دون سائر كتابات الوحي حيث حرفت عن جهات اشراعها اصلية وفرعية.

«وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» تأييد أكيد للمعني من إسلام إبراهيم، فان قضيته التقسيم إلى مسلم ومشرك، وكل المسلمين للّه في الأدوار الرسالية مسلمون ومن سواهم مشركون او ملحدون.

و هنا تنحل المشكلة في محاجتهم فيما ليس لهم به علم، إذ كانوا يعلمون نزول التوراةالإنجيل ولكنهم يجهلون ان ليسا هما كتابي الشرعة الإلهية الممدودين خلفياأماميا.

إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 285

(68).

ليس الأولى بإبراهيم من يدّعون تهوّده وتنصرّه كذبا وزورا، ولا المنتسبون إليه سببا او نسبا، انما هم الذين اتبعوه في حنفه وإسلامه «وَ هذَا النَّبِيُّ ...».

فلقد اختصت الأولوية هنا بالذين اتبعوه وبهذا النبي الذي هو في الحق متبوعه في محتد الإسلام، «وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ» على طول خط الرسالات دون فارق بين مؤمن ومؤمن إلا بفارق درجات الايمان، دون سائر الفوارق المختلفة المختلقة، عنصرية أو اقليمية أو طائفية أماهيه.

ذلك-/ فكذلك إن اولى الناس بمحمد للذين اتبعوه، لا الذين انتسبوا اليه بسبب او نسب ام عاصروه وصاحبوه، مهما كان الاولى بالقرابة والطاعة اولى من وليه بالطاعة لأنه مجمع النورين وكما يروى عن علي عليه السلام: فنحن مرة اولى بالقرابة وتارة اولى بالطاعة «1».

ويروى عن النبي صلى الله عليه و آله «ان ولي محمد (صلى الله عليه وآله‏سلم) من أطاع الله ورسوله‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). المصدر عن نهج البلاغة من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جوابا وكتاب اللّه يجمع لنا ما شذ عناهو قوله سبحانه «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى‏ بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ» وقوله تعالى «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 286

وان بعدت لحمته وان عدو محمد صلى الله عليه و آله من عصى الله ورسوله وإن قربت قرابته» «1» و: إن أولى الناس بالنبي المتقون فكونوا أنتم بسبيل ذلك فانظروا لا يلقاني الناس يحملون الأعمال وتلقوني بالدنيا تحملونها فأصد عنكم بوجهي ثم قرأ هذه الآية «2».

فصاحب الطاعة اولى بالنبي صلى الله عليه و آله من صاحب القرابة، والجامع بينهما أولى من صاحب الطاعة، كما وان القريب العاصي أغرب من الغريب العاصي وكما قال اللّه في نساء النبي:

«يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ .. يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً، وَ مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صالِحاً فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً».

و انها ضابطة ثابتة على مدار الزمن الرسالي، أن الأصل في الأولوية إيجابية وسلبية هي الطاعة إيجابية وسلبية، ثم تزيدها القرابة بدرجاتها درجات أم دركات.

و هذه الصورة الوضائة المشرقة هي ارق صورة للتجمع الانساني لمجمع واحد، تمييزا له من القطيع، صورة تسمح بتلك الوحدة العريقة غير الوهيدة دون قيود إلا ما يختاره‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 1: 353 عن المجمع قال أمير المؤمنين علي عليه السلام ان أولى الناس بالأنبياء أعلمهم‏بما جاءوا به ثم تلى هذه الآية وقال: ..

(2). الدر المنثور 2: 43-/ أخرج ابن أبي حاتم عن الحكم بن ميناء أن رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال: يا معشر قريش: ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 287

الإنسان من صالح العقيدة والعملية.

فبامكان الإنسان أيا كان أن يغير عقيدته وعمله من طالح الى صالح او من صالح إلى طالح فيدخل نفسه في صالحين ام طالحين، وليس بامكانه ان يغير لونه وميلاده ونسبه، مهما كان يملك ان يغير لغته او شغله او طبقته بصعوبة، فتبقى الحواجز-/ إذا-/ سارية المفعول لولا عامل الوحدة العقيدية التي يقرب كل غريب ويغرب كل قريب.

وَدَّتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَ ما يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ ما يَشْعُرُونَ (69).

«وَدَّتْ ... لَوْ» تحيل ذلك الإضلال المرتجى «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» و «لا يضلون» في ودهم هذا «إِلَّا أَنْفُسَهُمْ» حيث يتضاعف ضلالهم وعذابهم بما ودّوا «وَ ما يَشْعُرُونَ» أنهم «ما يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ».

ذلك وحتى «لَوْ يُضِلُّونَكُمْ» إن لم تقوموا بشرائط الايمان فإضلالهم راجع بالنتيجة إلى أنفسهم حيث يزدادون جزاء وفاقا: «وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَ أَثْقالًا مَعَ أَثْقالِهِمْ» (29: 13) «لِيَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ مِنْ أَوْزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا ساءَ ما يَزِرُونَ» (16: 25).

ففيما لا يضل منكم بإضلالهم فالحصر حقيقي دون ريب، إذ ظلت محاولة الإضلال‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 288

فاشلة إلّا في أنفسهم إذ يزدادون ضلالا، وفيما يضل البعض، فليس الراجع الى المضلّل إلّا ضلال إلى ضلال، والمضلّل إنما ضل بسوء اختياره، فالحصر نسبيّ والخاسر الأصيل هو المضلِّل ف «مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَساءَ فَعَلَيْها» (41: 46) (مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَ مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ» (30: 44).

ذلك! ولان ذلك الودّ المضلّل ليس عن إيمان بباطلهم وكفر بحقهم وإنما حسدا وليكونوا سواء: «وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ» (2: 109) (وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَما كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَواءً» (4: 89).

و من إضلالهم إياهم قولتهم: أنتم تؤمنون بموسى والمسيح كما نحن مؤمنون فما هو برهانكم على رسالة محمد ونحن به كافرون؟ والجواب أننا نؤمن بالمسيح الذي ببشر بمحمد صلى الله عليه و آله لا أن المسيح اللّه او ابن اللّه، ومنه ان النسخ قول بالبداء و ان اللّه يجهل ثم يعلم، والجواب أنه يبين أمد الحكم السابق قضية المصالح الوقتية في الأحكام المتبدلة، ثم لا نسخ في أصول الدين وجذور الأحكام ...

يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بآياتِ اللَّهِ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (70).

«أَهْلَ الْكِتابِ» هم كلهم، و «تكفرون» لا تعني-/ فيما عنت-/ صراح الكفر باللّه، فانما بآيات اللّه مهما استلزم الكفر باللّه.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 289

و «بِآياتِ اللَّهِ» تعم آيات الربوبية والآيات الرسولية والرسالية، ومنها هنا آيات البشارات بالرسالة المحمدية صلى الله عليه و آله الموجودة في كتابات العهدين عتيقة وجديدة، كما ومنها الآيات التي كانوا يحرفونها، وقضية الأهلية الكتابية تصديق ساير آيات الوحي، ثم «وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ» ها، أنها آيات اللّه، لأنها في كتاباتكم، ولأنها في هذه الرسالة تشبه سائر الآيات الرسالية وزيادة.

«وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ» مشاهد المسلمين بهذه الرسالة، وإذا خلا بعضكم إلى بعض تصدقون، «وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ» انطباق آيات البشارات على هذه الرسالة السامية.

«وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ» بهذه الآيات أنها حقة في أنفسكم وفيما بينكم.

«وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ» عليها في مشهد المسلمين، فكل هذه الشهادات هنا معنية حيث المتعلق المحذوف ل «تشهدون» طليق يليق أن يكون كلا من هذه الأربع مهما اختلفت معانيها، حيث تتوحد في التنديد بذلك الكفر أنهم يكفرون بآيات اللّه-/ مطلعين على البشارات وغير مطلعين-/ لا لنقص في الدليل ولكنه المصلحية والتضليل، فتقرعهم بينات الآيات بواقع موقفهم المريب المعيب.

يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْباطِلِ وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (71).

و لقد كانوا يلبسون الحق ويغمرونه في غمار الباطل، الأمر الذي درجوا عليه منذ

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 290

البداية و حتى اللحظات الحاضرة، يقدمهم اليهود ويتبعهم النصارى، و «إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله ويتولى عليها رجال رجالا فلو أن الحق خلص لم يكن للباطل حجة ولو أن الباطل خلص لم يكن اختلاف ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معا فهنالك استحوذ الشيطان على أولياءه ونجى الذين سبقت لهم من الله الحسنى» «1».

فلبس الحق بلباس الباطل ولبس الباطل بلباس الحق شيطنة مدروسة على مدار الزمن الرسالي يصطاد بها السذّج البله الذين لم يعرفوا الباطل والحق حقهما فهم همج رعاع، أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح ولا يلجأون الى ركن وثيق.

و المهمة الأولى والأخيرة لهؤلاء المناكيد كتمان الحق حتى لا يتّبع، أن يلبس بالباطل كما يلبس الباطل بالحق، والحق ضائع في المسرحين.

«لِمَ تَلْبِسُونَ ... وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» لبسكم، و «تعلمون» الحق والباطل، وأنتم اهل الكتاب الذي يعرّفكم الحق والباطل فلم تلبسون؟.

لقد نرى-/ منذ بزوغ الإسلام حتى الآن جموعا من اهل الكتاب-/ ولا سيما المستشرقين المبشرين الصليبيين-/ يدسون في التراث الإسلامي ككل، اللّهم إلا القرآن‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). من خطب للإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام برواية الكافي وفي النهج مثلها بتفاوت يسير

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 291

المصون عن كل تحريف بما وعد اللّه، دسا في الأحاديث والأحداث والتاريخ وعامة التراث وحتى في مختلف التفسير للقرآن لحد تركوه تيها لا يكاد الباحث غير الدقيق يهتدي فيه إلى معالم الحق.

فهناك شخصيات مدسوسة على الأمة الاسلامية، مغروسة في أصول حقولها ليؤدوا لأعداء الإسلام من خدمات هامة لا يملكها الأعداء الظاهرون.

و في الحق إنهم هم حملة الفتن الهدامة في أمة الإسلام، وعلى أعقابهم كتل ساذجة جاهلة او متجاهلة يحسبون هذه الدسائس من صلب الإسلام، ويتهمون ناكريها بأنهم خارجون عن الدين: أتنكر حديث الرسول صلى الله عليه و آله أو أنت منكر روايات الائمة من آل الرسول صلى الله عليه و آله وأنت أنت وحدك ترد ما اشتهر بين جماهير المسلمين، وجادت به أقلام المؤلفين؟!.

و ليتهم في خضمّ هذه المعارك الصاخبة رجعوا الى عقليتهم الإسلامية، إلى القرآن الناطق بالحق، الفرقان بين كل باطل وحق، وكما أمرهم الرسول (صلّى اللّه عليه وآله‏سلّم) فيما يقول «فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فانه حبل الله المتين وسببه الأمين ...».

و لو ان القرآن احتل الأوساط العلمية والعقيدية اختل الدس والتجديف في كل‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 292

حقوله، و لكنّما المحاولة المستمرة في الوسط الاسلامي-/ وحتى الحوزات العلمية-/ مستمدة من الوسط الكتابي المستعمر نرى لبسهم الحق بلباس الباطل بمختلف المحاولات المضلّلة من قالات وفعالات ومنها:

وَ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ وَ اكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (72).

و قد تعني الآية وجوها يتحملها الأدب لفظيا ومعنويا ان:

1 (آمنوا بما انزل على الذين آمنوا» ككل «آمِنُوا وَجْهَ النَّهارِ وَ اكْفُرُوا آخِرَهُ».

2 (آمنوا بما انزل وجه النهار» «و اكفروا» به «آخره».

3 (آمنوا بما انزل وجه النهار» «و اكفروا» بما انزل عليهم «آخره».

و الجمع المعني منها هو الايمان النفاق البارز ببديل الكفر عن الايمان «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ».

و هذه المنافقة اللئيمة مما تؤثر بطبيعة الحال في الذين لم يقع الايمان موقعه المكين في قلوبهم، فحين يرون طائفة من اهل الكتاب يؤمنون يزدادون إيمانا، وحين يرونهم يكفرون بعد إيمانهم يرجعون.

و لقد خاب سعيهم بما أوضح اللّه من كامن كيدهم وميدهم، أن سراع الكفر بعد

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 293

الإيمان ليس من صادق الإيمان، ولينتبه المسلمون على طول الخط أنه من مكائد الكتابيين-/ اللئيمة-/ فلا يدخلوا في هوّاتهم بغوّاتهم.

و هذا أمكر طريقه وأنكرها في تضليل البسطاء وضعاف العقول، حيث يوقعهم في البلابل، إذ يظنون أن أهل الكتاب اعرف منهم بالبيئة الكتابية، فإذا ارتدوا بعد إيمانهم لم يكن ذلك الارتداد إلّا بسبب اطلاعهم-/ ولقد تطرقوا في هذا الكيد اللئيم طرقا شتى تناسب مختلف الحقول وشتى العقول، فاختلقوا جيشا جرارا بصورة مثقفين فائقين في مختلف العلوم وهم يحملون اسم الإسلام لا لشي‏ء إلا لانحدارهم من سلالة اسلامية، رغم انهدارهم عن سلالة الإسلام.

فهم قد يدقون على تقدمية الإسلام وأخرى على رجعيتها دعاية ضالة للتفلت عنه، إبعادها عن مختلف مجالات الحياة وجلواتها إشفاقا عليها!.

و لا فحسب في ميادين العلوم التجريبية، بل وفي العلوم الإسلامية نفسها حيث يمحورون القيلات الشتات التي هي ويلات على المسلمين، تاركين كتاب اللّه وراءهم ظهريا.

فهؤلاء وأولاء-/ وهم مسلمون!-/ يشاركون-/ جاهلين او متجاهلين ام ومعاندين-/ يشاركون رأس الثالوث الماكر وهم طائفة مستشرقة ومبشرة من اهل الكتاب، فهم‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 294

شركاء ثلاث في سالوسهم بثالوثهم تأدية لدور التضليل.

وَ لا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدى‏ هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتى‏ أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ أَوْ يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (73).

«وَ لا تُؤْمِنُوا» من خطاب أهل الكتاب بعضهم بعضا «إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ» من المسلمين المضللين ومن إخوانكم-/ ككل-/ في الدين، والايمان له ليس كالايمان به او ايمانه او معه، انما هو الوثوق والاطمئنان إلى إخوتهم في دينهم، فأسرّوا إليهم وجاهروهم كما تحبون.

«قُلْ إِنَّ الْهُدى‏ هُدَى اللَّهِ» لا هدى الهوى التي أنتم تبغونها، فهدى اللّه تعالى طليقة عن عنصريات وقوميات وطائفيات أو لغات، ومن هدى اللّه طليقة عنها، فإذا «يُؤْتى‏ أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ» فآمنوا به ولهم «او» إذا توليتم «يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ» لماذا كفرتم بما أنكرتموه، ألأن فضل اللّه بأيديكم؟

«قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ» لا من تشاءون «وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» دونكم أنتم اللئام المتضايقون الأضنّة.

ان الشراسة الاسرائيلية وتصلّبها العنصري كانت ولا تزال تخيّل إليهم أنهم هم الشعب المختار، اختار اللّه لهم شرعته إلى يوم الدين، دونما أية حجة وبينة، صدا عن‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 295

سبيل اللّه‏سدا عن فضل اللّه وهداه إلّا لهم أنفسهم، فمن سواهم أتباعهم على طول الخط الرسالي، كلّا! «وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ»:

يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (74).

اختصاصا في الأدوار الرسالية لكل رسالة برسول، واختصاصا للرسالة الأخيرة بخاتم النبيين وأفضل الخلق أجمعين محمد صلى الله عليه و آله.

«أَ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ رَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا وَ رَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» (43: 32) (قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفاقِ» (17: 100).

ذلك! وليس اهل الكتاب كلهم كفرة ناكرون ماكرون بل هم كما يقول اللّه:

وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائِماً ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَيْسَ عَلَيْنا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (75) بَلى‏ مَنْ أَوْفى‏ بِعَهْدِهِ وَ اتَّقى‏ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (76) إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ أَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلًا أُولئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآْخِرَةِ وَ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَ لا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ لا يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (77) وَ إِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 296

يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ وَ ما هُوَ مِنَ الْكِتابِ وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (78) ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِباداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتابَ وَ بِما كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79)

وَ لا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَ النَّبِيِّينَ أَرْباباً أَ يَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (80) وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلى‏ ذلِكُمْ إِصْرِي قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81) فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ (82) أَ فَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (83) قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ عَلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ عَلى‏ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ ما أُوتِيَ مُوسى‏ وَ عِيسى‏ وَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (84) وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الآْخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ (85)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 297

أهل الكتاب بين مأمونين وخائنين‏

وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائِماً ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَيْسَ عَلَيْنا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (3: 86).

مثال ماثل بين أيدينا لغايتي الأمانة والخيانة الكتابية، فمنهم «مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ» كالذين ائتمنوا كتاب اللّه فأدوه إلى اهل اللّه بكل البشائر المودوعة فيه لأهليه «وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ» بخلا عن أداء أمانته على قلتها «إِلَّا ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائِماً» تقوم على أمانة البشارة وسواها بحجة كتابية لا حول عنها، و «ذلك» البعيد البعيد «بأنهم» الخونة لا كلهم «قالُوا لَيْسَ عَلَيْنا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ» وهم غير الكتابيين أنفسهم، سلبا لسبيل القيادة الروحية وسواها وسائر الحقوق عن بني إسماعيل الأميين كأنها محصورة في الكتابيين أنفسهم محسورة عمن سواهم! «وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ» دونما تقوى في طغواهم «وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» الحق وانهم كاذبون في نكرانه: «أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً» (4: 53) تعني-/ فيما تعنيه-/ المُلك الروحي، فكأن لهم نصيبا من ذلك الملك يملكونه فيختصون به أنفسهم ولا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 298

يؤتون سائر الناس منه نقيرا!.

و قد يعني المثال الأول قسما من النصارى والثاني اليهود ف «لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَداوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى‏ ذلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَ رُهْباناً وَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ. وَ إِذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرى‏ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ» (5: 82).

و قد تعني «ليس علينا في الأميين سبيل» كل حق هو لهم، فلا علينا ان نؤدي حقهم مهما كانت امانة، وقال صلى الله عليه و آله: كذب اعداء اللّه ما من شي‏ء كان في الجاهلية إلّا وهو تحت قدمي هاتين إلا الأمانة فانها مؤداة الى البر والفاجر» «1».

و اما كيف خص اللّه تعالى أهل الكتاب بتلك الخاصة وفي غيرهم-/ كما هم-/ الخائن‏الأمين والثقة والضنين؟.

لأنه لا يعني-/ فقط-/ أمانة المال، بل والأصل هو الممثل له: امانة الوحي المخصوص بأهل الكتاب، ولكيلا يغتر المسلمون بأنهم اهل الكتاب فيأمنوهم على ما ينقلونه لهم من وحي الكتاب.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 2: 44-/ أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه و آله: ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 299

ثم ولا نحسبهم على سواء في خيانة الأمانة، فلا تمنعنا المشاقة لهم من أن نشهد أن فيهم الثقة وان كانت الظنة غالبا عليهم، وان فيهم الأمين وان كانت الخيانة أشبه بطرائقهم.

و لقد سموا المسلمين أميين زعما منهم ألّا كتاب لهم حيث يحصرونه بالعهدين.

و لقد كان بين اليهود وبين أقوام من العرب بيوع وقروض فلما أسلموا قالوا: ليس علينا ان نقضيكم أموالكم لأنكم قد انتقلتم عن دينكم واستبدلتم بمعتقدكم، حيلة تسلب أموالهم ومطال ديونهم، فقال النبي صلى الله عليه و آله قوله: كذب اعداء اللّه ...

و من قيلة اليهود الغيلة ان غيرنا عبيد لنا يحل لنا أكل أموالهم وهتك اعراضهم و «لَيْسَ عَلَيْنا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ» مهما أكلنا من أموالهم وظلمناهم في سائر حقوقهم.

إذاً ف «لَيْسَ عَلَيْنا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ» تعني كل سبيل روحي او زمني او مالي أم اي حق، فنحن اصحاب الحق المطلق، وهم ليس لهم علينا أي‏حق، وكما يلوح كل ذلك من طيّات الآيات التي تحكي عن مزاعمهم التفوقية على كل الأمم، لحد يحسبونهم حيوانا خلقهم اللّه بصورة الإنسان لكي يصلحوا لخدماتهم!.

هنا «وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ» تلمح انهم ينسبون هذه الفوقية العنصرية الى اللّه وهم يعلمون كذبهم فيه.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 300

و ذلك من أخطر الخطر على الانسانية، ان تحصر حقوقها-/ الفطرية والعقلية والشرعية اماهيه-/ قبيلا واحدا من عامة الناس هم بنو إسرائيل أمّن هم، لا لحق إلا دعوى مكرورة على ألسن وأقلام سامّة تكدّر جو الحياة على من سواهم.

فرغم أن الانسانية أمانة ربانية لهم وعليهم ككل، هم يختصون فضائلها وفواضلها بكل حقوقها بأنفسهم، احتلالا قاحلا جاهلا لشرف الإنسانية وميّزاتها.

و لقد برزت هذه الأنانية الحمقاء بين اليهود كأصل على مدار الزمن، ومن ثم بين سائر الاختصاصيين من المستعمرين المستثمرين المستحمرين المستبدين المستكبرين المستضعفين المستخفين، أصحاب الأبواب السبع الجهنمية على مدار التاريخ الإنساني.

و القرآن يجرف هذه الخرافات الزور الغرور بكلمة واحدة: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ» ثم وليست الكرامة عند اللّه مما يحمل التقي على الطغوى، فانما هي تقوىً امام اللّه وامام عباد اللّه وحتى بالنسبة للحيوانات كلا والف كلا! ليست هذه الأنانية مسموحة في اية فطرة او عقلية انسانية فضلا عن شرعة اللّه.

بَلى‏ مَنْ أَوْفى‏ بِعَهْدِهِ وَ اتَّقى‏ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ 76.

«بَلى‏ مَنْ أَوْفى‏» من هود او نصارى او مسلمين «مَنْ أَوْفى‏ بِعَهْدِهِ» عهد اللّه، الذي عاهد عليه اللّه فطريا وشرعيا، وعهده نفسه، والذي عاهد اللّه عليه ام عاهد عباد اللّه ام‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 301

عاهدوه عليه وتقبله بحق «و اتقى» اللّه في عهوده كلها «فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ» سواء حملوا اسم الإسلام او سواه ولقد عهد اللّه على عباده «أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَ أَنِ اعْبُدُونِي هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ».

فليست كرامة الحب الربانية بذلك المبتذل الفوضى حتى ينالها كل مدع زورا وغرورا دونما تقوى، بكل قيلة وادعاء وويلة في طغوى الحياة، ان «لَيْسَ عَلَيْنا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ» «نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ»-/ «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى‏» «تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ».

و هنا نعرف ان الوفاء بالعهد له صلة وثيقة بتقوى اللّه، فلا يتغير في التعامل مع عدو او صديق، إذ ليس الوفاء بالعهد مسألة مصلحة، انما هو تعامل مع اللّه.

أجل ليس هو المصلحة، ولا عرف المجموعة، ولا قضية ظروف، بل قضية واقع الخلق الصالحة الإسلامية السليمة، اللهم إلا في عهود متخلفة فإنها في الأصل باطلة في ميزان اللّه فضلا عن الوفاء بها.

هنا الرباط بين عهد اللّه وايمانهم، انهم قد يشترون بالعهد وبأيمانهم ليصدّقوا، على ان لكل وزرا.

«يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ» في مربعه ولا سيما الذي عاهدهم اللّه عليه من وحي الكتاب‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 302

بشارة وسواها «وَ مِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ» ولكنهم اشتروا به ثمنا قليلا.

«وَ أَيْمانِهِمْ» على الوفاء بعهد اللّه، يشترون بهما «ثَمَناً قَلِيلًا» وكل ثمن بعهد اللّه قليل في كل قليل وجليل: «قُلْ مَتاعُ الدُّنْيا قَلِيلٌ» (4: 77) من حظوة الرئاسة وزخرفات مالية أماهيه، فان عهد اللّه لا يساوى او يسامى بأي ثمن.

و لماذا «يشترون» وهم يشرون عهد اللّه، لأن المشتري يهمه الثمن المشترى، فلذلك لا يهمه قليله وجليله، وهؤلاء الأنكاد وصلوا في هتكهم لحرمات اللّه الى تقديم كل حظوة فانية في هذه الدانية عليها.

لذلك «أولئك» البعاد البعاد «لا خَلاقَ لَهُمْ» ولا نصيب «في الآخرة» «فمن لم يكن له نصيب في الآخرة فبأي شي‏ء يدخل الجنة؟» «1»

حيث شروا بعهد اللّه هذا الأركس الأدنى فهم-/ إذا-/ إنما تهمهم هذه الأدنى دون الأخرى و «مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها وَ هُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ. أُولئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآْخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَ حَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» (11: 16) و اللهم «إلا من تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى» فأولئك‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 1: 356 بسند متصل عن أبي جعفر عليهما السلام حديث طويل يقول فيه: وأنزل في العهد «إِنَّ الَّذِينَ ...» فمن ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 303

لهم خلاق.

ذلك! وهؤلاء الذين يشترون بعهد اللّه ثمنا قليلا هم أنحس من أولاء وأنكى إذ باعوا بالدين الدنيا.

ف «لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَ لا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ» كلام عطف ونظر لطف ورحمة «1» اللهم إلّا «اخْسَؤُا فِيها وَ لا تُكَلِّمُونِ» و «فَادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها» كما «وَ لا يُزَكِّيهِمْ» بتوبة او شفاعة او تكفير سيئات بحسنات إذ حبطت اعمالهم التي كانوا يرونها صالحة، «فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَزْناً»-/ «وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ».

و هذه السلبيات الأربع من حظوة الآخرة لهؤلاء الأنكاد هي-/ بطبيعة الحال-/ ايجابيات للمتقين، فلهم في الآخرة خلاق كما سعوا لها ويكلمهم اللّه عطفا وينظر إليهم لطفا ويزكيهم بمختلف التزكيات، ولهم ثواب عظيم.

هنا «عهد اللّه» معني في كل حقوله، وكذلك «أيمانهم» للّه ام لعباد اللّه، وكما العهد الفاجر يخلف العذاب كذلك اليمين الفاجرة، مهما اختلفت المراحل في كلّ منهما وفاء ونقضا.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1)

. المصدر في كتاب التوحيد حديث طويل عن أمير المؤمنين عليه السلام يقول فيه-/ وقد سأله رجل‏عما اشتبه عليه من الآيات، وأما قوله «وَ لا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ» يخبر أنه لا يصيبهم بخير وقد تقول العرب واللّه ما ينظر إلينا فلان وإنما يعنون بذلك أنه لا يصيبنا منه بخير فذلك النظر هاهنا من اللّه تبارك وتعالى إلى خلقه فنظره إليهم رحمة لهم‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 304

و قد رويت عن رسول الهدى صلى الله عليه و آله روايات عدة بشأن اليمين الفاجرة الشائنة منها قوله صلى الله عليه و آله: «من حلف على يمين هو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقى الله وهو عليه غضبان ...» «1»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 2: 44-/ أخرج جماعة عن ابن مسعود قال قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: ... فقال‏الأشعث بن قيس فيّ واللّه كان ذلك كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني فقدمته إلى النبي صلى الله عليه و آله فقال لي رسول اللّه صلى الله عليه و آله ألك بينة؟ قلت: لا فقال لليهودي احلف فقلت يا رسول اللّه إذن يحلف فيذهب مالي فأنزل اللّه «إِنَّ الَّذِينَ ...»، وفيه أخرج ابن جرير عن ابن جريح أن الأشعث بن قيس اختصم هو ورجل إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله في أرض كانت في يده لذلك الرجل أخذها في الجاهلية فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله أقم بينتك قال الرجل ليس يشهد لي أحد على الأشعث قال فلك يمينه فقال الأشعث نحلف فأنزل اللّه «إِنَّ الَّذِينَ ...» فنكل الأشعث وقال:

إني أشهد اللّه وأشهدكم أن خصمي صادق فرد إليه أرضه وزاده من أرض نفسه زيادة كثيرة، وفيه أخرج ابن حبان والطبراني والحاكم وصححه عن الحرث بن البرصاء سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله في الحج بين الجمرتين وهو يقول: من اقتطع مال أخيه بيمين فاجرة فليتبوأ مقعدة من النار ليبلغ شاهدكم غائبكم مرتين أو ثلاثا، وفيه أخرج البزار عن عبد الرحمن بن عوف أن النبي صلى الله عليه و آله قال: اليمين الفاجرة تذهب المال، وفيه أخرج البيهقي عن أبي هريرة قال قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله ليس مما عصى اللّه به هو أعجل عقابا من البغي وما من شي‏ء أطيع اللّه فيه أسرع ثوابا من الصلة، اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع.

وفيه أخرج الحرث ابن أبي أسامة والحاكم وصححه عن كعب بن مالك سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول: من اقتطع مال امرئ مسلم بيمين كاذبة كانت نكتة سوداء في قلبه لا يغيرها شي‏ء إلى يوم القيامة، وفيه أخرج الطبراني والحاكم وصححه عن جابر بن عتيك قال قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله من اقتطع مال مسلم بيمينه حرم اللّه عليه الجنة وأوجب له النار فقيل يا رسول اللّه صلى الله عليه و آله وإن شيئا يسيرا؟ قال: وإن كان سواكا، وفيه أخرج عبد الرزاق عن أبي سويد سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول: إن اليمين الفاجرة تعقم الرحم وتقل العدد وتدع الديار بلاقع‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 305

فضلا عن اقتطاع حق من اللّه في زعمه فأغضب واشجى!.

اجل و «ان اليمين الغموس» «1» اهتضام لحق الناس واهتدام لكرامة اللّه.

وَ إِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ وَ ما هُوَ مِنَ الْكِتابِ وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (78).

اللّي هو عطف الشي‏ء ورده عن الاستقامة إلى الإعوجاج، ولواه به عطفه بما سواه ليحسب مما سواه وهو طرف آخر من مكائد البعض من اهل الكتاب هو تحريفه بألسنتهم إقحاما لما ليس من الكتاب في الكتاب ام تحريفا بزيادة او نقيصة في آي الكتاب او إعرابه، وليّ الألسنة بكتاب يشملهما ولا سيما الثاني خلطا بما ليس منه فيه بنفس العبارة الكتابية لغة وجملة لحناً وكما في «راعِنا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَ طَعْناً فِي الدِّينِ» «لتحسبوه» أنتم المسلمين غير العارفين بلغة الكتاب «من الكتاب» ويقولون «هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ ما هُوَ» فيها يلوون «من الكتاب» «وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» كذبهم، وذلك ايضا «بِأَنَّهُمْ قالُوا لَيْسَ عَلَيْنا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ» فلكي يصدوا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 1: 355 في عيون الأخبار عن الرضا عليه السلام حديث طويل في تعداد الكبائر وبيانها من كتاب اللّه وفيه يقول الصادق عليه السلام: واليمين الغموس لأن اللّه تعالى يقول: «إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 306

كل سبيل للحجة على أنفسهم يستحلون الفرية على اللّه حيث الغاية-/ بزعمهم-/ تبرّر الوسيلة أيا كانت. كما ولهم ليّ في كتب الكتاب وثالث في تفسير الكتاب تحريفا عن جهات أشراعه، ورابع في تخلفهم عمليا عن الكتاب، قواعد اربع يتبنّون عليها عرش السلطة الروحية الكتابية!.

و اللّي الأول يعم ما حرفوه من الكتاب كتبا وسواه، ومثلث الكتاب يعني كتاب الوحي توراة وإنجيلا، ولأن الملوي باللسان لتحسبوه من الكتاب قد يكون من عند اللّه في وحي السنة فقد نفى كونه من عند اللّه، تكذيبا ثانيا لما يلوون، وثالث يؤكدها ويسمهم بسمة الكذب على أية حال «وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ».

و ذلك اللّي والاشتراء والخيانة في أمانة الوحي وسواه من تجديفات-/ هي فآفات رجال الدين وعاهتهم على الدين والدينين حين يفسدون هي ان يصبحوا أداة لتشوية الدين باسم الدين، ليّا بالكتاب ضدّه وبألسنة ضدها.

هؤلاء الذين يحترفون الدين فيهرفون فيما يحرّفون ضد الدين تلبية لأهوائهم وأهواء آخرين ممن يستفيدون من أموالهم ومالهم من رغبات وشهوات، فيحملون نصوصا من الكتاب ويلهثون بها وراء تلك الأهواء الجهنمية، ليّا لأعناق هذه النصوص لتوافق أهوائهم السائدة المايدة، فإنهم-/ لكي تتحقق أهوائهم من وراء الكتاب-/ يبذلون جهودا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 307

لاهثة باحثة عن كل تمحّل وكل تصيّد لأدنى ملابسة لفظية أماهيه، ليلبسوها من أهوائهم ما يبغون.

و اللّه يحذر المسلمين من هذا المزلق الوبي‏ء الذي انتهى بانتزاع أمانة القيادة الروحية من بين إسرائيل.

و لقد نرى ليّا وبيئا في الآيات الانجيلية المؤولة الى ثالوثهم وان المسيح ابن اللّه، وهم فاضحون فيما يفتعلون‏ «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). يصرح الإنجيل في ثمانين موضعا أن المسيح عليه السلام عبد اللّه ورسوله كما يقول: إن الحياة الأبدية معرفة اللّه بالوحدانية وأن المسيح رسوله (يوحنا 17: 3) و «أول الأحكام أن نعرف أن إلهنا واحد» (مرقس 12: 29) وهو يتحاشي عن أن يخاطب بالرب كما يندد ببطرس لما قال له: حاشاك يا رب، فالتفت إليه وقال اذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما للّه ولكن بما للناس (متى 16: 22-/ 23) ويعتبر أيضا من يظنه إلها أو ابنه من المجانين: «.. فلما عرفوه أخذوا يصرخون: مرحبا بك يا إلهنا وأخذوا يسجدون له كما يسجدون لله فتنفس الصعداء وقال:

انصرفوا عني أيها المجانين لأني أخشى أن تفتح الأرض فاها وتبتلعني وإياكم لكلامكم الممقوت، لذلك ارتاع الشعب وطفقوا يبكون» (برنابا 92: 19-/ 20).

و حقا انه لا يوجد في الأناجيل ما يدل صراحا على البنوة والألوهية والثالوث المسيحية اللّهم إلّا اختلاقات ليّا بألسنتهم وطعنا في الدين.

فمثل «أنا والآب واحد» (لوقا 10: 30) من المتشابهات التي تفسرها محكمات كالتي سلفت فالوحدة هنا توحد العبد مع ربه في الدعوة إليه، فلو دعا إلى نفسه لم يكن معه واحدا.

و كذلك: «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله. كل شي‏ء به كان وبغيره لم يكن شي‏ء مما كان. فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس.

و النور يضي‏ء في الظلمة والظلمة لم تدركه» (يوحنا: 5).

فإن لم تكن هذه الحاقية ليست لتعني الكلمة فيها المسيح بل هي كلمة «كن» التكوينية التي كانت عند اللّه فإنها القدرة الفعلية، ثم كان الكلمة اللّه من حيث القدرة الذاتية وهي من صفات الذات.

فللقدرة كما العلم واجهتان ذاتيتان هما من صفات اللّه التي هي عين الذات، فعليتهما عند اللّه لأنهما من صفات الفعل.

ثم لا نجد في الإنجيل ما يوهم التثليث إلّا كلمة الآب والابن والآب تعني الخالق والابن هو ابن الإنسان كما في ثمانين موضعا.

و أما في الرسالة الأولى ليوحنا 5: 6-/ 8: 11: هذا هو الذي أتى بماء ودم المسيح. لا بالماء فقط بل بالماء والدم. والروح هو الذي يشهد لأن الروح هو الحق. فإن الذين يشهدون (في السماء) هم ثلاثة (الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد. والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة) الروح والماء والدم والثلاثة هم واحد! فما بين الهلالين منها: الآب ..-/ إلى-/ هم ثلاثة-/ مما كتبت أيديهم كذبا وزورا ولا توجد في أقدم النسخ وكما لا تصرح به الترجمة العربية من الأصل اليوناني المطبوعة في المطبعة الأمريكية في بيروت 1906 وهي مدار النقل عندنا في كتبنا الثلاثة: عقائدنا-/ المقارنات-/ رسول الإسلام في الكتب السماوية-/ فالتنبيه الموجود في أوّل هذه النسخة: والهلالان يدلان على أن الكلمات التي بينهما ليس لها وجود في أقدم النسخ وأصحها هذا التنبيه دليل أن التثليث المذكور فيه مقحم وكما يقول به كبار المحققين من علماء الإنجيل مثل كريسباج وشولز وهورن المفسر الشهير الإنجيلي، رغم تعصبه في الحفاظ على الأناجيل حيث يقول: هذه الجملة-/ يعني ما بين القوسين-/ الحاقية يجب حذفها عن الإنجيل، وتبعه جامعوا تفسير هنيري وإسكات وآدم كلارك، ثم إكستائن وهو من أعلم علماء التثليث ومرجعهم لا ينقل هذه العبارة في رسالاته العشر التي كتبها حول هذه الرسالة الإنجيلية، رغم أنه ممن أسس أساس التثليث، فلم تكن-/ إذا-/ هذه العبارة في الإنجيل حتى القرن الرابع زمن إكستائن وإلّا لكانت من أوضح أدلته على التثليث! وقد تكلف في مناظرته مع فرقة إيرين المنكرين للتثليث في الآية (8) فكتب أن المعني من الماء هو الأب والدم هو الابن والروح هو الروح القدس!.

فلو كانت عبارة التثليث: الآب والكلمة والروح القدس-/ موجودة في زمنه وأن في نسخة مجهولة ساقطة لكان يتثبت بها ولم يسقط في هوة هذا التأويل البارد.

و ممن يصرح بذلك الإلحاق الدكتور فندر الألماني مؤلف ميزان الحق في رده-/ بزعمه-/ على الإسلام، ويكتب المفسر الشهير هورن 12 صفحة في التفتيش عن هذه الجملة وقد لخصها جامعوا تفسير هنري والإسكات كالتالي: الأدلة المثبتة لكونها الحاقية ما يلي:

(1) لا توجد هذه العبارة في النسخ اليونانية قبل القرن 16 فهي-/ إذا-/ ملحقة في هذا القرن.

(2) لا توجد في المطبوعات الأولى ثم نراها بعدها.

3-/ لا توجد في شي‏ء من التراجم إلّا اللاتينية قليلا.

4-/ لم يستدل بها أحد من القدماء والمؤرخين الكنسيين.

5-/ زعماء بروتستانت الروحيون بين مسقط لهذه العبارة ومبق لها بضميمة علامة الريب التزييف‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 309

من ذلك لي «الآب» وهو لغة يونانية بمعنى الخالق، الى «الآب» مع الحفاظ على مده في اصل الكتاب، يلوون ألسنتهم بالآب أبا لتحسبوه من الكتاب نصا على ابوة اللّه للمسيح عليه السلام! وليس الأب من الكتاب وإنما هو الآب فالابن معه ام سواه هو ابن الإنسان، فقوله عليه السلام لمريم المجدلية: امضي الى اخوتي وقولي لهم: إني صاعد الى آبي الذي هو آبوكم وإلهي الذي هو إلهكم (يوحنا: 20) لا يعني من «الآب» إلّا الخالق مهما اسقطوا مدها ام أثبتوها وكما يؤيّده ثانيا «إلهي وإلهكم».

ذلك! وكما يلوون ألسنتهم ب «بريكليطوس» التي تعني غاية الحمد: أحمد ومحمد-/ فيلفظونها «باراكليطوس»: المسلي، ليحرفوها عن محمد النبي الى المسلي الروح القدس،

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 310

و «بريكليطوس» هي المسجلة في الأناجيل قبل الإسلام ثم حرفت الى «باراكليطوس» بعد الإسلام.

و من ليّهم في تراجم الكتاب إسقاط «مِقِرِبْ» في بشارة سفر التثنية بنبي اسماعيلي حيث تقول: «نابى‏ء آقيم لاهم مقرب إحيحم كموشه ..»: نبيّ أقيم لهم من أقرباء أخيهم كموسى، ثم نرى سائر التراجم كالمتفقة على إسقاط «مقرب» حيث تقول «من وسط بني إسرائيل من إخوتهم مثلك-/ من إخوتك مثلي» ترجمة مرتجفة مريبة رغم وحدة الأصل في «مقرب» تنحية لهذه البشارة عن النبي الإسماعيلي الذي بعث من أقرباء أخيهم، ف «أخيهم» هو بنو عيص كما في «تث 28: 8) وأمر القوم وقل لهم إنكم لحد إخوانكم بني عيص» وأقرباء بني عيص هم بنوا إسماعيل، فإن عيص نفسه كان صهرا لإسماعيل‏ «1».

و من ليّهم ترجمة «بمئد مئد شنيم عاسار نسيئيم يولد ..»: بمحمد واثنى عشر اماما يلدهم-/ حيث ترجموها ب «الكثير جدا واثنى عشر رئيسا» «2».

هذه وأشباهها كما تجد قسما منها في كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية».

ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِباداً لِي‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع كتابنا (رسول الإسلام في الكتب السماوية) 33-/ 39

(2). المصدر 40-/ 43

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 311

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتابَ وَ بِما كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ 79.

لقد نزلت هذه الآية في خضم الحوار مع نصارى نجران حين سئل:

«أ تريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم، فقال رجل من اهل نجران نصراني: أو ذاك تريده هنا يا محمد فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: معاذ الله ان نعبد غير الله او نأمر بعبادة غيره ما بذلك بعثني ولا بذلك امرني» «1».

و كما قال له رجل «يا رسول الله صلى الله عليه و آله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك؟ قال: لا ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله فانه لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله فأنزل الله هذه الآية «2»، وقال (صلى الله عليه‏آله وسلم): لا ترفعوني فوق حقي فان الله تعالى اتخذني عبدا قبل ان يتخذني نبيا» «3».

و هنا «ما كان» تنفي عن اعماق الزمان بمثلثه الدعوة المعاكسة لتوحيد اللّه لرسل اللّه‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 1: 46-/ أخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول اللّه صلى الله عليه و آله ودعاهم إلى الإسلام: أتريد ..

(2). المصدر أخرج عبد بن حميد عن الحسن قال بلغني أن رجلا قال يا رسول اللّه صلى الله عليه و آله:.

(3). نور الثقلين 1: 357 في عيون الأخبار في حديث سلسلة الذهب قال المأمون يا أبا الحسن عليه السلام بلغني أن قوما يغلون فيكم ويتجاوزون فيكم الحد فقال الرضا عليه السلام حدثني أبي-/ إلى-/ قال قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: ... قال اللّه تعالى «ما كانَ لِبَشَرٍ ...» وقال علي عليه السلام يهلك في اثنان ولا ذنب لي مفرط ومبغض مفرط وأنا لبراء إلى اللّه تعالى ممن يغلو فينا فرفعنا فوق حدنا كبراءة عيسى بن مريم عليهما السلام من النصارى‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 312

وأنبياءه، أن يرتقوا زورا وغرورا عن الرسالة الإلهية الى الإلهية نفسها، نفيا في استحالة ذات بعدين، ان يبعث اللّه من يحاده في ألوهيته، وأن يتبدل المألوه إلها.

و ليست «لبشر» هنا تختص النفي ببشر، وانما لأن المدّعى ألوهيته هنا بشر، وان البشر-/ و هو في أحسن تقويم-/ إذا لم يصلح له ان يكون معبودا من دون اللّه فبأحرى من دونه من سائر الخلق، ثم الآية التالية لها تنفي بوجه عام الألوهية عما سوى اللّه.

و هنا «أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ ... ثُمَّ يَقُولَ» دون «ان آتاه الله ثم قال» مما يؤكد الاستحالة في بعديها، ان ليس اللّه يبعث من يتخلف هكذا عن رسالة، «وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالَيمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ» (69: 45) وليست تتبدل الرسالة الى المرسل نفسه.

و «الكتاب» هنا هو كتاب الوحي «و الحكم» هو الحكم الرسالي بالكتاب، فقد أوتي المرسل إليهم الكتاب ولم يؤتوا الحكم الرسالي بالكتاب، ومن ثم «النبوة» هي الرفعة بين المرسلين بالكتاب، فهي المرحلة القمة الرسالية مهما كانت درجات.

و لقد بلغت دركة الدعاية الثالوثية لحد يستجوب اللّه فيها المسيح عليه السلام البري‏ء فيجيب: «وَ إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قالَ سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ...

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 313

ما قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا ما أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ ..» (5: 117) ولَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَ لَا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَ مَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبادَتِهِ وَ يَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً ...» (4: 172).

ان المعرفة البسيطة باللّه تمنع العارف عن دعوى الألوهية، فضلا عمن يؤتى الكتاب والحكمة والنبوة، فإنها تحكّم عرى العبودية، إذ ليست واردة إلا مورد العبودية القمة.

«ما كانَ ... ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ» «كُونُوا رَبَّانِيِّينَ»: منتسبين الى الرب بمعرفة غالية وعبودية عالية كما نحن المرسلين.

انحرافات من المسيحين الصلب والفداء في القرآن والانجيل‏

وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً 152.

هؤلاء الأكارم يعاكسون أمر الإيمان وجاه المنافقين فيه حيث لم يفرقوا أي‏تفريق في حلقات الإيمان ومتعلّقاته «أُولئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ» فإذا تسرب منهم لمم من ذلك التفريق «وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً» يغفر من يستغفره ويرحم من يسترحمه.

يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى‏ أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 314

فَقالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ فَعَفَوْنا عَنْ ذلِكَ وَ آتَيْنا مُوسى‏ سُلْطاناً مُبِيناً 153.

لكي نراه ونسمعه يوحي إليك، وأهل الكتاب ككلّ «أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ» ويكأن اللّه هو ساكن السماء حتى ينزل كتاب وحيه على رسوله منها، وهل إن هذه السماء بكتابها أسمى من سماء الوحي البيّنة في القرآن العظيم، فقد يأتي كتاب من السماء من اللّه أو سواها وليس في سموّه كوحي القرآن النازل من سماء الرحمة المتميزة الإلهية على قلب النبي الأمى.

فما ذلك السؤال وأمثاله إلّا نتيجة الجهل والنكران، تعنتا على الحق وتعندا «مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ فَعَفَوْنا عَنْ ذلِكَ» البعيد البعيد «وَ آتَيْنا مُوسى‏ سُلْطاناً مُبِيناً» يبين الحق صراحا ناصعا لا غبار عليه.

و هنا «فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى‏» عرض لأجهل ما سأله أهل الكتاب في مسرح الكتاب، إذا ف: «يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتابِ» يعمهم الى النصارى وسائر أهل الكتاب، ولو عنت «أهل الكتاب» خصوص اليهود لجي‏ء بخصوصهم دون طليق «أهل الكتاب» «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال جاء ناس من اليهود إلى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله سلّم) فقالوا: إن موسى جاءنا بالألواح من عند اللّه فائتنا بالألواح من عند اللّه حتى نصدقك فأنزل اللّه: «يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتابِ-/ إلى-/ بُهْتاناً عَظِيماً».

وفيه عن ابن جريح قال: إن اليهود والنصارى قالوا لمحمد (صلّى اللّه عليه وآله سلّم) لن نبايعك على ما تدعونا إليه حتى تأتينا بكتاب من عند اللّه إلى فلان أنك رسول اللّه وإلى فلان أنك رسول اللّه فأنزل اللّه: يسألك أهل الكتاب‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 315

و لأن ذلك السؤال كان في خضمّ نزول القرآن في العهد المدني وهم كانوا يسمعونه ولا يرعونه، فسؤالهم «أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ» نكران لوحي القرآن إذ لم ينزل جهارا من السماء، انعطافا الى مكان من السماء وانحرافا عن مكانة القرآن الذي يحلق على الأرض والسماء!.

و قد يعني «كِتاباً مِنَ السَّماءِ»-/ فيما عنى-/ كتابا من اللّه إليهم أن محمدا رسولي والقرآن كتابي‏ «1» رغم أن القرآن نفسه دليل قاطع لا مرد له على الأمرين، برهان لا يساوى ولا يسامى بأي برهان.

ثم كيف «سَأَلُوا مُوسى‏» والسائلون إياه هم الغابرون دون الحاضرين في «يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتابِ»؟ لأنهم كلهم-/ إلّا قليل-/ في سلك واحد وأقله كونهم راضين بما سأل وفعل أسلافهم، وكما ينسب القرآن أفعالا من الغابرين الى الحاضرين بنفس السبب، مما يدل على أن الراضي بفعل قوم هو منهم وكما «إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ» يعنى القاعدين مع الخائضين في آيات اللّه.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1)

. (1، 2). ج 1: 447 الفرقان على ضوء الآية «وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ..» (64)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 316

و هنا الإجابة ب «فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى‏ أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ» تنديدة شديدة وتهديدة أن ينالهم ما نال السائلين موسى عليه السلام من أخذ الصاعقة إياهم، «ثم» ولم ينتبهوا عن غفوتهم حيث «اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ» استبدالا باللّه العجل في رؤيته وعبادته، «فَعَفَوْنا عَنْ ذلِكَ» الحنث العظيم-/ لا عنهم-/ فلم نستأصلهم عن بكرتهم فإنما قلنا لهم «فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» تخفيفا عن ثقل الحنث ثم:

وَ رَفَعْنا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثاقِهِمْ وَ قُلْنا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً وَ قُلْنا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَ أَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً 154.

«وَ رَفَعْنا فَوْقَهُمُ الطُّورَ» بكامله ترهيبا رعيبا «بميثاقهم» حيث ان سبب رفعه كان ميثاقهم الذي نقضوه أو أرادوا نقضه كما فصلناه في البقرة، فاستحكمه اللّه بنتق الجبل فوقهم.

«وَ قُلْنا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبابَ» باب القدس «سجّدا» خضّعا للّه «وَ قُلْنا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَ أَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً» فقد كان رفع الطور فوقهم مسرحا لإيثاق الميثاق الغليظ عليهم أن «خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا ما فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (2: 64) «... خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اسْمَعُوا» (2: 93).

فَبما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ وَ كُفْرِهِمْ بآياتِ اللَّهِ وَ قَتْلِهِمُ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 317

غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (155).

لقد نقضوا ميثاقهم على معاهدة شرعة اللّه وكفروا-/ إذا-/ بآيات اللّه، وقتلوا أنبياء اللّه وقالوا-/ لما ندد بهم ووعظوا-/ قلوبنا غلف: لا تعي ما توعون «بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ» طبعا بعد انطباعها بما زاغوا «فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» «1» «فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا» منهم، أو وقليلا من الإيمان، فالمؤمنون منهم قلة، وإيمان القلة منهم قلة، اللّهم إلا الأقلون كما قال اللّه عنهم «وَ مِنْ قَوْمِ مُوسى‏ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ» (7: 159).

و إنهم أولاء الحاضرين في ذلك الخطاب «لم يقتلوا الأنبياء وإنما قتلهم أجدادهم فرضي هؤلاء بذلك فألزمهم الله القتل بفعل أجدادهم فكذلك من رضي بفعل فقد لزمه وإن لم يفعله» «2».

وَ بِكُفْرِهِمْ وَ قَوْلِهِمْ عَلى‏ مَرْيَمَ بُهْتاناً عَظِيماً 156.

فقد بهتوها بالزنا وبذلك كفروا حيث أخرجوا بذلك المسيح عليه السلام من جمعية الرب وكما في مختلقة كتابية «3» فلا يعني البهتان الذي هو من أسباب كفرهم أنهم بهتوا مريم-/ فقط-/

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 2: 238-/ أخرج البزار والبيهقي في الشعب وشعفه عن ابن عمر عن النبي (صلّى‏اللّه عليه وآله سلّم) قال: الطابع معلق بقائمة العرش فإذا انتهك الحرمة وعمل بالمعاصي واجترئ على اللّه بعث اللّه الطابع فطبع على قلبه فلا يقبل بعد ذلك شيئا

(2). نور الثقلين 1: 568 في تفسير علي بن إبراهيم قال: هؤلاء.

(3). راجع ج 16: 311-/ 312 من الفرقان تجد فيه تفصيل التهمة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 318

بالزنا، بل وخلفيته العظيمة أن روح اللّه المسيح عليه السلام وليد زناهو مع الأبد ممنوع عن الدخول في جمعية الرب.

و ذلك البهتان العظيم هو مثلثة الجهات: أنها-/ وعوذا باللّه-/ زنت، وأن المسيح وليد زنا دون وسيط، ثم وهما وليدا زنا بوسائط في ثالوثهم المنحوس على مريم وعيساهاآباءهما، والنبيون وسائر المعصومين هم أنوار في أصلاب شامخة وأرحام مطهرة لم تنجسهم الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسهم من مدلهمات ثيابها.

أجل و «إن رضا الناس لا يملك وألسنتهم لا تضبط ألم ينسبوا مريم ابنة عمران عليها السلام انها حملت بعيسى من رجل نجار اسمه يوسف» «1».

هكذا يهتك ساحة القدس الرسالي للمسيح عيسى بن مريم عليهما السلام ويقابله تأليهه من آخرين، وهنا يخاطب النبي صلى الله عليه و آله عليا: «إن لك من عيسى مثلا أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه المنزل الذي ليس له» «2».

و ما أجمعه كفرا جماع الرأى من أهل الكتابين بحصيلة: أن المسيح عليه السلام وهو وليد زنا،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 1: 568 في أمالي الصدوق بإسناده إلى الصادق عليه السلام حديث طويل يقول فيه لعلقمة يا علقمة: ..

(2). الدر المنثور 2: 238-/ أخرج البخاري في تاريخه وصححه عن علي عليه السلام قال قال لي النبي صلى الله عليه و آله:

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 319

هو اللّه، أم هو ابن اللّه، بهتان عظيم على اللّه وعلى أفضل عباد اللّه!.

وَ قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ وَ ما قَتَلُوهُ يَقِيناً 157 بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَ كانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً 158.

آية وحيدة منقطعة النظير حول نكران صلب المسيح عليه السلام حافلة لما تقولوا فيه وواقع الحال الغائبة عنهم فما يملكون هؤلاء المضلِّلون بشأنه والمضلِّلون إلا ظنازعما خاويا.

و قد اختصرت القصة في «آل عمران» «وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ.

إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسى‏ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ رافِعُكَ إِلَيَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ...» (55)

وهنا التفصيل، ثم لا نجد ثالثة في القصة فإنهما تكفيان حسما لمادة الشبهة والظِّنة.

و لقد ذكر من مواد كفرهم هنا أمران اثنان: «قَوْلِهِمْ عَلى‏ مَرْيَمَ بُهْتاناً عَظِيماً. وَ قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ».

فكفرهم في المادة الأولى هو فريتهم على معصومين عدة أنهم من مواليد الزنا خلاف نصوص الوحي الصارم بعصمتهم ورسالتهم.

و هو في المادة الثانية أن خرافة صلب المسيح عليه السلام المختلقة عليه خلّفت أساطير كتابية ضده وضد كافة الرسالات الإلهية والرسالة القدسية العيسوية وسائر الرسالات، وقد

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 320

يأتيكم نبأها بعد حين.

و هنا «إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ» هي قولة اليهود حسب ظنهم حيث ألقوا عليه القبض-/ في زعمهم-/ فقتلوا المزعوم أنه المسيح عليه السلام.

و ترى هؤلاء قالوا إنهم قتلوا رسول اللّه تصديقا لرسالته؟ أن «عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ» هو كلمة اللّه وهم نسبوه الى أب زان! وكذلك «رسول اللّه» وهم مكذبوه! إنها منهم تهكم بدعواه الرسالة قائلين ومستهزئين «إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ»! ثم إن فرقة من النصارى تقولوا أنه قتل وأنه اللّه أو ابن اللّه مهما كان في ناسوته أم سواه «وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ» هما معا تكذبان كل أنواع القتل بالنسبة للمسيح عليه السلام، ولأن سلب القتل قد لا يسلب الصلب، لذلك يتقدم صلبه «ما قتلوه»، كما أن سلب الصلب لا يسلب كل أنواع القتل ولذلك يتأخر عن «ما قتلوه» استئصالا عن ساحته كل أنواع القتل:

صلبا كما يزعمون أم غيره من خنق أمّاذا كما قد يزعمون ذلك! ولأن قتلا مّا بحساب المسيح عليه السلام كان واقعا لا مردّ له بإجماع أعداءه وأحباءه، فما هو الحلّ في ذلك البين؟.

إنّه «وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ» شبِّه القتيل لليهود أنه المسيح فأخذوه وصلبوه.

و ترى من ذا الذي «شبه لهم»؟ أهو واحد من حوارييه؟ وهو ظلم بالبري‏ء! وفسح لمجال قتله للظالم القاتل!. بخس دراهم معدودة، ألقى اللّه شبه المسيح عليه السلام عليه فقبض‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 321

وصلب بديله.

هؤلاء هم اليهود الذين ظنوا صلبه دون خلاف، ثم اختلف فيه محبّوه:

«وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ»: وهنا محاولة مسيحية لتعقيم الآية عن تكذيب الصليب:

فقد خيّل الى بعض المبشرين المسيحيين‏ «1» أن «شبه لهم» تعني «خيل إليهم» فهم-/ إذا-/ مشتبهون في قصة الصلب؟.

و لكن ذلك التخريج المريج ماذا ينفعه إلّا أنهم لا يعلمون صلبه إلّا شبهة، وهكذا يقرر القرآن بسائر ألفاظ الآية دون فائدة زائدة لذلك التخييل العليل، على أن «شبه لهم» راجع الى اليهود، ثم النصارى «إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ وَ ما قَتَلُوهُ يَقِيناً. بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ...»!.

و هنا في فاعل «شبه لهم» محتملات يعتمد المؤوّل على أنه المسيح عليه السلام أن شبّه لهم بغيره فظنوه غير المسيح! وسائر ألفاظ الآية تقضي على ذلك التخريج التحريج.

إنما «شبه لهم» القتيل المصلوب بالمسيح أن القى اللّه شبه المسيح عليه فاشتبهوا في أمره فظنوا أنهم صلبوه «وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1)

. هنا لنا حوار مع الحداد في كتابه (مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي) فصلناه في (عقائدنا) 183-/ 188 نختصره هنا كما يناسب الفرقان‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 322

ذلك، وما المشاكل المزعومة في ذلك التشبيه، بعد الإياس عن أي‏تأويل إلا اضطراب القتيل.

فإلقاء شبه إنسان على آخر لمصلحة ملزمة آية رسالية من اللّه لمرة واحدة على مدار الزمن لا يفتح باب السفسطة، وإنما سد هنا باب الهرطقة الصليبية على المجازفين فيها.

فلا يعني ذلك الإلقاء لمرة يتيمة أن اللّه يلقي شبه كل إنسان على آخر على طول الخط، كما لا يعني حية العصى لموسى أن كل عصى تبدل حية تسعى، ولا خروج الجمل عن الجبل لصالح ان كل جبل يخرج منه جمل، ولا إشارة محمد صلى الله عليه و آله الى القمر حيث انشق بها القمر، أن كل إشارة من كل مشير الى القمر ينشق بها القمر.

و أما أن اللّه أيده بروح القدس فهل عجز هنا عن تأييده فاضطر الى هذه الحيلة؟

فذلك التأييد الأكيد هو الذي نجاه من ذلك القتل اللعين «وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ» وهم يتقولون أنه صلب هكذا وبكل مهانة ومذلة! فأين-/ إذا-/ ذلك التأييد!.

فهل إن إلقاء شبهه على عدوه ورفعه الى السماء عجز ومهانة، وإلغاؤه في ذلك المسرح اللعين قوة وكرامة؟!.

و أما أن واقع ذلك الإلقاء لا يحول اليهود عن يقين الصلب، فغير واقع كما يزعمون، حيث بيّن القرآن ذلك الواقع وخطأ اليهود في يقينهم والنصارى في شكهم ولا ينبئك مثل‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 323

خبير، كما ونصوص من التوراة والإنجيل تتجاوب مع القرآن في ذلك التكذيب.

ذلك! وما من أحد من هؤلاء وهؤلاء يقول ما يقوله عن يقين إلّا ظنا، فلقد تتابعت الأحداث سراعا وتضاربت الروايات وتداخلت حول صلبه في تلك الفترة بحيث يصعب الاهتداء فيها الى يقين إلّا ما يقصه القرآن العظيم، حيث الأناجيل-/ وحتى الأربعة المصفّاة من بينها-/ كتبت بأيدي غير أمينة بعد فترة من عهد المسيح وهي متضادة في نقل القصة، كيف لا والحضور في واقع القصة كانوا حيارى مما حصل فضلا عمن بعدهم من المضطهدين لإنجيله!.

ذلك! وفي قصة الصلب أساطير تستحي عن نقلها الأقلام، ولكي تعرف القصة بأصلها و فصلها حسب القرآن والإنجيل ومختلف الآراء بين علماء الإنجيل، نفتح لكم منها أبوابا:

1- العهدان يتجاوبان في نكران الصلب في إنجيل متى 36: 31 ومرقس 14: 27 (كلكم تشكون في في هذه الليلة» قالها المسيح مخاطبا للحواريين ليلة الصلب.

فكيف يصدّق الشاكون فيه إيمانا به أو في صلبه في رواية الصلب؟!.

و من مقالات المسيح عليه السلام: إن أيدي اليهود لم تمسه-/ كما في يوحنا 7: 32-/ 34 «... فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداما ليمسكوه. فقال لهم يسوع أنا معكم زمانا يسيرا بعد ثم أمضي الى الذي أرسلني ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 324

تقدرون أنتم أن تأتوا» فكيف يكذّب المسيح عليه السلام في صراح قوله لممسكيه:

«ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا» ثم يصدّق اليهودالذين صدقوهم، ولا تحتمل «لا تجدونني-/ ولا تقدرون أن تأتوا» وجدانه في برزخه وإتيانه فيه إذ لم يرسلوا ليمسكوه في البرزخ!.

تضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسمع له من أجل تقواه «إذا فكيف له موت الصليب اللعين وهو شر موت كما يقول! ومن العهد العتيق تصريحة دانيال كما في الأصل العبراني:

«و أحرى هشابو ميم ثيشيم ووشيم يكارت ما شيح» (دانيال 9: 36):

و بعد إثنين وستين أسبوعا ينقطع المسيح ويختفي» وغير خفي أن اختفاءه لا يعني إلا غيابه المحير للحاضرين حيث الصلب أو القتل والموت-/ لو كان واقعا عليه-/ غير خفي.

ذلك، ومن كبار علماء الإنجيل قائلون بمقالة القرآن، مستنكرين خرافة العذاب الصليبي، مستخفين بالصلب والصليب والمصلوب، ومنهم إحدى عشر طائفة ممن يذكرهم موسيهيم في تاريخه‏ «1» ويقول الموسيوارد «2» او ارسيوس (إن القرآن ينقل قتل‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). هو الأستاذ الشهير الذي كان يدرس في مدارس اللاهوت الإنجيلية، وهؤلاء هم:

الساطرنيوسيون-/ الكاربوكراتيون-/ المركبونيون-/ البارديسيانيون-/ التاتيانيسيون-/ المانيسيون-/ البارسكاليونيون-/ البوليسيون-/ الدوسيتية-/ الموسيونية-/ الغلنطانيائية

(2). هو أحد أعضاء الأنسيتوري الفرنسي في باريس المشهور بمعارضته المسلمين في كتابه: عقيدة المسلمين في بعض المسائل النصرانية ص 49، يقول فيه من القائلين مقالة القرآن: مباسيليديون كانوا يعتقدون أن عيسى (و هو ذاهب لمحل الصلب) القي شبحه على (سيمون السرياني) تماما والقي شبح سيمون عليه ثم أخفى نفسه ليضحك على مضطهديه اليهود الغالطين.

و منهم السيرنثيون فأنهم قرروا أن أحد الحواريين صلب بدل عيسى وقد عثر على فصل من كتاب الحورايين وإذا كلامه نفس كلام الباسليدينيين.

و منهم التاتيانوسيون اتباع تاتيانوس تلميذ يوستينوس الشهيد

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 325

عيسى و صلبه ويقول بأنه ألقي شبهه على غيره فغلط اليهود فيه وظنوا أنهم قتلوه وما قاله القرآن موجود عند طوائف نصرانية».

و يقول الموسيوارتست ذي بونسن الألماني‏ «1»: إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولص ومن شابهه من الذين لم يرووا المسيح وليست من الأصول النصرانية الأصلية.

و قال «ملمن» «2» (إن تنفيذ الحكم كان في وقت الغلس وإسدال الظلام، فيستنتج من ذلك إمكان استبدال المسيح بأحد المجرمين الذين كانوا في سجون القدس منتظرين حكم القتل عليهم كما اعتقد بعض الطوائف وصدقهم القرآن.

و على الجملة فإن أغلب الشعوب الشرقية قبل الإسلام رفضت مسألة الصلب والقتل‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). في ج 1 من تاريخ الديانة النصرانية.

(2). في كتابه: الإسلام أي‏النصرانية الحقة ص 142

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 326

بحق المسيح عليه السلام حتى أن الباسيليوس الباسيليدي يقول: إن نفس حادثة القيامة-/ قيام المسيح بعد الصلب والقتل-/ هي من ضمن البراهين الدالة على عدم حصول الصلب على ذات المسيح، ومعلوم أن نصارى سوريا هم الذين وقعت هذه الحادثة بينهم فهم أقرب الناس الى العلم بحقيقتها، وكذلك من جاورهم من نصارى المصرييين وغيرهم لحصول الجوار وقرب المسافة تناقض النقل الإنجيلي في رواية الصلب ومما يوهن رواية الصلب ويستأصله هي التناقضات الثمان في النقل الإنجيلي في رواية الصلب، مما يبين دون ريب أن الرواة لم يكونوا يشهدونه، وإنما تناقلوه أو تخيلوه.

فقد اختلفت الأناجيل في: 1- حامل الصليب 2- والاقتراع على ثياب المصلوب 3- وما كتب فوق رأسه، 4- ورفيق المصلوب 5- والمستهزئين به 6- ودعاءه 7- وصرخته 8- وآخر كلامه‏ «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). حامل الصليب: في متى ومرقس ولوقا (سمعان القيرواني) وفي يوحنا أنه المسيح نفسه.

و شراب المصلوب: في متى أنهم أعطوه خلا ممزوجا بمرّ، ومرقس أنه كان خمرا بمرّ.

و الاقتراع على ثيابه: في متى ومرقس ولوقا أنهم اقتسموا ثيابه واقترعوا عليها، وفي يوحنا أن المقسوم عليهم أربعة اقترعوا على قميصه فحسب.

و ما كتب فوق رأسه: في متى جعلوا فوق رأسه مكتوبة كالتالي: هذا هو يسوع ملك اليهود، ثم صرح لوقا أنها كانت بأحرف يونانية ورومانية وعبرانية، ويوحنا: أنها باللاتينية عوض الرومانية.

و رفيق المصلوب: في متى ومرقس أنهما كانا لصين، ولوقا: أنهما كانا من المذنبين، ويوحنا لم يذكر جريمتهما.

و المستهزئين بالمصلوب: في متى ومرقس ولوقا: استهزء به المارون ورؤوساء الكهنة والشيوخ و اللصان اللذان معه بقولهم: خلّص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها، وفي يوحنا أنهم قالوا: السّلام عليك يا ملك اليهود رغم أنه كان حاضرا وقت الصلب ولكنه لا يذكر شيئا مما كتبه الثلاثة.

و دعاء المصلوب: في لوقا: قول المسيح: «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ما يفعلون» والثلاثة الآخرون لم يذكروها رغم ما وعد لوقا بداية إنجيله أنه لا يكتب شيئا إلّا بعد تأكده ممن شاهدوا-/ أي‏الثلاثة الآخرون، ورغم أنها كانت ضربة قاضية على النصرانية.

إذ إن معنى هذا الدعاء أن المسيح ليس بيده من الأمر شي‏ء وأنه لم يصلب فداء عن الخطيئة إذ يعتبر الصلب خطأ من فاعليه والفداء عن الخطيئة-/ على حد تعبيرهم-/ من أهم الأصول المسيحية!.

و صرخة المصلوب: في متى ومرقس أن المصلوب صرخ مرتين، وفي لوقا مرة واحدة ويوحنا يكذب الثلاثة: أنه لم يصرخ!.

و آخر كلام المصلوب: في يوحنا أنه: يا أبتاه في يديك استودع روحي، ومتى ومرقس أنه: يا إلهي إلهي لماذا تركتني؟

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 327

شبهات أخرى مسيحية حول الصلب يروى عن بعض المدققين من علماء أوروبا الأحرار وكذا الذين يسمّون، المسيحيين العقليين، أن الذي صلب-/ مهما كان مسيحا أم سواه-/ لم يمت، بل أغمي عليه ولفّ باللفائف ووضع في ذلك الناووس، أفاق وألقى اللفائف حتى إذا جاء الذين رفعوا الحجر لافتقاده خرج واختفى عن الناس حتى لا يعلم به أعداءه.

و من براهينهم أن المصلوب لم يجرح منه إلا كفاه ورجلاه وهي ليست من المقاتل، ولم‏يمكث معلقا إلا ثلاث ساعات، وكان يمكن أن يعيش على هذه الصفة عدة أيام، وأنه لما

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 328

جرح بالحربة خرج منه دم وماء والميت لا يخرج منه ذلك بل قالوا إن ذلك لم يكن صلبا تاما.

و من الشاهد على شيوع هذا الرأي ما جاء في ذخيرة الألباب في بيان الكتاب (635) كالتالي: للكفرة والجاحدين في تكذيب تلك المعجزة مذاهب شتى ... فمنهم من استفزتهم مع (بهردواك وبولس غتلب) حماقة الجهل ووساوس الكفر الى أن قالوا: أن يسوع نزل عن الصليب حيا ودفن في القبر حيا.

يهوذا شبيه المسيح! واتفقت النصارى على أن يهوذا الأسخر يوطي هو الذي دل على يسوع المسيح وكان رجلا عاميا من بلدة خريوت في أرض يهوذا، تبع المسيح وصار من خواص أتباعه وحوارييه الاثنى عشر، ومن الغريب أن يهوذا كان يشبه المسيح في خلقه كما نقل جرج سايل الإنجليزي في ترجمته للقرآن المجيد فيما علقه على سورة آل عمران، نقل وعزى هذا القول الى (السير نثيين والكربوكراتيين) والنصارى مجمعون أن يهوذا فقد بعد قصة الصلب حيث افتقدوه وما وجزوه ولكنهم حفاظا على أكذوبة صلب المسيح وجهوا فقد يهوذا كالتالي:

«إن يهوذا أسف وندم على ما كان من إسلامه المسيح الى اليهود حتى حمله ذلك على بخع نفسه انتحارا فذهب الى حقل وخنق نفسه فيه» (متى 27: 3-/ 10) أو «علق نفسه‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 329

في ذلك الحقل» (أعمال الرسل 1: 18).

ذلك وحصيلة الخلاف المسيحي حول الصلب: 1- أن المسيح لم يصلب وإنما صلب يهوذا الملقى عليه شبح المسيح 2- أن يهوذا كان شبيه المسيح 3- أن المسيح صلب ولم يمت على الصليب؛ و 4- أنه صلب ومات على الصليب. «برنابا والصليب».

و شاهد صدق إنجيلي على تزييف الصليب شهادة القديس برنابا الحواري في إنجيله الذي كتبه بإملاء السيد المسيح عليه السلام قائلا: «فاعلم يا برنابا إنه لأجل هذا يجب عليّ التحفظ وسيبيعني أحد تلاميذي بثلاثين قطعة من نقود وعليه فإني على يقين من أن من يبيعني يقتل باسمي لأن اللّه سيصعدني من الأرض وسيتغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد إياي ومع ذلك فإنه لما يموت شرّ ميتة أمكث في ذلك العار زمنا طويلا في العالم ...

ولكن متى جاء محمد رسول اللّه المقدس تزال عني هذه الوصمةسيفعل اللّه هذا لأني اعترفت بحقيقة مسيّا الذي سيعطيني هذا الجزاء أي‏أن أعرف أني حي وأني بري‏ء من وصمة الصليب و دخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أصعد منها يسوع، وكان التلاميذ كلهم نياما فأتى الله العجيب بأمر عجيب فتغير يهوذا في النطق‏في الوجه فصار شبيها بيسوع حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع. أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتقد لينظر أين كان المعلم لذلك تعجبنا وأجبنا: أنت يا سيد هو معلمنا، أنسيتنا الآن؟. أما هو فقال مبتسما: هل أنتم‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 330

أغبياء حتى لا تعرفون يهوذا الاسخريوطي؟ وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا لأنه كان شبيها بيسوع من كل وجه» (برنابا 216: 1-/ 9).

«أما يسوع فوجده الذي يكتب ويعقوب ويوحنا-/ فقالوا وهم باكون: يا معلم لماذا هربت منا؟ فلقد طلبناك ونحن حزانى. بل إن التلاميذ كلهم طلبوك باكين، فأجاب يسوع: إنما هربت لأني علمت أن جيشا من الشياطين يهيئ لي ما سترونه بعد برهة وجيزة فسيقوم علي رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب وسيطلبون أمرا من الحاكم الروماني بقتلي لأنهم يخافون أن اغتصب ملك إسرائيل. وعلاوة على هذا فإن واحدا من تلاميذي يبيعني ويسلمني كما بيع يوسف الى مصر، ولكن الله العادل كما يقول النبي داود «1» من نصب فخا لأخيه وقع فيه، ولكن الله سيخلصني من أيديهم وسينقلني من العالم. فخاف التلاميذ الثلاثة ولكن يسوع عزاهم قائلا: لا تخافوا لأنه لا يسلمني أحد منكم فكان لهم بهذا شي‏ء من العزاء» (برنابا 139: 1-/ 10).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1)

. (كما في مزمور 9: 15-/ 57: 6)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 331

الصلب والفداء اليسوعي:

ان قصة الصلب بحق سيدنا المسيح عليه السلام التي يشدّد القرآن النكير عليها، ليست كقصة من سائر القصص التي يمرّ عليها مر الكرام، بل هي بمتعلقاتها وأصولها الأساطيرية الغابرة طول تاريخ الوثنية قصة إباحية بربرية تفك كافة القيود المقررة في شرائع اللّه، فهي ذات أهمية كبرى إيجابا من الإباحيين المتسترين في طليق شهواتهم بقشور ونقابات شرعية! وسلبا من الشرعيين الحقيقيين.

و لقد كان حامل شعلة الصلب المحرقة شرعة المسيح وكيانه هو بولص قائلا:

«المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون من علق بخشبة. لتصير بركة إبراهيم للأمم في المسيح يسوع لننال بالإيمان موعد الروح» (3 غلاطية 13: 14).

و كتابة اللعنة هذه هي التي في تثنية التوراة 31: 22-/ 23: (و إذا كان على إنسان خطيئة حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة فلا تبت جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم، لأن المعلق ملعون من الله. فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب إلهك نصيبا».

هذا النص يعتبر المعلق المبيّت على خشبة ملعونا إذا كان عليه خطيئة حقها

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 332

الموت، بولص يعتبر تلك اللعنة خلاصا لمن يعتقد في ذلك الفداء العارم التصفوي لكافة الذنوب، الإباحي الطليق لكل عصيان!.

و لكي يؤكد على النجاة بلعنة الصليب عن لعنة الناموس يعتبر شريعة الناموس منسوخة بذلك الفداء قائلا: «الشريعة الموسوية غير واجبة على المسيحيين لأنهم تحت التوفيق‏ «1» وتلكم الشرائع نسخت بعد صعود المسيح‏ «2» والمسيح حصر الشريعة في حب الله (إله الأقانيم!) وحب الجار كما تحب نفسك» «3».

ذلك رغم تصريح التوراة «ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها ويقول جميع الشعب آمين» (تث 27: 26).

و كما المسيح عليه السلام يصرح: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السماوات، وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما في ملكوت السماوات» (متى 5: 17-/ 19) و «بولص» يعني الصغير فقد وافقه اسمه إثمه أن نقض وصايا الناموس وكما أخبر به السيد المسيح عليه السلام.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1)

. روم 4: 14-/ 15 و 7: 4 و 6 وغلاطية 3: 13 و 25 و 5: 18

(2). غلاطية 3: 24 وفس 2: 15 وعب 9: 10،

(3). إنجيل متى 22: 37-/ 40 راجع (عقائدنا) فقيه بحث فصل حول لغة الصليب‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 333

بولص يأتي بصوفيته العارمة ويختلق أسطورة الأقانيم والفداء الصليبي ليستأصل شريعة اللّه عن بكرتها وتبعه من تبعه من حزبه الصوفيين لتحتل الإباحية مكان الشريعة «1» والفداء الصليبي عريق في الوثنية العتيقة «2» ثم نراه حرفيا في صلب العقائد

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). يقول القس الدكتور فندر الألماني في كتابه ميزان الحق وهو على حد قوله رد على الإسلام: أن‏المسيح لعن من أجلنا بالموت الصليبي.

و يقول الدكتور همند في شرح الآية (غلا 2: 20) وصلبت مع المسيح وأنا الآن حي لكنني لست بحيّ بل إن المسيح هو الحي فيّ وما نلت الآن من الحياة الجسمانية فهو متعلق بالإيمان بابن اللّه الذي أحبسني وجعل نفسه فدية لأجلي أي‏خلفني ببذل روحه لأجلي عن شريعة موسى ..

و قال في شرح الآية (21) أستعمل هذا العتق لأجل ذلك ولا أعتمد في النجاة على شريعة موسى و لا أفهم أن أحكام موسى ضرورية لأنه يجعل إنجيل المسيح كأنه بلا فائدة.

و يقول الدكتور: وت بي-/ ولو كان كذا فاشترى النجاة بموته ما كان ضروريا وما كان في موته حسن مّا.

و يقول باهل: لو كانت شريعة اليهود تعصمنا وتنجينا فأية ضرورة كانت لموت المسيح ولو كانت الشريعة جزء لنجاتنا فلا يكون موت المسيح لها كافيا.

و في تفسير دوالي جيردمينت قول دين أستان هوب: نسخ رسومات الشريعة بموت عيسى‏شيوع إنجيله. وقال لوطر في ص 40: 41 من ج 3 من كتابه كما ينقله عنه وارد كاتلك في ص 38 من كتابه: لا نسمع من موسى ولا ننظر إليه لأنه كان لليهود فقط ولا علاقة له بنا في شي‏ء مّا.

و هكذا مقالات نفر آخرين مثل إسلي‏بيس وفرقة أنتي نومنس وهم أتباعه وأخيرا برتراندراسل في قوله: وأخيرا أرسل الإله الأسمى ابنه مؤقتا ليحل في جسم يسوع الإنسان كي يحرر العالم من تعاليم موسى الخاطئة

(2). يقول دوان في كتابه 181-/ 182: ان تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جدا عند الهنود الوثنيين وغيرهم وذكر هذه التقدمة عند الهنود لعصر الفديك بمعنى العلم بالديانات وهي كتابات شعرية وترنيمات للهنود مؤلفة من أربع كتب وقد كتبت قبل المسيح بألف سنة.

و كتاب الركفدا .. يمثل الآلهة يقدمون «بروشاو» وهو الذكر الأول قربانا ويعدونه مساويا للخالق ...

و جاء في كتاب «التزيابرهما» ما نصه: وسيد المخلوقات «برجاباتي» قدم نفسه ذبيحة لآللهة.

و في كتاب «استباتابرهما» ما نصه: والعالم لهذه الذبيحة (بروشاميدا) أي‏ضحية الذكر الأولى يصير كل شي‏ء.

و قال هوك في رحلته ج 1: 326 ويعتقد الهنود الوثنيون بالخطيئة الأصلية.

و قال دوان: ويعتقد الهنود بأن كرشنا (المولود البكر الذي هو نفس الإله (فشنو) والذي لا ابتداء له ولا انتهاء على رأيهم تحرّك حنوا لكي يخلص الأرض من ثقل حملها فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبحية عنه.

و قال القس جورج كوكس في كتاب الديانات القديمة وتصف الهنود كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتا لأنه قدم شخصه ذبيحة ويقولون: إن عمله هذا لا يقدر عليه أحد سواه.

و قال المسيو كوينيو-/ نقلا عن كتاب لاندي-/ الآثار المسيحية: يذكر الهنود موت كرشنا بأشكال متعددة أهمها أنه مات معلقا على شجر سمر بها بضربة حربة.

و قد صور الراهب (جورجيوس) الإله (اندرا) الذي يعبده أهالي (النيبال) مصلوبا كما يصورونه يوم عيده الذي يقع في شهر آب.

و جاء في ترنيمة (بوظا) عانيت الاضطهاء والامتهان والسجن والموت والقتل بصبر وحب عظيم لجلب السعادة للناس وسامحت المسيئين إليك، ويدعون بوظا الطبيب العظيم مخلص العالم‏الممسوح والمسيح المولود الوحيد الوجيه وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر آثام البشر ويجعلهم و رثاء ملكوت السماوات وبولادته ترك كافة مجده في العالم ليخلص الناس من الشقاء والعذاب كما نذر.

و قال بيل في كتابه تاريخ بوظا ص 32: قال (بوجانا) سأتخذ جسدا ناسوتيا وأنزل فأولد بين الناس لا محيهم السّلام وراحة الجسد وأزيل أحزان وأتراح العالم وان عملي هذا لا أبغي به اكتساب شي‏ء من الغنى والسرور.

و قال لبي هوك في كتابه: رحلة هوك-/ إن بوظا بنظر البوظيين إنسان وإله معا وان تجسد بالناسوت في هذا العالم ليهدي الناس ويفديهم ويبين لهم طريق الإيمان.

و قال مكس مولر في كتابه تاريخ الآداب السنسكريتية ص 80: البوظيون يزعمون أن بوظا قال:

دعوا كل الآثام التي ارتكبت في هذا العالم تقع علي لكي يخلص العالم.

و قال دوان: كان الفداء بواسطة التألم والموت لمخلص إلهي قديم العهد جدا عند الصينين وأن أحد كتبهم المقدسة المدعو (يبكنيك) يقول عن (تيان) أنه القدوس الواحد وأنه سيعيد الكون إلى البر ويعمل ويتألم كثيرا ولا بد له من اجتياز تيار عظيم تدخل أمواجه إلى نفسه فالقدوس تيان لأجل الناس يموت لكي يخلص الصالح وهو واحد مع اللّه منذ الأزل قبل كل شي‏ء.

و قال (مورى) في كتاب الخرافات: يحترم المصريون (أوسيريس) ويعدونه أعظم مثال لتقديم النفس ذبيحة ليأنس الناس الحياة.

و يعتقد الوثنيون أن آلهتهم المتجسدين نزلوا إلى الجحيم بعد قتلهم أو صلبهم ليخلصوا الأموات، مثل كرشنة-/ زورستر-/ أدونيس-/ باخوس-/ هرقل-/ عطارد-/ بالدور-/ كوتز- لكوتل وغيرهم من آلهتهم المتجسدين المصلوبين‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 335

المسيحية «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). في إنجيل نيكو ديموس الأصحاح 15: 17-/ أنه دارت بينه وبين الشياطين محادثة في الجحيم و خلص من فيها من النساء والأطفال والرجال، وكذلك في كتاب صلاة النصارى (3: 16) اعتقاد الحواريين (ص 6) وقتيقيسمون ص 60، 64، 75، 76-/ أن المسيح دخل الجحيم بعد صلبه، القديسان: اكليمنغس الاسكندري واوريجانس يعتبرون ذلك من بشارات الإنجيل (و هما من أكبر الأساتذة في كنيسة الإسكندرية في القرون الأولى المسيحية وأكليمنغس أستاذ اوريجانس ووفاته 214 م كما اوريجانس مات 154 م.

و القديس كريسستوم (374 م) يعتبر منكري هذه البشارة الإنجيلية كافرا وهذا كما في (241: 31 و بط 3: 17-/ 19 ومكاشفات فيلبس تأليف فيلبس كود الوفس 1669 في رومية الكبرى ط بسلوقيت.

و يقول القس مار طيروس في توجيه عذاب المسيح في الجحيم: لما نزل ربنا المسيح من اللاهوت إلى الناسوت ولبس الجثمان البشري لذلك كان ولا بد أن يتحمل جميع العوارض البشرية ولأجله دخل جحيم النار وعذب فيها وخلص أهلها منها ولا تحتاج هذه العقيدة إلى برهان.

و يقول القس يوسف ولف: أجل إنه عذب ولا ريب فيه ولا عيب.

و يقول فخر الإسلام في كتابه أنيس الأعلام: جرت لي مناظرة مع باطر وسألته عن ذلك فأجابني بكل صراحة إن المسيح دخل الجحيم وعذب بدلا منا.

و في كتاب اللاهوت العقائدي تأليف لوديغ اوث ج 2 ص 101: نزل المسيح بعد موته إلى الجحيم بنفسه المنفصلة عن جسده، الجحيم هو مقر نفوس الأبرار الذين ماتوا قبل المسيح، يتضمن قانون الرسل في أحدث صيغة له (القرن الخامس) هذه العبارة: ونزل إلى الجحيم، وكذلك قانون (40) والمجمع اللّاتراني الرابع (1215) يعلن بأكثر دقة: ونزل إلى الجحيم» .. لكن بنفسه (429 انظر 385).

و القديس بولس يذكر مكوث المسيح في الجحيم (روم 10: 6-/ 7) والتقليد يجمع على القول بنزول المسيح إلى الجحيم كما القديس اغناطوس الأنطاكي وايريناس يصرحان بذلك.

و القديس اوغسطينوس يمثل إيمان الكنيسة جمعاء بقوله: من يمكنه انكار نزول المسيح إلى الجحيم سوى غير المؤمن (رسالة 164-/ 2: 3) والكتب المنحلة أيضا تشهد على إيمان الكنيسة بنزول المسيح إلى الجحيم.

و غاية هذا النزول إلى الجحيم على ما يقول علماء اللاهوت عامة تخليص الأبرار منه‏تخصيصهم بثمار الفداء، أي‏اشراكهم في الرؤية الطوباوية (انظر القديس توما 3-/ 52: 5، التعليم المسيحي الروماني 1-/ 6: 6)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 336

بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَ كانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً (158).

«وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ» فهل مات وقتئذ دون قتل أو صلب؟ كلا! «بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ» ذلك رفع في المكانة لا في المكان فحسب، إنما رفعه اللّه من هذا الجمع الجامح الكالح الذي أراد صلبه، وهو في صيغة أخرى: «إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ رافِعُكَ إِلَيَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ...» (3: 55).

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 337

و التوفّي هو الأخذ وافيا وهو هنا أخذه من بين الظالمين تطهيرا له عن العذاب الصليبي الذي طالت مخلفاته اللّاطائلة بين اليهود والنصارى.

فلا يعني رفعه إليه ضمّه إليه سبحانه إذ ليس له مكان، ولا قتله أو صلبه حيث سلبهما عنه ولا موته للآية التالية:

وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً (159).

هنا «قَبْلَ مَوْتِهِ» تعني قبل موت المسيح، فهل آمن به أهل الكتاب حتى الآن وحتى المسيحيين منهم فضلا عن اليهود؟ فليكن حيّا حتى الآن، وقد يؤمن به أهل الكتاب العائشون قرب موته وهو زمن ظهور المهدي القائم من آل محمد صلوات اللّه عليهم أجمعين حيث ينزل المسيح ويصلي وراءه فلما يراه أو يسمعه أهل الكتاب يصلي وراءه يؤمنون به، وهو في نفس الوقت إيمان بالرسالة الإسلامية، اللّهم إلّا ممن شذ منهم المعنيين بمثل قوله تعالى: «فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ إِلى‏ يَوْمِ الْقِيامَةِ ..».

و القول إن «قَبْلَ مَوْتِهِ» تحتمل قبل موت كل كتابي، مردود أدبيا ومعنويا بالوجوه التالية:

1- لكيلا يحتمل موت المسيح عليه السلام بل وذلك قضية الجمع في «إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 338

أي: ان أحد من أهل الكتاب، فهو-/ إذا-/ كلهم فكيف يناسبهم ضمير المفرد «قَبْلَ مَوْتِهِ» وإن لم يشتبه الأمر؟ ولا يعارض هذا بإفراد «ليؤمنن» إذ لا يأتي فيها هذه الشبهة.

2- المرجع في هذا الاحتمال وهو «أَهْلِ الْكِتابِ» أبعد من المرجع على ما نقول وهو المضمر إليه في «به» فالأصح هو الأقرب قضية كونه أحسن الوجهين.

3- محور الكلام هو المسيح فليكن هو المرجع لضمير «موته» حتى ولو كان أبعد ذكرا وهو أقرب.

4- الضمائر المفردة في هذه الآيات ك «قتلوه-/ صلبوه-/ شبه-/ فيه-/ منه-/ رفعه-/ به-/ يكون»-/ وهي ثمانية عدد أبواب الجنة-/ كلها راجعة إلى المسيح عليه السلام فكيف تخلف في هذه اليتيمة «قَبْلَ مَوْتِهِ» عن المرجع لهذه الثمانية؟!.

5- إن المسيح أعتبر شهيدا على أهل الكتاب يوم القيامة، فهل يشهد على إيمانهم كلهم‏الإيمان عند رؤية البأس لا ينفع، و «ليؤمنن» تعني أكيد الإيمان دون مكيده أيا كان من مثلثه، فليس «قَبْلَ مَوْتِهِ» إيمانهم عند رؤية البأس، إنما هو إيمانهم بما يرون من آيات صدقه يوم نزوله.

6- لو عني قبل موت أهل الكتاب في استغراق الإيجاب «وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ» لكان اليهود قبل بعثة المسيح مؤمنين به قبل موتهم، وهم لم يؤمنوا به بعد مبعثه، بل‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 339

وظنوا أنهم قتلوه، ولكن إيمانهم قبل موت.

7- إن المسيح يعتبر شهيدا على أهل الكتاب ما دام فيهم «وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ما دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَ أَنْتَ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ شَهِيدٌ» فكيف يكون شهيدا عليهم يوم القيامة أنهم آمنوا به قبل موتهم وليس هو فيهم؟.

8- «فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ إِلى‏ يَوْمِ الْقِيامَةِ» دليل بقاء اليهود والنصارى إلى يوم القيامة فكيف هم مؤمنون به قبل موتهم؟.

9- قضية التأكد لعدم قتله وصلبه عدم موته حتى يؤمن به أهل الكتاب إيمانا اختياريا، أما إيمانهم الاضطراري به قبل موتهم فلا يمتّ بصلة لتأكيد السلب.

10- لا نرى أي‏يهودي يؤمن بالمسيح قبل أن يموت، ولو آمن به لم ينفعه إيمانه‏ «1»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 1: 571 عن تفسير القمي عن شهر بن حوشب قال قال لي الحجاج يا شهر! آية في‏كتاب اللّه قد اعيتني فقلت أيها الأمير أية آية هي؟ فقال: قوله: «وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ» واللّه أني لأمر باليهودي والنصراني فيضرب عنقه ثم أرمقه بعيني فما أراه يحرك شفتيه حتى يخمد فقلت أصلح اللّه الأمير ليس على ما تأولت قال كيف هو؟ قلت: إن عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلا يبقى أهل ملة يهودي ولا غيره إلّا من آمن به قبل موته ويصلي خلف المهدي قال: ويحك أنّى لك هذا ومن أين جئت به؟ فقلت: حدثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام فقال: جئت واللّه بها من عين صافية.

و في الدر المنثور 2: 341-/ أخرج الفرياني وعبد بن حميد وصححه عن ابن عباس في قوله «وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ ..» قال: خروج عيسى بن مريم، وفيه عنه في «قَبْلَ مَوْتِهِ» قال: قبل موت عيسى، و في ثالث عنه يعني أنه سيدرك أناس من أهل الكتاب حين يبعث عيسى سيؤمنون به» وفيه أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في الآية قال: إذا نزل آمنت به الأديان كلها، وفيه أخرج ابن جرير عن ابن زيد في الآية قال: إذا نزل عيسى عليه السلام لم يبق يهودي في الأرض إلّا آمن به فذلك حين لا ينفعهم الإيمان، وأخرج مثله ابن جرير عن أبي مالك و الحسن‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 340

وهذه عشرة كاملة تؤيد وتؤكد أن الكتابيين الكائنين قرب موت المسيح عليه السلام سوف يؤمنون به.

و قد يعم ذلك الإيمان إيمان اليهود أنهم ما قتلوه وما صلبوه وإن لم يؤمنوا به تماما، وتلائمه «فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ إِلى‏ يَوْمِ الْقِيامَةِ» حيث تلمح ببقاء اليهود-/ وإن قليلا-/ إلى يوم القيامة، فقد ينقسم الإيمان به قبل موته إلى ثلاثة أقسام:

1-/ ليؤمنن به كامل الإيمان وقضيته الإيمان بمحمد صلى الله عليه و آله حيث يرون المسيح عليه السلام يصلي وراء المهدي عليه السلام، وهذا هو الإيمان الصالح فإن وقفة الإيمان على المسيح أيا كان غير مقبول إذ قضيت نبوته.

2- «لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ» أن يدخلوا في حزبه، فيصبحوا مسيحيين حقيقيين، وهذا أقل من الأوّل.

3- «لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ» أنه ما قتل وما صلب وهم جماعة من اليهود الذين لا يؤمنون به كالأول او الثاني، فإنما يؤمنون بانه «ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ» حيث يرونه‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 341

يصلي وراء المهدي عليه السلام، وهذا أقل من الأولين.

و من ذلك توافق اليهود والنصارى في زماننا على أن المسيح عليه السلام لم يصلب، مهما كان توافقا سياسيا أم دينيا.

ذلك وقد يروى عن رسول الهدى عليه السلام قوله: يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يقتل الدجال ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ويفيض المال و تكون السجدة واحدة للّه رب العالمين واقرؤا إن شئتم «وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ» موت عيسى بن مريم و «كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم» «1».

فليكن إمام المسلمين حينذاك أفضل من المسيح حتى يكون إمامهم دون المسيح، فهل هو إلا المهدي القائم من آل محمد عليهم السلام؟! وكما في رواية أخرى عنه صلى الله عليه و آله «.. فإذا هم بعيسى فتقام الصلاة فيقال له تقدم يا روح الله فيقول ليتقدم إمامكم فليصل بكم ..» «2».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). المصدر أخرج أحمد والبخاري ومسلم والبيهقي في الأسماء والصفات قال قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله سلّم):.

(2). المصدر أخرج أحمد عن جابر بن عبد اللّه قال قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله سلّم): يخرج الدجال في خفقة من الدين وأدبار من العلم-/ إلى قوله (صلّى اللّه عليه وآله سلّم) ثم ينزل عيسى فينادي من السحر فيقول يا أيها الناس ما يمنعكم من أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث فيقولون: هذا رجل حي فينطلقون فإذا هم بعيسى فتقام الصلاة ... فإذا صلوا صلاة الصبح خرجوا إليه فحين يراه الكذاب ينماث كما ينماث الملح في الماء فيمشي إليه فيقتله حتى أن الشجرة تنادي يا روح اللّه هذا يهودي فلا يترك ممن كان يتبعه أحد إلّا قتله»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 342

و «تقدم أنت فصل بنا» «1» مما يدل أنه يصلي خلف إمام المسلمين فهل هو إلّا الأفضل من المسيح عليه السلام وهو المهدي من آل محمد عليهم السلام.

أقول: قصة نزول المسيح متواترة من طريق الفريقين لا نكير لها، وهي تؤيد أنه حي حتى الآن دون ريب.

قولة مزدوجة بابن الله‏

وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَ قالَتِ النَّصارى‏ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30).

فهؤلاء وأولاء أيضا فرقة من كلّ دون الكل، فهل يؤخذ الجار بجرم الجار؟ لا و «لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى‏»! فرقة من اليهود «قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ» وفرقة من النصارى «قالَتِ النَّصارى‏ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ» و «ذلك» البعيد البعيد «قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). أخرج معمر في جامعه عن الزهري أخبرني عمرو بن سفيان الثقفي أخبرني رجل من الأنصارعن بعض أصحاب النبي (صلّى اللّه عليه وآله سلّم) قال ذكر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله سلّم) الدجال-/ إلى أن قال-/: فينزل عيسى عند صلاة الفجر فيقول له أمير الناس تقدم يا روح اللّه فصل بنا فيقول: إنكم معشر هذه الأمة أمراء بعضكم على بعض تقدم أنت فصل بنا فيتقدم فيصلي بهم فإذا انصرف أخذ عيسى حربته نحو الدجال فإذا رآه ذاب كما يذوب الرصاص فتقع حربته بين تنروته فيقتله ثم ينهزم أصحابه فليس شي‏ء يومئذ يجن أحدا منهم حتى أن الحجر يقول: يا مؤمن هذا كافر فاقتله والشجر يقول: يا مؤمن هذا كافر فاقتله‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 343

خاويا عن كل حق، ثم وليس من اختلافهم أنفسهم، وإنما هم «يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ» من المشركين القائلين إن للَّه ابنا أو أبناء «قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ»! «1».

و كذلك من كفرة اليهود وقد كان (فيلو) الفيلسوف اليهودي الإسكندري المعاصر للمسيح يقول: إن للَّه ابنا هو كلمته التي خلق بها الأشياء، ثم ومن قبلهم ومعهم سائر الكفار القائلين بالبنوة الإلهية (1). بحذافيرها المتشتتة.

و لقد فصلنا القول حول البنوة الإلهية بحذافيرها بطيات آياتها فلا نعيد هنا إلا ثالوثا منها هي: بنوة تشريفية كعزير في قول القائلين به ككل، وبعض القائلين إن المسيح ابن اللَّه، وبنوة ولادية كبعض آخر من النصارى، وبنوة مرتقية إلى ذات الأبوة في قالة «إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ» و «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ» خطوات خاطئات في حقل البنوة الإلهية ما لها من جذور إلا الشركية من «الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ» و إليكم حوار الرسول صلى الله عليه و آله مع اليهود والنصارى بهذا الصدد «2».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). لقد استعرضنا من عثرنا عليهم من المشركين القائلين بالثالوث في تفسير سورة المائدة 11617 ومريم 34 وإليكم نموذجا من تفصيل:

فمن الثواليث: الثالوث البرهمي والبوظي وتاوو والصينيين والهنود والمصريين واليونان‏الرومان و الفرس والفنلنديين والاسكندنافيين والدرديين والتتر والسيبريين والجزائر الأقيانوسية المكسيكيين والهندوس الكنديين.

فهؤلاء من «الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ» وقد ضاهئوهم هؤلاء المسيحيين‏

(2). في كتاب الإحتجاج للطبرسي قال أبو محمد العسكري قال الصادق عليه السلام: ولقد حدثني أبي عن جدي علي بن الحسين زين العابدين عن الحسين بن علي سيد الشهداء عن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين صلوات اللَّه عليهم، أنه اجتمع عند رسول اللَّه (صلى اللَّه عليه وآله‏سلم) أهل خمسة أديان: اليهود والنصارى والدهرية والثنوية ومشركو العرب، فقالت اليهود: نحن نقول: عزير ابن اللَّه وقد جئناك يا محمد لننظر ما تقول، فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل وان خالفتنا خصمناك وقالت النصارى نحن نقول: إن المسيح ابن اللَّه اتحد به وقد جئناك لننظر ما تقول؟ فان اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل وإن خالفتنا خاصمناك-/ ثم قال لليهود: أجئتموني لأقبل قولكم بغير حجة؟ قالوا-/ لا-/ قال: فما الذي دعاكم إلى القول بان عزيرا ابن اللَّه؟ قالوا: لأنه أحيا لبني إسرائيل التورية بعد ما ذهبت ولم يفعل بهذا هذا إلا لأنه ابنه، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: كيف صار عزير ابن اللَّه دون موسى و هو الذي جاءهم بالتورية ورأوا منه من المعجزات ما قد علمتم؟ فإن كان عزير ابن اللَّه لما ظهر من الكرامة من إحياء التورية فلقد كان موسى بالنبوة أحق وأولى، ولئن كان هذا المقدار من إكرامة لعزير يوجب أنه ابنه فأضعاف هذه الكرامة لموسى توجب له منزلة أجل من البنوة، وإن كنتم إنما تريدون بالبنوة الولادة على سبيل ما تشاهدون في دنياكم هذه من ولادة الأمهات الأولاد بوطي آباءهم لهن فقد كفرتم باللَّه وشبهتموه بخلقه وأوجبتم فيه صفات المحدثين ووجب عندكم أن يكون محدثا مخلوقا وإن يكون له خالق صنعه وابتدعه؟ قالوا: لسنا نعني هذا فإن هذا كفر كما ذكرت ولكنا نعني أنه ابنه على معنى الكرامة وإن لم يكن هناك ولادة كما قد يقول بعض علماءنا لمن يريد إكرامه وإبانته بالمنزلة عن غيره: يا بني! وإنه ابني لا على سبيل إثبات ولادته منه، ولأنه قد يقول ذلك لمن هو أجنبي لا نسب بينه وبينه، وكذلك لما فعل اللَّه بعزير ما فعل كان قد اتخذه ابنا على الكرامة لا على الولادة فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله:

فهذا ما قلته لكم: إنه إن وجب على هذا الوجه أن يكون عزير ابنه فإن هذه المنزلة لموسى أولى‏إن اللَّه يفضح كل مبطل بإقراره ويقلب عليه حجته لأن ما احتججتم به يؤديكم إلى ما هو أكبر مما ذكرته لكم، لأنكم قلتم: إن عظيما من عظمائكم قد يقول لأجنبي لا نسب بينه وبينه يا بني وهذا ابني لا على طريق الولادة فقد تجدون أيضا أن هذا العظيم يقول لأجنبي آخر: هذا أخي، ولآخر: هذا شيخي وأبي، ولآخر: هذا سيدي ويا سيدي على سبيل الإكرام، وإن من زاده في الكرامة زاده في مثل هذا القول، فإذا يجوز عندكم أن يكون موسى أخا للَّه أو شيخا له أو أبا أو سيدا لأنه قد زاده في الإكرام مما لعزير، كما أن من زاد رجلا في الإكرام قال له: يا سيدي ويا شيخي ويا عمي ويا رئيسي على طريق الإكرام، وإن من زاده في الكرامة زاده في مثل هذا القول، أفيجوز عندكم أن يكون موسى أخا للَّه أو شيخا أو عما أو رئيسا أو سيدا أو أميرا لأنه قد زاده في الإكرام على من قال له: يا شيخي أو يا سيدي أو يا أميري أو يا عمي أو يا رئيسي، قال: فبهت القوم وتحيروا وقالوا: يا محمد أجّلنا نفكر فيما قلته لنا، فقال صلى الله عليه و آله:

انظروا فيه بقلوب معتقدة للإنصاف يهدكم اللَّه-/ ثم أقبل صلى الله عليه و آله على النصارى فقال: وأنتم قلتم: إن القديم عزّ وجلّ اتحد بالمسيح عليه السلام ابنه؟ فما الذي أردتموه بهذا القول؟ أأردتم أن القديم صار محدثا لوجود هذا المحدث الذي هو عيسى؟ أو المحدث الذي هو عيسى صار قديما لوجود القديم الذي هو اللَّه؟ أو معنى قولكم: إنه اتحد به أنه اختصه بكرامة لم يكرم بها أحدا سواه؟ فإن أردتم أن القديم صار محدثا فقد أبطلتم لأن القديم محال أن ينقلب فيصير محدثا، وإن أردتم أن المحدث صار قديما فقد أحلتم لأن المحدث أيضا محال أن يصير قديما، وإن أردتم أنه اتحد به بأن اختصه واصطفاه على ساير عباده فقد أقررتم بحدوث عيسى وبحدوث المعنى الذي اتحد به من أجله، لأنه إذا كان عيسى محدثا وكان اللَّه قد اتحد به بأن أحدث به معنى صار به أكرم الخلق عنده فقد صار عيسى عليه السلام وذلك المعنى محدثين وهذا خلاف ما بدأتم تقولونه، فقالت النصارى يا محمد إن اللَّه لما أظهر على يد عيسى من الأشياء العجيبة ما أظهر فقد اتخذه ولدا على وجه الكرامة فقال لهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: فقد سمعتم ما قلته لليهود في هذا المعنى الذي ذكرتموه ثم أعاد صلى الله عليه و آله ذلك كله فسكتوا إلا رجل واحد منهم قال له: يا محمد أو لستم تقولون: إن إبراهيم خليل اللَّه؟

قال: قد قلنا ذلك، فقال: إذا قلتم ذلك فلم منعتمونا أن نقول: إن عيسى ابن اللَّه؟

فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: إنهما لن يشتبها لأن قولنا إن إبراهيم خليل اللَّه فإنما هو مشتق من الخلة والخلة إنما معناها الفقر والناقة وقد كان خليلا إلى ربه فقيرا وإليه منقطعاعن غيره متعففا مستغنيا وذلك لما أريد قذفه في النار فرمى به في المنجنيق فبعث اللَّه تعالى جبرئيل عليه السلام فقال له: أدرك عبدي فجائه فلقيه في الهواء فقال حلفني ما بدا لك فقد بعثني اللَّه لنصرتك فقال: بل حسبي اللَّه ونعم الوكيل إني لا أسأل غيره ولا حاجة لي إلا إليه فسمي خليله أي‏فقيره ومحتاجه والمنقطع إليه عمن سواه، وإذا جعل معنى ذلك من الخلة وهو أنه قد تخلل معانيه ووقف على أسرار لم يقف عليها غيره كان الخليل معناه العالم به وبأموره ولا يوجب ذلك تشبيه اللَّه بخلقه، ألا ترون أنه إذا لم ينقطع إليه لم يكن خليله وإذا لم يعلم بأسراره لم يكن خليله وإن من يلده الرجل وإن أهانه وأقصاه لم يخرج عن أن يكون ولده، لأن معنى الولادة قائم، ثم إن وجب لأنه قال لإبراهيم خليلي أن تقيسوا أنتم كذلك فتقولوا: إن عيسى ابنه وجب أيضا أن تقولوا له ولموسى ابنه فإن الذي معه من المعجزات لم يكن بدون ما كان مع عيسى فقولوا: إن موسى أيضا ابنه، وانه يجوز أن تقولوا على هذا المعنى أنه شيخه وسيده وعمه ورئيسه و أميره كما قد ذكرته اليهود، فقال بعضهم لبعض: وفي الكتب المنزلة أن عيسى قال: أذهب إلى أبي، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: إن كنتم بذلك الكتاب تعلمون فإن فيه: أذهب إلى أبي وأبيكم فقولوا: إن جميع الذين خاطبهم عيسى كانوا أبناء اللَّه كما كان عيسى ابنه من الوجه الذي كان عيسى ابنه، ثم إن ما في هذا الكتاب يبطل عليكم هذا الذي زعمتم أن عيسى من جهة الاختصاص كان ابنا له لأنكم قلتم إنما قلنا أنه ابنه لأنه اختصه بما لم يختص به غيره وأنتم تعلمون أن الذي خص به عيسى لم يخص به هؤلاء القوم الذين قال لهم عيسى: أذهب إلى أبي‏أبيكم فبطل أن يكون الإختصاص بعيسى لأنه قد ثبت عندكم بقول عيسى لمن لم يكن له مثل اختصاص عيسى وأنتم إنما حكيتم لفظة عيسى وتأولتموها على غير وجهها لأنه إذا قال:

أبي وأبيكم فقد أراد غير ما ذهبتم إليه ونحلتموه وما يدريكم لعله عنى: أذهب إلى آدم أبي وأبيكم أو إلى نوح أن اللَّه يرفعني إليهم ويجمعني معهم وآدم أبي وأبيكم وكذلك نوح بل ما أراد غير هذا، قال: فسكت النصارى وقالوا: ما رأينا كاليوم مجادلا ولا مخاصما وسننظر في أمورنا، الحديث، في آخره قال الصادق عليه السلام: فو الذي بعثه بالحق نبيا ما أتت على جماعتهم إلا ثلاثة أيام حتى أتوا رسول اللَّه (صلى اللَّه‏عليه وآله وسلم) فأسلموا وكانوا خمسة وعشرين رجلا من كل فرقة خمسة وقالوا: ما رأينا مثل حجتك يا محمد نشهد أنك رسول اللَّه‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 346

و لقد اشتد غضب اللَّه في مواطن ثلاثة حسب المروي عن الرسول (صلى اللَّه عليه‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 347

وآله و سلم): «اشتد غضبه على اليهود أن قالوا عزير ابن الله، واشتد غضبه على النصارى أن قالوا المسيح ابن الله، وان الله أشتد غضبه على من أراق دمي وآذاني في عترتي» «1».

ذلك وإلى قول فصل عن قصة البنوة العزيرية «2» وليعلم بتفصيل أنها واقعة لا مرد

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 3: 230-/ أخرج البخاري في تاريخه عن أبي سعيد الخدري قال: لما كان يوم أحد شبح رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في وجهه وكسرت رباعيته فقام رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يومئذ رافعا يديه يقول: ..

و عن ابن عباس قال أتى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله جماعة من اليهود-/ سماهم-/ فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزير ابن اللَّه!

(2). أورد المرحوم السيد رشيد رضا في تفسير المنار (10: 378-/ 385) خلاصة مفيدة عن مكانةعزرا عند اليهود وعلق عليها بعض التعليقات، ننقل منها هنا كما يناسب سفرنا وموضوع البحث شطرات، قال: جاء في دائرة المعارف اليهودية (ط 1903) أن عصر عزرا هو ربيع التأريخ الملي لليهودية، الذي تفتحت فيه أزهاره وعبق شذا ورده، وانه جدير بأن يكون هو ناشر الشريعة لو لم يكن جاء بها موسى (التلمود 21 ب) فقد كانت نسيت، ولكن عزرا أعادها أو أحياها، ولو لا خطايا بني إسرائيل لاستطاعوا رؤية الآيات:

المعجزات كما رأوها في عهد موسى .. وذكر فيها انه كتب الشريعة بالحروف الآشورية وكان يضع علامات على الكلمات التي يشك فيها، وان مبدأ التاريخ اليهودي يرجع إلى عهده، وقال الدكتور بوست الامريكي في قاموس الكتاب المقدس: عزرا (عون) كاهن يهودي وكاتب شهير سكن بابل مدة «ارتحشثتا» الطويل الباع، وفي السنة السابعة لملكه أباح لعزرا أن يأخذ عددا وافرا من الشعب إلى أورشليم نحو سنة (457 ق-/ م) (عزرا ص 7) وكانت مدة السفر أربعة أشهر-/ ثم قال: وفي تقليد اليهود يشغل عزرا موضعا يقابل بموضع موسى وإيليا ويقولون إنه أسس المجمع الكبير، انه جمع أسفار الكتاب المقدس وأدخل الأحرف الكلدانية عوض العبرانية القديمة وانه ألف أسفار «الأيام» و «عزرا» و «نحميا»-/ ثم قال: ولغة سفر «عزرا» من ص 4: 8-/ 6: 19 كلدانية، كذلك ص 7: 1-/ 27، وكان الشعب بعد رجوعهم من السبي يفهمون الكلدانية أكثر من العبرانية-/ وأقول: إن المشهور عند مؤرخي الأمم حتى أهل الكتاب منهم أن التوراة التي كتبها موسى عليه السلام ووضعها في تابوت العهد أو بجانبه، قد فقدت قبل عهد سليمان عليه السلام فإنه لما فتح التابوت في عهده لم يوجد فيه غير اللوحين اللذين كتبت فيهما الوصايا العشر كما تراه في سفر الملوك الأول وان (عزرا) هذا هو الذي كتب التوراة وغيرها بعد السبي بالحروف الكلدانية، واللغة الكلدانية الممزوجة ببقايا اللغة العبرية التي نسي اليهود معظمها، يقول أهل الكتاب: إن عزرا كتبها كما كانت بوحي أو بإلهام من اللَّه .. وهذا ما لا يسلمه غيرهم وعليه اعتراضات كثيرة مذكورة في مواضعها من الكتب الخاصة بهذا الشأن حتى من تآليفهم كذخيرة الألباب للكاتوليك-/ وأصله فرنسي-/ وقد عقد الفصلين الحادي عشر والثاني عشر لذكر بعض الاعتراضات على كون الأسفار الخمسة لموسى ومنها قوله: جاء في سفر (عزرا 4: ف 14 عدد 21) إن جميع الأسفار المقدسة حرقت بالنار في عهد (نبوخذ نصر) حيث قال: إن النار أبطلت شريعتك فلم يعد سبيل لأي‏امرئ أن يعرف ما صنعت ويزاد على ذلك أن عزرا أعاد بوحي الروح القدس تأليف الأسفار المقدسة التي أبادتها النار، وعضده فيها كتبته خمسة معاصرون ولذلك ترى «ثرثوليانوس» والقديس «يريناوس» والقديس «ايرونيموس» والقديس «يوحنا الذهبي» والقديس «باسيليوس» وغيرهم يدعون (عزرا) مرمم الأسفار المقدسة المعروفة عند اليهود .. إلى أن قال: «نكتفي بهذا البيان هنا ولنا فيه غرضان:

أحدهما أن جميع أهل الكتاب مدينون لعزير هذا في مستند دينهم واصل كتبهم المقدسة عندهم، و ثانيهما أن هذا المستند واهي النسيان متداعي الأركان وهذا هو الذي حققه علماء أوروبة الأحرار، فقد جاء في ترجمته من دائرة المعارف البريطانية بعد ذكر ما في سفره وسفر نحميا من كتابه للشريعة: أنه جاء في روايات أخرى متأخرة عنها أنه لم يعد إليهم الشريعة التي أحرقت فقط، بل أعاد جميع الأسفار العبرية التي كانت أتلفت وأعاد سبعين سفرا غير قانونية: (أبو كريف) ثم قال كاتب الترجمة فيها: وإذا كانت الأسطورة الخاصة بعزرا هذا قد كتبها من كتبها من المؤرخين بأقلامهم من تلقاء أنفسهم ولم يستندوا في شي‏ء منها إلى كتاب آخر، فكتاب هذا العصر يرون أن أسطورة عزرا قد اختلقها أولئك الرواة اختلاقا (أنظر ص 14 ج 9 من الطبعة الرابعة عشرة سنة 1929»-/ (و جملة القول أن اليهود كانوا وما يزالون يقدسون عزيرا هذا حتى أن بعضهم أطلق عليه لقب (ابن الله) ولا ندري أكان إطلاقه عليه بمعنى التكريم الذي أطلق على إسرائيل وداود وغيرهما أم بالمعنى الذي سيأتي قريبا عن فيلسوفهم (فيلو) وهو قريب من فلسفة وثني الهند التي هي أصل عقيدة النصارى وقد اتفق المفسرون على أن إسناد هذا القول إليهم يراد به بعضهم لا كلهم ...»

«و أما الذين قالوا هذا القول من اليهود فهم بعض يهود المدينة كالذين قال الله فيهم: وَ قالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ..» و «لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِياءُ» ردا على قوله تعالى: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً» ويحتمل أن يكون قد سبقهم إليه غيرهم ولم ينقل إلينا،

روى ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس قال: أتى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وأبو أنس وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزير ابن الله ..»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 349

لها.

و عزير هذا هو الذي جدد التوراة بعد اندراسه وانطماسه حيث كتبها من جديد بعد غائلة بنوكد نصّر: بخت النصر-/ ملك بابل، حيث افتعل ما افتعل بهم وأحرق كتبهم، عند ما فتح «كورش» الملك الإيراني بابل شفع لهم عنده عزير فسمح له أن يعيدهم إلى بلادهم وأن يكتب لهم التوراة وقد مات مائة سنة ثم بعثه اللَّه كما في آية البقرة: «أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلى‏ قَرْيَةٍ ..»، فلذلك عظموه فاتخذوه ابنا للَّه تكريما له-/ بزعمهم-/ كريما لحد البنوة الإلهية المستحيلة! وظالما لم يكن زعم بنوته الإلهية منهم أجمع، إلا أن جمعا منهم اتبعوا حملة ذلك المشعل، وآخرون سكتوا، ثم قلة باقية لم يكن لهم أمامهم صيت ولا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 350

صوت.

إذا ف «قالَتِ الْيَهُودُ» هي قالة لجمع منهم جميع دون الجميع، وهكذا النصارى، ولو لم تكن لهذه القالة واقع حاضر فيهم لكانت هذه تهمة تكفي في تزييف المواجهة القرآنية، لما سكتوا-/ إذا-/ عن تكذيبه، فحيث الكثرة الكثيرة منهم انحرفوا هكذا عن حق التوحيد، و القلة القليلة ما كانت أمامها تؤخذ بعين الإعتبار، بل كانت تؤاخذ وتلاحق لما ذا تخلفت عن ذلك الاختلاف، لذلك صح القول «وَ قالَتِ الْيَهُودُ» «قالَتِ النَّصارى‏» إضافة إلى أن المواصفات المذكورة في الآية السالفة تضيق نطاق الموضوع هنا، فهم إذا كفرة اليهود والنصارى كلهم، و «اليهود» كما «النصارى» هما المعهودان بتلك المواصفات الكافرة، فاللام-/ إذا-/ للعهد دون الجنس فضلا عن الاستغراق.

و هنا سرد لبنود من كفرهم باللَّه واليوم الآخر، وأنهم لا يحرمون ما حرم اللَّه ورسوله‏لايدينون دين الحق، أنهم تبنوا للَّه، في أي‏من بنوده الثلاثة، مضاهاة للمشركين العائشين من قبل.

ثم اتخاذهم من دون اللَّه من يشاقون اللَّه في أحكام من أحبار ورهبان، أمّن هو نفسه من عباد اللَّه المخلصين، وفي ذلك نكران لرسالة اللَّه، كما هو نكران لكون المشرع-/ فقط-/ هو اللَّه.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 351

ثم استحلالهم لأكل أموال الناس بالباطل، وكنزهم للذهب والفضة وصدهم عن سبيل اللَّه، حيث «لا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ» وكلّ ذلك تخلفات عن كل شرائع اللَّه ورسالاته، دون هذه الأخيرة فقط.

كما وكل ذلك تبيين لمواد من كفرهم في أصول أو فروع، تبريرا لقتالهم حتى ...

ثم «ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ» والقول بطبيعة الحال ليس إلّا بالأفواه؟

قد يعني أنهم لا يعتقدون فيه «يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ» (3:) 167) أم حين يعتقدونه فلا يستندون فيه إلى برهان، وإنما «يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ» فحتى إن اعتقدوه فما هو إلّا تقليدا أعمى للذين كفروا من قبل «قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ».

فقد جمعوا ركاما من الباطل ظلمات بعضها فوق بعض لا يكاد يوجد فيها نور: 1- قول بأفواههم وليس بقلوبهم. 2- وإن كان بقلوبهم فليس من مختلقاتهم أنفسهم. 3-

فإنما هو مضاهاة للذين كفروا من قبل، فيا ليتهم ضاهئوا كتابيين من قبل أمّن أشبه من الموحدين، ولكنهم اصطفوا في عقيدة اللّاهوت تقوّلات من المشركين.

ذلك حمقهم في عمقهم تقليدا أعمى للمشركين، ومن ناحية أخرى نرى جهالة عميقة حميقة أخرى لهم أنهم يعارضون العقل في لاهوت الألوهية حفاظا على خرافة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 352

الثالوث‏ابن اللَّه، كما وكانوا يعارضون العلم والأناجيل‏ «1»:

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). إن منظمة أنگيزيسيون: تفتيش العقائد قتلت عشرات الآلاف من هؤلاء المتخلفين عن خرافات إنجيلية، مهما كانت بمجرد تهمة غير ثابتة.

ففي خلال (18) سنة فقط (تركمادا) رئيس واحد من محاكم التفتيش الكنسية، حكم بإحراق زهاء 10220 شخصا أن يحرقوا أحياء، وإن كانت جماعة منهم خنقت قبل الحرق كتخفيف لهم عن الحكم القاسي!.

و من تعذيبات هذه المحاكم أنه كل من يتهم بالكفر والإلحاد-/ على حد زعمهم-/ يلقى عليه القبض، وكانوا يضغطون عليه بألوان التعذيب والتنكيل حتى يعترف بما أتهم به وإن لم يكن حقا واقعا.

إن السجناء البريئين من هذه التهم ما كان يخلّى عنهم حتى يقروا بما لم يفعلوا تحت وطأة التعذيبات غير المتحمّلة حتى يعترفوا أخيرا بما لم يفعلوا.

يقول (كرى ولف)-/ وهو من المحققين الأوروبيين-/ عن ألوان التعذيبات: إن موظفي محاكم تفتيش العقائد كانوا يحمون المتهم لحد الحرق، ويعلقونه لحد كانت أعضائهم تتفكك، ويقطعون بالمعضات الحديدية لحومهم ويضغطون على أيديهم وأرجلهم بمعاقد حديدية لحد تسمع دقات تفلك عظامهم، ويدخلون الإبر تحت أظفارهم حتى يقرب المتهم إلى حالة النزع فيلجأ إلى الإقرار بما يريدونه منه، وكانت نتيجة ذلك الإقرار أنهم يخنقونه قبل حرقه، وما الذين لا يقرون فإلى الإحراق أحياء.

و من جملة هؤلاء المعذبين الفيلسوف الأوروبي (وانينت) إذ قطعوا لسانه-/ قضية عدم إقرار بما يريدونه منه-/ وأحرقوه أمامه، ثم قتلوه شر قتلة.

و يقول (ژوان آنتونيولورنت) 1800 م وهو من أعضاء محكمة تفتيش العقائد في (مادريد):

إن قلمي يستحي من عرض هذه التعذيبات الوحشية بحق المتهمين، وأرى تناقضا ظاهرا بين العطف المسيحي عليه السلام وهذه الخشونات الوحشية بحق المتهمين.

و يقول: لما تجاوز عديد المحكومين من المتهمين بالإحراق، اضطر حاكم (سويل) أن يبني محرقة خارج البلد في صحراء باسم (تابلادا) وتكون دائمة الاضطرام، وقد وضعت تماثيل أربع من النبيين على أضلاعها الأربعة، وكان يحرق فيها الكافرون بالمسيحية الكذائية!.

و يقول العالم السوكيتي (لوزينسكي) في تقدمته لكتاب (شارل لنا) مؤرخ محاكم تفتيش العقائد، يقول: حين أفكر أن هذه المحاكم تتبنى الإنجيل في هذه الأحكام الوحشية، يشكل علي كثيرا أن أكتب عنها باطمئنان.

ذلك، فمدراء الكنائس الإنجيلية كانوا يعاملون المتهمين هكذا، والمسيح نفسه كان يواجه الملحدين بكل لطف وحنان حتى يجلبهم إلى الحق.

هؤلاء أحرقوا خلال سنين أكثر من/ 32000 متهما وعذبوا/ 34000 شخصا لحد أنهى إلى موتهم، وفي الجمعين عديد من العلماء الذين كانوا يتشككون في الأناجيل المزخرفة، أم كانوا يخترعون ما لا تمضيه الأناجيل.

ذلك، ونموذجا من سائر الجرائم الكنسية إليكم العرض التالي:

يقول الدكتور جوستاولوبون الفرنسي في تاريخ التمدن الإسلامي: أن عظيم الأساقفة أمر في المحكمة المقدسة! أن يقتل الأعراب غير المسيحيين مع نساءهم وأطفالهم بالسيف، وراهب آخر تخطى هذه الجريمة البشعة وأمر بقتل الأعراب مسيحيين ومسلمين عن بكرتهم، باحتمال أن إيمان المسيحيين منهم غير صادق.

و هذا الراهب المسمى ب (بلدا) يذكر بكل سرور أن ثلاث ملايين من هؤلاء المحكومين قتلوا في الطريق، وفي مهجر من مهاجر المسلمين وعددهم/ 140000 شخصا، إذ كانوا يهاجرون إلى أفريقيا قتل منهم/ 100000 شخصا.

و هكذا أحرق (كزيمنس) عظيم الأساقفة/ 80000 كتابا إسلاميا ظنا منه أنه قضى بذلك على الإسلام المناوئ للمسيحية.

و كل ذلك كان في أسبانيا: الأندلس، عند التغلب عليها، ويكتب (آناتول فرانس) إن الحملة الوحشية لشمالي الأوروبا على الأندلس محقا لكثير من المسلمين القاطنين فيها، وطمسا لآثارها العلمية الإسلامية، إن ذلك سبب تأخر الأوروبا عن التقدم العلمي/ 500 سنة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 353

إن موظفي محاكم تفتيش العقائد كانوا يحمون المتهم لحد الحرق، ويعلقونه لحد كانت أعضائهم تتفكك، ويقطعون بالمعضات الحديدية لحومهم، ويضغطون على أيديهم‏أرجلهم‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 354

بمعاقد حديدية لحد تسمع دقات تفكك عظامهم، ويدخلون الإبر تحت أظفارهم حتى يقرب المتهم إلى حالة النزع فيلجأ إلى الإقرار بما يريدونه منه، وكانت نتيجة ذلك الإقرار انهم يخنقونه قبل حرقه، وأما الذين لا يقرون فإلى الإحراق أحياءً.

و من جملة هؤلاء المعذبين الفيلسوف الأوروبي (وانينت) (1) إذ قطعوا لسانه-/ قضية عدم إقراره بما يريدونه منه-/ وأحرقوه أمامه، ثم قتلوه شر قتلة.

و هنا «قاتَلَهُمُ اللَّهُ» ليس دعاء حيث الدعاء ليس إلا ممن لا يقدر على أن يحقق مأموله بنفسه فيطلب ممن هو فوقه، فهو إخبار أن قتل اللَّه فطَرهم وعقولهم كما قتلوها قضية المفاعلة المعنية من المقاتلة، فلما قالوا ما قالوه وفعلوا ما فعلوه وافتعلوا ما افتعلوه ختم اللَّه على قلوبهم بما ختموا ف «قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ».

اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً لا إِلهَ إِلَّا هُوَ سُبْحانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31).

اتخاذ الربوبية في هذا المثلث لا يعني فقط أنهم ربّبوهم كما اللَّه، بل وهو معاملتهم معهم كما يعامل الرب في البعض من اختصاصات الربوبية، فقد اتخذوا المسيح ربا في خرافة الأقانيم واتحاده بذات اللَّه، وعبادتهم له كما اللَّه، وذلك يختلف عن سائر الاتخاذ في أحبارهم ورهبانهم، حيث أطاعوهم كما يطاع اللَّه مشرعا، فاتخذوهم أربابا في حقل‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 355

التشريع، فأصغوا إليهم كامل الصغي فيما أحلوا أو حرموا «1»، وفي الفصل بين «أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ» وبين «الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ» تلميح لاختلاف الاتخاذين، كما أن «ابن مريم» تستأصل الأخير، ذلك ومن أحبارهم ورهبانهم من يخيل إليهم أنهم نواب المسيح عليه السلام في البنوة الإلهية أو الإلهية نفسها نسخة طبق الأصل، بما يشربون الخمر ويأكلون الفطير، بان الخمر دم المسيح والفطير لحمه، فهم يصبحون-/ إذا-/ نفس المسيح عليه السلام وهو نفسه الله!

التالوث بحذافيره هل الله هو المسيح ثالث ثلاثه‏

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَ قالَ الْمَسِيحُ يا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَ مَأْواهُ النَّارُ وَ ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ (72) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلَّا إِلهٌ واحِدٌ وَ إِنْ لَمْ‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). في تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليهما السلام في قوله: «اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ ...» أما المسيح فعصوه وعظموه في أنفسهم حتى زعموا أنه اللَّه وأنه ابن اللَّه وطائفة منهم قالوا: ثالث ثلاثة، وطائفة منهم قالوا: هو اللَّه، وأما أحبارهم ورهبانهم فإنهم أطاعوا وأخذوا بقولهم واتبعوا به ما أمروهم به ودانوا بما دعوهم إليه فاتخذوهم أربابا بطاعتهم لهم وتركهم أمر اللَّه وكتبه ورسله فنبذوه وراء ظهورهم وما أمرهم به الأحبار والرهبان اتبعوه وأطاعوهم وعصوا اللَّه ورسوله، وإنما ذكر هذا في كتابنا لكي نتعظ بهم فعير اللَّه تبارك وتعالى بني إسرائيل بما صنعوا يقول اللَّه تبارك وتعالى: وما أمروا ألا ليعبدوا إلها واحدا سبحانه وتعالى عما يشركون‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 356

يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (73):

هنا عرض لعقيدة-/ هي عقدة العقد-/ في اللّاهوت المسيحي «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ» و «إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ»: الإله الأب والروح القدس والابن، بتأويل أنّ اللَّه تنزّل عن لاهوت الألوهية فتجسّد في رحم البتولة العذراء فتمثل بشرا سويا! فهو-/ إذا-/ اللَّه أم «مريم» بديلة عن «روح القدس» كما تدل عليه «أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ».

ففي الحقول الكنسية اقتسمت الألوهية بين اللَّه والمسيح وأمه وروح القدس، ولكن الحظوة العليا في هذا البين للمسيح الذي لا يخلو دور الألوهية منه إلها أم ابنا للَّه أم أقنوما من الأقانيم الثلاثة مهما كان غير ابن، فهو إذا مثلث من الألوهية! ومريم والروح واللَّه لكلّ حظوة واحدة منها لا تبقى حيث انتقلت إلى المسيح!.

و هذه ترقية للسيد المسيح في قوسه الصعودي وتنزل للَّه في قوسه النزولي، فقد كان عبدا ثم تشرف بشرف البنوة التشريفية، ثم البنوة الصّليبية، ثم مشاركا في ذات الألوهية في ثالوثها، ثم إلها لم يبق بعد غيره إله، لا إله الأب ولا إله الأم ولا إله روح القدس.

فلكلّ من الفرق المسيحية المنحرفة واحدة من هذه المراحل اللّاهوتية للمسيح، الأصل الأصيل-/ على أية حال-/ هو المسيح لا سواه.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 357

و ذلك أنحس ما وصل اليه اللّاهوت العقائدي في المسيحية، بعد ما تقوّلوا: إن المسيح عليه السلام هو ابن اللَّه تشريفا دون حقيقة البنوة، ثم تخطّوا هذه القيلة إلى أن المسيح ابن اللَّه، جزء من كيانه كيفما كان تجزّءه، ثم مشاركا مع اللَّه في جوهر الألوهية، وإلى أن اللَّه تبدّل بكل كونه وكيانه إلى المسيح بظاهر الولادة المريمية!.

ف «إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى‏ مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ لا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلهٌ واحِدٌ سُبْحانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ كَفى‏ بِاللَّهِ وَكِيلًا» (4: 171) وهؤلاء هم المثلثون القائلون بالأقانيم الثلاثة.

ثم «وَ إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ..» (5: 116) وأولئك هم الثنويون المريميون‏ «1».

ثم هاتان الآيتان (72-/ 73) هنا عرض لثالث ثلاثة من ثالوث عقائدهم اللّاهوتية هو توحيد المسيح عليه السلام في الألوهية، إذابة للإله الآب بتخلّ كامل وتجافٍ شامل في رحم مريم العذراء، فتناسيا عنه فضلا عن مريم وروح القدس، ولذلك نراهم يقولون في شعارهم «إلهنا المسيح» ومعبّرين عن مريم عليها السلام ب «أم الإله» و «أنه مولود غير

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). القول الفصل حول التثليث والتثنية راجع إلى آيتهما في النساء والمائدة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 358

مخلوق» مولود حيث برز بمظهر الناسوت بعد اللّاهوت، وغير مخلوق لأنه هو هو دون تعدد إلّا بالمظهر، فهناك لاهوت وهنا ناسوت‏ «1»!.

و نسمعهم يذكرون في ذكرياتهم وأذكارهم أنه «الإله المخلص المنجي المتجسد» وذلك لا يخلوا عن محتملات تالية: أن اللَّه-/ سبحانه-/ تنزل بكل كونه وكيانه عن لاهوت الألوهية والتجرد إلى ناسوت الجسم تجافيا عن كينونته المجردة اللّامحدودة، حلولا في جسم المسيح؟ وذلك مستحيل حيث المجرد لا يتبدل إلى نقيضه اللّامجرد! إلّا انمحاء عن وجوده فتكوّنا بالكيان المادي؟ فذلك فناء وهذا حدوث ينافيان ساحة الألوهية!.

أم حلولا لذاته المجردة اللّامحدودة في جسم المسيح المحدود؟ وهو جمع بين النقيضين:

اللّامحدود والمحدود، اللّهم إلّا بتحول اللّامحدود إلى محدود فكذلك الأمر!.

فأصل التحول للَّه مستأصل عن ساحته فإنه قضية الحدوث، ثم تحوّله عن التجرد إلى المادة مستأصل أخرى لإستحالة تبدّل النقيض إلى نقيضه، اللّهم إلّا بفناءه ثم حدوث نقيضه مكانه وليس هذا من التحول، وهو في نفسه مستحيل حيث الفناء في ساحة الألوهية مستحيل! ثم انتقاله على تجرده اللّامحدود إلى جسم المسيح ورحم مريم‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 1: 659 عن تفسير القمي عن أبي جعفر عليهما السلام في قوله: اتخذوا أحبارهم‏رهبانهم أربابا من دون اللَّه والمسيح بن مريم، اما المسيح فعصوه وعظموه في أنفسهم حتى زعموا أنه إله وأنه ابن اللَّه وطائفة منهم قالوا: ثالث ثلاثة وطائفة منهم قالوا: هو اللَّه ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 359

المحدودين ثالثة، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل اللَّه له نورا فما له من نور.

أجل ف «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ»- أو- «إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ» كفروا عن شرعة التوحيد الكتابية، ولا نجد في الأناجيل-/ على تحرّفها-/ نصا أو ظاهرا في ألوهية المسيح أو بنوته للَّه أو التثليث! كما فصلنا البحث حوله على ضوء الآية (171) من النساء.

و ليست خرافة ألوهية المسيح أو بنوته للَّه أو الثالوث إلّا من المختلقات الكنسية منذ صعود المسيح عليه السلام وقد ترسبت هذه المختلقات الزور إلى حدّ يعتبر سواها من التوحيد، أم وبنوة المسيح التشريفية من البدع. «1»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). البدع، 1-/ 4 مذهب المونارخيانية منذ نهاية القرن الأول قام مبتدعون متهودون: «قيرنتوس الإبيونيون»-/ على حد تعبير مذهب الثالوث-/ يدعون الى التوحيد المشدد والأقنوم الواحد-/ الإله الواحد-/! فأنكروا ألوهية المسيح:

(القديس ايريناوس في كتابه ضد المبتدعين 1-/ 26) وفي نهاية القرن الثاني قامت البدعة: المورناخيانية-/ تعلم: أنه ليس في اللَّه إلّا أقنوم واحد: (ترتليانوس في كتابه ضد بركسياس: 3) هذه البدعة تقسم تبعا لموقفها من شخص المسيح إلى فرعين:

1-/ المونارخيانية الديناميكية أو المتبنية، تعلم: أن المسيح إنسان عادي بسيط وله بطريقة فائقة الطبيعة من الروح القدس ومن مريم العذراء وقد هباه اللَّه يوم اعتماده وبنوع خاص: القوة الإلهية و تبناه-/ تشريفيا-/.

و أهم القائلين بهذه البدعة «تادوتس» الدباغ البزنطي، الذي ادخل تعاليمه روما حوالي سنة 190 ففصله عن الكنيسة البابا القديس فكتور الأول (189-/ 198) بولس السميصاني مطران انطاكيا الذي حكم عليه كمبتدع خلعه مجمع انطاكيا المنعقد سنة 268 وفوتينوس اسقف سرميوم الذي خلعه مجمع انعقد في سرميوم سنة 351.

2-/ مذهب عدم المساوات يسلم هذا المذهب على خلاف سابقه بثلاثة أقانيم إلّا أنه ينكر على الأقنوم الثاني والأقنوم الثالث مساواتهماللأب بالجوهر وبالتالي بالألوهية الحقة.

3-/ الذهب الآريوسي: نسبة الى الكاهن الاسكندري آريوس (336) الذي كان يعلم بأن الكلمة ليس من الأزل ولم يولد من الآب بل هو خليفة الآب خرج من العدم قبل سائر الخلائق كلها، فهو ليس مساويا للأب في جوهره، ومنها نعتوا ب «الأنوميين» بل هو خاضع للتغير وقابل للتطورليس هو اللَّه بالمعنى الخاص الحقيقي، بل بالمعنى النسبي فقط إذ تبناه بسابق نظره إلى استحقاقه، وقد حرّمت هذه البدعة في المجمع النيقاوي المسكوني الأول (325) الذي وضع قانونا للايمان يعترف فيه: بأن يسوع المسيح هو ابن اللَّه المولود من جوهر الآب، وبالتالي يعلن حقيقة ألوهته ومساواته للأب في الجوهر (5450).

4-/ المذهب المكدونياني: نشأ من الآريوسية المعتدلة فرع لها هو شيعة (بنفما توماك، أي: اعداء الروح القدس) التي ينسبونها منذ أواخر القرن الرابع، وربما عن خطأ-/ الى مكدونيوس: اسقف القسطنطنية الآريوسي المعتدل (عزل عام 360 وتوفي قبل 364) وهذه البدعة أطلقت مذهب عدم المساوات على الروح القدس أيضا-/ معلنة إياه بالاستناد الى عبرانيين 1: 14 خليقة وروحا للخدمة-/ كالملائكة-/ وقد قام ضد دعاة هذه البدعة القديس اثناسيوس والكبادوقيون الثلاثة ... فدافعوا عن الوهية الروح القدس وعن وحدة جوهره مع الآب والابن، وقد حرمت هذه البدعة في مجمع عقد في الاسكندرية (362) برئاسة القديس اثناسيوس وفي مجمع القسطنطنية المسكوني الثاني (381) وفي مجمع عقد في روما (382) برئاسة البابا القديس داماسيوس (7450-/ 82) وقد أضاف مجمع القسطنطنية إلى قانون نيقية فقرة خطيرة يعلن فيها الوهة الروح القدس إعلانا هو على الأقل غير مباشر وينسب إليه الصفات الإلهية «نؤمن ... بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والأبن-/ يسجد له ويمجد، الناطق بالأنبياء».

5-/ البروتستانية: طعن لوثر في الاصطلاحات التي نعبر بها عن التثليث، إلّا أنه حافظ على الايمان بالثالوث ومع ذلك فان مبدء الحكم الشخصي الذي نادى به ادّى أخيرا إلى إنكار عقيدة الثالوث.

إن مذهب السوسينية بالنسبة إلى فوستوس سوزّيني قد اعتنق عن اللَّه فكرة التوحيد إلى أقصى حد، بحيث لا تسمح باقانيم إلهية، وقد نظر الى المسيح على أنه إنسان محض والى الروح القدس على انه قوة إلهية لا شخصية».

6-/ أما علم اللاهوت والراسيونالي المعاصر: فانه كثيرا مّا يحافظ على الاصطلاحات والتعابير الثالوثية التقليدية، إلّا أنه لا يرى في الأقانيم الثلاثة سوى تشخيص لصفات إلهية، كالقدرةالحكمة و الجودة، ويرى (هرنك): ان الايمان المسيحي في الثالوث ليس إلّا وليد الجدل الذي قام بين المسيحية واليهودية فكان أن اكتفوا أولا بعبارة: «اللَّهِ وَ الْمَسِيحَ» ردا على عبارة «الله وموسى» ثم أضافوا إليها فيما بعد «الروح القدس» تقنين الثالوث الكنسي:

إن اقدم صيغة تعليمية رسمية لايمان الكنيسة بشأن الثالوث الأقدس هي قانون الرسل الذي اتخذته الكنيسة منذ القرن الثاني في شكل قانون العماد الروماني القديم كأساس لتعليم الموعوظين ولاعتراف الايمان في حفلة العماد عند اللاتين.

ثم ... قانون نيقية القسطنطنية (381 م) وقد نشأ ضد مذهبي آريوس ومقدونيوس، ثم المجمع الروماني برئاسة البابا القديس داماسيوس (382) يدين بصورة اجمالية أضاليل القرون الأولى في الثالوث الأقدس، ثم إلى القرن 5 و 6 قانون اثناسيوس، ثم قانون مجمع طليطلة الحادي عشر (765 م) ثم في القرون الوسطى قانون مجمع اللاتراني الرابع (1215 م) ثم مجمع فلورنس (11441 م) ثم في العصر الحديث تعليم لبيوس السادس (1794 م) ...

(كل هذه منقولات عن كتاب مختصر في علم اللاهوت العقائدي تأليف لوديغ اوث الألماني نقله الى العربية الأب جرجس المارديني ج 1: 73 تحت عنوان: البدع المضادة للتثليث وتحديدات الكنيسة التعليمية)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 361

و الذي دسّ في الكنائس هذه الخرافة الجارفة هو الخصي الكوسج المصري خادم الرهبان «أوريفين» «1» إلى أن تشكلت مجمع نيقية (325 م) إذ جاءت من الجماعات‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). هو راهب اعزب عارف باللغات عاش في القرن الثاني‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 362

الروحية المسيحية من شتى الأقطار من يزيد على ألف مبعوث لانتخاب الأناجيل التي يجب أن تعتبر قانونية، ولقد كان (318) شخصا من هؤلاء من القائلين بألوهية المسيح، و قد اجتهد آريوس رئيس الموحدين بالبرهنة على أن المسيح مخلوق وأنه عبد اللَّه مستدلا بما لديه من الآيات الإنجيلية وبتفاسير الأعزة والآباء من إيقليسيا، واعترف بهذه الحقيقة الثلثان الباقيان من الألف (أعضاء المجمع) وهم الموحدون الذين كانت تتألف منهم الأكثرية العظيمة من أعضاء المجمع النيقاوي.

و من ناحية أخرى قام رؤساء الثالوثيين (و على رأسهم اثنا سيوس) للبرهنة على:

أن المسيح إله تام وأنه متحد الجوهر مع اللَّه، وأخيرا ترجّح رأى المثلثين لا لشي‏ء إلّا للسلطة الجبارة آنذاك من قسطنطين (قونسطنطينوس) تحت ستار إيجاد الأمن بين المتخالفين، وأن قسطنطين يرجح رأي صديقه البابا كاهن رومية الأعظم وهو من الأقلية الثالوثية في نيقية، ويأمر بإخراج أكثر من سبعمائة من الرؤساء الروحيين الباقين:

الموحدين-/ من المجمع، ويقتل آريوس رئيس الموحدين لكي يصفّي جو المجمع (318) الباقين المثلثين.

و لقد صرح المسيح عليه السلام بهذا الحادث الجلل العظيم تنديدا بالمثلثين وتمجيدا للموحدين بقوله: «سيخرجونكم من المجامع، بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 363

أنه يقدم خدمة لله وسيفعلون بكم لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفوني» (إنجيل يوحنا 16: 3-/ 133: 9).

و الآب لغة يونانية بمعنى الخالق وهم حرّفوها معنويا إلى الأب: الوالد.

ذلك، فالنصرانية الموجودة الآن إن هي إلّا من سلطان وثني ملحد وخصي كوسج مصري!.

«وَ قالَ الْمَسِيحُ يا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ ..» وكما في الإنجيل حيث يصرح المسيح عليه السلام في ثمانين موضعا أنه عبد اللَّه ورسوله ومنه «إن الحياة الأبدية معرفة اللَّه بالوحدانية وأن المسيح رسوله» (يوحنا 17: 3) وقال «لقد قلت حسنا إن اللَّه إله واحد وليس غيره من إله، ولما رآه المسيح عاقلا في جوابه وكلامه خاطبه قائلا: لست بعيدا عن ملكوت اللَّه» (مرقس 12: 32 و 34).

«ثم ويندد ببطرس إذ قال له حاشاك يا رب! فالتفت إليه وقال: اذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما للَّه ولكن بما للناس» (متى 16: 22-/ 23).

و هكذا نرى الوفير من تصاريح برنابا في إنجيله الذي أملاه عليه المسيح عليه السلام يصرح بخالص التوحيد الحق ولا ينبئك مثل خبير «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). ففيه 70: 1-/ 7: (و انصرف يسوع من أروشليم بعد الفصح ودخل حدود قيصرية فيلبس، فسأل تلاميذه بعد أن أنذره الملاك جبرائيل بالشغب الذي نجم بين العامة قائلا: ماذا يقول الناس عني؟! أجابوا: يقول البعض انك إيليا وآخرون ارميا احد الأنبياء، أجاب يسوع: وما قولكم أنتم فيّ؟ أجاب بطرس: إنك المسيح ابن اللَّه.

فغضب حينئذ يسوع وانتهره بغضب قائلا: اذهب وانصرف عني لأنك أنت الشيطان وتحاول ان تسي‏ء إليّ، ثم هدد الأحد عشر قائلا: ويل لكم إذا صدقتم هذا لأني ظفرت بلعنة كبيرة من اللَّه على كل من يصدق هذا .. فبكى بطرس وقال: يا سيد لقد تكلمت بغباوة فأضرع إلى اللَّه ان يغفر لي، وفي برنابا 8: 11: (و أراد المسيح أن يخرج بطرس فشفع له التلاميذ ثم هدده ثانيا ألا يكرر مقالته الكافرة هذه».

هذا وقد يصر علماء الإنجيل بموقف بطرس الخاطئ كالتالي: يقول مستر «فلك» والدكتور «كود» و «برنستس» وهو الملقب بالمرشد الفاضل في لسان جويل: ان بطرس رئيس الحواريين غالط في ما كتبه وجاهل بالإنجيل وقد ضل عن الايمان الصحيح بالمسيح بعد نزول روح القدس، يصرح «جان كالوين» ان بطرس ابتدع في الكنيسة بدعا جارفة وأضاف المسيحية بهااستلب منها حريتها وجعل التوفيق المسيحي تحت رجليه.

ذلك وقد سمى من ألّهه من المجانين «.... فلما عرفوه أخذوا يصرخون: مرحبا بك يا إلهنا! أخذوا يسجدون له كما يسجدون للَّه. فتنفس الصعداء وقال: انصرفوا عني أيها المجانين لأني أخشى ان تفتح الأرض فاها وتبتلعني وإياكم لكلامكم الممقوت.

لذلك ارتاع الشعب وطفقوا يبكون» (برنابا 92: 19-/ 20) ويشهد على عبوديته الأرض والسماء قائلا: «اشهد امام السماء واشهد كل شي‏ء على الأرض: اني بري‏ء من كل ما قد قلتم. لأني انسان مولود من امرأة فانية بشرية وعرضة لحكم اللَّه مكابد شقاء الأكل والمنام وشقاء البرد والحر كسائر البشر لذلك متى جاء اللَّه ليدين يكون كلامي كحسام يخترق كل من يؤمن بأني أعظم من انسان» (برنابا 93: 10-/ 11 و 94: 1-/ 3).

و يعتبر من يدعوه إلها ضالا مستحقا للمقت قائلا: «إنكم قد ضللتم ضلالا عظيما أيها الاسرائيليون لأنكم دعوتموني إلهكم وأنا انسان واني أخشى لهذا ان ينزل اللَّه بالمدينة المقدسة وباء شديدا مسلّما إياها لاستعباد الغرباء. لعن اللَّه الشيطان الذي اغراكم بهذا الف لعنة! (برنابا 92: 2-/ 4)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 364

و هنا «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ» دون «إن المسيح هو الله» عبارة قاصدة لمعنى‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 365

خاص هو أن اللَّه الذي لا إله إلّا هو هو المسيح حيث تحوّل عن لاهوته إلى ناسوت المسيح فلم يبق هناك إله إلّا المسيح، وأما «أن المسيح هو الله» ففيه قوس صعودي أنه تحول عن ناسوته إلى لاهوت اللَّه وهم لا يقولون به، إنما قولهم هنا هو القوس النزولي:

إن اللَّه تحول إلى المسيح!.

و هنا في تعريف المسيح ب «ابن مريم» تنديد شديد بهذه القولة الهاتكة الفاتكة أن كيف بالإمكان كون اللَّه هو المسيح وهو كما يعلمون ابن مريم، فهل إن مريم هي أم اللَّه في تحويله إلى المسيح فلا إله-/ إذا-/ إلّا المسيح!.

و ما تأويلهم العليل الكليل أن المسيح هو اللَّه من جزء الروح وهو ابن مريم من جزء الجسم، إلّا تناقضا بينا في حلول المجرد اللّامحدود في الجسم المحدود.

و لمذهب الحلول هذا أبعاد شاسعة بين المشركين والكتابيين وحتى من عرفاء المسلمين مهما اختلفوا بين قوسي الصعود والنزول. حلول اللَّه في بشر أم تحوّل بشر إلى اللَّه في وحدة الإثنين أو انمحاء غير اللَّه في اللَّه فيصبح بذلك إلها!!!.

و ذلك العرفان الخارف لا يقف لحدّ بين اللّاهوتيين المنجرفين إلى هوّات الأهواء البعيدة عن حق الوحي والوحي الحق.

و أما أن «اللَّه ثالث ثلاثة» فقد تحتمل معنيين اثنين، أحدهما أن الأقانيم الثلاثة:

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 366

الأب‏الابن وروح القدس، هم ثلاثة وواحد وواحد هو ثلاثة، والأقنوم الأصل هو اللَّه! و ثانيهما أنه عبارة أخرى ل «أن اللَّه هو المسيح» تجافيا للَّه عن لاهوته إلى ناسوت الابن، وتعاميا عن ألوهة الروح القدس.

ذلك، وفي «مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَ مَأْواهُ النَّارُ وَ ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ» تنديد شديد بمؤلّهي المسيح عليه السلام أنه لا يفيدهم الفداء الصليبي المزعوم وأنه باختيار الصلب، أو اختيار أبيه: اللَّه-/ له الصلب فدى بنفسه عمن يعتقد به وبألوهيته أو ثالوثه.

فحتى لو كان المسيح عليه السلام مدعيا ذلك الإشراك أو راضيا به لكان-/ وعوذا باللَّه-/ من أهل النار، فضلا عمن اختلقوا له منصب الألوهية وأنه بتفديته هذه ينجي المعتنقين أكذوبة الثالوث، عن النار.

ثم «وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلَّا إِلهٌ واحِدٌ» تجتثّ مستغرقة الألوهية بكل شؤونها عن غير اللَّه، أقنوما ذاتيا أو صفاتيا أم سواه، فأيّة مماثلة مع اللَّه في أيّ من شؤون الألوهية والربوبية تحمل ألوهة مّا هي بصورة مستغرقة مسلوبة عمن سوى اللَّه. و ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ» تستغرق-/ في حرمان الجنة وإيواء النار خلودا أبديا ما دامت النار-/ كافة المشركين باللَّه، المسوين معه غيره ببنوة وتثليث وألوهة.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 367

ثم و «لا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ» عبارة ثالثة هي صيغة واضحة عن أقانيهم الثلاثة.

و حصيلة تقوّلاتهم اللّاهوتية في حقل الألوهية بعد البنوة التشريفية هي ألوهية الابن كما الروح القدس اعتبارا بأنها من جوهر الأب، واحد هو ثلاثة وثلاثة هي واحد، ثم توحيد الألوهية للابن حيث حلّ فيه الآب فلا إله إلّا المسيح.

و من لوازم الأخير هو ألوهة مريم كما المسيح فإنها-/ إذا-/ والدة الإله، فلا دور بعد للإله الآب حيث تجافى عن كونه وكيانه انتقالا إلى رحم مريم إلى جسم المسيح.

و من تصريحاتهم أن «طبيعة اللَّه عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية: اللَّه الآب، واللَّه الابن، واللَّه الروح القدس، فإلى الآب ينتمي الخلق بواسطة الابن وإلى الابن الفداء إلى الروح القدس التطهير» «1».

و هكذا نجد الروحيين المسيحيين يحاولون تثبيت الثالوث بأي وجه كان، وحين يهاجم عليهم بالبراهين العقلية التي تحيل الثالوث يعتذرون بأنه فوق العقل، كما أن ذات اللَّه فوق العقل، رغم أنه تحت العقل حيث تحيله، دون ذات اللَّه حيث يثبتها العقل، فالجمع بين كون شي‏ء ثلاثة وواحدا هو جمع بين نقضين والمحال محال على أية حال.

و لكي يحيدوا عن ظاهرة التناقض يلجئون إلى صيغة «توحيد الثالوث» تمثيلا له‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). كما في كتاب قاموس الكتاب المقدس للدكتور بوست الامريكي‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 368

بالذات المقدسة عندنا الموصوفة بالأوصاف الثلاثة الذاتية، وأين ثلاثة من ثلاثة؟!.

فالصفات الذاتيات الثلاث عبارات عن ذات واحدة غير متجزئة، فليس في الواقع إلّا وحدة تجردية بسيطة دون أجزاء وصفات عارضة ولا ذاتية مركبة، ولكنهم يفسرون ثالوثهم بذوات ثلاث مفصلة عن بعضها البعض ولكنها متساوية الجوهر في وحدة حقة حقيقية «1»!.

ذلك، وإلى قول فصل سيأتي على ضوء آية الغلو حول خرافة الثالوث وألوهة المسيح وبنوته عقليا ونقليا على ضوء قوله تعالى «يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ..» حيث‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). هنا يقول الكاتب المسيحي المعاصر رئيس مطارنة بيروت الأستاذ الحداد في ص 44 من كتابه: القرآن والكتاب: «ان توحيد التثليث من ارقى مراتب التوحيد ولم تكن البيئة البدائية في الحجاز لتقوى على استساغته لأنهم ما أوتوا من العلم إلّا قليلا! والنصرانية منذ كانت هي دين التوحيد مع قولها بعقيدة التثليث في الطبيعة الإلهية الواحدة فالتثليث المسيحي الصحيح لا يعدّد و لا يجزأ اللاهوت الواحد في اللَّه الأحد، فالنصرانية أولا وأخيرا تؤمن بإله واحد كما ينص عليه مطلع دستور إيمانها الذي هو شهادتها تحت كل سماء ومن ثم فالإيمان في الوهية عيسى-/ لا في تأليه عيسى-/ وفي تأنسه وتجسده لا يزيد شيئا ولا ينقص شيئا من طبيعة الخالق الواحدة، إذاً فالعقيدتان المسيحيتان «التثليث والتجسد» لا تمتان إلى الشرك بصلة، إنهما من صميم التوحيدتعتبرهما النصرانية القديمة في معناهما الصحيح تفسيرا منزلا لحياة الحي القيوم في ذاته السامية كما نزل به الإنجيل.

و هذا التعليم الكامل لم يكن الرسل والحواريون يبشرون به لأول وهلة بل كانوا ينادون بالتوحيد الأركان الأولى لأقوال اللَّه في ديار الوثنية والشرك وبعد توطيد الايمان كانوا يفسرون للمؤمنين غنى الطبيعة الإلهية في تفاعلها اللامحدود وتثلثها الذاتي اللامتناهي على قدر ما يمكن للعقل البشري المحدود أن يستوعب حياة الحي القيوم للامحدود

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 369

يشير إلى أنها خرافة وثنية عتيقة تسربت في النصارى ثم ترسبت فيهم، فهم ليسوا أصلاء في هذه الخرافة الجارفة، بل هم يقتفون آثار مختلف صنوف المشركين في تاريخ الإشراك.

أَ فَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَهُ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (74):

توبة إلى اللَّه مما يقولون على اللَّه من جارفة خارفة هارفة، واستغفارا إياه أن يستر عنهم هذه الانحرافات بمخلّفاتها «وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» للتائبين إليه المستغفرين إياه.

مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كانا يَأْكُلانِ الطَّعامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآْياتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (75):

هنا «إلّا رسول» كما في غيره من الرسل يحصر كيان المسيح في رسالة اللَّه دون زائد ولا ناقص «و أمه صديقة»: هي كمال الصدق وتمامه قالا وحالا وأعمالا، ومن الواقع الذي يثبت أنهما من البشر دون ألوهة ولا بنوة أم أمومة للَّه، أنهما «كانا يَأْكُلانِ الطَّعامَ» وأكل الطعام دليل الحاجة المستمرة، ثم الخارج منهما من حصيلة الطعام دليل آخر على بعدهما عن ساحة الألوهية ف «من أكل الطعام كان له ثقل-/ ثفل-/ ومن كان له ثقل فهو بعيد مما ادعته النصارى لابن مريم عليه السلام» «1»، إذا فكيف يكون المسيح وأمه عليهما السلام إلهين من‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 1: 660 في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن امير المؤمنين عليه السلام حديث طويل يقول‏فيه: «و أما هفوات الأنبياء عليهم السلام وما بينه اللَّه في كتابه فان ذلك من ادل الدلائل على حكمة اللَّه عزّ وجل الباهرة وقدرته القاهرة وعزته الظاهرة لأنه علم أن براهين الأنبياء عليهم السلام تكبر في صدور أممهم وان منهم من يتخذ بعضهم إلها كالذي كان من النصارى في ابن مريم فذكر دلالة على تخلفهم عن الكمال الذي انفرد به عزّ وجلّ، الم تسمع إلى قوله في صفة عيسى حيث قال فيه وفي امه عليهما السلام: «كانا يَأْكُلانِ الطَّعامَ» يعني من أكل ...

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 370

دون اللَّه كما يتساءل المسيح:

«أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ..» (5: 116).

و لأن أكل الطعام للمسيح وأمه واقعية لا تنكر كخصيصة ضرورية من خصائص الأحياء المخلوقين، تلبية لحاجة جسدية لا مرية فيها، فكيف يكون إلها من يحتاج إلى طعام ليعيش، واللَّه حيّ بذاته وحيّ قبل أن يخلق طعاما وطاعما.

و هنا دور «وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ» دور التصديق لبشرية المسيح ورسالته حيث «صَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها وَ كُتُبِهِ وَ كانَتْ مِنَ الْقانِتِينَ» (66: 12).

و هكذا الرائع كما الشمس في رايعة النهار نبرهن لهم ف «انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآْياتِ» الدالة على كيان الألوهية وكيان المألوهين ككل «ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ» وقد أفكهم الذين كفروا وهم «يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ»؟!.

قُلْ أَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعاً وَ اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (76):

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 371

حجة ثانية-/ بعد برهان الفقر والحاجة للمسيح عليهما السلام-/ تحلق على كل المعبودين من دون اللَّه، ان كيف تعبدون من دون اللَّه ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا ولو ملك لنفسه نفعا أو دفع ضر لم يكن بحاجة إلى من سواه؟.

فمهما كان فيمن دون اللَّه نفع ودفع ضر، ولكن أحدا منهم لا يملك ضرا ولا نفعا بصورة مستقلة هي قضية طليق الملك لهما، حيث الملموس ليل نهار فسخ العزائم ونقض الهمم، فلا تجد أحدا بإمكانه تحقيق كل ما يريد من نفع لنفسه أو سواه، أم دفع ضر عن نفسه أو سواه، وهذا هو المعني من ملك الضر والنفع.

العابدين اللَّه وسواه لا تعني إلّا دفع الضر وجلب النفع، فلتختص العبادة لمن يملكهما أن يضر وينفع، فليعبد دفعا عن ضره وجلبا لنفعه في أية حلقة من حلقات الحياة.

إذا فعرض «ضَرًّا وَ لا نَفْعاً» في معرض الحجاج لا يعني كل العابدين حيث المخلصون يعبدون اللَّه لأنه اللَّه لا خوفا من عذابه ولا طمعا في ثوابه، بل المعنيون هنا هم المشركون الذين يعبدون بغية دفع ضر أو جلب نفع.

و تقدم «ضرا» هنا على «نفعا» كذلك يعني الأكثرية من هؤلاء حيث يحاولون دفع الضر عن أنفسهم قبل جلب النفع.

و هنا التعبير ب «ما» دون «من» يعني اضافة إلى عناية التحليق على كل الكائنات‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 372

عاقلة وسواها، ان العاقلة منها كغيرها هما على سواء في «لا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعاً» لأن ملكهما يختص بمن يملك الكائنات كلها.

«قُلْ أَ تَعْبُدُونَ ... وَ اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» لكل ما يسمع ويعلم، سمعا للأقوال والأدعية و علما بالأحوال والأفعال بحيطة علمية على الكائنات، وحيطة القدرة على اجابة السئولات «وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ. إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجابُوا لَكُمْ وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَ لا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» (35: 14).

ذلك واصل الثالوث: 1-/ ثلاثة هي واحد وواحد هو ثلاثة، باستحالته 2-/ وان المسيح ابن مريم، فقد ولد بعد أن لم يكن فحادث، ومولود غير مخلوق هنا تناقض ثان 3-/ وان صديقة حيث صدقت توحيد الألوهية ورسالة المسيح 4-/ وكانا يأكلان الطعام دلالة على الحاجة الى الطعام 5-/ و «لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعاً» ولو كانا إلهين لملكاهما لغيرهما كما لأنفسهما، هذه براهين خمسة لتزييف خرافة الثالوث والبنوة الإلهية فضلا عن توحيد ذلك، وحين يصدق النصارى ان المسيح عليه السلام كان أعبد أهل زمانه كما في تصاريح انجيلية، فهنا التساءل: من ذا الذي كان يعبده المسيح عليه السلام هل هو نفسه أنه كان يعبد نفسه، أم غيره فذلك الغير هو اللَّه فهو-/ إذا-/ عابد مألوه.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 373

قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَ لا تَتَّبِعُوا أَهْواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَ أَضَلُّوا كَثِيراً وَ ضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ (77): «يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَ لا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى‏ مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ لا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلهٌ واحِدٌ سُبْحانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ كَفى‏ بِاللَّهِ وَكِيلًا. لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَ لَا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَ مَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبادَتِهِ وَ يَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً» (4: 172)-/ (وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَ قالَتِ النَّصارى‏ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ. اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً لا إِلهَ إِلَّا هُوَ سُبْحانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» (10: 30-/ 31).

و الغلو أيا كان هو تجاوز الحد المعتدل عقليا أو شرعيا أو عرفيا، تجاوزا إلى الإفراط كما هو المعني في الأغلب منه، أم إلى حد التفريط، وهو تخلف عن الحد صعودا عنه أم نزولا، وقد يروى عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: «إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك-/ هلك-/ من كان قبلكم الغلو-/ بالغلو-/ في الدين» «1» و «صنفان من أمتي لا نصيب لهما في الإسلام‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). ن مناسك 217-/ جد مناسك 63-/ حم 21521، 347.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 374

الغلاة والقدرية» «1» و «احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدوهم فإن الغلاة شر خلق الله يصغرون عظمة الله ويدعون الربوبية لعباد الله وان الغلاة لشر من اليهود والنصارى و المجوس والذين أشركوا» (1) و «إن فيهم من يكذب حتى ان الشيطان ليحتاج إلى كذبه» (3) و «لعن الله الغلاة والمفوضة فإنهم صغروا عصيان الله وكفروا به وأشركواضلوا وأضلوا فرارا من إقامة الفرائض وأداء الحقوق».

و لقد كثر الغالون على مدار الزمن الرسالي في أصول الدين والمذهب وفروعه، متنقبين نقاب الإخلاص وهم عنه في إفلاس، وهم أخطر على الحق من الكفار والمنافقين حيث يخوضون مختلف حقول الدين ويشوهونه بنقاب الدين.

فالقائل بالولاية التكوينية أو التشريعية لنبي أو وصي نبي فضلا عمن سواهما غال فإنهما من ميزات الربوبية، كما القائل بالتفويض فيهما فإنه من نفس النمط، والقائل بشفاعتهم الطليقة عن اذن اللَّه، وان ولايتهم تغني عن سائر التكاليف مثل ما يروى ان «حب علي حسنة لا يضر معهما سيئة» وما أشبه من الغلو المورط في معاصي اللَّه مآسي الأمور!.

و أحاديث التفويض مردودة أو مأولة، ف «ما فوض إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقد فوضه‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). (1، 2، 3، 4) على الترتيب في سفينة البحار 3: 324-/ 325 عن النبي صلى الله عليه و آله والصادق عليه السلام‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 375

إلينا» «1» يعني تفويض الولاية الشرعية فحسب، فيجب-/ إذا-/ التفويض إليهم بطاعتهم الطليقة كما يجب التفويض اليه صلى الله عليه و آله في طاعته كما قال اللَّه: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» (4: 59) وكما لا تعني طاعة الرسول فوق ما أرسل به من احكام اللَّه، كذلك طاعتهم التي هي استمرارية لطاعته.

و اما ان يحلوا شيئا أو يحرموا ما لم يحكم به اللَّه، أو يطلبوا من اللَّه شيئا من ذلك فذلك جرأة على اللَّه محادة ومشاقة «2».

ذلك، فكل ما ورد من نسبة علم الغيب ما كان وما يكون وما هو كائن إليهم عليهم السلام، وأنهم هم وسائل الخلق المفوض إليهم أمره تكوينا أو تشريعا، أماذا من شؤون الربوبية، كل هذه مردودة أو مأولة، ومما يروى عن الصادق عليه السلام: «ما جاءكم منا مما يجوز أن‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). سفينة البحار 3: 386 عن الصادق عليه السلام‏

(2). المصدر عن الكافي عن محمد بن سنان قال كنت عند أبي جعفر عليهما السلام فأجريت اختلاف الشيعة فقال: يا محمد إن اللَّه تعالى لم يزل متفردا بوحدانيته ثم خلق محمدا وعليافاطمة صلوات اللَّه عليهم وآلهم فمكثوا-/ الف الف-/ سنة ثم خلق جميع الأشياء فاشهدهم خلقها واجرى طاعتهم عليها وفوض أمورها إليهم فهم يحلون ما يشاءون، بإذن اللَّه تبارك تعالى، ثم قال يا محمد هذه الديانة التي من تقدمها مرق ومن تخلف عنها محق ومن لزمها لحق خذها إليك يا محمد».

أقول: لم يأذن اللَّه لهم في ربوبيته فإنما يأذن في غيرها من الأمور غير المختصة به تعالى من بلاغ أحكامه ومن شفاعة باذنه أماهيه‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 376

يكون في المخلوقين ولم تعلموه ولم تفهموه فلا تجحدوه وردوه إلينا، وما جاءكم عنا مما لا يجوز أن يكون في المخلوقين فاجحدوه ولا تردوه إلينا» «1».

ف «ما يجوز وما لا يجوز» محوّل إلى نص من الكتاب أو السنة القطعية، إضافة إلى ما يراه العقل السليم من مختصات الربوبية غير الجائز تحولها إلى غير اللَّه، بإذن منه أو سواه، كذاته تعالى وصفاته وأفعاله، فإنه «باين عن خلقه وخلقه باين عنه» بينونة في هذه الثلاث كلها.

فالأمور ثلاثة، منها المختصة باللَّه لا تعدوه إلى سواه، ومنها العامة بين الخلق قدر مساعيهم، ومنها ما يمنحه اللَّه خاصة عباده كما يسعون، انتجابا لهم في رسالة أو عصمة أما دونها، فمثل أنهم يعلمون متى يموتون وأنه لا يقع ذلك إلّا باختيارهم، قد يجوز في حقهم حيث المنفي «وَ ما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ» لا «متى تموت» فمن كرامات اللَّه لهم أن يعرفهم متى يموتون، وهكذا يأول إقدامهم على شرب السم وما أشبه من بواعث قتلهم.

و من الغلو في حقهم أن الإمامة فوق الرسالة والنبوة، فلأن الرسول صلى الله عليه و آله إمام كما هو رسول، لذلك لا يفضلون عليه صلى الله عليه و آله.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). سفينة البحار 1: 32 خص عن المفضل قال: قال أبو عبد اللَّه عليه السلام: ...

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 377

ذلك، لأن الإمامة-/ على أية حال-/ هي فرع الرسالة واستمرارية لها، فكيف تكون-/ إذا-/ فوق الرسالة، وليس تفوق أئمتنا عليهم السلام على سائر الرسل عليهم السلام إلّا لما يحملون من العصمة القمة المحمدية صلى الله عليه و آله التي هي فوق العصم كلها.

لذلك، لا تجد إماما بعد نبي مفضلا عليه، بل هو خليفة له وممثل عنه باستمرار دعوته، فلأن استمرار الدعوة المحمدية المعصومة هو فوق كافة الدعوات الرسالية، لذلك نعتقد فيهم أنهم أفضل من كافة المرسلين إلّا الرسول الخاتم صلى الله عليه و آله الذي هم أشعة من نوره.

لا فحسب، بل والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سلام اللَّه عليها مفضلة على كافة المعصومين سوى المعصومين المحمديّين عليهم السلام أجمعين.

ذلك، فالغلو مرفوض مرضوض في الدين كل الدين، أصولا عقيدية أم فروعا أحكامية أماهيه من الدين ككل، حيث الغلو تخلّف عن شرعة الحق، فهو في حقل التقصير ضلال عامد، وفي حقل القصور ضلال خامد، ذلك ومن الغلو بحق المسيح عليه السلام تصعيده إلى منزلة الربوبية كما فعله النصارى في شتات عقائدهم الشركية إلّا القليل ممن وفى لرعاية الحق من موحديهم، أم تنزيله عن ساحة الرسالة كما فعله اليهود حيث قالوا إنه وليد السفاح.

و الغلو أيا كان ليس إلّا باطلا فلا دور ل «غَيْرَ الْحَقِّ» هنا إلّا التأكيد، إيغالا للغلو في‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 378

غير الحق ك «يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ» وما أشبه.

و هنا «لا تَتَّبِعُوا أَهْواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَ أَضَلُّوا كَثِيراً وَ ضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ» تضاحي ما تعنيه هناك «يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ» أي‏من قبل أهل الكتاب و هم مختلف صنوف المشركين على مدار تاريخ الإشراك.

تاريخ التثليث بقول فصل:

فقد يذكر لنا تاريخ الوثنية على طول خطوطها وبكل خيوطها خمسة عشر من الثواليث مما يصدق هاتين الآيتين أن ثالوث النصارى إن هو إلّا خرافة تقليدية لهم، عن «الذين كفروا من قبل» في ثالوث: «قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَ أَضَلُّوا كَثِيراً وَ ضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ»!.

ذلك، و «إن أقدم ما نعثر عليه في تاريخ الفراعنة الثالوث المكون من الآلهة:

(اوزيريس-/ ايزيس-/ حورس): الأب والأم والولد، ثم المكون من «آمون» وزوجه «موت» وابنه «خونس» وهو تثليث بلدة «تب» وهم: الأب والأم والولد، ثم المكوّن من «أنوبيس-/ معات-/ توت» ثم المكوّن من «آنوا-/ بعل-/ آيا» وهو ثالوث الكلدانيين، ثم المكون من «سن-/ شمش-/ عشتار»: الأب والابن والأم، ثم المكوّن من‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 379

«مينوس-/ والابن وروح القدس» وهو للمسيحيين‏ «1» والثواليث الخمسة عشر كالتالية:

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). كما في كتاب حياة السيد المسيح ل: فاروق الدملوجي ص 162، ويقول «برتشرد في كتابه: خرافات المصريين الوثنيين ص 285: لا تخلو كافة الأبحاث المأخوذة عن مصادر شرقية من ذكر احد انواع التثليث أو التولد الثلاثي أي: (الأب والابن وروح القدس) ويقول «موريس» في كتابه: الآثار الهندية القديمة 6: 35: كان عند اكثر الأمم البائدة الوثنية تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثلاثي، أي‏الإله ذو أقانيم ثلاثة. وفي كتاب «سكان أوروبا الأول» ص 197: كان الوثنيون القدماء يعتقدون بان الإله واحد ولكنه ذو ثلاثة أقانيم. وإليكم ثواليثهم:

1-/ الثالوث البرهمي: يقول دوان في كتابه: خرافات التوراة والإنجيل وما يماثلهما في الديانات الأخيرة: إذا أرجعنا البصر نحو الهند نرى أن أعظم وأشهر عباداته اللاهوتية هو التثليث ويدعون هذا التعليم بلغتهم «تري مورتي» وهي جملة مركبة من كلمتين، ف «تري» تعني: ثلاثة، و «مورتي» هيآت، فهي «ثلاث هيآت» هي «برهمة-/ فشنو-/ سيفا» ثلاثة أقانيم غير منفكين عن الوحدةهي الرب والمخلص والمهلك، ومجموع هذه الثلاثة أقانيم إله واحد ويرمزون عنها بثلاثة أحرف هي: الألف-/ الواو-/ الميم، ويلفظونها «أوم» ولا ينطقون بها إلّا في صلواتهم ويحترمون رمزها في معابدهم احتراما عظيما.

و لما أراد برهمة: (خالق الوجود الذي لا شكل له ولا تؤثر فيه الصفات) أن يخلق الخلق اتخذ صفة الفعل وصار شخصا ذكرا وهو «برهمة الخالق» ثم زاد في العمل الى الصفة الثانية من الوجود فكان «فشنو»: الحافظ، ثم انقلب الى الصفة الثالثة الظلالية فكان «سيفا»: المهلك، ويدعون هذه الصفات الثلاث ايضا «تري مورتي» ويشبهونها بالنار ويدعونها أيضا «الني-/ سوريا-/ اندرا» وغير ذلك من الأسماء الثلاثية.

و في كتب البرهميين المقدسة المعتبرة لديهم: ان هذا الثالوث المقدس غير منقسم في الجوهرالفعل والامتزاج ويوضحونه بقولهم:

برهمة الممثل لمبادئ التكوين والخلق ولا يزال خلاقا إلهيا هو «الأب» و «فشنو» يمثل الحمايةالحفظ وهو «الابن» المنفك والمنقلب عن الحال اللاهوتية و «سيفا» المبدئ والمهلك‏المبيد والمعيد وهو «روح القدس» ويدعونه: «كرشنا»: الرب المخلص والروح العظيم حافظ العالم المنبثق منه» ف «فشنوا الإله الذي ظهربالناسوت على الأرض ليخلص الناس فهو احد الأقانيم الثلاثة التي هي الإله الواحد.

و في الكبيتا-/ من كتبهم المقدسة-/ ان كرشنا قال: أنا رب المخلوقات جميعها، انا سر الألف والواو و الميم «اوم» أنا برهمة وفشنو وسيفا، التي هي ثلاثة آلهة: إله واحد.

فالأقنوم الثالث وهو في صفته المظلمة «المهلك» وفي صفته الحسنة «المعيد» يعبرون عنه بصورة حمامة ويقصدون بهذه الصورة الرمز عن الإعادة والخلق الجديد وهو الروح الذي يرف على وجه الماء-/ كما في التوراة ان روح اللّه كان يرف على وجه الماء-/ ويعبرون عن الأقانيم الثلاثة الأبدية الجوهرية ب «أوم».

و قال «ألن» في كتابه «الهند» 382: يقول البرهميون في كتبهم الدينية: ان احد الأتقياء واسمه (اتنيس) رأى أنه من الواجب أن تكون العبادة لإله واحد فتوسل ببرهمة وفشنو وسيفا قائلا: يا ايها الأرباب الثلاثة اعلموا اني اعترف بوجود إله واحد فأخبروني أيكم الإله الحقيقي لأقرب له نذري و صلاتي؟ فظهرت الآلهة الثلاثة وقالوا:

اعلم أيها العابد انه لا يوجد فرق حقيقي بيننا وأما ما تراه من ثلاثة فما هو إلّا بالشبه والشكل‏الكائن الواحد الظاهر بالأقانيم الثلاثة هو واحد بالذات.

و قال موريس في آثار الهند القديمة 4: 372: لقد وجدنا بأنقاض هيكل قديك دكّته مرور القرون صنما له ثلاثة رؤوس على جسد واحد والمقصود منه التعبير عن الثالوث.

2-/ الثالوث البوظي:

قال المستر فابر في كتابه اصل الوثنية: وكما نجد عند الهنود ثالوثا مؤلفا من برهمة-/ فشنو-/ سيفا، هكذا نجد عند البوظيين فإنهم يقولون: ان بوظا إله واحد ويقولون بأقانيمه الثلاثة، وكذلك بوظي «جينست» يقولون عن: جيفا-/ انه مثلث الأقانيم.

و يقول دافس في كتابه الصين 3: 121 و 103 ودوان في كتابه خرافات التوراة والإنجيل: البوظيون الذين هم اكثر سكان الصين واليابان يعبدون إلها مثلث الأقانيم يسمونه «فو» ومتى ودوا ذكر هذا الثالوث المقدس يقولون: الثالوث النقي «فو» ويصورونه في هياكلهم بشكل الأصنام التي وجدت في الهند ... ويوجد في احد المعابد المختصة ببوتالا في منشوريا تمثال «فو» مثلث الأقانيم، ومثله في اصل الديانة الوثنية ل «مستر فابر».

3-/ ثالوث تاوو:

يقول دوان في 172 من كتابه: أنصار «لاوكومتذا» وهو الفيلسوف الصيني المشهور-/ وكان قبل المسيح عليه السلام بأربع سنين وستمائة-/ يدعون شيعة «تاوو» وهؤلاء يعبدون إلها مثلث الأقانيم‏أساس فلسفته اللاهوتية أن تاوو وهو العقل الأبدي انبثق منه واحد ومن هذا الواحد انبثق ثان ومن الثاني انبثق ثالث ومن هذه الثلاثة صدر كل شي‏ء وهذا القول بالتوليد والانبثاق ادهش العلامة موريس لأن قائله وثني.

4-/ ثالوث الصينيين:

و قد جاء في الكتب الدينية الصينية ان اصل كل شي‏ء واحد وهذا الواحد الذي هو اصل الوجود اضطر الى إيجاد ثان والأول والثاني انبثق منهما ثالث ومن هذه الثلاثة صدر كل شي‏ء.

5-/ ثالوث الهنود:

قال المستر هلسلي ستونس في كتابه الايمان والعقل (78) يعتقد الهنود بإله مثلث الأقانيم ومتى ودوا التكلم عنه بصفة الخلاق يقولون: الإله برهمة، ومتى راموا التكلم عنه بصفة الملك يقولون سيفا أو مهديفا، ومتى أرادوا وصفه بصفة الحافظ يقولون:

الإله فشنو، ويقولون: إن هذا الثالوث المقدس حاضر في كل مكان بالروح والقوة.

6-/ ثالوث المصريين:

المصريون القدماء كانوا يعبدون إلها مثلث الأقانيم مصورا في أقدم هياكلهم ويظن أهل العلم أن الرمز الذي يصورونه وهو جناح طير ووكر وأفعى، أنه إشارة الى ذاك الثالوث واختلاف صفاته، قال دوان في (473) وكان قسيسو هيكل ممفيس بمصر يعبرون عن الثالوث المقدس للمبتدئين بتعلم الدين بقولهم: ان الأول خلق الثاني والثاني مع الأول خلقا الثالث وبذلك تم الثالوث المقدس، وسأل «توليو» ملك مصر الكاهن تينشوكي، سأله ان يخبره هل كان قبله أحد أعظم منه؟ أو هل يكون بعده من هو أعظم منه؟ فقال له الكاهن: نعم يوجد من هو أعظم وهو أولا: اللّه، ثم الكلمة ومعهما روح القدس ولهؤلاء الثلاثة طبيعة واحدة وهم واحد بالذات وعنهم صدرت القوة الأبدية فأذهب يا فاني يا صاحب الحياة القصيرة، وقال بونويك في اعتقاد المصريين 402 و 404 وأغرب عقيدة عم انتشارها في ديانة المصريين الوثنيين القدماء هي قولهم بلاهوت الكلمة وأن كل شي‏ء صار بواسطتها وانها منبثقة من اللّه وانها اللّه، وكان «بلاتو» عارفا بهذه العقيدة الوثنية وكذلك أرسطو وغيرهما، وكان ذلك قبل التاريخ المسيحي بسنين‏لم نكن نعلم ان الكلدانيين والمصريين يقولون هذا القول ويعتقدون هذا الاعتقاد إلّا في هذه الأيام، قال أيضا: كما ان للكلمة مقاما ساميا عند المصريين، كذلك يوجد في كتبهم الدينية المقدسة هذه الجملة: إني اعلم بسرّ لاهوت الكلمة وهي كلمة رب كل شي‏ء وهو الصانع لها فالكلمة هي الأقنوم الأول بعد الإله وهي غير مخلوقة وهي الحاكم المطلق على كافة المخلوقات.

7-/ ثالوث اليونان:

في كتاب ترقي التصورات الدينية 1: 307 (كان اليونانيون القدماء الوثنيون يقولون ان الإله مثلث الأقانيم، وإذا شرع قسيسوهم بتقديم الذبائح يرشون المذبح بالماء المقدس ثلاث مرات اشارة الى الثالوث ويرشون المجتمعين حول المذبح بالماء ثلاث مرات ويأخذون البخور من المبخرة بثلاث أصابع ويعتقدون بان الحكماء صرحوا: ان كل الأشياء المقدسة يجب أن تكون مثلثة ولهم اعتناء تام بها العدد في كافة أحوالهم الدينية.

و قال دوان نقلا عن اورفيوس-/ وهو احد كتاب وشعراء اليونان قبل المسيح بقرون-/ «كل الأشياء علمها الإله الواحد مثلث الأسماء والأقانيم» وهذا التعليم الثالوثي أصله من مصر وكثيرون من الآباء في الجيل الثالث والرابع قالوا: ان فيثاغورس وهيركليتوس وبلاتو علموا التثليث وقد أخذوا فلسفتهم في التثليث عن اورفيوس (انظر دائر المعارف تأليف تشمبرس عند كلمة اورفيوس).

8-/ ثالوث الرومان:

قال فيسك-/ في كتابه الخرافات ومخترعوها (305)-/ وكان الرومانيون يعتقدون بالتثليث وهو أولا اللّه ثم الكلمة ثم الروح.

9-/ ثالوث الفرس:

قال دوان (2: 819): وكان الفرس يعبدون إلها مثلث الأقانيم مثل الهنود تماما وهم:

أورمزد ومترات واهرمان، فأورمزد: الخلاق ومترات: ابن اللّه المخلص والوسيط، واهرمان: المهلك، ويوجد في كتابات زورسترسانن-/ الشرائع الفارسية-/ هذه الجملة: الثالوث اللاهوتي مضيّ في العالم ورأس هذا الثالوث «موناد»، وقال هيجن (في الانكلوسكستين) 2: 162 المسيود دونلاب في (ابن الإنسان 20) وبنصون في (المسيح الملاك): كان الفرس يدعون متروس: الكلمة و الوسيط ومخلص الفرس.

10-/ ثالوث الفنلنديين:

قال بارخوست في القاموس العبراني كان للفنلنديين-/ وهم برابرة كانوا يسكنون شمالي بروسيا في القرون الخالية-/: إله اسمه تريكلاف وقد وجد تمثال له في «هرتوبخربرج» له ثلاثة رؤوس على جسد واحد.

11-/ ثالوث الاسكندنافيين:

قال دوان (377) وكان الاسكندنافيون يعبدون إلها مثلث الأقانيم يدعونها: اودين-/ تورا-/ فرى-/ يقولون عن هذه الثلاثة أقانيم انها إله واحد، وقد وجد صنم يمثل هذا الثالوث المقدس بمدينة «أوبسال» من «اسوج» وكان اهالي «أسوج ونروج والدنمرك» يفاخرون بعضهم في بناء الهياكل لهذا الثالوث وكانت جدران هذه الهياكل مصفحة بالذهب ومزينة بتماثيل هذا الثالوث‏يصورون «اودين» وبيده حسام و «تورا» واقفا عن شماله وعلى رأسه تاج وبيده صولجان «فري» واقفا عن شمال «تورا» وتمثاله فيه علامتا الذكر والأنثى ويدعون «اودين» الآب «تورا» الابن البكر للأب اودين و «فري» مانح البركة والنسل والسلام والغنى.

12-/ ثالوث الدرديين والتتر والسيبريين:

كان الدرديون يعبدون إلها مثلث الأقانيم وهم «تولاك-/ فان-/ مولا» وسكان سيبريا القدماء كانوا يعبدون إلها مثلث الأقانيم ويدعون الأقنوم الأول منه: خالق كل شي‏ء والأقنوم الثاني: إله الجنود، و الأقنوم الثالث: روح المحبة السماوية-/ ثم يقولون:

أقانيم ثلاثة إله واحد، والتتر الوثنيون عبدوا إلها مثلث الأقانيم وعلى احد نقودهم الموجودة في متحف «بطرسبرج» صورة هذا الإله المثلث الأقانيم جالسا على حندوقة.

13-/ ثالوث الجزائر الأوقيانوسية:

قال نيت-/ في كتابه الصنايع القديمة والخرافات الوثنية 169-/: سكان الجزائر في الأقيانوس عبدوا إلها مثلث الأقانيم فيقولون: الإله الآب-/ الإله الابن-/ الإله روح القدس ويصورون روح القدس بهيئة طير.

14-/ ثالوث المكسيكيين:

قال اللورد كينكسبرو-/ في كتابه آثار المكسيك القديمة 5: 164-/: المكسيكيون يعبدون إلها مثلث الأقانيم يدعونه «تزكتيلبوكا» ومعه إلهان آخران أحدهما واقف عن يمين الإله المذكورالآخر واقف عن يساره واسم الإله الأول الواقف عن اليمين «اهوتزليبوشتكي» والآخر اسمه: «تلالوكا» لما عين «برتولوميو» مطرانا سنة 1440-/ أرسل القس «فرنسيس هرمندير» إلى المكسيك ليبشر بين الهندوسيين بالديانة المسيحية وكان هذا القس عارفا بلغة الهندوس ومن بعد مضي عام على ذهابه أرسل مكتوبا إلى المطران المذكور يقول فيه: ان الهندوسيين يؤمنون بإله كائن في السماء وان هذا مثلث الأقانيم وهو الإله الأب والإله الابن والإله روح القدس وهؤلاء الثلاثة إله واحد، واسم الأب «بزونا» واسم الابن «باكاب» مولود من عذراء واسم الروح القدس «ايكيميا» ويعتقدون صنما اسمه «تنكاتنكا» يقولون عنه إنه واحد ذو ثلاثة أقانيم، وانه ثلاثة أقانيم إله واحد.

15-/ ثالوث الهندوس:

قال سكوير-/ في كتابه رمز الحية 181-/: والهندوس الكنديون يعبدون إلها مثلث الأقانيم‏يصورونه بشكل صنم له ثلاثة رؤوس على جسد واحد ويقولون: انه ذو ثلاثة اشخاص بقلب واحد وإرادة واحدة ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 384

1-/ الثالوث البرهمي. 2-/ والبوظي. 3-/ وتاوو. 4-/ والصينيين.

5-/ والهنود. 6-/ والمصريين. 7-/ واليونان. 8-/ والرومان. 9-/ والفرس.

10-/ الفنلنديين. 11-/ والإسكندنافيين. 12-/ والدرديين والتتر والسيبريين.

13-/ الجزائر الأوقيانوسية. 14-/ والمكسيكيين. 15-/ والهندوس الكنديين.

فقد يبدو أن من هامة التأثير للدعايات المسيحية في هؤلاء الأقوام الثالوثية هي تشابه ثالوثهم مع ثواليثهم، إضافة إلى الإباحية المركّزة على الفداء الصليبي الذي هو أيضا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 385

من العقائد الوثنية.

ذلك، ومن عجاب الأمر في مضاهاة المسيحية المختلقة والوثنيات أنها حسب سرد التاريخ الوثني والمسيحي، كأنها نسخة طبق الأصل من هذه الوثنيات، ومثالا على تلك المضاهاة المقارنة التالية بين بوظا والمسيح منذ الولادة حتى الصلب والصعود في حلقاتها الأربعة عشر حسب الأسناد التالية «1»: بوظا المسيح!:

بوظا لما تنزل بوظا من محل عال إلى رحم العذراء مايا شعّ الرحم بنوره وكان يرى فيه قبل مولده‏ «2».

2- علامة ولادته نجم طلع من الأفق وتسمى نجم بوظا «3».

3- ولد بوظا ابن العذراء «مايا» التي حل روح القدس في رحمها يوم عيد الميلاد (25) كانون الأوّل‏ «4» 4 بعد ولادته سرّ به جنود السماء وبيمنه خطبوا خطابات وقالوا:

اسم نجمه الصباح‏ «5».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). هذه الاسناد وما قبلها من اسناد تاريخية ننقلها عن كتاب «العقائد الوثنية للأستاذ محمد طاهر التنير البيروتي رحمه اللّه»

(2). بنسون (20) ودوان (290)

(3). دوان (290)

(4). بنسون في مسيح الملاك (10)

(5). دوان (290)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 386

المسيح 1- لما تنزّل المسيح في محل عال سماوي ودخل رحم مريم العذراء صار الرحم كمثل البلور وكان يرى فيه قبل مولده‏ «1».

2- علامة ولادته نجم طلع من المشرق اسمه نجم المسيح‏ «2».

3- ولد المسيح ابن العذراء مريم التي حل روح القدس في رحمها يوم عيد الميلاد (25) كانون الأول‏ «3».

4- سرّ ملائكة السماء بولادته وخطبوا بيمنه وقالوا: العظمة للّه في السماء والأرض للناس المسرة حيث أوصل النور إلى محل الظلام‏ «4».

5- إن الحكماء عرفوا بوظا وأسراره اللّاهوتية وبعد يوم من ولادته رحب الناس بولادته‏ «5».

6- قال بوظا في طفولته لأمه أنا أعظم الناس‏ «6».

7- ولد بوظا خفية وملك بمبارا أصرّ في قتله حيث أخبر أنه يسلبه ملكه‏ «7».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). إنجيل متى ب 1

(2). إنجيل متى 3: 1

(3). دوان (290)

(4). لوقا 3: 13-/ 14

(5). دوان (290)

(6). كتاب الهردي العقائد البوظية 145-/ 146

(7). كتاب البيل-/ تاريخ بوظا 103-/ 104

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 387

8- لما بلغ بوظا الثاني عشر من عمره دخل بعض بيوت الأصنام وسأله أهل العلم عن مسائل فأجابهم عما سألوه من المشاكل‏ «1».

9- بوظى المنجي اغتسل غسل التعميد وحينذاك كان روح اللّه حاضرا لم يكن بوظا الإله العظيم فحسب بل كان مع روح القدس أيضا حيث حل في العذراء مايا فتجسم كوتاما بوظا «2».

5 زار الحكماء المسيح وعرفوا أسراره اللّاهوتية وليوم بعد ولادته سموه إله الآلهة «3».

6 قال المسيح في طفولته لأمه أنا ابن اللّه‏ «4».

7 ولد المسيح خفية وملك هيردوس اهتم في قتله حيث سمع أنه يسلبه ملكه‏ «5».

8 لما بلغ المسيح الثاني عشر من عمره ذهبوا به إلى بيت الأصنام في أورشليم وسأله الأحبار عن مشاكل المسائل فأجابهم بما حاروا فيه‏ «6».

9-/ يحيى عمد المسيح في نهر الأردن ونزل عليه روح اللّه كحمامة فكان المسيح ابن‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). بنسون في مسيح الملاك (37) وبيال في تاريخ بوظا 167-/ 169

(2). مسيح الملاك (45)

(3). متى 3: 1-/ 11

(4). إنجيل الطفولة 1: 3

(5). إنجيل متى 3: 1

(6). إنجيل الطفولة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 388

اللّه مع كونه روح اللّه‏ «1».

10 مات بوظا ودفنوه ثم انفتح كفنه وستر تابوته‏ «2».

11 بوظا هو الألف والياء أزلي أبدي قيوم واحد «3».

12 قال بوظا إن ذنوب العالمين عليّ وأنا خلاصهم عنها «4».

13 قال بوظا لتلاميذه اتركوا الدنيا وحاولوا الفقر والضيق فيها «5».

14 قال بوظا: الرجل العاقل يرى حياة الزوجية نارية ولن يقرب هذه الحياة إلّا لضرورة الاجتناب عن الزنا «6».

10 مات المسيح ودفن ثم انفتح كفنه وبعثر عن قبره‏ «7».

11 المسيح هو الألف والياء أزلي أبدي قيوم واحد «8».

12-/ المسيح منجي العالم وقد أخذ وتحمل ذنوب العالمين على عاتقه‏ «9».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). متى 3: 13-/ 17

(2). مسيح الملاك (49)

(3). دوان 293

(4). تاريخ آداب السنسكريتي (80)

(5). هاردي في كتاب رهبانية الشرق 6، 62

(6). ريس داويس في كتاب بوظا (103)

(7). متى ب 38 ويوحنا ب 20

(8). يوحنا 1: 1 ورؤيا يوحنا

(9). دوان 293 والتعاليم المسيحية كما مضت‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 389

13 قال المسيح لتلاميذه اتركوا ثروة الدنيا وعيشوا فقراء «1».

14 قال المسيح يحسن للرجل ألا يمس النساء إلّا في ضرورة حيث الزواج احسن من أن يحترق بالنار نار الزنا «2».

ذلك بوظا المسيح في هذه الشطرات وإليكم: بوظا برهما المسيح!: مقارنة النصوص بين برهما والمسيح في (21) شطرة:

برهما 1 عرفت ولادة كرشنا من النجم الذي ظهر في المشرق‏ «3».

2 كان كرشنا من السلالة الملكية ولكنه تولد على ذل وفقر في مغارة «4».

3 لقد شع نور كرشنا المغارة عند ولادته تلعلع وجه أمه ديفاكى من نوره‏ «5».

4 لما ولدت ديفاكى كرشنا خافت عاقبة أمره وأخذت تبكي عليه فتكلم كرشنا وسلى خاطرها «6».

5 عرف البقر الذكر ان كرشنا إله فسجد له‏ «7».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). متى 16: 25-/ 28

(2). 1-/ كورنتوس 7: 1-/ 9

(3). كتاب التاريخ الهند 3: 317 و 336

(4). دوان (289)

(5). دوان 289

(6). تاريخ الهند 3: 311

(7). دوان (279)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 390

6 لما ولد كرشنا كانت أمه وخطيبها ناندا، كانا غائبين حيث ذهبا إلى البلد لتسليم الماليات الى السلطان‏ «1».

المسيح 1 لما ولد المسيح طلع نجم في المشرق ودل الناس على محل ولادته‏ «2».

2 كان المسيح من السلالة المكية وخاطبه اليهود سلطانا ولكنه تولد في مغارة على ذل‏مسكنة «3».

3 شع من نور المسيح المغارة عند ولادته وحارت عيون القابلة وخطيب مريم-/ يوسف-/ من نوره‏ «4».

4 تكلم عيسى عند ولادته مخاطبا أمه أنا ابن اللّه وكما أخبرك جبرائيل جئت لأخلص العالم‏ «5».

5 عرف الرعاة المسيح فسجدوا له‏ «6».

6 لما ولد المسيح كانت أمه وخطيبها غائبين حيث ذهبا ليسجلا اسمهما في الكراس‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). كتاب ويشنو بورانا 2: 5

(2). إنجيل متى 2: 3

(3). دوان (279)

(4). إنجيل الولادة 2: 13

(5). إنجيل الولادة 1: 2-/ 3

(6). لوقا 2: 8-/ 12

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 391

المكي‏ «1».

7 سمع نانذا خطيب ديافكي ام كرشنا نداء من السماء: خذ الطفل وامه وفرّ إلى كوكول‏اعبر نهر جهنة لأن الملك يريد قتله‏ «2».

8 أخبر الحاكم عن ولادة الطفل الإلهي وأراد قتله فقتل كل ذكر ولد في تلك الليلة لكي ينال بغيته‏ «3».

9 لدغت حية زميلا لكرشنا فنظر اليه بالنظرة الإلهية فحيي من فوره‏ «4».

10 يوما من الأيام سار كرشنا مع بقرات فانتخبته ملكا لها وذهبت كل واحدة منها إلى المحل الذي عينه الملك‏ «5».

11 كان أوّل معجزات كرشنا أن شفى أبرصا «6».

12 صلب كرشنا ومات على الصليب.

7 يوسف النجار خطيب مريم نودي في المنام أن: خذ الطفل وامه وفرّ إلى مصر حيث‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). لوقا 2: 1-/ 9

(2). كتاب ويشنو بورنا الفصل 3

(3). دوان (280)

(4). تاريخ الهند 3: 343

(5). تاريخ الهند 2: 321

(6). تاريخ الهند

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 392

الملك يريد قتله‏ «1».

8 أخبر حاكم البلاد عن ولادة الطفل الإلهي المسيح وأراد قتله فامر بقتل من ولد في تلك الليلة لكي ينال بغيته‏ «2».

9 لدغت حية زميلا للمسيح فمسحه المسيح بيده فبرء من فوره‏ «3».

10 في شهر آذر جمع المسيح الأطفال وأخذ يتأمر فيهم كأنه ملكهم وكان لا يعبر أحد هناك إلّا أمره أن يسجد لهذا الملك‏ «4».

11 كان أول معجزات المسيح أن شفى أبرصا «5».

12 صلب المسيح ومات على الصليب.

13 لما مات كرشنا حدثت حوادث عظيمة واحتف خط أسود حول القمر واظلمت الشمس عند الزوال وأمطرت السماء النار والرماد واشتعلت زبانية النيران وأفسدت الشياطين في الأرض ورأى الناس أن الآلاف من الأرواح يتقاتلون ليل نهار «6».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). متى 2: 13

(2). متى 2: 15-/ 17

(3). إنجيل الطفولة ب 18

(4). إنجيل الطفولة 18: 1-/ 3

(5). متى 36: 6-/ 7 وهذا ايضا تصريحة اخرى ان أولها تبديل الماء خمرا في عرس (يوحنا 3: 1-/ 11)

(6). كتاب التصورات الدينية

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 393

14 حدثت ثقبة في جنب كرشنا حيث اصابته الحربة القاتلة «1».

15 قال كرشنا للصياد الذي قتله:

اذهب برحمتي الى السماء مكان الآلهة «2».

16-/ قام كرشنا بعد موته من بين الأموات‏ «3».

17-/ دخل كرشته الجحيم‏ «4» 18-/ كرشنا خالق كل شي‏ء ولولاه لم يكن شي‏ء «5».

13 حدثت بموت المسيح حوادث عظيمة فخرقت ستار بيت الأصنام وانكسفت الشمس من الساعة 6-/ 9 وبعثرت القبور وخرج عنها الكثير من الشياطين في الأرض و رأى الناس أن الآلاف من الأرواح يتقاتلون ليل نهار «6».

14 حدثت ثقبة في جنب المسيح حيث اصابته الحربة القاتلة «7».

15 قال المسيح لأحد اللصوص الذين صلبوا معه أنت اليوم معي في الجنة «8».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). دوان (282)

(2). ويشنو بورانا (612)

(3). دوان (282)

(4). دوان (282)

(5). دوان (282)

(6). متى ب 27

(7). دوان (282)

(8). لوقا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 394

16-/ قام المسيح بعد موته من بين الأموات‏ «1».

17 دخل المسيح الجحيم‏ «2».

18 المسيح خالق كل شي‏ء ولولاه لم يكن شي‏ء فهو الخالق الأزلي‏ «3».

وَ إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قالَ سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَ لا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116):

عرض لمذاهب اللاهوت:

إن للإنسان وما أشبه أيا كان من الخليقة المتكاملة بالعبودية للّه قوسين صعودي‏نزولي، فالنزولي هو دركات التخلف عن معرفة اللّه وعبوديته، والصعودي درجات فيهما.

ثم الصعودي، منه محبور هو به مأمور، وهو التقدّم في جناحي المعرفة والعبودية، سيرا من نقطة العبودية إلى حضرة الربوبية دون أية وقفة في النشآت كلها، وحصيلتها كمال‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). متى 28: 20

(2). دوان (282) مع كثيرة اخرى من المدارك المسيحية ذكرناها في «عقائدنا»

(3). يوحنا 1: 3 و 1-/ كورنتس 7: 6 وافسس 3: 9

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 395

المعرفة والعبودية إلى غير ما حدّ ولا نهاية وكما عن أوّل العارفين والعابدين: «ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك» وليس في هذا المجال أي‏منال إلّا تتالي الدرجات فيهما، فرسالة ونبوة وما أشبه من مراتب العصمة، دون بنوّة ولا نيابة ولا وكالة ولا خلافة عن اللّه، وهذا هو المسلك الصالح لصالحي عباد اللّه.

ثم إن هناك-/ خارجا عن الحق المرام-/ ضروبا ستة للسالك إلى اللّه بجناحي المعرفةالعبودية، مع كل ضربه من القوس النزولي للّه سبحانه:

1-/ من سالك إلى اللّه يستحق كرامة البنوّة الربانية مجازيا وهو مستمر في مسالك المعرفة والعبودية، وقد تندد به «وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَ قالَتِ النَّصارى‏ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ...».

2-/ وآخر واصل إلى اللّه فلا عبادة إذا لمكان الوصول إلى الغرض الأسمى مستدلا بمثل قوله تعالى: «وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ»؟

3-/ وثالث حاصل بوصوله على جزء من ذات الربوبية فهو ولد له وكما يدعيه بعض النصارى للسيد المسيح عليه السلام وتندد به «أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ صاحِبَةٌ وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْ‏ءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً».

4-/ ورابع فان بوصوله في ذات الربوبية.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 396

5-/ وخامس اتحد بذات اللّه كما الأقانيم الثلاثة، حيث هي واحدة والواحدة هي الثلاثة!.

6-/ وسادس أصبح هو اللّه، وتندّد به مثل قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ-/ إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ-/ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ».

فقد نزّلوا اللّه تعالى في ذلك المسدس عن منزلة الربوبية إلى اتخاذ الولد تشريفا أو حقيقة، أو خارجا عن المعبودية، أو اتحادا ثالوثيا أم وحدانيا بالعبد.

و القرآن ينسف كل هذه الأقاويل المائلة عن جادة الصواب بصائب البراهين، تركيزا على المسلك الأوّل من مسالك المعرفة والعبودية.

و هنا عرض بصورة التأنيب وسيرة التبرئة لعيسى ابن مريم من الثالوث المريمي كما هي من المختلقات الشركية للمسيحيين، كما تصرح الكنيسة الكاثوليكية: «كما أن المسيح لم يبق بشرا كذلك مريم أمه لم تبق من النساء بل انقلبت وينوسة: «إلهة» ولذلك تراهم كثيرا ما يحذفون أسماء اللّه مثل «يهوه» من كتب المزامير ويثبتون مكانها اسم مريم كقوله:

احمدوا اللّه يا أولاد، فالكاثوليك لأجل إظهار عبوديتهم لمريم طووا هذا من الزبوربدّلوه إلى «احمدوا مريم يا أولاد» وهذه الكنيسة كلما صلي فيها مرة واحدة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 397

بالصلاة الربانية: «أبانا الذي في السماوات» يصلي فيها بالصلاة المريمية عشرون مرة «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). عن الأب عبد الأحد داود الآشوري العراقي في كتابه الإنجيل والصليب، ويقول جرجس صال الانجليزي في كتابه مقاله في الإسلام-/ عند ما يذكر بدع النصارى: من ذلك بدعة كان أصحابها يقولون بألوهية العذراء مريم ويعبدونها كأنما هي اللّه ويقربون لها أقراصا مضفورة من الرقاق يقال لها: كلّيرس، وبها سمي اصحاب هذه البدعة كلّيريّين، وهذه المقالة بألوهية مريم كان يقول بها بعض اساقفة المجمع النيقاوي حيث كانوا يزعمون ان مع اللّه إلهين هما عيسى ومريم ومن هذا كانوا يدعون مريميين وكان بعضهم يذهب الى انها تجردت عن الطبيعة البشرية وتألهت وليس هذا ببعيد عن مذهب قوم من نصارى عصرنا قد فسدت عقيدتهم حتى صاروا يدعونها تكملة الثالوث كأنما الثالوث ناقص لولاها وقد أنكر القرآن هذا الشطط لما فيه من الشرك ثم اتخذه محمد ذريعة للطعن في عقيدة التثليث» (ص 67-/ 28 وهذا الكتاب ألفه جرجس صال ردا على الإسلام ونقله هاشم العربي الى العربية).

و المجمع المسكوني الثالث 431 يلقب مريم «ام اللّه» وفي اللاهوت العقائدي ان مريم هي حقا ام اللّه، تقول الكنيسة في قانون الرسل بان ابن اللّه ولد من مريم العذراء فهي ام اللّه من حيث هي ام ابن اللّه (ج 3 ص 108 لمؤلفه لودويغ اوث) وفي مقالة للأب «انستاس الكرملي» المنشورة في العدد الرابع العشر من السنة الخامسة من مجلة الشرق الكاثوليكية البيروتية تحت عنوان: قدم التعبد للعذراء-/ بعد ذكر عبارة سفر التكوين في عداوة الحية للمرأة ونسلها وتفسير المرأة بالعذراء: ألا ترى انك لا ترى من هذا النص شيئا ينوه بالعذراء تنويها جليا إلى أن جاء ذلك النبي العظيم «إيليا» الحي فأبرز عبادة العذراء من حيز الرمز والإبهام الى عالم الصراحة والتبيان، ثم فسر هذه الصراحة والتبيان بما في سفر الملوك الثالث (بحسب تقسيم الكاتوليك) من ان إيليا حين كان مع غلامه في رأس الكرمل أمره سبع مرات ان يتطلع نحو البحر فأخبره الغلام بعد تطلعه المرة السابعة انه رأى سحابة قدر راحة الرجل طالعة من البحر، فمن ذلك النشن قلت: ان هو إلّا صورة مريم على ما حققه المفسرون، بل وصورة الحبل بلا ذنس أصلي، ثم قال: هذا اصل عبادة العذراء في الشرق العزيز وهو يرتقي الى المأة العاشرة قبل المسيح والفضل في ذلك عائد الى هذا النبي إيليا، العظيم، ثم‏قال: ولذلك كان أجداد الكرمليين اوّل من آمن ايضا بالإله يسوع بعد الرسل والتلامذة وأول من اقام للعذراء معبدا بعد انتقالها الى السماء بالنفس والجسد

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 398

و هنا يبرّئ المسيح نفسه من هذه التقولة الحمقاء: «قالَ سُبْحانَكَ» من هذه الأقاويل «ما يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لِي بِحَقٍّ» من هذا وسواه من باطل «إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ» إذ أنت «تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي» ما ظهر منها وما بطن «وَ لا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ» حيث «إِنَّكَ أَنْتَ» لا سواك «عَلَّامُ الْغُيُوبِ» والنفس المضاف إلى صاحبها تعني نفس الذات، فلا تدل إذا على أن للّه نفسا كما لمن سواه.

هذا «وَ إِذْ قالَ اللَّهُ» حكاية عن الماضي دون مستقبل القيامة أم والبرزخ ف «ما دُمْتُ فِيهِمْ» لا تعني فترة حياته، بل هي حياته فيهم، ثم «فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي» تعني رفعه إليه كما قال: «إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ رافِعُكَ إِلَيَّ» فقد كان ذلك القول بعد ذلك التوفي.

و أما «هذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ» فالمشار إليه هو يوم العذاب والرحمة فهو منذ البرزخ إلى القيامة «1».

و هنا «إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ» تعني أنهم اتخذوا بعد اللّه ودونه هذين: الابن والأم-/ الإلهين، وقد اعتقدوه في وجهين اثنين: أن اللّه تحول إلى رحم مريم فأصبح بصورة المسيح، وإذا فلا إله أصلا إلّا المسيح، ثم أمه لأنه والدته، أو أن اللّه أولد المسيح من مريم‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 3: 349-/ اخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد اللّه سمع النبي صلى الله عليه و آله يقول: إذا كان يوم القيامة جمعت الأمم ودعى كل أناس بإمامهم، قال ويدعى عيسى فيقول لعيسى يا عيسى أأنت قلت.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 399

وهو باق في ألوهيته بلا انتقال إلّا جزء منه صار هو المسيح، ف «مِنْ دُونِ اللَّهِ» ما تتحملهما معا حيث تعني الإشراك باللّه من هو أدنى منه.

و هنا لا نصرّ بتسمي مريم إلهة، حيث الاتخاذ أعم من التسمية كما «اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ» (9: 31).

و ذلك الاتخاذ مشهود في الكنائس وسواها حيث يعتقدون لها السلطة الغيبية المخوّلة، فلها أن تستجيب لمن شاءت أو تخيب!.

و اتخاذ إله أو آلهة من دون اللَّه صيغة متكررة في القرآن عن الإشراك باللَّه ما لم ينزل به سلطانا، سواء أنكر وجود اللَّه أم أقرّ به، إنكارا عن بكرته كالماديين، أم بتأويل تحوّله إلى إنسان كالمسيحيين القائلين بذلك التحول.

ذلك، وفي إجابة المسيح عليه السلام في ذلك الاستجواب الرباني بيان لأدب عبودي بارع، فتقديم «سبحانك» تنزيه له سبحانه عن أن يكون له شريك، ثم «ما يَكُونُ لِي» سلب لكينونة ذلك التقوّل عن نفسه، لأنه ليس بحق له لمكان عبوديته، ولا على اللَّه لمكان وحدته في ربوبيته، ثم «إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ» تعليق على المحال من كينونة هذه القولة أن «فَقَدْ عَلِمْتَهُ» إذ لا يخفى عليك أيّ كائن، ثم يبرهن أخيرا كلا السلب والإيجاب ب «تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَ لا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ» تأكيدا لحيطته العلمية الطليقة الربانية الوحيدة ب «إِنَّكَ‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 400

أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ» وكل هذه واقعة وبوحي اللَّه في صيغة التعبير حيث «لقاه الله» «1» وقد أرعد منه استجوابه تعالى كل مفصل منه‏ «2» حتى وقع، ومن ثم يأتي بما قال لهم:

ما قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا ما أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ما دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَ أَنْتَ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ شَهِيدٌ (117):

«ما قلت لهم» في حقل الألوهية «إِلَّا ما أَمَرْتَنِي بِهِ» دون ما تأمرني به نفسي أو عقلي مهما صلحتا، ولا ما أمرني غيري، فإنما أنا رسولك لا أقول لعبادك «إِلَّا ما أَمَرْتَنِي بِهِ» وهو هنا «أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ» دون تخصص لي في مقام العبودية فضلا عن دعوى الربوبية، وماذا فعلوا وافتعلوا في هذه الدعوة التوحيدية؟ «وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً» أشهد ماذا يقولون ويعملون أو يعتقدون بإشهادك لي إياها «ما دُمْتُ فِيهِمْ» على أرض الرسالة ثم «فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ» بكل شهادة كما كنت أنت الرقيب عليهم ما دمت فيهم «وَ أَنْتَ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ شَهِيدٌ» لا تفلت منك فالتة ولا تفوت عنك فائتة.

و هنا «كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ» حصر لتلك الرقابة فيه تعالى ككل، وأما شهادته‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 1: 349-/ ابو هريرة عن النبي (ص) «فلقاه الله: سبحانك .. وفيه عن أبي هريرةعن النبي (ص) قال: ان عيسى حاجه ربه فحاج عيسى ربه والله لقاه حجته بقوله: أأنت ..

(2). المصدر عن ميسرة قال: لما قال الله: يا عيسى ابن مريم ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 401

كسائر الشهود يوم القيامة فهي بما أشهده اللَّه عليه من أعمالهم عند الشهادة أو قبلها يوم يقوم الأشهاد.

و قد يصدق الإنجيل دعوته التوحيدية كما في (متى 19: 16-/ 19 ومرقس 10:

18 لوقا 18: 19): (و إذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح .. فقال له: لماذا تدعوني صالحا، ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله».

و كما يندد ببطرس ويعتبره شيطانا إذ قال له: «حاشاك يا رب، فالتفت وقال لبطرس: اذهب عني يا شيطان. أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس» (متى 12: 22 و 8: 23).

مصدقا إياه: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ» (19: 36 و 43:

64).

فذلك هو السيد المسيح عليه السلام معرفة وعبودية ورسالة صالحة، ومن زهده عليه السلام ما يقول عنه الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام: «و إن شئت قلت في عيسى ابن مريم عليهما السلام: فلقد كان يتوسد الحجر ويلبس الخشن ويأكل الجشب، وكان إدامه الجوع، وسراجه بالليل القمر، وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها، وفاكهته وريحانه ما تنبت الأرض للبهائم، ولم تكن له زوجة تفتنه، ولا ولد يحزنه، ولا مال يلفته، ولا طمع يذله، دابته رجلاه،

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 402

وخادمه يداه» (الخطبة 158/ 283).

ذلك، ولا تتقيد شهادته يوم القيامة بما شهده منهم ما دام فيهم بل ويشهد على عامة أهل الكتاب ولم يكن فيهم إلّا فترة لا تحمل إلّا قطرة من بحرهم: «وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً» (4: 159) وذلك بإشهاد اللَّه له كل أعمالهم أولا وأخيرا، مهما كانت له شهادة حاضرة ما كان فيهم، إذ لم يكن ليشهد إلّا أقوالا وأعمالا ممن كان يعاشرهم، دون أن يحشرهم كلهم ولا سيما في أحوالهم الغائبة.

إذا فالشهادة الرسولية تحلّق في إلقاءها على كافة الأقوال والأعمال والأحوال من الأمم، حيث تحلق عليها تلقيا بما يلقيه اللَّه إياهم حاضرين لموقف الرسالة وغائبين، والقدر المعلوم من ذلك الإلقاء هو يوم يقوم الأشهاد «1» اللّهم إلّا ما استثني، وليست شهادة المسيح عليه السلام وغيره من الشهداء إلّا وسيطة بين اللَّه والمكلفين من عبادة دونما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 2: 349 أخرج ابن أبي شيبة واحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي‏و النسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس قال خطب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال: ايها الناس انكم محشورون إلى اللَّه حفاة عراة غرلا ثم قرأ «كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ» ثم قال: ألا وإن أوّل الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم ألا وإنه يجاء برجال من امتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب اصحابي اصحابي فيقال: انك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم فيقال: أما هؤلاء لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 403

استقلال لهم أو استغلال، فاللَّه هو الذي أشهدهم تلقيا كما أشهد أعضاءهم كلهم والأرض بأجواءها وأشهد الكرام الكاتبين.

و ليست هذه الشهادات الأربع يوم يقوم الأشهاد إلّا لشهادة اللَّه، لو أنهم تشككوا فيها، فليس لهم نكران شهادات أعضاءهم والأرض بما عليها، مهما اجترءوا على التشكك في سائر الشهادات.

إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (118):

يا للَّه لمسيح اللَّه في موقفه ذلك الرهيب العجيب! وأين أولئك الذين أطلقوا عليه هذه الفرية الرهيبة العجيبة، سواء أكانوا متخذيه وأمه إلهين من دون اللَّه، أو المكتفين بهذه الفرية القاحلة الجاهلة نقلا وتناقلا، حيث يتبرّأ منها ذلك العبد الصالح الطاهر ذلك التبرؤ الواجف بموقفه منهم الراجف، ابتهالا من أجلها إلى ربه ذلك الابتهال المنيف المنيب؟! هنا تسمع المسيح بعد ما أجاب ما أجاب بكل تأدب في ذلك الاستجواب، تسمعه يحاول أديبا أريبا لبيبا أن يغفر اللَّه من يصلح للغفر منهم تقديما لحق العذاب: «إِنْ تُعَذِّبْهُمْ» أولاء الناقلين عني ما نقلوه من فاتكة الفرية وهاتكتها، «فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ» ولك أن تعذبهم استحقاقا حقيقا عادلا لعصيانهم وبهتانهم العظيم «وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ» ايّ غفر صالح في موقف الفضل‏الرحمة ما لم تناف العدالة «فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ» الغالب على أمرك غير

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 404

مغلوب «الحكيم» حيث تضع عزتك في مواقف الحكمة دون ظلم، ولا رحمة غير صالحة، فإنك أنت أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة وأشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة.

و ترى كيف سمح المسيح عليه السلام في ذلك الموقف الرهيب أن يلفظ بغفر لهم وهم أولاء الذين نكبوه ومسوا من كرامة للَّه فيما ارتكبوه، وهو القائل:

«إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ» (4: 48) وهؤلاء ممن أشركوا باللَّه افتراء على اللَّه وعلى رسول اللَّه؟.

علّ الوجه في تلك السماحة في ذلك السماح أنهم ما كانوا كلهم مشركين مهما كانوا مشتركين في نقل هذه القولة عنه عليه السلام فعلّهم انقسموا إلى أقسام كما هي الواقعة بين المنحرفين من المسيحيين، من ناقل عنه عليه السلام هذه، غير قائل به، أم قائل بالبنوة التشريفية للمسيح عليه السلام فالأمومة التشريفية لابن اللَّه بهذا المعنى، أم غير قائل بهما بل هو عامل معهما معاملة عبد مع الرب، التماسا منهما ما يلتمس من اللَّه وهو شرك خفيف، أم قائل بحقيقة البنوة له والأمومة لأمه، أم قائل بتحول الإله من لاهوت الألوهية إلى ناسوت البشرية تمثلا بالمسيح، أماهيه من هرطقات كنسية جارفة هي دركات، ولكنها لا تحسب كلها بحساب الإشراك باللَّه المصطلح في القرآن وهو عبادة الصنم أو الطاغوت.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 405

فمن الجائز أنه ذكر «إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ» بصوغ التشكك اعتبارا بجائز الغفر عند اللَّه عن بعض هذه الأخطاء.

ذلك، ومن الغفر هنا أن يغفر لهم عن واقع فريتهم توفيقا لهم للاستغفار والإنابة إلى اللَّه، قبل موتهم، إذ ليس في كلامه عليه السلام ما يدل على، أو يشير إلى: أنّ طلب الغفر لهم ينحو إلى ما بعد موتهم، حيث دعى موقعه وهو أعلم بما وعى ودعى، والجواب الصواب عما دعى هو ما:

قالَ اللَّهُ هذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (119) لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما فِيهِنَّ وَ هُوَ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ قَدِيرٌ (120):

هنا «قالَ اللَّهُ هذا ..» ضابطة ثابتة تحلّق على كل الأقوال والأحوال والأعمال وهي:

«يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ» والصادقون هم الذين تصدّق أقوالهم أحوالهم وأعمالهم كما تصدق أحوالهم، أعمالهم وأقوالهم، صدقا في مثلثه، وهو النافع اليافع دون أي‏ضرر.

ذلك والصدق في المقال لزامه صدق الحال والفعال وكما يروى أن رجلا من أهل البدو استوصى النبي صلى الله عليه و آله فوصاه أن لا يكذب ثم ذكر الرجل أن رعاية ما وصى به كفّه عن عامة المعاصي إذ ما من معصية عرضت إلّا ذكر أنه لو اقترفها ثم سئل عنها وجب عليه أن يعترف بها على نفسه ويخبر بها الناس فلم يقترفها مخافة ذلك.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 406

و من نفع الصدق أن كبائر الواجبات فعلا وكبائر السيآت تركا تكفر السيآت كما في آيات، وأن مراحل خاصة من الصدق تؤهل للشفاعات.

فهؤلاء الناقلون عن المسيح ما نقلوا إن صدقوا في توبتهم عما أقروا وأوبتهم إلى اللَّه، فقد ينفعهم صدقهم يوم القيامة، كما وأن الشرك الخفي من بعضهم قد يكفّر بصالح الإيمان‏الأعمال.

إذا فذلك من الأدب البارع للمسيح عليه السلام حيث جاء بهذه الشرطية.

توحيد الالوهيه في المسيح (ع)

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ اللَّهُ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ قَدِيرٌ (17).

المسيحية انقسمت طوال قرونها في فكرة «اللّه» إلى مذاهب أربعة:

مثلثين وثنوية وموحدين في ألوهية المسيح وموحدين اللّه في الألوهية، وهذه الآية تتحدث عن الفرقة الثالثة المؤلهة للمسيح وحده، وهي بلورة الثالوث والتثنية.

فقد اعتبروه مثلثة الأقانيم، جواهر ثلاثة هي ثلاثة في واحد وواحد في ثلاثة، ثم استأصلوا ألوهة أقنوم الأب حيث تنزل إلى الناسوت في قوسه النزولي فأصبح هو الابن‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 407

تجافيا عن كيانه ككل، وألوهة روح القدس والثاني الروح تجافيا عن ألوهتهما فاختصرا في الابن فهو-/ إذا-/ اللّه، وهما عبارتان عن تخيّلة واحدة عن المسيح عليه السلام أنه هو حقا «الإله» تحولا للإله الأب إلى الإله الابن، ثم لا أب ولا ابن بل هو اللّه ليس معه إله، وهذا هو المعني من «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ» قوسا نزوليا للّه، دون «المسيح هو الله» قوسا صعوديا للمسيح، فقد قالوا بالحلول والتحول أن اللّه أصبح هو المسيح، وقد تشبهها:

«أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ» دون «هواه إلهه» حيث نزل اللّه إلى حيث هواه، فاعتبر اللّه هواه فعبدها كما اللّه.

ذلك وكما خيل إلى جماعة منهم ألوهة مريم على هامش ألوهة المسيح، فقد تصرح الكنيسة الكاثوليكية «كما أن المسيح لم يبق بشرا كذلك أمه لم تبق من النساء بل انقلبت (وينوسة): إلهة».

لذلك تراهم كثيرا يحذفون أسماء اللّه مثل «يهوه» من كتب المزامير ويثبتون مكانها اسم مريم، كقوله: «احمدوا الله يا أولاد» فالكاثوليك لأجل إظهار عبوديتهم لمريم طووا هذا من الزبور وبدلوه إلى «احمدوا مريم يا أولاد».

و هذه الكنيسة كلما صلي فيها مرة واحدة بالصلاة الربانية: «أبانا الذي في السماء ..»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 408

يصلى فيها بالصلاة المريمية عشرون مرة «1».

ذلك وكما يصرح القرآن بهذه الخرافة: «و إذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ..» (5: 116)؟.

و القول بألوهة المسيح عليه السلام كفر باللّه نكرانا لألوهته أو إشراكا فيها، ولكنهم تخطّوا الإشراك باللّه إلى توحيد المسيح في الألوهة.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). عن الأب عبد الأحد داود الآشوري العراقي في كتابه الإنجيل والصليب.

و يقول جرجس صال الإنجليزي في كتابه مقالة في الإسلام عند ما يذكر بدع النصارى، من ذلك بدعة كان أصحابها يقولون بألوهية العذراء مريم ويعبدونها كأنما هي اللّه ويقربون لها اقراصا مضفورة من الرقاق يقال لها: (كلّيرس) وبها سمي أصحاب هذه البدعة (كلّيريين) وهذه المقالة بألوهية المسيح عليه السلام كان يقول بها بعض أساقفة المجمع النيقاوي حيث كانوا يزعمون أن مع اللّه الآب إلهين هما عيسى ومريم ومن هذا كانوا يدعون المريميين وكان بعضهم يذهب إلى أنها تجردت عن الطبيعة البشرية وتألهت وليس هذا ببعيد عن مذهب قوم من نصارى عصرنا قد فسدت عقيدتهم حتى صاروا يدعونها تكملة الثالوث كأنما الثالوث‏ناقص لولاها وقد أنكر القران هذا الشطط لما فيه من الشرك ثم اتخذه محمد ذريعة للطعن في عقيدة التثليث (ص 67-/ 68) هذا الكتاب ألفه جرجس صال ردا على الإسلام ونقله هاشم العربي إلى العربية).

و يذكر ابيغان (الفلسطيني في كتابه: الشامل في الهرطقات) بدعة عربية يسميها (الكليرين) من (كليرس) قرص خبز من طحين الشعير كانت تتعاطاها بعض نساء العرب النصارى فيقدمن تلك الأقراص قرابين عبادة لأم المسيح على مثال ما كانت تقدمه نساء العرب الجاهليات للإلهة (اللات).

و المجمع المسكوني الثالث عام 431 يلقب مريم أم اللّه!.

أقول: وسوف نأتي على قول فصل حول التثليث على ضوء الآية «إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ»-/ «وَ لا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 409

ذلك، وردا على ألوهة المسيح عليه السلام حاسما: «قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ» كما اختلقوا خرافة صلبه وموته على الصليب، فهل إن اللّه يهلك بصلب وسواه؟ أم إن ولده الأصيل ونائبه الفصيل يصلب ثم اللّه لا ينجيه، أم إذا أراد هو إهلاكه فمن ذا الذي ينجيه؟!.

فلأن إهلاك المسيح وأمه ومن في الأرض جميعا، إمكانية وواقعية، معلوم لدى الكل، فهذه الإمكانية والواقعية تسلبان عن المسيح وعن أيّ كان الألوهة بأسرها، وحيدة كما زعموها أم سواها على سواء.

ذلك «وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما» مسيحا وأمه وسواهما، فكما له خلق ما خلق كذلك له إهلاكه «يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ اللَّهُ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ قَدِيرٌ»

ذلك، وعلى فرض وحدة المسيح مع اللّه، أنه بروحه إله وبجسمه بشر، وكونه مسيحا صليبا ليس إلّا بكيانه البشري، ولأن الجسم أيا كان، في المسيح وأمه ومن في الأرض جميعا أو في السماوات، إنه في معرض الهلاك، إذا فألوهة المسيح في معرض الهلاك ولا يبقى إلّا اللّه غير الهالك ولا الحالك.

و هنا «ابن مريم» تثبيت لكونه بشرا حيث ولد من بشر، ثم «أمه» لأنهما مثلان في البشرية، ثم «مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً» بل والسماوات-/ حيث الكون المخلوق كله أمثال في‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 410

الحاجة الذاتية إلى اللّه، فكما أنه كائن بأمر اللّه، كذلك هو هالك بأمر اللّه، فلا إله-/ إذا-/ إلّا اللّه.

ذلك! ولا نجد شرعة ربانية ابتليت بخرافات كهذه وابتلاءات كالشرعة المسيحية، التي كانت عقيدة ناصعة ناصحة للمنحرفين عن حق التوحيد، المنجرفين عن التوحيد الحق.

فقد دخلت فيها التحريفات المنكرة من قبل التدخلات الوثنية من سلطاتها المسيطرة عليها ردحا بدائيا من زمنها، فمزجت الوثنية بالتوحيد فأصبحت اللّاهوتية المسيحية متناقضة واضحة وضح الشمس في رايعة النهار.

فحين يقال لهم لا تجتمع الألوهة والبشرية عقليا، أم إن الثالوث يختلف عن التوحيد، الواحد واحد وليس ثلاثا، يقولون: هذه عقيدة الإيمان، فكلما جاء العقل خرج الإيمان، فذلك فوق العقل كما الإيمان هو فوق العقل.

فيقال لهم: إذا كان الإيمان مخالفا للعقل فهو إيمان خلاف العقل، فليصبح كل المجانين‏ضعفاء العقول من المؤمنين المسيحيين! والعقلاء محرومون، حيث الإيمان المسيحي بحاجة إلى التخلي عن العقل لأنه يناحر كوجود اللّه وحقيقة صفاته وأفعاله، وأما الذي يعرفه عارفا كذبه واستحالته كتوحيد التثليث فليس هو فوق العقل، بل هو تحته‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 411

محكومامردودا به، ثم المعروف بالعقل هو في مستوى العقل، فالعقلية السليمة مميزة على أية حال، إحقاقا وإبطالا، مهما اختلف إحقاقه فيما يعيه بين ما يحيط به علما أمّا لا يحيط.

و هل يعرف الحق إيمانا وسواه إلّا بالعقل وهم يطردونه من حقل اللّاهوت ترسّبا على وثنية الثالوث والاتحاد!.

و قد يأتيكم القول الفصل حول خرافاتهم اللّاهوتية على ضوء الآية «إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ» (5: 73) هنا و «قالَتِ النَّصارى‏ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ» (30) في التوبة، استعراضا عقليا و نقليا للاهوت المسيحي الذي هو نسخة عن الوثنيات العتيقة «يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ..»!.

ذلك، فارتقاء العبد إلى درجة المعبود فضلا عن الفناء فيه وصيرورته هو المعبود، كتنازل المعبود إلى نازلة العبد، هما مستحيلان ذاتيا وشرفيا.

فبينونة التباين الكلي بين كيان العبد والمعبود من ناحية، واستحالة التغير للمعبودتحول العبد إلى المعبود من أخرى، ثم استحالة تحول اللّامحدود إلى المحدود والمحدود إلى اللّامحدود تجافيا وسواه من ثالثة وما أشبه، هذه من براهين قاطعة تحيل قوسي الصعودالنزول، فكمال العبد في سلوكه إلى اللّه هو كماله في العبودية لا أن يتحول معبودا، بل يتحول عبدا أكثر مما كان حيث يعرف فقره أكثر وغناه تعالى أكثر، وما أم‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 412

وصوله إليه حيطة معرفية عليه، إلّا تغلبا عليه‏ «1».

و الصوفية العارمة قد تدعي قوس الصعود صعودا إلى درجة المعبود أو تحولا إليه، فناء فيه فبقاء به، وأخرى قوس النزول أن اللّه تنزل من لاهوت الألوهية فتجسد كعبد من عبيده كما زعموه في المسيح: أن اللّه هو المسيح ابن مريم، كالذي اتخذ إلهه هواه، اعتبارا لهواه أنه اللّه، تنزيلا للإله إلى هواه فعبودية لها كما يعبد اللّه.

ذلك، وكل إشراك باللّه هو تنزيل للّه إلى كيان ما سواه، أو ترفيع لما سواه إلى درجة الإله، توحيدا بين الخالق والمخلوق، ومن ذلك خرافة وحدة حقيقة الوجود مهما تظاهرت بمظهر الفلسفة الإسلامية، حيث العقلية الإسلامية ونصوص الكتاب والسنة منها براء، فإنه خرافة في عراء.

و النصوص الإسلامية كلمة واحدة في توحيد اللّه ومباينته خلقه في كافة الشؤون الواقعية ذاتية وصفاتية وأفعالية، فلا تجلّي ولا تخلّي ولا تحلّي ولا وكالة ولا نيابة ولا خلافة ولا ما أشبه في هذا البين، اللهم إلّا عبودية من قممها الرسالة والنبوة والإمامة.

و لا نعني من وجود ربنا معنى نفهمه كما نفهم من وجودنا، وإنما هو أنه ليس بمعدوم، وهو أعم من المفهوم وغير المفهوم، فنحن نعلم أن اللّه ليس بمعدوم ولا بموجود

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع كتابنا «حوار بين الإلهيين والماديين» ص 383-/ 399 وكتابنا «عقائدنا» ص 127-/ 145

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 413

كوجوداتنا، فإنه خارج عن الحدين حدّ الإبطال وحد التشبيه، وأما ما هو ذاته وإنيته فالعقول تائهة حائرة في معرفته.

و ليس الحوار هنا لغويا حتى يستند إلى اشتراك لغة الوجود معنويا بين اللّه وخلقه، بل هو بحث عقلي في حقه وحاقّه، ولا يقبل العقل أية وحدة بين اللّه وخلقه، اللّهم إلّا في لفظة الوجود وما أشبه من مشاركات لفظية، فهو باين عن خلقه وخلقه باين عنه، نفس حدوث الخلق أيا كان يحيل مجانسته فضلا عن وحدته مع الخالق، فالمعني من وجود اللّه غير المعني من وجود الخلق قضية التباين بينهما.

و ليس مناقض وجود الخلق العدم المطلق حيث ينتج خروجه تعالى عن الوجود، بل هو عدم الخلق المناسب لكلا العدم المطلق ووجود غير الخلق، وليس لشي‏ء واحد الا نقيض واحد وهو هنا عدم الخلق الجامع بينهما، غير المطبق في العدم، فنحن بين المحتملات التالية من معنى وجود اللّه وسواه:

1: لا نفهم من الوجودين أيّ معنى؟

2: نعني من «الخلق موجود» الحقيقة الخارجية ومن «اللّه موجود» اللّاحقيقة الخارجية؟.

3: لا نعني من «اللّه موجود» أي‏معنى إيجابي أو سلبي؟.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 414

4: نعني من الوجود في كلتا القضيتين معنى وحقيقة واحدة جنسية لا شخصية؟.

5: نعني حقيقة واحدة شخصية؟.

6: نعني حقيقة ذات مصدر واحد؟

7: نعني حقيقة متحدة في السلسلة ..

8: نعني من وجود الخلق كما نعنيه حقيقة خارجية محدودة حادثة، ومن وجود الخالق الحقيقة الخارجية المجردة الأزلية اللامحدودة المناقضة لحقيقة الخلق، ثم لا نفهم من هذه الحقيقة إلا سلب العدم.

فقد نعني هذا الأخير، دون السبعة الأولى بكل دركاتها!. أقرب منه، فلا استعلاءه باعده عن شي‏ء من خلقه، ولا قربه ساواهم في المكان به» (49/ 106) (لم يحلل في الأشياء فيقال هو فيها كائن، ولم ينأ عنها فيقال هو منها بائن» (3/ 120). فهو «البائن لا بتراخي مسافة .. بان الأشياء بالقهر لها والقدرة عليها، بانت الأشياء منه بالخضوع له والرجوع إليه» (150/ 267).

«لم يقرب من الأشياء بالتصاق ولم يبعد عنهم بافتراق» (161/ 289).

«قريب من الأشياء غير ملامس، بعيد منها غير مباين» (177/ 320).

«ليس في الأشياء بوالج، ولا عنها بخارج» (184/ 343).

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 415

وَ قالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصارى‏ نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (18).

إنه لم يكتف اليهود بالبنوّة العزيرية ولا النصارى بالبنوّة اليسوعية، فقد تخطوا هذه الهرطقة الحمقاء إلى بنوتهم أنفسهم للّه بأي تأويل عليل وتحليل كليل‏ «1» فادعاء اليهود أنهم شعب اللّه المختار وأخصائه وأولياءه هي ادعاء لبنوّتهم تشريفا من اللّه، كما ادعاء النصارى أن المسيح افتداهم من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلهم، هي ادعاء لتشريف فوق الأول حيث قدم-/ كما يزعمون-/ ابنه ضحية عن عصاة أمته.

و هذه البنوة المدعاة ذريعة إلى تحللهم عن العذاب، أصلها أنهم أحباءه حيث يحبّهم أكثر ممن سواهم من البشر، ولأنهم شعب اللّه المختار، ومن الجواب الحاسم نقضيا «قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ» كما عذبكم مرارا وتكرارا في تخلفات عدة عن شرعته، أن جعل منكم القردة والخنازير وما أشبه، ثم يعذب عصاتكم بعد الموت كما في تصريحات كتابية متكررة، فقد نقض دعواكم، فلستم أنتم برآء من عذابه يوم القيامة حين يعذبكم هنا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 2: 299 عن ابن عباس قال أتى رسول اللّه صلى الله عليه و آله ابن أبي وبحري بن عمروشاس‏بن عدي فكلمهم وكلموه ودعاهم إلى اللّه وحذرهم نقمته فقالوا: ما تخوفنا يا محمد ونحن أبناء اللّه وأحباءه كقول النصارى فأنزل اللّه فيهم «وَ قالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصارى‏ ...»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 416

بذنوبكم ثم «بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ» من البشر: جواب حلّي سنادا إلى بشريتهم كسائر البشر، فليست هنا ولادة إلهية في أي‏من بنودها الأربعة، لأنها بحاجة إلى ميّزة ذاتية أو صفاتية أو أفعالية عن سائر البشر، فالأوليان منفيتان دون ريب، والميّزة الأفعالية عقيدية وعملية ليست إلّا صالح العقائد والأعمال، فلا ميّزة لكم لأنكم هود أو نصارى عمن سواكم، ثم اللّه: «يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ» منهم وسواهم «وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ» منهم‏سواهم، دونما تمييز ببنوة أو محبة.

فلا قرابة ولا أية نسبة بين اللّه وخلقه تعفوهم عن عذاب مستحق، وتمنحهم الثواب غير المستحق، إذ «لَيْسَ بِأَمانِيِّكُمْ وَ لا أَمانِيِّ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَ لا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً» (4: 123) فليست الآسى إلّا بالمعاصي، ولا المثوبات إلّا بترك المعاصي.

ذلك! وهو سبحانه وتعالى طليق في ملكه لا يتحدد في تصرفاته بمثل هذه الدعاوي الخاوية الغاوية «لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما» في الأولى دون إبقاء «وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ» في الأخرى دون إبقاء، أم له الملك في الدارين وإليه المصير في الدارين.

فالولادة عن اللّه! كسائر الولادات، فهنا الوالد والولد اثنان باقيان، وثالثها الولادة التشريفية كما يقولها فرقة ثالثة منهم بحق المسيح عليه السلام لأنه أول العابدين للّه تعالى.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 417

و من أغرب ما نسمعه من الكنائس اللّاهوتية صيغة «توحيد التثليث» وأنها هي السائغة في حق التوحيد، ما لم يكن يفهمه البدائيون العرب، فذلك ارتقاء في مراقي التوحيد يؤمن به ولا يعقل لأنه فوق العقول!، ومن أوضح الضروريات العقلية استحالة اجتماع وارتفاع النقيضين مهما كانت في حقل اللّاهوت أم سواه، حيث المستحيل الذاتي مستحيل أينما كان ولأيّ كان.

ذلك والوحدة بين اللّه وأي من خلقة مرفوضة باستحالة حتى في مفهوم الوجود، فضلا عن الحقيقة الخارجية بالمجانسة أو وحدة المصدر فضلا عن الوحدة الشخصية في شخص واحد أم في تسلسل الوجودين دون تجاف ذاتي وصفاتي وأفعالي.

ذلك كله للمناقضة بين المجرد والمادي الطليقين في التجرد والمادية، فكما الوجود والعدم متناقضان، كذلك التجرد والمادية بما هما صفتان لموجودين.

فالتجرد يعني اللّامادية، والمادية تعني اللّاتجرد، وخلوّ الوجود عنهما واجتماعهما فيه مستحيلان على سواء.

فلأن اللّه المجرد عن كافة الشؤون المادية غير محدود بصورة مطلقة فلا مكان له أيّا كان، مفهوما وواقعا مهما اختلف المكانان، حيث المحدود ليس ليحوي اللّامحدود إلّا بانقلاب أحدهما إلى الآخر.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 418

و بأحرى من استحالة الوحدة في الكيان المفهومي هو الكيان الحقيقي الخارجي، فلا هما من مصدر واحد حيث اللّه ليس صادرا حتى يتحد في المصدر مع الصادر منه، ولا تجانس بينهما أبدا حتى تصح الوحدة فيها، وإن بانقلاب الخالق خلقا، أو انقلاب الخلق خالقا في قوسي النزول الإلهي والصعود الخلقي، فإن قضية كلّ تجافيه عن كونه وكيانه، ليس ذلك من الوحدة حيث إن غير المتجافي هو الباقي، أم بقاءهما فكيف يصبحان واحدا وهو من وحدة النقيضين الذين ليس ليحمل أحدهما الآخر فضلا أن يصبح هو الآخر!.

و هنا رابعة يدعونها لأنفسهم لأنهم هود أو نصارى تشريفا بواسطة التهود والتنصر، فهذه الرابعة لا تملك امرا إلا البراءة عن عذاب اللّه إكراما لذلك الإختصاص.

و القرآن يرد على هذه المزعمة الخاوية بحق عزيز والمسيح، وبحق الهود والنصارى أنفسهم: «قُلْ يا أَيُّهَا الَّذِينَ هادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِياءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» (62: 6) حيث كانوا ولا يزالون يدعون اختصاصهم باللّه، فلهم خصيصة القرب إلى اللّه ما لا يشاركهم فيها سائر الشعوب، فليس ليعاملهم معاملته مع سائر الشعوب، فلا يستهين بهم ولا يمس من كرامتهم كمن سواهم من المعاقبين بذنوبهم.

و كذلك النصارى حيث حرروا أنفسهم في ترك واجبات وفعل محرمات بادعاء «أن‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 419

المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صلب لأجلنا» فقد تحمّل شخصيا بصلبه ولعنه فيه كل لعنات الناموس، فهم إذا برآء من عذاب اللّه مهما كثرت خطيئاتهم! ومهما اختلفت جذور ادعاءاتهم في عفوهم عن عذاب اللّه، ولكنهم متفقون في ذلك العفو المدّعى‏كأنهم من أبناء اللّه وأخصاءه بأي سبب كان.

فالقرآن ينادي أن عباد اللّه بجنب اللّه هم على حد سواء إلّا من يتقربون بمعرفته‏عبادته إليه فلهم الزلفى ولهم حسنى الدار.

لم يلد ولم يولد ولم يكن له ولد

بَدِيعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ صاحِبَةٌ وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْ‏ءٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْ‏ءٍ عَلِيمٌ (101):

إنه تعالى: «مبدعهما ومنشئهما بعلمه ابتداء لا من شي‏ء ولا على مثال» «1»، فالبديع هو المبدَع بلا مثال محتذى ولا نموذج به يهتدى ويقتدى، فالسموات والأرض-/ وهما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 1: 751 المجمع عن أبي جعفر عليهما السلام، وفي تفسير البرهان 1: 545 عن سديرالصيرفي قال سمعت حمران بن أعين يسأل أبا جعفر عليهماالسّلام عن قول اللّه عزّ وجل «بَدِيعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» فقال ابو جعفر عليهما السلام: ان اللّه عزّ وجلّ أبدع الأشياء كلها بعلمه على غير مثال كان قبله فابتدع السماوات والأرضين ولم يكن قبلهن سماوات ولا أرضون اما تسمع لقوله تعالى:

«وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 420

الكون أجمع-/ هما-/ ككلّ-/ من إبداعه خلقا دون ولادة ذاتية أمّاهيه.

ثم الولادة من الوالد مستحيلة دون صاحبة مهما أمكنت من الوالدة دون صاحب.

و إجابة عن سؤال؟ كيف لا تصح ولادة دون صاحبة وهي تصح دون صاحب كما في مريم عليه السلام بل وتصح دون والدين كما في آدم عليه السلام.

نقول: كلّ هذه خلق للّه وليست ولادة، والمستحيل هو الولادة الإلهية فإنها بصاحبةغيرها مستحيلة، وعلى المجاراة أنه تعالى يلد كما يلد خلقه فالولادة بحاجة إلى والدين، والمشركون منكرون لخرق العادة في الولادة بصاحبة دون صاحب أم بصاحب دون صاحبة، وأما الولادة دون صاحبة بالقدرة الربانية فهي كائنة في خلقه ولدا من والد دون صاحبة أو دون والدين كما في آدم وكما يخلقنا اللّه يوم القيامة مرة أخرى حيث «كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ» دون صلب ولا رحم، ولكنه مستحيل أن يلد اللّه بصاحبة أم دون صاحبة حيث الصحبة والولادة لما فيهما من مجانسة بين والد وما ولد، كما بين صاحب وصاحبة، هي عليه مستحيلة، ولا مسانخة بين المجرد اللامحدود والمادي المحدود، فكما المجرد لا يتحول مادة بكلّه أو جزء منه حيث لا جزء له، كذلك لا يتزاوج مع مادة لاستحالة اللقاء تداخليا بين المجرد والمادة.

و لو قيل بصاحبة هي إلهة كما اللّه فهما مجردان، فتعدد المجرد غير المحدود مستحيل، ثم‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 421

المجرد لا يحتاج إلى ولادة.

الحواريون‏

وَ إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَ بِرَسُولِي قالُوا آمَنَّا وَ اشْهَدْ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ (111):

الحواريون هم المؤمنون الأولون بالسيد المسيح عليه السلام وترى «أوحيت» تعني وحي الرسالة؟ ولا يساعده «أَنْ آمِنُوا بِي» حيث الإيمان باللَّه يسبق وحي الرسالة بأشدّه‏أشدّه، لأن الرسل مصطفون بين الأصفياء! بل ويضاده «هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ» وما أشبه في الآية التالية حيث تدل على بسيط الإيمان لأضعفه دون وسيطه فضلا عن أشدّه بأشدّه.

إذا فقد «ألهموا» «1» دون رسالة مهما كانت جزئية هامشية، وذلك هو الإيمان الأوّل، من ثم الأخير، وهو بطبيعة الحال أكمل وأفضل: «فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسى‏ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قالَ مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ اشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

رَبَّنا آمَنَّا بِما أَنْزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ» (3: 53).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 1: 680 في تفسير العياشي عن محمد بن يوسف الصنعاني عن أبيه قال سألت أباجعفر عليهما السلام: «إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوارِيِّينَ»؟ قال: ألهموا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 422

ذلك، وإلهام الإيمان في أصله أدنى من الإلهام إلى المؤمن كما «وَ أَوْحَيْنا إِلى‏ أُمِّ مُوسى‏ أَنْ أَرْضِعِيهِ ..» (28: 7) إذ كان أفضل وأعلى من وحي الإلهام إلى الحواريين. ولقد كان ذلك الإيحاء إليهم:

إِذْ قالَ الْحَوارِيُّونَ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ قالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (112):

فلقد أوحى اللَّه إليهم أن آمنوا عند هذه القالة الغائلة فقالوا «آمَنَّا وَ اشْهَدْ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ» و علّه بعد سابق الآيات الرسولية للمسيح عليه السلام.

و ترى الموحى إليه بالرسالة يقول لمحور الرسالة «هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ» شكا في استطاعة اللَّه، وهتكا في التعبير عن اللَّه ب «ربّك» دون «الرب-/ أو-/ ربنا-/ أو-/ رب العالمين» فكان جوابهم «اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» حيث هُددوا توبيخا بعدم الإيمان الصالح لحدّ اللّاإيمان.

و توجيه الآية بما يعارض نصها قبيح، مثل «هل تستطيع ربك» «1» زعما أنها تعني‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 3: 346-/ اخرج الحاكم وصححه الطبراني وابن مردويه عن عبد الرحمن بن غنم‏قال سألت معاذ بن جبل عن قول الحواريين: هل يستطيع ربك أو تستطيع ربّك؟ فقال: اقرأني رسول اللَّه صلى الله عليه و آله هل تستطيع ربّك‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 423

هل تستطيع أن تطلب من ربك أو «هل يطيعك ربك» «1» سنادا لهما إلى معصوم، ذلك تزييف للثقل الأكبر فرية عليه بالثقل الأصغر، ولا سيما في الآخر فإنه يجعل اللَّه في طوع عبده!.

و كل ذلك للحفاظ على زعم رسالتهم، فقد أولوا الاستطاعة بمعنى الإطاعة، والإطاعة بمعنى الطوع، والطوع بمعنى الرضا، سلسلة من التأويلات العليلة في «هل يستطيع» حتى يستطيعوا الحفاظ على عصمة متخيلة للحواريين.

و هذه من التأويلات الهارفة الخارفة من هؤلاء الذين لا يرجون لكلام اللَّه وقارا، ويكأن الدلالات القرآنية لا تمشّى إلّا كما يهوون ويمشّون!.

و ترى ما هو الفارق بين هذه القيلة الغيلة وبين قالة اليهود: «فَادْعُ لَنا رَبَّكَ ...» بل ان قالتهم أولاء أقل إساءة من قالة هؤلاء!.

ذلك، وفي اقتراح آية سماوية وبهذه الصيغة المهينة بعد ما رأوا آيات المسيح عليه السلام الرسولية حيث «رَسُولًا إِلى‏ بَنِي إِسْرائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ..» (3: 49) تدل على ان بزوغ دعوته كان بآيات إضافة إلى آية ولاده من ذي قبل.

إن في ذلك الاقتراح إساءة أدب من هؤلاء، فأوحى إليهم أن آمنوا بي وبرسولي حيث‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). المصدر اخرج ابن أبي حاتم عن عامر الشعبي ان عليا عليه السلام كان يقرءها: هل يستطيع ربك، قال: هل يطيعك ربك، ومثله عن السدي‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 424

كانت قالتهم قالة اللاإيمان.

فقد استحقوا من اللَّه تنديدات شديدة تحملها الآيات التالية ومنها هنا «اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»: تقوى عن طغواهم على اللَّه، وعن قيلة الشطحات وتطلّبة مثل تلكم الآيات من اللَّه، مسحوبة بالتشكك في استطاعة اللَّه!.

فالمسيح عليه السلام الذي هو بنفسه آية وقد أتى بآيات فهم غرقى آيه البينات، كيف يسوغ لهم أن يتطلبوا إليه «هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ..»؟ فلذلك يوحي إليهم هنا «أَنْ آمِنُوا بِي وَ بِرَسُولِي».

فعجبا من أناس يحاولون تأويل الآية خلاف نصها حفاظا على عصمة متخيلة للحواريين في بداية أمرهم، تقديما لها على عصمة القرآن العظيم وكما أوّلوا عصيان آدم إلى ترك الأولى وما أشبه من تأويلات عليلات، ولا يذكر الإنجيل قصة تطلّب المائدة إلّا بصورة أخرى هي أنكى وأضل سبيلا، أنهم تطلبوا منه أن يحول لهم الماء خمرا فآمنوا به لما تحول‏ «1»! وبصورة أخرى هي أخف وطأة وأقل مسا من كرامة الإيمان‏ «2» و الصورة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). في إنجيل يوحنا 3: 1-/ 11-/ 1-/ (و في اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل وكانت ام يسوع هناك 2-/ ودعي ايضا يسوع وتلاميذه‏الى العرس 3-/ ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر 4-/ قال لها يسوع مالي ولك يا امرأة لم تأت ساعتي بعد 5-/ قالت أمه للخدام مهما قال لكم فافعلوه 6-/ وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة 7-/ قال لهم يسوع املأوا والأجران ماء فملأوها إلى فوق 8-/ ثم قال لهم استقوا الآن وقدموا الى رئيس المتكإ فقدموا 9-/ فلما ذاق رئيس المتكإ الماء المتحول خمرا ولم يكن يعلم من اين هي ولكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء وعلموا دعاء رئيس المتكإ العريس 10-/ وقال له كل انسان انما يضع الخمر الجيدة أولا ومتى سكروا فحينئذ الدون اما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة الى الآن» هذه بداءة الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل واظهر مجده فآمن به تلاميذه!

(2). ففي إنجيل متى في منتهى الأصحاح الخامس عشر: و اما يسوع فدعا تلاميذه و قال: اني اشفق على الجميع لأن لهم الآن ثلاثة ايام‏يمشون معي و ليس لهم ما يأكلون. و لست أريد ان اصرفهم صائمين لئلا يخوروا في الطريق. فقال تلاميذه من اين لنا في البرية خبز بهذا المقدار حتى يشبع جمعا هذا عدده؟ فقال لهم يسوع كم عندكم من الخبز؟ فقالوا: سبعة و قليل من صغار السمك. فأمر الجموع ان يتكئوا على الأرض و أخذ السبع خبزات و السمك و شكر و كسر و اعطى تلاميذه و التلاميذ اعطوا الجمع فأكل الجمع و شبعوا ثم رفعوا ما فضل من الكسر سبعة سلال مملوءة و الآكلون كانوا اربعة آلاف ما عدا النساء و الأولاد. أقول: و ورد مثلها في سائر الأناجيل‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 425

الواقعية هي المذكورة هنا بما يليها، محافظة على كرامة اللَّه ومسيحه، وبيانا لقلة إيمان الحواريين رغم توفر الآيات الرسولية للسيد المسيح عليه السلام.

ذلك! وإلى عاذرتهم الغادرة المائرة المايدة في تطلب المائدة حيث تضيف إلى قالتهم غالة أخرى:

قالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْها وَ تَطْمَئِنَّ قُلُوبُنا وَ نَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنا وَ نَكُونَ عَلَيْها مِنَ الشَّاهِدِينَ (113):

فهنا لا «أَنْ نَأْكُلَ مِنْها» ولا «تَطْمَئِنَّ قُلُوبُنا» ولا «نَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنا» ولا «نَكُونَ‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 426

عَلَيْها مِنَ الشَّاهِدِينَ» لا تبرر شي‏ء منها ذلك السؤال الهاتك الفاتك، حيث الأكل غير مخصوص بمائدة السماء، والحاجة المدقعة إلى أكل، أم التبرك بمائدة السماء، تقضى بعبارة أدبية ك «هل تطلب من الله أن ينزل عليها مائدة ..».

و هلّا تأخر «نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْها» على الثلاثة الأخرى، تقدما للحاجة الباطنية على البطنية الروحية؟.

فهذا مما يبرهن أن تطلبهم الخواء البواء لم يك يقصد منه-/ كأصل-/ مزيد الإيمان‏الإيقان، حيث الدور الأوّل فيه «نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْها» ومن ثم «وَ تَطْمَئِنَّ قُلُوبُنا».

ثم كيف «تَطْمَئِنَّ قُلُوبُنا» فحين لم تطمئن قلوبهم بسائر الآيات البينات الرسولية العيسوية فلا دور للإيمان أو مزيدة بآية في سؤال الأكل، وكذلك «نَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنا» ومن ثم «وَ نَكُونَ عَلَيْها مِنَ الشَّاهِدِينَ» أفلم يكونوا شاهدين في سابقة الآيات السابغة؟ أم هم اعلم من اللَّه بنوعية الآيات القاطعة؟

فهذه الطلبة هي بعبارة أخرى نكران لآيات المسيح الرسولية، الظاهرة البارزة لهم من ذي قبل.

فالأثر الوارد بحق خلوصهم وتخليصهم أولاء الحواريين مطروح أو مأول بغير

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 427

البداية من أمرهم الإمر «1» كما في آية الصف: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصارَ اللَّهِ كَما قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوارِيِّينَ مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ وَ كَفَرَتْ طائِفَةٌ ..» (14) وذلك «فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسى‏ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قالَ مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ اشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ. رَبَّنا آمَنَّا بِما أَنْزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ» (3: 53).

ذلك، وقد تكون تطلبه آية المائدة من بعضهم دون جمعهم، ثم المخلصون منهم في آخر أمره هم-/ فقط-/ منهم، أم وممن سواهم، دون المستحق لعذاب اللّه فيهم في ذلك التهديد الحديد «أُعَذِّبُهُ عَذاباً ..».

فعلى أية حال فقد تعدى الحواريون في سؤالهم هذا طور العبودية بأدبها رغم تقدم الآيات الباهرة لرسالة المسيح. فأوحى إليهم اللّه «أَنْ آمِنُوا بِي وَ بِرَسُولِي» فقد تشابه أمرهم هذا تطلبات المشركين الطائلات الغائلات آيات يشتهونها بعد أهم الآيات‏أعمها و

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 1: 690 في عيون الأخبار باسناده الى علي بن الحسن الفضال عن أبيه قال قلت‏لأبي الحسن الرضا عليه السلام لم سمي الحواريين الحواريين؟ قال: اما عند الناس فإنهم سموا حواريين لأنهم كانوا قصارين يخلصون الثياب من الوسخ بالغسل وهو اسم مشتق من الخبز الحوار، واما عندنا فسمي الحواريون حواريين لأنهم كانوا مخلصين في أنفسهم ومخلصين لغيرهم من أوساخ الذنوب بالوعظ والتذكر

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 428

هي القرآن العظيم، ولكنهم لحرمة إيمانهم الصالح في مستقبل أمرهم أوحى إليهم أن آمنوا .. وأجابهم فيها بدعاء المسيح عليه السلام عيدا وآية تنضم إلى سابقة الآيات السابغة مزيدا للحجة وتزويدا للمحجة، مهددا إياهم باليم العذاب إن كانوا بها كافرين:

قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنا أَنْزِلْ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ تَكُونُ لَنا عِيداً لِأَوَّلِنا وَ آخِرِنا وَ آيَةً مِنْكَ وَ ارْزُقْنا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (114):

و قد بدل «ربك» هنا ب «ربنا» كما بدل الاستطاعة بواقع المستطاع ب «أنزل»، وضمن دعاءه هذا الأديب الأريب سؤلات ثلاث لا تحمل من أسؤلتهم تلك إلّا «نَأْكُلَ مِنْها» بغيار التعبير: «و ارزقنا».

ف «تَكُونُ لَنا عِيداً» كمفخرة في إجابة الدعاء أمام الغلاظ الشداد الألدّاء من كفرة بني إسرائيل «لِأَوَّلِنا وَ آخِرِنا» مهما كنا مؤمنين من قبل مطمئنين بسابقة الآيات، فقد دمج نفسه في متطلبي هذه المائدة ولم يكن ليشك في رسالة نفسه ولا في استطاعة ربه استجابة سؤله، فهذا أدب أوّل في دعاءه عليه السلام، خليصا عما دعوه ليدعوا، من سوء الأدب و خلط الإرب.

و عيد المائدة فيه تجديد حياة الملة وتنشيط نفوس العائدين وذكرى لهم على مر الزمن «لِأَوَّلِنا وَ آخِرِنا».

ثم «وَ آيَةً مِنْكَ» هي الأخرى بعد معظم الآيات التي بعثت بها إلى بني إسرائيل،

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 429

فكلما كثرت الآيات كثرت الاطمئنانات، لا لقصور في سابقة الآيات فإنها سابغات، وإنما لقصور متطلبيها وتقصيرهم، وليس منهم المسيح نفسه فإن «آية» منكرة ليست إلّا للقاصرين والمقصرين، دون المسيح الذي هو نفسه آية ومعه كبريات الآيات، التي هي معرّفة وهذه بجنبها منكّرة.

و مهما كانت تطلّبه آية بعد سائر الآيات تطلبة خواء، ولكنها حين تتضمن «عيدا» فليس اللّه منها براء، ولا سيما إذا كانت هذه الآية رزقا لأبدانهم مع كونها رزقا لأرواحهم في بعدي العيد لآية الرازقين أن ينزله عليهم من سماءه فانه «هُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلهٌ» والقائل: «وَ فِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَ ما تُوعَدُونَ».

و لقد أخر حاجة الأكل كفرع-/ رغم ما قدموها كأصل-/ أدبا بارعا في الدعاء في تقديم سؤل الروح على سؤل الجسم، فقد بان البون بين دعاءهم الهارع القارع ودعاءه البارع و أين دعاء من دعاء.

و كما البون بين هؤلاء الحواريين بداية ونهاية وبين حواري نبيّنا محمد صلى الله عليه و آله وأهل بيته المعصومين عليهم السلام‏ «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). بحار الأنوار 14: 274-/ 7 عن الكافي بسند متصل عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: ان حواري عيسى عليه السلام كانوا شيعته وان شيعتنا حواريونا وما كان حواري عيسى عليه السلام بأطوع له من حوارينا لنا وانما قال عيسى عليه السلام للحواريين: «من انصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله» فلا والله ما نصروه من اليهود ولا قاتلوهم دونه وشيعتنا والله لم يزالوا منذ قبض الله عز ذكره رسوله صلى الله عليه و آله ينصرون و يقاتلون دوننا ويحرقون ويعذبون ويشردون في البلدان جزاهم الله عنا خيرا»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 430

ذلك ولكن أدب المسيح عليه السلام أثر فيهم كأفضل ما أمكن وأجمله بين هؤلاء اليهود الصلدين الصلتين حيث لازموه وساندوه في مختلف المجالات وكانوا مذياعاتٍ لصوته الرسالي بين الناس‏ «1».

قالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُها عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ (115):

إذا فلم تكن الإجابة بدعائهم المسيح أن يدعوا اللّه، فإنما هي بدعاء المسيح عليه السلام حيث خلص دعاءه عما تقولوا وأخلص في دعاءه مستندا إلى تلكم الثلاث التي هي كلها مرضية عند اللّه.

هنا «قالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُها عَلَيْكُمْ» برهان لا مرد له أنه أنزلها عليهم فإن اللّه لا يخلف الميعاد مهما كان الموعودون غير صالحين، وفيهم مثل السيد المسيح عليه السلام وهو من أصلح الصالحين حيث دعى ما دعى فأجيب هكذا فيما دعى، فالحوار حول: هل إن اللّه أنزل‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). ففي البحار (8) احمد بن عبد اللّه عن احمد بن محمد البرقي عن بعض أصحابه رفعه قال قال عيسى بن مريم عليهما السلام يا معشر الحواريين لي إليكم حاجة اقضوها لي، قالوا: قضيت حاجتك يا روح اللّه فقام فغسل اقدامهم فقالوا: كنا نحن أحق بهذا يا روح اللّه! فقال: ان أحق الناس بالخدمة العالم، انما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم ثم قال عيسى عليه السلام بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر وكذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 431

المائدة أم لم ينزلها؟ إنّه بوار من حوار.

و ليست قصة استعفائهم المروية بالتي تنقض ما وعده اللّه مسيحه عليه السلام فلو أنه تعالى كان قابلا لاستعفائهم لما كان واعدا إنجاز طلبتهم، ولو أن استعفاءهم يعقب العفو، لما كان-/ إذا-/ إعفاء عما طلبه المسيح عليه السلام فأين دعاءه من دعاءهم!.

و هنا التهديد الحديد بعد نزول آية المائدة ب «أُعَذِّبُهُ عَذاباً ..» دليل باهر أنها ما كانت الآية الأولى النازلة لاثبات رسالته، بل هي آية مقترحة بعد آيات كافية، وهكذا يكون دور الآيات المقترحة أن يشمل المكذب بها عذاب الاستئصال، فكما ان تطلّب آية المائدة بعد سائر الآيات الفضلى كان من حصائل عدم الايمان فاستحقوا التنديد الشديد «اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» كذلك هم يستحقون نكال العذاب إن كفروا بهذه الآية المقترحة.

و هكذا تصرح آيات عدة أن وعيد العذاب يختص بمقترحات الآيات إذا لم يؤمنوا بها، و بعد إذ أتتهم آيات بينات، ولو أن الحواريين لم يروا-/ قبل اقتراحهم آية المائدة-/ آيات المسيح عليه السلام لم يكن في اقتراحهم هذا كيفما كان تأنيب وقد انبوا ب «اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» ولا وعد التعذيب بعد وقد أوعدوا: «فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ» وكما عذب من كفر منهم ان جعلهم خنازير، ومن سواهم قردة ذلك، ومن ثم قد توحي «وَ إِذْ أَوْحَيْتُ .. إِذْ قالَ الْحَوارِيُّونَ ..»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 432

-/ حيث كان ذلك الإيحاء بعد اقتراحهم آية المائدة-/ أنهم كان عليهم ذلك الإيمان بما رأوا من آيات اللّه البينات، فلما تطلبوا مائدة من السماء أوحى إليهم «أَنْ آمِنُوا بِي وَ بِرَسُولِي» بما أريتكم تلكم الآيات.

و أما هذه المائدة السماوية كيف كانت وكم؟ فلنسكت عما سكت اللّه عنه مهما ورد في الآثار لكمها وكيفها مختلف الأخبار.

و هنا بعد صراح الوعد بإنزال المائدة تهديد شديد بمن يكفر بعده «فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ» وذلك الوعيد هو قضية صارم الحجة لصارح المحجة، فكلما ازدادت الحجة عدّة وعدّة إزداد عذاب المتخلفين عدّة وعدّة، وكما نرى بمدار الزمن الرسالي عذابات الاستئصال وسواها على قدر النكرانات لآيات الرسالات بقدر الحجج البالغة ف «مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ» وعلى قدره حيث «إِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

ثم «لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ» مستقبلا قد يعني تفوّق عذابهم على مستقبل العذابات دون ماضيها، فما ورد من جعل الكافرين منهم قردة وخنازير، تسوية بينهم وبين قردة من اليهود لا يطارد «لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ» ثم والخنازير أنحس من القردة وقد لا يسبق سابق تحوّل الإنسان خنزيرا في أمة من الأمم ولا يلحقه لاحق، وفي‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 433

الأثر عن الرسول الأطهر صلى الله عليه و آله «فمسخوا قردة وخنازير» «1».

و لأن جعل اليهود قردة كأصحاب السبت وارد في القرآن «وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ» (2: 65).

و لم يرد جعلهم خنازير، وقد أوعد هنا «عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ» وأنبأ بالعذابين: «قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ وَ جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنازِيرَ وَ عَبَدَ الطَّاغُوتَ ..» (5: 60) لذلك قد يصدق هذا المروي عن الرسول صلى الله عليه و آله انه قوله فما أجمله، أن البعض من هؤلاء الحواريين حولوا إلى خنازير «2» حيث الوعيد كان راجعا إليهم دون من سواهم من الذين كفروا بعد نزول المائدة.

ذلك وليس بذلك البعيد أن يمسخ جماعة من الحواريين خنازير وفيهم أنحس منهم وهو يهوذا الأسخر يوطي الذي باع المسيح بدراهم ليصلبوه فشبه لهم وصلب بديلا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 3: 348-/ اخرج الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأنباري في كتاب الأضداد وأبو الشيخ وابن مردويه عن عمار بن ياسر قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: أنزلت المائدة من السماء خبزا ولحما وأمروا الا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا لغد فمسخوا قردة و خنازير

(2). كما في تفسير العياشي عن الفضيل بن يسار عن أبي الحسن عليه السلام قال: ان الخنازير من قوم‏عيسى سألوا نزول المائدة فلم يؤمنوا بها فمسخهم اللّه خنازير، وفيه عن عبد الصمد بن بندار قال سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: كانت الخنازير قوما من القصارين كذبوا بالمائدة فمسخوا خنازير، أقول: والجمع بين الروايتين: والمروي عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله ان جماعة منهم مسخوا قردةآخرين مسخوا خنازير كل على قدر كفرهم بالمائدة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 434

عنه، ثم الباقون هم الصالحون الممدوحون في آيتي آل عمران والصف.

رسل المسيح (ع) الى اصحاب القرية

وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (13).

«وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا» بطيّات إنذارك «أَصْحابَ الْقَرْيَةِ» مثلا يشبه هذه الدعوةالمدعوين في كونهم قوما لدا وحجاجهم اللدود ومصيرهم العسير يوم الدنيا ويوم الدين.

في دلالة القصة وإيحائها إلى ما يرام منها، فلا يهمنا أنها «انطاكية» كما تقول الروايات أم غيرها، وكما لم يفصح عن اسماء الرسل، حيث الرسالات طبيعتها واحدة، كما المرسل إليهم، مهما اختلفت مواد الدعوة في بعض صورها وأزمنتها وأمكنتها، ولذلك لا نرى من أسماء الألوف من الرسل إلّا زهاء ستة وعشرين رسولا في القرآن، كان ذكرهم لزاما في هذه الرسالة الأخيرة.

و قد تلمح «إذ أرسلنا» لرسالة دون وسيط من رسول الإنسان‏ «1» مهما كان رسول‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 4: 279 ج 30-/ تفسير القمي بسند متصل عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن تفسير هذه الآية فقال: بعث اللّه عز وجل رجلين الى اهل مدينة انطاكية فجاءهم بما لا يعرفون فغلظوا عليهما فأخذوهما وحبسوهما في بيت الأصنام فبعث اللّه الثالث فدخل المدينة ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 435

الرسول بأمر اللّه رسولا من اللّه، فلا تنافيه الرواية القائلة أنهم رسل المسيح عليه السلام‏ «1» اللهم إلّا بولص الخائن إذ لم يكن من الحواريين ولم يؤمن بالمسيح إلّا غدرا بعد صعوده عليه السلام فلم يكن المسيح ليرسل رسولا إلا بإذن اللّه، وإذ لم يصدق «إذ أرسلنا» فمن المستحيل أن يرسله اللّه على علمه أنه خائن‏ «2».

إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُما فَعَزَّزْنا بِثالِثٍ فَقالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (14).

«فكذبوهما» كما كذّبت أمم قبلهم وبعدهم ومعهم بعذرهم البائس المتكرر: «إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا ...» «فعززنا» الرسولين برسالتهما «بثالث» فإنّ في تلاحق الحجج مزيدا من الاعتزاز للحق «فقالوا» جميعا بكلمة واحدة: «إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ» صيغة سائغة صارمة بتأكيد «إنا» وتقدّم الظرف الموحي للاختصاص: «إليكم» مع التعزيز بثالث.

فقبل الثالث «كذبوهما» بإجمال دونما عناية واعتداد، فلما عززنا بثالث فصرمت الحجة، أخذوا في سرد الرد عليهم بعرض عريض إذ عرفوا تلاحق الرسالة في تعزيز

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). المصدر عن المجمع قال وهب بن منبه بعث عيسى هذين الرسولين الى انطاكية ... فلما كذب‏الرسولان وضربا بعث عيسى (عليه السلام) شمعون الصفا رأس الحواريين على اثرهما لينصرهما ..

(2). الدر المنثور 5: 261-/ اخرج ابن أبي حاتم عن شعيب الجبائي قال: اسم الرسولين الذين قال: إذ أرسلنا إليهم اثنين شمعون ويوحنا واسم الثالث بولص!

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 436

دونما وقفة، فحاولوا في نكرانها واحتالوا في تكذيبها بحجة مفصلة هي في زعمهم قاطعة قارعة، لكي يرتاحوا عن تواتر الرسالة.

قالُوا ما أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا وَ ما أَنْزَلَ الرَّحْمنُ مِنْ شَيْ‏ءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (15).

«ما أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا» كحجة أولى لتكذيبهم، حيوانية التصور، إذ تحصر إنسانية الإنسان ببشريته، دون ان تحسب روحه وروحانيته بحساب، وفي هذا المقياس الحيواني هؤلاء هم أولى بالرسالة إذ يملكون من حيوانية الإنسان أكثر منهم، وهم كأمثالهم معترفون بمماثلتهم في بشريتهم، ولكنهم يمتازون عنهم بما يوحى إليهم قدر الاستعداد في روحياتهم وقابلياتهم: «قالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا ... قالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَ لكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلى‏ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ...» (14:) 11) (قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى‏ إِلَيَّ ...» (41: 6).

ميزاته، فقياسهم يمثل قياس إبليس اللعين: «خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» وهم بذلك في أسفل سافلين! «وَ ما أَنْزَلَ الرَّحْمنُ مِنْ شَيْ‏ءٍ» كنتيجة عن تلكم المماثلة الحاصرة الخاسرة الحاسرة أن لو أنزل من الرحمن شي‏ء لأنزل علينا كما أنزل عليكم، إذ لم ينزل علينا ف «ما أَنْزَلَ الرَّحْمنُ مِنْ شَيْ‏ءٍ» على بشر.

و لأن «الرحمن» رحمة عامة، فللمماثلين في البشرية إما أن تنزّل هذه الرحمة على‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 437

سواء، أم لا تنزل على سواء، والجواب أن الوحي إنما هو من مبدإ الرحيمية، رحمة خاصة للخصوص من عباده الصالحين، فالنازل على الإنسان-/ كبشر-/ رحمة رحمانية، ولكنما النازل عليه كإنسان في مختلف المنازل الروحية، إنما هو رحمة رحيمية، من كتابة الإيمان و إلى نبوءة ورسالة وإمامة الرسل وخاتمة للوحي، ف «رَبُّنا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ» فإن قضية الربوبية الحكيمة عدم التسوية بين المختلفين في الاستعدادات والقابليات والفاعليات، والحاجة الضرورية للناس إلى الرسالات من أمثالهم في البشرية لتكون الحجة بالغة لا تبقي على أثر من نكران وعاذرة!.

فمهما لم ينزل الرحمن وحيا يعم البشر-/ ولن ينزل-/ فقد أنزل الرحيم وحيا: «وَ لكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلى‏ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ».

و «إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ» كنتيجة حاسمة في حسبانهم، هي حصرهم لدعواهم رسالة الوحي في الكذب! قالُوا رَبُّنا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (16) وَ ما عَلَيْنا إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ (17).

«ربي يعلم انك لست بمرسل» وعلى أقل تقدير: أنّى لنا سبيل الى «رَبُّنا يَعْلَمُ»! فإن هي إلّا حجة داحضة لا تليق بالرسل، وليست إلّا مهزئة للناكرين الذين ينكرون الحجج البالغة للرسل فضلا عن هذه؟! الجواب كل الجواب تجده في «رَبُّنا يَعْلَمُ» فلم يقولوا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 438

«الله يعلم» أو «رب العالمين يعلم» او «الرحمن يعلم» وإنما «رَبُّنا يَعْلَمُ» توجيها للناكرين إلى حجة ملاصقة بهم، ملازمة لهم، هي التربية الخاصة الإلهية الملموسة فيهم، من رحمة رحيمية خاصة تخص المرسلين.

فيُعلم «رَبُّنا يَعْلَمُ» بما يرى فينا، ويعلم من التربية الرسالية الإلهية، كحجة ملاصقة بنا، بعد ما يعلم أن «ربنا» لا يجعل الناس على سواء، والحاجة إلى اصطفاء بين كل قبيل لدعوته ضرورة مدقعة! فلا تحصر حجج الرسالة الإلهية بآياتهم المنفصلة عنهم كإحياء الموتى واليد البيضاء أمّاذا؟ فالرسل آيات الهية في ذوات أنفسهم قبل آياتهم، تتمثل فيهم التربية الرسالية، كما أفصح عن أهمها رجل من أقصى المدينة «اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً وَ هُمْ مُهْتَدُونَ» فهم يملكون ما يملكه الرسل في دعواتهم بموادها، بصورتها و سيرتها، ثم وقد يتزودون بآيات منفصلات إتماما للحجة وإيضاحا للمحجة: «وَ ما عَلَيْنا إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ» بلاغ يبين نفسه أنه رسالي إلهي، ويبين ما يخفى على المرسل إليهم من سبل إلى اللّه، وكمال الإبانة في بلاغهم ياتي بآيات بعد آيات أنفسهم، فالآية الكائنة معهم أينما كانوا هي آيتهم «رَبُّنا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ» والآية التي عليهم لإبانة البلاغ هي المنفصلة عن ذوات نفوسهم، وقد قضوا ما عليهم بطبيعة الحال، ولا سيما أمام هؤلاء الناكرين الألداء! ومن ثم ف «رَبُّنا يَعْلَمُ ...» توجيه إلى قضية الربوبية الرحيمية، أنها

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 439

ليست على سواء بالنسبة للمربوبين، فلكلّ حسب فاعلياته وقابلياته، كل حسب «حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ» (6: 124) كما «اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا وَ مِنَ النَّاسِ» (22: 75).

ف «رَبُّنا يَعْلَمُ ...» هدم لصرح الاستحالة في رسالة البشر وإنزال الوحي عليه، ثم تبنّ لصرح الرسالة بآياتها الذاتية المشاهدة في المرسلين، ومن ثم آيات منفصلة تؤيدهااللّه من وراء القصد.

هذان شرطان أصيلان يتبنّيان الرسالة الإلهية: أن يحملوا معالم التربية الإلهية الرسالية، أن يبلغوها البلاغ المبين: «وَ ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ» (24: 54).

هناك اندحضت حجة الناكرين فتحوّلوا إلى هراء في عراء عن شاكلة الحجة وإن بصورتها، قوله ناكبة ماردة لكل عاجز عن الحجة، حاجز عن المحجة، حيث تتهددهم بالرجم:

قالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَ لَيمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ (18).

التطيّر هو التشام، فلما نكب أهل القرية في جواب الرسل عن تكذيبهم توصلوا إلى شطحات القيلات: «إِنَّا تَطَيَّرْنا بِكُمْ» والتهديد بأشد العذاب: «لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ» سائر العذاب: «وَ لَيمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ» وهكذا يسفر الباطل عن غشمه، و يطلق على الهداة تهديده وعربدته في التعبير والتفكير.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 440

قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَ إِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (19).

و لؤم، كالقبيح الدميم الناظر الى المرآة متطيرا بها قباحته ودمامته، وطائره معه لا سواه.

«أئن ذكرتم» بما يصلحكم فأنتم تتطيرون بنا، كلّا لا طائر معنا «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ» في الزور والغرور.

ليس هناك شؤم في زمان أو مكان أم ايّ كان لكي يأتي الإنسان من غيره، دونما شؤم في نفسه، رغم ما يتشأمه الشائمون حيث يتطيرون بأشياء أو أشخاص، وقد يسرفون في ذلك تطيرا بالصالحين المصلحين، خرافة جازفة جارفة لا تستقيم على أصل عقلي او علمي، إلّا أساطير الأولين.

و هكذا يكون دور القلوب المقلوبة المعقولة بعقالات الجاهليات، والحق الحقيق بالاتباع «أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى‏» وأن «طائِرُكُمْ مَعَكُمْ» وكل إنسان يعمل على شاكلته، فلا يصيبه شر إلّا من نفسه أو من هو كنفسه، فطائر كلّ معه وهو عند اللّه، يصيبه به جزاء وفاقا: «فَإِذا جاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قالُوا لَنا هذِهِ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسى‏ وَ مَنْ مَعَهُ أَلا إِنَّما طائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ» (7: 131) (وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى‏ ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذا هُمْ فَرِيقانِ يَخْتَصِمُونَ. قالَ يا قَوْمِ لِمَ‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 441

تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْ لا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. قالُوا اطَّيَّرْنا بِكَ وَ بِمَنْ مَعَكَ قالَ طائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ» (27:) 47) ذلك وعلى حدّ

المروي عن الرسول صلى الله عليه و آله: لا عدوى ولا طيرة ولا شؤم‏ «1» و «الطيرة على ما تجعلها إن هونتها تهونت وإن شددتها تشددت وان لم تجعلها شيئا لم يكن شيئا» «2» إذ ف «طائِرُكُمْ مَعَكُمْ» و «كفارة الطيرة التوكل» «3».

كل ذلك إذ لا أصالة للطيرة، إلّا أن تشدد تخيّلها فتشدد عليك، أم تتكل على اللّه فلا تجعلها شيئا.

ثم وذلك التعزيز بثالث لم يفدهم إلّا إتمام الحجاج، ومن ثم منهم تمام اللجاج، فقدتمّ دور الرسالة ببلاغها المبين، ثم يأتي دور من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب، دون اختصاص بإيمانهم الشخصي بل ومناصرة الرسل المكذبين، ولم يكن في البلدة كلها إلّا رجل من أقصاها:

وَ جاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعى‏ قالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20).

و رجل من أقصى المدينة هو رجل الضاحية، متحررا عن أغلال المدينة بأوساطها،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 4: 382 ج 35 في روضة الكافي قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): ..

(2). نور الثقلين 4: 382 ج 33 في روضة الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام: ...

(3). المصدر عنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله:

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 442

متحللا عن أوزارها وأوضارها، خالصا في إيمانه، ساعيا في إتيانه، وكما «جاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعى‏ قالَ يا مُوسى‏ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ» (28:) 20).

و هكذا تكون الرجولة البطولة للصالحين الصامدين من المؤمنين أنهم يعيشون نصرة الرسالات والمرسلين، بكل ما لديهم من طاقات وإمكانيات، دونما نظرة لجموع محتشدة ينضمون إليهم، فالقيام للّه مثنى وفرادى: «قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنى‏ وَ فُرادى‏ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ» (34: 46) (وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَ قَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَ إِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَ إِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ» (40:) 28).

و في مجي‏ء رجل من أقصى المدينة دلالة أن بلاغ الرسل بلغ من أقصاها إلى أقصاها، فقد ملئت ببلاغهم المبين لحد يجذب لمناصرتهم رجلا من أقصاها، مليئا من دعوة الرسالة أقصاها، متخطيا في مجيئه هذا أقساها قلبا وأدناها.

و لا مهمة في أن نعرف اسمه وشغله، فليس الأشخاص والأشغال والشخصيات بالتي تخلق الرجولات وإنما هو الإيمان الصارم الصامد أينما حل، في وسط المدينة أم قصيّها أو

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 443

أقصاها، فلا يهمنا أنه حبيب البخار أو الحراث أو القصار أم رجل الغار «1»، حيث القصص القرآنية هي نخبة تقص عن تاريخ الماضين، فيها عبرة لأولى الألباب.

«رَجُلٌ يَسْعى‏» في مجيئه وفي مناصرته المرسلين وفي كلما تتطلّبه من سعي.

قالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20) اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً وَ هُمْ مُهْتَدُونَ (21).

فالاهتداء الرباني فيهم ظاهرة الملامح وكما استدلوا به في حجاجهم على هؤلاء المكذبين، و هذه سنة دائبة للمرسلين، كما وأن عدم سؤال الأجر سنة لهم ثانية وبذلك لهم إمكانية البلاغ المبين، فالسائل اجرا في بلاغة يحدّده بحدود أجره، ويراعي فيه طلبات المرسل إليهم، والذي لا يسأل اجرا وهو ضال، شيطان يرائي، والمهتدي الذي قد ينحو نحو ضلال قاصرا أو مقصرا لا يهدي إلى الحق الصراح: «أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدى‏ فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ»؟ واما من لا يسأل أجرا وهم‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). في الدر المنثور 5: 261-/ عن قتادة قال بلغني انه رجل كان يعبد اللّه في غار، وعن عمر بن‏الحكم قال بلغنا انه كان قصارا، وعن ابن جريح كان حراثا، وفي نور الثقلين 4: 384 ج 41 في امالي الصدوق باسناده الى عبد الرحمن بن أبي ليلى رفعه قال قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه‏آله و سلم) الصديقون ثلاثة حبيب النجار مؤمن آل ياسين وحزقيل مؤمن آل فرعون وعلي بن أبي طالب عليه السلام وهو أفضلهم.

و في الدر المنثور 5: 262-/ اخرج ابو داود وابو نعيم وابن عساكر عن أبي ليلى عنه صلى الله عليه و آله مثله سواء، واخرج البخاري في تاريخه عن ابن عباس مثله الا في «أفضلهم» واخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه و آله قال: السبق ثلاثة فالسابق الى موسى يوشع بن نون والسابق الى عيسى صاحب يس والسابق الى محمد صلى الله عليه و آله علي بن أبي طالب‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 444

مهتدون، فهم الهادون الذين يجب إتباعهم، فإن لهم البلاغ المبين دون أي‏خفاء في أصله وفرعه، في صورته وسيرته، كالنار على المنار والشمس في رايعة النهار، تجب متابعتهم دون قيدلا شرط لمكان العصمة والهداية المطلقة كالرسل والأئمة، وأما سائر العلماء الربانيين، فاتباعهم لغير العلماء محدود بحدود الهدى والمصلحة، حيث يسقط واجب اتباعهم‏ولايتهم عند الاخطاء قاصرين أو مقصرين، وبأحرى ليس الفقيه وليا على فقيه آخر إلّا عمليا في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر «1» وكما للمؤمنين ككل بعض البعض «الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» (9: 71).

و ان تعجب فعجب من هؤلاء الذين يدفعون أجرا ويضلون، ثم من يضلون دون أجر، من ثم يهتدون بأجر، فما الهدى الصالحة إلّا هدى مطلقة دون أجر، ماديا أو معنويا «لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَ لا شُكُوراً» بل وحتى إن هتكوهم وضربوهم فأحرجوهم‏أخرجوهم، ليسوا هم بتاركي دعوة الحق، مما يدل على صدقهم القاطع، فلا مال هنالك ولا منال، إلّا حرمانا عن زهرة الحياة، ومهاجرة دائبة في سبيل الدعوة، كما نراها في كل داعية رسالية! «اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً وَ هُمْ مُهْتَدُونَ» وحتى إذا لم‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع سورة الأحزاب‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 445

يحملوا آيات الرسالة ومعجزاتها، كما وهو السنة المتبعة في التقاليد الحقة الحرة لكل جاهل عن عالم، كيف وهم أولاء الرسل يحملون آيات الرسالات في ذوات نفوسهم‏ذوات ألسنتهم وأيديهم وكما برهنوا بها «رَبُّنا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ».

«ليس الأنبياء عملا ولا عمالا إلا لرب العالمين» (26: 109) (إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَ فَلا تَعْقِلُونَ» (11: 51) (إِنْ أَجرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَ ما أَنَا بِطارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا» (11: 29).

فمن لا يسأل على رسالته-/ على صعوباتها-/ أجرا وهم مهتدون، وليست لهم رباط إلّا باللّه، إذا فأجرهم على اللّه، وكما رسالتهم من اللّه، ولا مغالاة لهم في سؤال الأجر وفي الدلالة، فالمقتضي لاتباعهم-/ وهو الاهتداء بهم موجود، والمانع وهو الضلال أو الأجر مفقود.

فإنهم ليسوا ليطلبوا أو يأخذوا من دنياكم شيئا بديل الدعوة حتى تخسروا منها باتباعهم، وإنما يدلونكم إلى الهدى، فلكم في اتباعهم خير الآخرة والأولى، وفي تركه، هم-/ لأقل تقدير-/ لا يخسرون وأنتم وهنا انتقال من حجة الرسالة الى تجاوبها مع الفطرة: «و مالي»؟ فما هو بالي ووبالي أن اعبد من دون اللّه-/ الذي فطرني-/ من هو مثلي أو دوني أو من هو فوقي و «لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي» وفطرهم، فما أشنعه ظلما بالحق أن‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 446

أترك عبادة فاطري إلى عبادة المفطورين مثلي، أو اشركهم في عبادته «وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» دون الذين به تشركون ف «إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ».

فمالي، مالي أنجرف هكذا الى شفا جرف هار، ولا تجاوبه الفطرة ولا العقل ولا دعوات الرسل؟

و هنا «مالي» واجهتان أولاهما سئوال الرجل عن نفسه، والأخرى سؤال كل ذي فطرة عن فطرته، «وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» يتبنّى الثانية كحجة على الكل، فلأن رجوعهم إلى الذي فطرهم لا سواه، فليعبدوه لا سواه، و «فطرني» تعني فطر الخلق، وخلقهم على فطرة التوحيد، فخالقيته لا سواه، ثم فطرة التوحيد، ومن ثم الرجوع إلى الفاطر لا سواه أدلة ثلاثة على وجوب عبادة اللّه لا سواه.

أَ أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً وَ لا يُنْقِذُونِ (23).

و هذه حجة رابعة للتوحيد تعني الواجهة السلبية «إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمنُ بِضُرٍّ» هنا أو في الأخرى «لا تُغْنِ عَنِّي شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً» أن يشفعوا لي عند اللّه زعم التوهم الهراء:

«هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ» ثم «و لا ينقذون» من ضر الرحمن مستقلين في إغنائهم عني، فلا هم مستقلون في دفع الضر عني، ولا هم شركاء شفعاء، فما تفيدني إذا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 447

عبادتهم، ترفضها قبل ذلك الحجج الثلاث وتمجّها مجّا! إِنِّي إِذاً لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ (24) ضلال يبين نفسه أنه ضلال، دونما حاجة إلى اختلاق حجة وتكلّف برهان، حيث الفطرة تجاوب حق التوحيد.

يوم يجمع الله الرسل‏

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ما ذا أُجِبْتُمْ قالُوا لا عِلْمَ لَنا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (109):

هنا يسأل المرسلون «ما ذا أُجِبْتُمْ» وفي أخرى يسأل المرسل إليهم ماذا أجبتم المرسلين: «وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ ما ذا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ. فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْباءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَساءَلُونَ. فَأَمَّا مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً: «فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ. فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَ ما كُنَّا غائِبِينَ» (7: 7).

فسؤال المرسل إليهم سؤال استفهام استفحام عمن خالف الرسل، واستعظام لمن اتبعهم، و سؤال المرسلين هو سؤال إعلام وتعظيم، فهنا «لا عِلْمَ لَنا» لهم جواب، ولأنهم لم يقصروا في رسالاتهم فليس لهم تباب وعتاب.

و هنا في استجواب الرسل نجد الجواب «لا عِلْمَ لَنا» وهم عارفون الجواب حيث‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 448

واجهوا مصدقين ومكذبين؟ ثم اللَّه أشهدهم على ما هم غائبون ليشهدوا يوم يقوم الأشهاد، فقد يعنون تخضعا أمام اللَّه حيث لا يسألهم استعلاما ف «إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ» أم‏يعنون «لا عِلْمَ لَنا» كما يحق حيطة على كل ما أجبنا، فقد أجبنا أمام من واجهناهم كما «وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ما دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَ أَنْتَ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ شَهِيدٌ» (117) فالمنفي من العلم هو علم الغيوب «إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ».

و لأن العلم بالإجابة كأصل، الغائبة عنهم أحياء وأمواتا، ذلك مسلوب عنهم مهما علموا أقوالهم واعمالهم بما عرفهم اللَّه كما تدل آيات شهادة الرسل على الأعمال، ف «لا عِلْمَ لَنا» صادقة أولا وأخيرا، فأولا وقبل أن يعرّفهم اللَّه لا علم لهم إلّا ما واجهوه، أخيرا بعد ما عرفهم اللَّه لا علم لهم محيطا كما يعلم اللَّه، ثم وقضية الأدب الرسالي، هي الاعتراف بالجهل أمام الرب تبارك وتعالى.

و من جهة ثالثة بما أن العلم بغيب النيات والطويات خاص باللَّه ف «إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ» وليس العلم بالمظاهر-/ مهما حلق على كلها بإذن اللَّه-/ ليس علما أمام العلم بالغيوب، إذا «لا عِلْمَ لَنا» كما يكفي «إِنَّكَ أَنْتَ» فشهداء الأعمال لا يشهدون إلّا بمظاهرها الحاضرة لديهم أو المحضرة بإذن اللَّه عندهم، وأما النيات وسائر الطويات‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 449

فهي المختصة بعلام الغيوب، وقد يكون ذلك التعليم يوم القيامة بعد ذلك التساءل، حيث العلم الطليق يوم الدنيا لهؤلاء الشهداء هو مما يصد عنهم كل ضرّ وشرّ كما يجلب كل خير، ذلك العلم مسلوب عن الرسول صلى الله عليه و آله فضلا عمن سواه كما قال اللَّه عنه: «وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ ما مَسَّنِيَ السُّوءُ» (7: 188) فمن الغيب المستكثر للخير والصاد عن مسّ السوء هو العلم بأعمال المكلفين ككل، وبنياتهم‏طويّاتهم ما تشمله الشهادة يوم يقوم الأشهاد.

إذا فالجامع بين واقع الشهادة من الأشهاد يوم يقوم الأشهاد، وعدم علمهم بمادة الشهادة، هو ان ذلك العلم يختص بما بعد الموت وبعد ذلك التساءل، ومما يشهد له قول المسيح «وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ما دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ..» (5: 117).

ثم وهنا في «عَلَّامُ الْغُيُوبِ» لمحة إلى أن علمنا بغيب الأعمال الظاهرة حين نغيب عنها هنا أم بعد الموت، هو علم قليل بغيب مّا كما علمتنا، ولكن العلم الحق وحق العلم بكل الغيوب، إنه يختص بك.

إذا ف «لا عِلْمَ لَنا» يعني علما وافيا بما أجبنا، فالإجابات بالنيات والطويات وهي محاور الإجابات غائبة عنا لا علم لنا بها، ثم إجابات الأقوال والأعمال وهي مظاهر

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 450

الإجابات، إنها ليست بالتي تحلّق على كل المسؤول عنهم هنا «ما ذا أُجِبْتُمْ»؟.

فحين ينسى الإنسان ذاته أمام ربه فقد ينسى متعلقاته بأحرى، وما علم الرسل بما أجيبوا وسواه علما لهم ذاتيا، ولو كان لكان منسيا كما الذوات، وقد تجمع هذه الثلاث:

«لا علم لنا سواك» «1» فلولاك لما كان لنا علم، ثم ولا علم لنا أمامك، فنحن صغار صغار أمامك يا ربّ فيما أنت أعلم به منا، وأما حين تستشهدنا بما أشهدتنا من أعمال عبادك فنقيم شهادتك بإذنك «وَ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلى‏ هؤُلاءِ ..» (16: 89)، أجل فعند ذلك «طاشت الأحلام وذهلت العقول فإذا رجعت القلوب إلى أماكنها «نَزَعْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنا هاتُوا بُرْهانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ» (28: 75) «2».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1)

. نور الثقلين 1: 688 في معاني الأخبار بسند متصل عن موسى بن جعفر قال: قال الصادق عليهما السلام في هذه الآية: «يقولون لا علم لنا سواك»

(2). في الدر المنثور 2: 242-/ اخرج الخطيب في تاريخه عن عطاء بن أبي رباح قال جاء نافع بن الأزرق الى ابن عباس فقال: والذي نفسي بيده لتفسرن لي آياً من كتاب اللَّه عزّ وجلّ أو لأكفرن به فقال ابن عباس ويحك أنا لها اليوم أيّ؟ قال: اخبرني عن قوله عزّ وجل: يوم يجمع اللَّه الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا، وقال في آية اخرى: ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق للَّه، فكيف علموا وقد قالوا: لا علم لنا-/ الى قوله-/: فقال ابن عباس ثكلتك أمك يا ابن الأزرق ان للقيامة أحوالا وأهوالا وفظائع وزلازل فإذا تشققت السماوات‏تناثرت النجوم وذهب ضوء الشمس والقمر وذهلت الأمهات عن الأولاد وقذفت الحوامل ما في البطون وسبحرت البحار ودكدكت الجبال ولم يلتفت والد إلى ولد ولا ولد الى والد جي‏ء بالجنة تلوح فيها قباب الدر والياقوت حتى تنصب على يمين العرش ثم جي‏ء بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام من حديد ممسك بكل زمام سبعون الف ملك لها عينان زرقاوان تجر الشفة السفلى أربعين عاما تخطر كما يخطر الفحل ولو تركت لأتت على كل مؤمن وكافر ثم يؤتى بها حتى تنصب عن يسار العرش فتستأذن ربها في السجود فيأذن لها فتحمده بمحامد لم يسمع الخلائق بمثلها تقول لك الحمد يا إلهي إذ جعلتني انتقم من أعدائك-/ الى قوله-/ ويعلو سواد العيون بياضها ينادي كل آدمي يومئذ يا رب نفسي نفسي لا أسألك غيرها حتى ان ابراهيم ليتعلق بساق العرش ينادي يا رب نفسي نفسي لا أسألك غيرها ونبيكم صلى الله عليه و آله يقول: يا رب امتي امتي لا همة له غيركم فعند ذلك يدعى بالأنبياء والرسل فيقال لهم: ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا طاشت ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 451

فيا للهول من ذلك الاستجواب الرهيب العجيب الذي يذهل الرسل ما كانوا يعلمون بما علّموا، فإنه يوم الحشر العظيم والحشر العميم من الملإ الأعلى والأدنى والمتوسطين من الملائكة والجنة والناس أجمعين، الاستجواب الذي يراد به المواجهة، مواجهة المرسل إليهم أجمعين برسلهم أجمعين، مواجهة المصدقين منهم والمكذبين ليعلن في موقف الإعلان أن هؤلاء الرسل الكرام إنما جاءوا من عند اللَّه العزيز الحكيم، وها هم أولاء مسئولون بين يدي رب العالمين في ذلك اليوم العظيم.

فالرسل-/ إذا-/ يعلنون أن العلم الحق وحق العلم هو للَّه وحده لا شريك له، وان ما لديهم من علم لا ينبغي أن يدلّوا به بحضرة صاحب العلم المحيط، بل وهم عما عندهم ذاهلون، تحويلا للشهادة بأسرها إلى رب العالمين، وحين يأتي موقفها فهو الآمر لإقامة الشهادة «يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهادُ» حين «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ» وهكذا يكون أدب‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 452

المتعلم أمام المعلم أن يكل العلم إليه مهما علم ما علّمه.

فكما أنه هو الذي يفتح مغاليق الشهادة الأرضية بأجواءها، وشهادة الأبدان بأعضائها، كذلك هو الذي يفتح مغاليق ألسنة سائر الشاهدين من المرسلين والكرام الكاتبين فيغرق المكلفون في خضمّ الشهادات أمام رب العالمين.

ذلك، ولأن المسيح بن مريم عليهما السلام هو الذي فتن قومه فيه، وهو الذي غام الجو حوله بمختلف الشبهات ومختلقها فخاض أناس في أوهام وأساطير حول كونه وكيانه، لذلك هنا يختصه الخطاب كنموذج من ذلك الاستجواب على ملأ الحشر ممن ألّهوه‏عبدوه من دون اللَّه، ومن ألهوه وألغوه من درجات الصالحين، ومن هم عوان حيث آمنوا به رسولا، وأمام سائر المرسلين والمكلفين.

و حصالة البحث حول الآية أن ضرورة تلقي شهود الأعمال أعمال المكلفين ليست إلّا قبل إلقاءها، دون ما قبله برزخا فضلا عما قبله في حياة التكليف.

إذا ف «لا عِلْمَ لَنا» بغيب الأعمال التي ما شهدناها «إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ» قد تعني-/ فيما عنت-/ أننا لا نعلم غيب أعمال المرسل إليهم، التي ما شهدناها، إلّا أن تعلمنا إياها ولمّا، ثم اللَّه أعلمهم فاستشهدهم حيث «نَزَعْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنا هاتُوا بُرْهانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ» (28: 75).

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 453

و لو أن شهداء الأعمال كانوا يعلمونها ككل يوم الدنيا لاستكثروا من الخير وما مسهم السوء كما يقول اللَّه تعالى عن الرسول صلى الله عليه و آله: «لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ ما مَسَّنِيَ السُّوءُ» (7: 188).

و كيف يعلم كل الأعمال وهو لا يعرف المنافقين إلّا فيما قد يعرّفهم اللَّه إياه: «وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ» (9: 101).

فكما قد تبرّر «لا عِلْمَ لَنا» بهول الموقف المذهل، وأدب الحضور، كذلك يبرر أنهم لمّا يعلموا غيب الأعمال ثم أعلمهم اللَّه ليشهدوا.

و لماذا ذلك السؤال العضال؟ لكي نعلم أنهم على محتدتهم الرسالي ليسوا على شي‏ء أمام اللَّه، وأن هول الموقف يذهلهم كما يذهل الآخرين:

أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَ تَرَى النَّاسَ سُكارى‏ وَ ما هُمْ بِسُكارى‏ وَ لكِنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ» (22: 1).

إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَ عَلى‏ والِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا وَ إِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَ تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتى‏ بِإِذْنِي وَ إِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّناتِ‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 454

فَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (110):

هنا «إِذْ قالَ اللَّهُ» بصيغة المضي دليل أن ذلك السؤال كان في حياته أو بعد رفعه وإن كان قد تشمل بعد موته ويوم القيامة مضيا للمستقبل قضية تحقق الوقوع كأنه مضى وقد مضى، فقد يصدق المروي عن النبي صلى الله عليه و آله: «إذا كان يوم القيامة دعي بالأنبياء وأممها ثم يدعى بعيسى فيذكره الله نعمته عليه فيقر بها ..» «1» ثم «فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ..» في استجواب آخر تؤكد أن هذه الاستجوابات كلها بعد رفعه، ثم بعد موته، ومن ثم يوم القيامة، مواقف ثلاثة قد تعنيها كلها «إِذْ قالَ اللَّهُ» بمرّيتها ف «إن الله إذا علم أن شيئا كائن أخبر عنه خبر ما قد كان» «2» وهنا وفي آيات بعدها يعدّ اللَّه تعالى على المسيح ابن مريم عليهما السلام خمسا أصيلة من نعمه، عليها أم عليه، تذكيرا بعظيم مننه تعالى عليه في هذه الإذاعة القرآنية وليذكر أولوا الألباب فلا يقولوا: إنه اللَّه أو ابن اللَّه.

1-/ (اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَ عَلى‏ والِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 2: 346-/ اخرج ابن أبي حاتم وابن عساكر وابن مردويه عن أبي موسى الأشعري‏قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: ... يقول يا عيسى ابن مريم: اذكر نعمتي ..

ثم يقول: أأنت قلت للناس .. فينكر ان يكون قال ذلك فيؤتي بالنصارى فيسألون فيقولون نعم هو أمرنا بذلك ... فيجاءبهم بين يدي اللَّه الف عام حتى يوقع عليهم الحجة ويرفع لهم الصليب‏ينطلق بهم الى النار

(2). نور الثقلين 1: 692 في تفسير العياشي عن أبي جعفر عليهما السلام ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 455

وَ كَهْلًا» فقد كانت نعمة تكلّمه في المهد تبرءة لهما فهي نعمة عليهما، ثم نعمة تكلمه كهلا برسالة الوحي تحقيقا حقيقا باللَّه لهما إذ أكد براءته وأمه مما قيل عليهما، وأكد بركتهما في هذه الرسالة السامية، فتكلم المسيح عليه السلام في المهد عنى واقعا هو براءتهما، ومستقبلا هو رسالته، فلم يكن وقتئذ نبيا، ومما يبرهنه «و كهلا» بعد «مهدا» حيث الفاصل بينهما خلو عن ذلك التكلم الرسولي، فتكلمه في المهد كان رساليا في بعديه وهو «كهلا» كان رسوليا بكل الأبعاد، ثم لا بعد رساليا ولا رسوليا لتكلمه بين «مهدا وكهلا»، ومما تشهد له النعمة التالية:

2-/ (وَ إِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ» إذا فما كان معلّما رسوليا هذه الأربع وهو في المهد، فإنما علمها «كهلا» رسولا برسالة الوحي.

و هنا «الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ» قبل «التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ» علّة من ذكر العام قبل الخاص، حيث التوراة والإنجيل هما كتابان حكيمان، فقد علم قبلهما أو معهما كل كتاب وحكمة بالوحي، تحليقا لوحيه الرسالي على كل كتابات الوحي من ذي قبل وكل الحكم المطوية فيها.

و لأن تعليم هذه الأربع-/ وهو رسالته جمعاء-/ لا يكفي دليلا عليها عند الناس فإلى نعمة ثالثة هي آيته الرسولية بعد الرسالية المعطاة إياه:

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 456

3-/ (وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ... وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتى‏ بِإِذْنِي» وهذه ذكرى شاملة لعديد آياته ومديدها، تبيينا أنها كلها بإذن اللَّه، فلم يكن منه إلّا صنعة ونفخة ولكن الخلق إنما هو «بإذني» إذنا غير مخول إلى المسيح عليه السلام حتى يكون هو الخالق وكيلا أو بديلا، فلم يأذن اللَّه له في الخلق والإحياء أمّا أشبه من آية، فإنما فعله في حقل الآيات-/ فقط-/ تخلق، دون تخليق، وتحيى دون إحياء، وتبرئ دون إبراء، فالجانب المسيح عليه السلام.

ذلك، ف «تخلق» ك «تخرج وتبرئ» لا تعني أن حقيقة هذه الأعمال هي له، فإن «بإذني» تحولها عن ظاهر فعله إلى واقع فعل اللَّه.

و لا يعني الإذن تخويلا أو تحويلا أم توكيلا له في هذه الآيات الرسولية، وإنما يعني قرنا لإذنه تكوينا مع هذه المحاولات المأذونة تكليفا، ف «هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ» (35:

3)؟ (قُلِ اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْ‏ءٍ» (6: 102).

ذلك، وتكرار «بإذني» مرات أربع في هذه الآيات الرسولية الأربع، دون أن تذكر مرة واحدة بعدها أجمع، إنه تكرار قاصد إلى تزييف القول:

أنه أعطي الإذن علما وقدرة ثم حققه تدريجيا عند كل آية.

كلّا! فكما أنه لم يكن خالقا بنفسه، كذلك لم يكن خالقا بالإذن المخول تكوينا إليه، فإنما كان اللَّه هو الذي يأذن في تحقيق كل آية آية، لا أنه يأذن له في تحقيق أية آية، ولأن الآية

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 457

الربانية ليست إلّا بعلم طليق وقدرة طليقة هما من اختصاصات الربوبية، فلا تنتقل إلى أيّ من المربوبين كما لا تنتقل ذاته إلى ذواتهم ولا صفاته إلى صفاتهم فإنه «باين عن خلقه وخلقه باين عنه»!.

و في نظرة عميقة هنا يقتسم كيان الخلق للطير اقتساما بينا بين المسيح المأذون وبين اللَّه الخالق، فللمسيح «تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي» فلم يكن مخلوقة بالأذن الأول هو خلق الطير حتى في جسمها، وانما ذلك الخلق تقدمة لما يأذن اللَّه في خلق الطير، فالإذن الأول تكليفي بسماح ذلك الخلق أمرا من عنده تعالى لما يرومه من خلق الطير.

و عملية ثانية هي كالأولى في عدم كونها من الخلق «فَتَنْفُخُ فِيها» كمرحلة ثانية منه تحضيرا للتكوين الرباني «فَتُكَوِّنُ طَيْراً بِإِذْنِي» والإذن هنا ذو بعدين، فالأول كالأول في تشريعية الإذن، فلو لم يأذن اللَّه له أولا وثانيا لم يكن له ما فعله لغاية التكوين الرباني، و أما الثاني فهو تكوين الطير جسميا وروحيا ومما صنعه بإذن اللَّه كهيئة الطير ونفخ فيه، فالنص هنا «فَتَكُونُ طَيْراً» لا «فَتَكُونُ طَيْراً» فذلك الإذن التكويني موجّه إلى مصنوع المسيح المنفوخ فيه وليس إلى المسيح الصانع النافخ.

و ليس «فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي» إلّا، ك «إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْ‏ءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 458

فَيَكُونُ» حيث المتعلّق للإذن هو متعلق التكوين دون وسيط، بفارق أن سائر تكوينه تعالى هو خالص التكوين، وهذا تكوين كحجة على رسالة المسيح حيث كوّن طيرا بإذنه قرنا ل «تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي».

و صيغة الخلق هنا بالنسبة للمسيح-/ ولا خالق إلّا اللَّه-/ إنما تعني أنه صنع بإذن اللَّه ما هو مادة لخلق اللَّه دون سائر الصانعين لتماثيل حيث لا يخلقها اللَّه حيوانا أو إنسانا، إذا فبين صنع الإنسان وخلق اللَّه تعالى عموم من وجه ومادة الاجتماع هي الآيات الرسولية التي فيها محاولات للرسول قرنَ فعل اللَّه، ثم الإفتراق هو في خلق اللَّه دون آية، وصنع غير اللَّه دون قرْن لخلق الآية الربانية.

ذلك، والإذن التكويني لا يتعلق بطبيعة الحال إلّا بمادة الخلق «فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي» دون وسيطه المسيح وإلّا لكان «فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي».

يعبر عنها بالإذن مهما كان «فتكوّن» بديلة عن «فتكون» بل هو عبارة أخرى ك «فتخلق طيرا بقوتي التي أعطيتك» وما أشبه.

و لو كان المسيح هنا هو الخالق المخوّل والموكل بذلك الخلق لما صح طائل التعبير هكذا، فإنما العبارة الصالحة الناصحة عنه «و إذ تخلق من الطين طيرا بقوتي».

و هكذا تعني «و تبرئ الأكمه والأبرص باذني» فإشارة الإبراء وإرادته الظاهرة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 459

منه، اذن التكوين منه تعالى، وكذلك «وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتى‏ بِإِذْنِي» إخراجا عن أجداثهم بإذن السماح التكليف، وإخراجا عن الموت إلى الحياة بالإذن التكوين، فالأذن الأول موجه إلى المسيح نفسه والثاني موجه إلى الموتى المخرجين.

ذلك، وعبارة أخرى عن فعلة المسيح واذن اللَّه: «أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْيِ الْمَوْتى‏ بِإِذْنِ اللَّهِ» (3: 49).

فإن بإذن اللَّه في خلق الطير ذو قواعد ثلاث:-/ أخلق-/ فأنفخ .. وأبرنى.

فيكون طيرا، وكله «بِإِذْنِ اللَّهِ» مهما اختلف الإذن في «فيكون» عنه في الأولين تكوينا وتشريعا.

و في تذكير الضمير هناك: «فِيهِ-/ فَيَكُونُ» وتأنيثه هنا «فِيها-/ فَتَكُونُ» لمحة باهرة أن المنفوخ فيه لم يكن إلّا «الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ» فقد ذكّر الضمير اعتبارا بالطين وأنث اعتبارا بهيئة الطير، فلا عاذرة للمتشبثين بمثل هذه الآية في تخيل الولاية التكوينية لغير اللَّه أيا كانوا.

و لأن تكملة الرسالة وتحقيقها كما يريد اللَّه ليست إلّا بالكف عمن ينقصها أو ينقضها فإلى نعمة رابعة:

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 460

«مِنْهُمْ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ» فقد كفهم عن تغلّب حجاجهم عليه، وأخيرا لما أرادوا صلبه كفهم عن صلبه ف «ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ».

ثم «الأكمه» هو من ولد أعمى، كما الأعمى من ولد بصيرا ثم عمي، و «الأبرص» من به برص خلقيا، ولا يقدر على تغيير الأصل إلّا من خلق الأصل.

و من ثم «إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتى‏ بِإِذْنِي» فالإخراج له نسبة إليك دعاءً وإشارة، ثم النسبة الأصيلة إلى اللَّه حيث تخرج الموتى بإذني دون إذنك وحولك وقوتك، والإخراج بديل الإحياء، حيث يدل على إخراجهم من قبورهم، للتدليل على ثابت الموت دون ظاهره، فإن غير المقبور، الساكن الحس، قد لا يكون ميّتا في الواقع.

و هنا الإذن التكويني متعلق ب «فَتَكُونُ طَيْراً» حيث تتكون طيرا بإذن اللَّه، فلم يقل «فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي» حتى يكون الإذن موجها إليه في ذلك التكوين، إذا فالأذن هنا ك «كن» في سائر التكوين «أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ».

فإنما المحور في هذه الأربع وغيرها من آيات اللَّه البينات رسولية ورسالية، هو إذن اللَّه تكوينا لها قرينا بظاهر المحاولة في إبرازها، فلا فارق بين محاولات الرسل في إظهار الآيات وبين سائر المحاولات إلّا أن اللَّه يأذن تكوينا عند محاولات الرسل تدليلا على اختصاصهم باللَّه وصدقهم في رسالة الوحي، ولا يأذن عند ما سواها من محاولات فإنه‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 461

تضليل، فقد يأذن في محاولات لإبراز آيات، ثم يأذن عندها بتحقيقها، والرسل إنما هم في ذلك الحقل بين إذنين اثنين: تكليفا في الأوّل وتحقيقا منه في الثاني، ف «تخلق» تسوية للطين على شاكلة الطير، ثم تحولا له إلى الطير، كلاهما «بإذني» ثم «فَتَنْفُخُ فِيها-/ فَتَكُونُ طَيْراً» كلاهما «بإذني» فكما لم يكن واقع هذه الخوارق إلّا بإذن تكويني من اللَّه، كذلك لم تكن المحاولات المناسبة لها إلّا بإذن تكليفي من اللَّه، فليس اللَّه ليأذن في حقل الآيات تحقيقا إلّا بعد ما يأذن لمحاولة الرسل كما يحق.

فلو صنع المسيح ألف صنعة، أم نفخ ألف نفخة في آلافات من السنين، لم يكن اللَّه ليأذن في تحقق هذه المحاولات ما لم يأذن بها من ذي قبل ف «إِنَّمَا الآْياتُ عِنْدَ اللَّهِ» و «أَنَّما أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ» فالقدرة والعلم الناتجة عنها الآيات يختصان باللَّه دون سواه.

«ذلكم» العظيم العظيم «اللَّهُ رَبُّكُمْ» جميعا دون أن يكون له شريك أو أن يتخذ شريكا أو ولدا «لا إِلهَ إِلَّا هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيْ‏ءٍ» من عابدين ومعبودين «وَ هُوَ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ وَكِيلٌ» فليس له أي‏وكيل أو بديل، بل هو الذي يكل أمر كلّ عليل وكليل.

و لأن الوكالة الربانية هي ولايته الطليقة لخلقه تدبيرا لما هم عنه عاجزون، فلا تدخل هذه الوكالة في حقل التوكيل، فالوكالة الخلقية أحيانا بحاجة إلى توكيل وأخرى لا تحتاج لأنها ولاية لا تحتاج إلى جعل من المولّى عليه، واللّه وكيل لمن توكلّ عليه أم لم‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 462

يتوكلّ.

ذلك وإن تفرّد اللّه تعالى بالخلق يفرده سبحانه بالملك، والمتفرد بهما يتفرد في كافة شؤون الربوبية ومن أبرزها المعبودية وتقدير العباد.

ف «خالِقُ كُلِّ شَيْ‏ءٍ» برهان حاسم لكونه إله كلّ شي‏ء ومقدّره ورازقه ومدبّره، ولأنه إله كلّ شي‏ء وخالق كلّ شي‏ء، «فاعبده» لا سواه، ولأنه «عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ وَكِيلٌ» فليس له وكيل في ألوهيته أو ربوبيته حتى يصلح للعبادة والتدبير بديلا عن اللّه أو وكيلا عنه فضلا عن مثيل.

و خالقيته تعالى لكلّ شي‏ء أصل قرآني علمي عقلي فطري. ف «قُلِ اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْ‏ءٍ وَ هُوَ الْواحِدُ الْقَهَّارُ» (13: 16) ف «هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ» (35: 3) (اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْ‏ءٍ وَ هُوَ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ وَكِيلٌ» (39: 62) (ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَيْ‏ءٍ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ» (40: 62).

المصلحية، فالقصد من «كلّ شي‏ء» هو الممكن في حكمة الخلق ومصلحيته.

أجل «كلّ شي‏ء» بصورة طليقة تشمل غير الممكن مصلحيا، ولكنها في حقل فعلية الخلق، المشروطة بالمصلحة الخلقية، تتقيد بكونها شيئا يصلح للتكوين.

و لأن من «شي‏ء» الأرواح كلها فلا يصح القول أن هناك عالم الخلق الخاص بخلق‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 463

الماديات وعالم الأمر الخاص بالمجردات سنادا إلى «أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ» حيث الأمر هنا هو أمر تدبير الخلق، ولغة الأمر لا تناسب-/ فقط-/ إيجاد المجردات، بل هو في حقل الإيجاد يعني طليق الإيجاد:

«إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْ‏ءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» فإن «لشي‏ء» تعم كلّ شي‏ء.

ذلك، وفي الأصل لا مجرد في الكون إلّا اللّه فكيف يعني الأمر إيجاد المجردات، فعالم التكوين لا يخلو من مادة أو طاقة مادية، وكلّ وليدة الأخرى، حيث المادة تتبدل بانبثاقها إلى طاقة، والطاقة بتكثفها وتعقّدها تتبدل إلى مادة، والأصل الأصيل لهما هو المادة الأولية المخلوقة قبل كلّ شي‏ء، المخلوق منها كلّ شي‏ء.

ف «كلّ شي‏ء» تحلّق على كافة الكائنات المخلوقة بقرينة «خالق» وليس الشي‏ء الخالق مخلوقا حتى يفتّش عن خالقه، إذ ليس الشي‏ء بما هو شي‏ء بحاجة إلى خالق، إنما هو الشي‏ء المخلوق غير الأزلي، فحين يسأل: إذا كان اللّه خالق كلّ شي‏ء فمن هو الذي خلق اللّه؟ فالجواب:

ليس اللّه مخلوقا حتى يسأل عن خالقه، وليس الوجود بما أنه وجود بحاجة إلى موجد، إنما هو الوجود الحادث، ولو أن الخالق كان بحاجة إلى خالق كخلقه لاستحال‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 464

وجود كلّ شي‏ء خالقا ومخلوقا قضية التسلسل الناهي إلى شي‏ء غير مخلوق‏ «1».

و لئن سئلنا: إذا كان اللّه خالق كلّ شي‏ء كما هو قضية توحيده في الخالقية، فشي‏ء الظلم و العصيان وكلّ سوء وضرر أيا كان مشمولة ل «كلّ شي‏ء» والنتيجة براءة المتخلفين عما يعملون من سوء، ولأن أعمالهم السيئة داخلة في «كلّ شي‏ء» فهي كلها مخلوقة للّه تعالى؟ وقد صرحت آيات بأن لنا أفعالا كما نختار ومنها التالية: «قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ» (104)!.

فالجواب أولا أن «كلّ شي‏ء» هي الموضوعات الأصيلة في الخلق، دون العوارض الاختيارية لها التي هي حصيلة الإختيار، ثم الفعل يعبّر عنه بنفسه دون الخلق فمن فعل فعلا لا يقال أنه خلقه.

و ثانيا أن الإختيار شي‏ء خلقه اللّه في المختارين للاختبار، ثم تحقق الشي‏ء المختار له واجهتان، أولاهما واجهة فاعلية المختار خيرا أو شرا، وثانيتهما واجهة خلق العمل المختار، وليس اللّه ليخلق خيرا أو شرا من مثلث الأقوال والأحوال والأعمال إلّا بعد إختيار المختار، ف «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين» وليس الخالق الأصيل في هذا البين‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع الفرقان 23: 374 في ظل الآية «اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْ‏ءٍ ..» والحوار بين الإلهيين والماديين تحت عنوان «من خلق الله»؟!

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 465

إلّا اللّه، حيث خلق المختار باختياره، ثم يخلق ما يختاره دون تسيير، فأين الجبر إذا وأين كون الشرور من خلق اللّه دونما اختيار من أهله؟.

أجل، والأعمال المختارة تنتهي إلى الاختيار واللّه هو خالق المختار والاختيار، فإنما الاختيار هو للاختبار «فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ» مهما لا يحصل واقع الكفر والإيمان إلّا بمشيئة اللّه بعد إختيار المختار، مشيئة لولاها لاستحال تحقيق الإختيار في كافة الحقول.

ففي خلق الشيطان من الجان وسائر الشيطان في أنفس الجان والإنسان حكمة الاختبار في عالم التكليف الإختيار، لو لا ذلك الخلق بجنب سائر الخلق لم يكن اختبار في إختيار، وعالم التكليف هو مجموعة اختبارات في اختيارات.

و لا تعني مثل «وَ ما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» أن فعل الظلم-/ وهو من الأشياء-/ خارج عن «كلّ شي‏ء» مخلوق له تعالى، فإنما تعني سلب الإجبار والتسيير في مثل الظلم، فأما إرادة تحقق الظلم بعد كلّ المحاولات المختارة من الظالم فهي ليست من اللّه ظلما بل هي من العدل تطبيقا لواقع الإختيار في ظلمهم وعدلهم، كما وهي قضية توحيد الربوبية، فما من فعل قالا وحالا وأعمالا إلّا وللّه فيه المشيئة سلبا في سلبها وإيجابا في إيجابها، وذلك من المعني في «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين».

إذا ف «أفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين والله خلق كل شي‏ء ولا نقول‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 466

بالجبر والتفويض» «1».

ذلك! وكما نسمع اللّه تعالى يقول «يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ» و «نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ»-/ «زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ» مع «وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ» وما أشبه تدليلا على أن اللّه ليس بمنعزل فاعلية عن الخيرات والشرور، ولكنها فاعلية ربوبية غير مسيّرة، مهما كانت في الخيرات ميسّرة وفي الشرور دونها، وكما في حديث قدسي: «يا ابن آدم أنا أولى منك بحسناتك وأنت أولى مني بسيآتك».

ذلك، واستغراق كلّ شي‏ء لكلّ شي‏ء دونما استثناء هو فقط قضية

توحيده تعالى في الخالقية فالربوبية بكلّ حلقاتها، فلو تفلّت شي‏ء-/ وإن كان واحدا-/ عن هذه الخالقية الطليقة لنقصت الخالقية الموحدة وانتقضت!.

و ترى خالقيته لكلّ شي‏ء تبطل قانون العليه والمعلولية في الكائنات؟

كلّا حيث العلة التامة لا توجد في الكائنات أبدا، اللّهم إلّا مقتضيات إذا انضمت إليها إرادة اللّه تعالى تحققت وإلّا فلا تحقق كما في نار نمرود لإبراهيم الخليل عليه السلام، حيث أصبحت بردا وسلاما بأمر الجليل.

ذلك، ثم ولا منافاة بين العلل العرضية والطولية، فالعلل العرضية تعمل آثارها

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 1: 751 في عيون اخبار الرضا عليه السلام باسناده الى الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام انه قال: ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 467

بمقتضياتها وإرادة اللّه، ثم اللّه من وراء كافة العلل والمعاليل رقيب عتيد ف «ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُها» كنموذج من نماذج الإرادة الإلهية في كلّ ظروف العلية.

ففي تعطيل الإرادة الربانية تفويض، كما في تعطيل سائر العلل جبر، وفي الجمع بينهما-/ كما يناسب عدله تعالى وفضله وحكمته-/ أمر بين أمرين.

إذا فلا مخصّص عقليا أو علميا أو شرعيا ل «كلّ شي‏ء» في نطاق خلقته تعالى، وذلك قضية توحيد الربوبية في كلّ شي‏ء دون إبقاء.

ف «اعلم علمك الله الخير أن الله تبارك وتعالى قديم والقدم صفة دلت العاقل على أنه لا شي‏ء قبله ولا شي‏ء معه في ديمومته، فقد بان لنا بإقرار العامة مع معجزة الصفة أنه لا شي‏ء قبل الله ولا شي‏ء مع الله في بقاءه وبطل قول من زعم أنه كان قبله أو معه شي‏ءذلك أنه لو كان معه شي‏ء في بقاءه لم يجز أن يكون خالقا له لأنه لم يزل معه فكيف يكون خالقا لمن لم يزل معه، ولو كان قبله شي‏ء كان الأول ذلك الشي‏ء لا هذا وبأن يكون خالقا للثاني» «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). المصدر في العيون عن الرضا عليه السلام في باب ما كتبه عليه السلام للمأمون من محض الإسلام وشرايع الدين. وفيه بإسناده إلى حمدان بن سليمان قال كتبت إلى الرضا عليه السلام أسأله عن أفعال العباد أمخلوقة هي أم غير مخلوقة؟ فكتب: افعال العباد مقدرة في علم اللّه تعالى قبل خلق العباد بألفي عام.

أقول: يعني من «خلق تقدير» امرا بين أمرين ومن خلق تكوين الجبر

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 468

أ ترى-/ بعد-/ ان اللّه خلق كلّ شي‏ء من شي‏ء كان معه أو قبله؟ وذلك نقض لتوحيد الأزلية! أم خلق كلّ شي‏ء من العدم؟ وليس العدم مادة الإيجاد!، أم خلق كلّ شي‏ء من شي‏ء ذاته؟ وذلك ولادة وليس خلقا!.

إنه خلق الأشياء من الخلق الأوّل المسمى بالماء: «وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ» وخلق المادة الأولى لا من شي‏ء، لا من لا شي‏ء ولا من شي‏ء معه أو قبله، فخلقه الشي‏ء الأوّل لم يكن له ما يخلق منه، فإنما خلقه بإرادته دون أصل إلّا هي خلقا دون ولادة ف «إن صانع كل شي‏ء فمن شي‏ء صنع والله الخالق اللطيف الجليل خلق وصنع لا من شي‏ء» «1».

وفي حوار للإمام الصادق عليه السلام مع الزنديق حيث قال:

«من أي‏شي‏ء خلق الأشياء؟

الامام عليه السلام: لا من شي‏ء.

الزنديق: فكيف يجي‏ء من لا شي‏ء شي‏ء؟

الامام عليه السلام: إن الأشياء لا تخلو أن تكون خلقت من شي‏ء أو من غير شي‏ء.

فإن كانت خلقت من شي‏ء كان معه فإن ذلك الشي‏ء قديم لا يكون حديثا ولا يفنى‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 1: 755 عن أصول الكافي عن أبي الحسن عليه السلام في حديث طويل: ان صانع ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 469

ولا يتغير، ولا يخلو ذلك الشي‏ء من أن يكون جوهرا واحدا ولونا واحدا فمن أين جاءت هذه الألوان المختلفة والجواهر الكثيرة الموجودة في هذا العالم من ضروب شتى، ومن أين جاء الموت إن كان الشي‏ء الذي أنشأت منه الأشياء حيا، أو من أين جاءت الحياة إن كان ذلك الشي‏ء ميتا، ولا يجوز أن يكون من حي وميت قديمين لم يزالا، لأن الحي لا يجي‏ء منه ميت وهو لم يزل حيا، ولا يجوز أيضا أن يكون الميت قديما لم يزل بما هو به الموت، لأن الميت لا قدرة له ولا بقاء «1».

لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103):

هذه من أمهات الآيات المحكمات تعريفا باللّه تعالى شأنه، مفسّرة لكافة المتشابهات التي يخيّل فيها أنه تعالى يبصر ببصر أو ببصيرة.

فالإدراك هو الوصول كيفما كان، و «الأبصار» جمع البصر الشامل لبصر العين، وبصر البصيرة، فطريا أو عقليا أو قلبيا أم في أسر الأسرار فهي أبصر من بصر العين، فلأن المبصر قد يكون محسوسا وأخرى غير محسوس، فالأبصار تعم باصرة المحسوسات‏سواها.

و «هُوَ اللَّطِيفُ» بحق اللطافة التي لا تدرك بحقيقة الذات وذاتيات الصفات بوحدتها

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). بحار الأنوار 9: 64 و 166 وهي من غرر الحاجات الجامعة لدررها

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 470

مع الذات، بل ولا الأفعال، إلّا أن يري اللّه من أفعاله شطرا بعض عباده المخلصين كما يمكن أن يرى.

ذلك فالحيطة العلمية والمعرفية على اللّه مستحيلة لمن سوى اللّه وعلى حد قول رسول اللّه صلى الله عليه و آله في ضوء الآية: «لو أن الجن والشياطين والملائكة منذ خلقوا إلى أن فنوا صفوا صفا واحدا ما أحاطوا بالله أبدا» «1» والصف الواحد هو في حقل المحاولات المعرفية لتلك الإحاطة.

هنا «لا تدركه» طليقة في استغراق أي‏زمان أو مكان أو أيّا كان من كائن غير اللّه في مثلث النشآت، حيث الأبصار بحدودها كليلة عن إبصاره تعالى فإنه اللّامحدود والمجرد الطليق عن كلّ حد، فليس محسوسا حتى يحس ولا مجسوسا حتى يجسّ ولا ملموسا حتى يلمس ف «لا يحس ولا يجس ولا يمس ولا يدرك بالحواس الخمس» ولا بغيره من إدراكات الأبصار وأبصار الإدراكات في أي‏حقل من الحقول ولأي عقل من العقول، «كلما ميزتموه بأوهامكم فهو مخلوق لكم مثلكم مردود إليكم».

«لا تدركه» لا تعني-/ فيما عنت «لا تعرفه» حيث المعرفة الممكنة المأمور بها لا تعني‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 3: 37-/ اخرج ابن أبي حاتم والعقيلي وابن عدي وأبو الشيخ وابن مردويه عن‏أبي سعيد الخدري عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله في قوله «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ ..» قال: ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 471

إدراكه بمعرفة كهذه، كما لا تعني «الأبصار»-/ فقط-/ أبصار العيون، حيث الجمع المحلّى باللّام يحلّق على كافة الأبصار في أي‏إبصار، سواء في هذه السلبية الطليقة أبصار عيون الإبصار أو أسرار البصائر، بصائر الفطر والعقول والقلوب والألباب والأفئدة أماهيه من وسائل الإبصار.

فلأن «لا تدركه» هي من ميّزاته تعالى عن خلقه، فإبصار واحد من واحد في أيّ من النشآت وفي أي‏حقل من حقوله من أي‏مبصر ينقض هذه الميّزة ويسوّيه بخلقه سبحانه في أصل الإبصار.

و لو أن «لا تدركه» اختصت بأبصار العيون لما اختصت ذاته بعدم الإبصار حيث إن من المادة أو الطاقة المادية ما لا تدركه الأبصار، و «إن أوهام القلوب أكبر من أبصار العيون فهو لا تدركه الأوهام وهو يدرك الأوهام» «1» ف «إياكم والتفكر في الله، لا يزيد إلا تيها إن الله عز وجل لا تدركه الأبصار ولا يوصف بمقدار» «2» «و لم تدركه الأبصار فيكون بعد انتقالها حائلا» «3».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1)

. نور الثقلين 1: 753 عن كتاب التوحيد باسناده إلى أبي هاشم الجعفري عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن اللّه عزّ وجلّ هل يوصف؟ فقال: أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قال: فتعرفون الأبصار؟ قلت: بلى قال: وما هي؟ قلت: ابصار العيون، فقال: إن.

(2). المصدر عن امالي الصدوق باسناده إلى أبي عبد اللّه عليه السلام قال: ..

(3). المصدر عن كتاب التوحيد خطبة لعلي عليه السلام يقول فيها: ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 472

ذلك، فكما أنه «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْ‏ءٌ» في ذاته وصفاته وأفعاله، كذلك «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ» في ذلك المثلث المقدس، حيث إن إبصاره إدراكا له يشبهه بخلقه المبصرين.

و لئن قلت: «فإنا روينا أن اللّه قسّم الرؤية والكلام بين نبيين فقسم لموسى الكلام ولمحمد صلى الله عليه و آله الرؤية؟! نقول:

فمن المبلغ عن اللّه إلى الثقلين من الجن والإنس أنه «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ» «وَ لا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً» و «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْ‏ءٌ»؟ أليس محمد صلى الله عليه و آله؟ .. بلى.

فكيف يجي‏ء رجل إلى الخلق جميعا فيخبرهم أنه جاء من عند اللّه وأنه يدعوهم إلى اللّه بأمر اللّه ويقول: إنه لا تدركه الأبصار-/ ولا يحيطون به علما-/ وليس كمثله شي‏ء، ثم يقول: أنا رأيته بعيني، وأحطت به علما وهو على صورة البشر؟ أما تستحيون!-/ ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا، أن يكون أتى عن اللّه بأمر ثم يأتي بخلافه من وجه آخر ... وحين يقال:

فتكذب بالرواية؟! نقول: إذا كانت الرواية مخالفة للقرآن كذبتها وما أجمع المسلمون عليه أنه لا يحاط به علما ولا تدركه الأبصار وليس كمثله شي‏ء ..» «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). بحار الأنوار 10: 343-/ 347، حوار للإمام الرضا عليه السلام مع أبو قرة المحدث صاحب شبرمةفيها بعد ما ختمنا به في المتن: قال أبو قرة: فأين الله، قال عليه السلام الأين مكان وهذه مسألة شاهد عن غائب والله تعالى ليس بغائب ولا يقدمه قادم وهو بكل مكان موجود مدبر صانع حافظ ممسك السماوات والأرض ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 473

و مما يحير العقول تقديم الرواية المختلقة في رؤية اللّه على محكمات القرآن وأدلة العقول، مما يدل على أن مختلقيها والمتمسكين بها ليسوا من أرباب العقول.

ذلك، وإلى خطب توحيدية للرسول صلى الله عليه و آله وعترته المعصومين عليهم السلام نبهة غالية على ضوء القرآن:

فمن خطبة للرسول صلى الله عليه و آله: «الحمد لله الذي كان في أوليته وحدانيا وفي أزليته متعظما بالإلهية متكبرا بكبريائه وجبروته، ابتدء ما ابتدع وأنشأ ما خلق على غير مثال كان سبق، ولا لشي‏ء مما خلق، ربنا اللطيف بلطف ربوبيته، وبعلم خبره فتق، وبإحكام قدرته خلق جميع ما خلق، وبنور الإصباح فتق، فلا مبدل لخلقه، ولا مغير لصنعه، ولا معقب لحكمه، ولا راد لأمره، ولا مستراح عن دعوته، ولا زوال لملكه، ولا انقطاع لمدته، وهو الكينون أولا والديموم أبدا، المحتجب بنوره دون خلقه في الأفق الطامح، والعز الشامخ، والملك الباذخ، فوق كل شي‏ء علا، ومن كل شي‏ء دنا، فتجلى لخلقه من غير أن يكون يرى، وهو بالمنظر الأعلى، فأحب الإختصاص بالتوحيد إذا احتجب بنوره، وسما في علوه، واستتر عن خلقه ...» «1».

و «... إن الخالق لا يوصف إلّا بما وصف به نفسه، وكيف يوصف الخالق الذي يعجز

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). البحار 4: 287-/ 288

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 474

الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحده، والأبصار عن الإحاطة به، جل عما يصفه الواصفون، نأى في قربه وقرب في نأيه، كيّف الكيفية فلا يقال له:

كيف؟ أيّن الأين فلا يقال له: اين؟ هو منقطع الكيفوفية والأينونية، فهو الأحد الصمد كما وصف نفسه والواصفون لا يبلغون نعته، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .... «1» ومن خطبة خطبها وزير الرسول صلى الله عليه و آله وخليفته علي عليه السلام بعد موته صلى الله عليه و آله: «الحمد لله الذي أعجز الأوهام أن تنال إلا وجوده، وحجب العقول عن أن تتخيل ذاته في امتناعها من الشبه والشكل، فارق الأشياء لا على اختلاف الأماكن، وتمكن منها لا على الممازجة، وعلمها لا بأداة لا يكون العلم إلا بها، وليس بينه وبين معلومه علم غيره، إن قيل كان فعلى تأويل أزلية الوجود، وإن قيل لم يزل فعلى تأويل نفي العدم، فسبحانه‏تعالى عن قول من عبد سواه واتخذ إلها غيره علوا كبيرا» «2».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1)

. المصدر، و فيه قدم عليه (ص) يهودي يقال له نعثل فقال يا محمد! إني سائلك عن أشياءتلجلج في صدري منذ حين، فان أنت اجبتني عنها أسلمت على يدك، قال (ص) سل فقال يا محمد صف لي ربك فقال: ان الله ... قال صدقت يا محمد أخبرني عن قولك انه واحد لا شبيه له أليس الله واحدا و الإنسان واحد فوحدانيته أشبهت وحدانية الإنسان؟ فقال (ص) الله واحد و أحدي المعنى و الإنسان واحد تنوي المعنى، جسم و عرض و بدن و روح فانما التشبيه في المعاني لا غير، قال: صدقت يا محمد!»

(2). البحار 4: 221، هي الخطبة التي خطبها بعد موت النبي صلى الله عليه و آله بتسعة أيام حينما فرغ من جمع القرآن‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 475

ومن خطبة له عليه السلام خطبها في مسجد الكوفة: «الحمد لله الذي لا من شي‏ء كان ولا من شي‏ء كون ما قد كان، المستشهد بحدوث الأشياء على أزليته، وبما وسمها به من العجز على قدرته، وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه، لم يخل منه مكان فيدرك بأينية، ولا له شبح مثال فيوصف بكيفية، ولم يغب عن شي‏ء فيعلم بحيثية، مباين لجميع ما أحدث في الصفات، وممتنع عن الإدراك بما ابتدع من تصريف الذوات، وخارج بالكبرياءالعظمة من جميع تصرف الحالات، محرم على بوارع ثاقبات الفطن تحديده، على عوامق ثاقبات الفكر تكييفه، وعلى غوائص سابحات النظر تصويره، لا تحويه الأماكن لعظمته، ولا تذرعه المقادير لجلاله، ولا تقطعه المقاييس لكبريائه، ممتنع عن الأوهام أن تكتهنه، وعن الأفهام أن تستغرقه، وعن الأذهان أن تمثله، قد يئست من استنباط الإحاطة به طوامح العقول، ونضبت عن الإشارة إليه بحار العلوم ورجعت بالصفر عن السمو إلى وصف قدرته لطائف الخصوم ...» «1».

ومن خطبة له عليه السلام حين استنهض الناس في حرب معاوية: «الحمد لله الواحد الأحد ... و غار في ملكوته عميقات مذاهب التفكير، وانقطع دون الرسوخ في علمه جوامع التفسير، وحال دون غيبه المكنون حجب من الغيوب، تاهت في أدنى أدانيها طامحات‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). المصدر 221-/ 223

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 476

العقول في لطيفات الأمور، فتبارك الذي لا يبلغه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، تعالى الله الذي ليس له وقت معدود ولا أجل ممدود ولا نعت محدود ...» «1».

ومن كلام له في ماهيته تعالى تأويلا للصمد: «لا اسم ولا جسم ولا مثل ولا شبه ولا صورة ولا تمثال ولا حد ولا حدود ولا موضع ولا مكان ولا كيف ولا أين ولا هنا ولا ثمة ولا ملأ ولا خلأ ولا قيام ولا قعود ولا سكون ولا حركة ولا ظلماني ولا نوراني ولا روحاني ولا نفساني ولا يخلو منه موضع ولا على لون ولا على خطر قلب ولا على شم رائحة منفي عنه هذه الأشياء» «2».

ومن خطبة للإمام الحسن المجتبى عليه السلام: «الحمد لله الذي ليس له أول معلوم، ولا آخر متناه، ولا قبل مدرك ولا بعد محدود، ولا أمد بحتى، ولا شخص فيتجزء، ولا اختلاف صفة فيتناهى، فلا تدرك العقول وأوهامها ولا الفكر وخطراتها، ولا الألباب وأذهانها صفته فيقول متى؟ ولا بدء مما؟ ولا ظاهر على ما؟ ولا باطن فيما؟ ولا تارك فهلا؟

...» «3».

ومن كلام للإمام الحسين عليه السلام حول التوحيد: «أيها الناس اتقوا هؤلاء المارقة الذين‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). المصدر

(2). المصدر 3: 230 عن ابن الحنفية عنه عليه السلام‏

(3). المصدر

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 477

يشبهون الله بأنفسهم يضاهئون قول الذين كفروا من أهل الكتاب، بل هو الله ليس كمثله شي‏ء وهو السميع البصير، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، وهو الواحد الصمد، ما تصور في الأوهام فهو خلافه، ليس برب من طرح تحت البلاغ، ولا بمعبود من وجد في هواء أو غير هواء ...

احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار وعمن في السماء احتجابه عمن في الأرض ...» «1».

ومن خط الامام الرضا عليه السلام: «لا تشمله المشاعر ولا يحجبه الحجاب، فالحجاب بينه‏بين خلقه لامتناعه مما يمكن في ذواتهم، ولإمكان ذواتهم مما يمتنع منه ذاته، ولا فتراق الصانع والمصنوع والرب والمربوب» «2».

ومن حوار له عليه السلام مع زنديق يقول له: «فلم احتجب»؟ فيقول عليه السلام: إن الحجاب على الخلق لكثرة ذنوبهم، فأما هو فلا تخفى عليه خافية في آناء الليل، فلا تدركه حاسة البصر؟ للفرق بينه وبين خلقه الذين تدركهم حاسة الأبصار منهم ومن غيرهم، ثم هو أجل من أن يدركه بصر أو يحيط به وهم، أو يضبطه عقل ..» «3».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). المصدر 4: 301

(2). المصدر

(3). المصدر 3: 36 ح 11 وفيه أخيرا «فما برح الزنديق حتى اسلم»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 478

ومن حوار له عليه السلام مع سائل في جواب كيف هو وأين هو؟ قال عليه السلام: «ويلك إن الذي ذهبت إليه غلط، وهو أين الأين وكان ولا أين، وهو كيف الكيف وكان ولا كيف، فلا يعرف بكيفوفية ولا بأينونية ولا بحاسة ولا يقاس بشي‏ء، قال الرجل: فإذا إنه لا شي‏ء إذاً لم يدرك بحاسة من الحواس؟ فقال عليه السلام: ويلك لما عجزت حواسك عن إدراكه أنكرت ربوبيته! ونحن إذا عجزت حواسنا عن إدراكه أيقنا أنه ربنا وأنه شي‏ء بخلاف الأشياء ...» «1».

ومن حوار للإمام الصادق عليه السلام مع الزنديق: الزنديق: كيف يعبد اللّه الخلق ولم يروه؟.

الامام عليه السلام: رأته القلوب بنور الايمان وأثبتته العقول بيقظتها اثبات العيان وأبصرته الأبصار بما رأته من حسن التركيب وإحكام التأليف، ثم الرسل وآياتها والكتب وبحكماتها، واقتصرت العلماء على ما رأت من عظمته دون رؤيته.

الزنديق: أليس هو قادرا أن يظهر لهم حتى يروه ويعرفوه فيعبد على يقين؟.

الامام عليه السلام: ليس للمحال جواب» «2» ذلك، فاختصاص «لا تدركه» بأبصار العيون، او اختصاصها ايضا بدركها إياه يوم الدنيا، ذلك كله اجتثاث لميزة الربوبية الخاصة.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 1: 754 في عيون الأخبار

(2). المصدر 9: 64 و 166

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 479

ف «لا تدركه» تحلق على كلّ زمان، كما ان «الأبصار» تحلق على كافة الأبصار، بل‏صدقها على أبصار القلوب أحرى من أبصار العيون ف «قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها» إذ لا يعني الأبصار فيها والعمى إلّا أبصار القلوب و عماها «1» كما و «قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ واجِفَةٌ. أَبْصارُها خاشِعَةٌ» (79: 9) «2» وقد تكفي عناية البصائر من الأبصار بجنب عناية العيون لعناية الاستغراق في «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ».

بل والإدراك ايضا ليس في الأغلبية الساحقة إلّا بحق القلوب، وأما العيون فحقها «لا ترى-/ لا تبصر» وما أشبه.

و كما نرى آيات الإدراك كلها تعني الوصول وهو فعل القلب أم واقع الوصول دون العيون التي لا تجد إلّا صورا منعكسة عن الواقع قد تخطأ «3».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1)

. نور الثقلين 1: 752 في كتاب التوحيد باسناده إلى عبد اللّه بن سنان عن أبي عبد اللّه عليه السلام في‏قوله عزّ وجلّ: لا تدركه الأبصار، قال: ما أحاطه الوهم، ألا ترى الى قوله: «قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ» ليس يعني بصر العيون «فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ» ليس يعني من البصر بعينه «وَ مَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها» لم يعن عمى العيون انما عنى احاطة الوهم كما يقال فلان بصير بالشعر وفلان بصير بالفقه وفلان بصير بالدراهم وفلان بصير بالثياب، اللّه أعظم من ان يرى بالعين‏

(2). من آيات تلكم الأبصار: «إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ» (3: 13) (اولي‏الْأَيْدِي وَ الْأَبْصارِ» (38: 45) (فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصارِ» (59: 2) (وَ عَلى‏ أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ» (2: 7) (وَ نُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَ أَبْصارَهُمْ» (6: 110) (أُولئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلى‏ قُلُوبِهِمْ وَ سَمْعِهِمْ وَ أَبْصارِهِمْ» (16: 108) (أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعْمى‏ أَبْصارَهُمْ» (47: 23)

(3). مثل «حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ» (10: 90) (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ» (36: 40) (أَيْنما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ» (4: 78) (فَلَمَّا تَراءَا الْجَمْعانِ قالَ أَصْحابُ مُوسى‏ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ» (36: 61)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 480

أجل «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ» لعللها وكللها بحدودها وقيودها، ولأنه تعالى لا يحسّ ولا يجسّ ولا يمسّ ولا يدرك بالحواس الخمس وسائر الإدراك.

«وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ» لحيطته على كلّ شي‏ء، أنّه «عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ وَكِيلٌ» ثم: «وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» لطيف لا يدرك، ولطيف يدرِك كلّما يدرَك أو لا يدرك، لطيف عن كلّ الأبصار، ولطيف الإبصار لكلّ الأبصار، لطيف في ذاته وفي أفعاله وصفاته، لطيف في صنعه، لطيف في عطفه ولطفه لطيف لطف بخلق ما سميناه بلا علاج ولا أداة وإن صانع كل شي‏ء فمن شي‏ء صنع، والله الخالق اللطيف الجليل خلق وصنع لا من شي‏ء «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 1: 755 عن اصول الكافي عن الفتح بن يزيد الجرجاني عن أبي الحسن عليه السلام ... فقولك «اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» فسره لي كما فسرت الواحد فإني اعلم ان‏لطفه على خلاف لطف خلقه للفعل غير أني أحب ان تشرح لي ذلك فقال عليه السلام يا فتح! إنما قلنا اللطيف للخلق اللطيف لعلمه بالشي‏ء اللطيف أو لا ترى وفقك اللّه وثبتك إلى اثر صنعه في النبات اللطيف وغير اللطيف ومن الخلق اللطيف ومن الحيوان الصغار ومن البعوض ومن الجرجس وما هو أصغر منها لا يكاد تستبينه العيون بل لا يكاد يستبان لصغره الذكر من الأنثى والحدث المولود من القديم فلما رأينا صغر ذلك في لطفه واهتداءه للفساد والهرب من الموت والجمع لما يصلحه وما في لجج البحار و ما في لحاء الأشجار والمفاوز والقفار وافهام بعضها عن بعض منطقها وما يفهم به أولادها عنها و نقلها الغذاء إليها ثم تأليف ألوانها حمرة مع صفرة وبياض مع حمرة وانه ما لا يكاد عيوننا تستبينه لدمامة خلقها لا تراه عيوننا ولا تلمسه أيدينا علمنا ان خالق هذا الخلق لطيف ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 481

فليس «اللطيف على قلة وقضافة وصغر ولكن ذلك على النفاذ في الأشياء والامتناع من أن يدرك ...» «1».

ذلك هو اللطيف «و أما الخبير فالذي لا يعزب عنه شي‏ء ولا يفوته، ليس للتجربة ولا للاعتبار بالأشياء، فعند التجربة والإعتبار علمان ولولاهما ما علم، لأن من كان كذلك كان جاهلا، والله لم يزل خبيرا بما خلق، والخبير من الناس المستخبر عن جهل، المتعلم، و قد جمعنا الاسم واختلف المعنى» «2».

ذلك! وما أجهله وأحمقه من يستدل بهذه الآية على جواز رؤيته تعالى، سنادا بأن امتداحه ب «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ» لا يصح إلّا بإمكانية رؤيته، حيث المعدوم المطلق أيضا لا تدركه الأبصار وليس بحقه مدحا «3».

و لكن خفي عليه أن امتناع إدراك ذاته هو امتداح لها، يعني تجرده اللانهائي، وعدم إبصار المعدوم ليس إلّا لسلب الموضوع، وأما الموضوع الموجود الممتنع إبصاره للخلق‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). المصدر عنه عليه السلام حديث طويل وفيه «و أما اللطيف فليس ... كقولك للرجال لطف عني هذا الأمر ولطف فلان في مذهبه، وقوله يخبرك أنه غمض فيه العقل وفات الطلب وعاد متعمقا متلطفا لا يدركه الوهم، فذلك لطف الله تبارك وتعالى عن ان يدرك بحد أو يحد بوصف‏اللطافة منا الصغر والقلة فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى»

(2). المصدر 756 عن اصول الكافي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام ...

(3). ذكره الفخر الرازي في تفسيره‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 482

لتجرده اللانهائي، فذلك له غاية الامتداح.

و لأن «الأبصار» هنا أبصار الخلق، فإبصاره تعالى ذاته خارج عن سلبية الإبصار لكلّ الأبصار، فإبصاره تعالى بين ما هو لزام ذاته كإبصاره تعالى ذاته وما هو في حزام‏امتناع و هو إبصاره تعالى لخلقه أن يبصروه.

فإبصار المحدود بأية أبصار ممتنع بالنسبة للّامحدود، ثم إبصار اللّامحدود لذاته هو لزام علمه بذاته، وإبصار محدود لمحدود ممكن في ذاته.

ففي مثلث الأبصار، ليست الزاوية الواجبة لتفرض المستحيلة، ولا المستحيلة لتحيل الواجبة، كما الممكنة لا تفرض سواها كما لا تحيل!.

و أما أن «الأبصار» جمع الاستغراق وسلبه سلب لذلك الاستغراق اللّامح لثبوت الرؤية لبعض الأبصار؟ فغريب في نوعه، حيث الاستغراق في موضع السلب استغراق للسلب لا سلب للاستغراق حتى يلمح لثبوت البعض، ولو عني سلب الاستغراق لكان الصحيح «لا تدركه كل الأبصار».

و كذلك القول إن بالإمكان أن يخلق اللّه حسا سادسا يوم القيامة به يرى اللّه؟ حيث الأبصار تعم كافة الحواس والإدراكات الظاهرة والباطنة أينما كانت وأيان! وما يخلقه اللّه-/ فيما يزعم-/ من أبصار، محدود لأنه من خلقه، وليس للمحدود أن يحيط على‏

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 483

اللامحدود، ثم وهو غير مجرد عن المادة، وليس للمادي أن يدرك غير المادي فان وسائل الإدراك محدودة بحدودها، والمسانخة بين المدرك والمدرك من لزامات الإدراك.

ذلك، ولمّا يخاطب موسى عليه السلام في حقل رؤيته تعالى ب «لن تراني» المحيلة لرؤيته لموسى على أية حال، فبأن يحيل رؤيته تعالى لغير موسى أحرى.

و القول إن الرؤية نوعان ثانيهما الرؤية مع الإحاطة وهي الإدراك، فنفي الإدراك إنما ينفي هذه الثانية دون الأولى، مردود بأن ذلك إنما يصح في المرئي المتجزئ فقد يرى بعضه دون بعض، وأما المجرد الصمد الذي لا تركّب فيه فسلب إدراكه هو سلب رؤيته إذ لا تنقسم رؤيته إلى هذين القسمين إحاطة ودونها، اللّهم إلّا أن تعني الرؤية غير المحيطة و هي المعرفة الممكنة للّه تعالى.

و أما أن الآيات الدالة على رؤيته تعالى تخصص عموم الاستغراق في سلب إدراكه تعالى، فذلك نقش بالنفخ على الحجر، إذ ليست هنا آية ولا لمحة أن اللّه تعالى يرى، اللّهم إلّا رؤية المعرفة الممكنة وهي ليست إدراكا له تعالى، لأنه الوصول والحيطة على ذاته، ومجرد الرؤية هي مجرد المعرفة دون حقها فضلا عن حق الإدراك، وهكذا تعني «وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى‏» كما تفسرها «ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى‏» فلقد رآه دون إدراك بفؤاده المتفئد بنور المعرفة الممكنة لأعلى قممها حيث إنه صلى الله عليه و آله «دَنا فَتَدَلَّى. فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 484

أَدْنى‏».

المحدود إلى اللّامحدود، أو اللّامحدود إلى المحدود، فأي بصر يتصور لا يمكن أن يدرك اللّه تعالى، لا بصرا حيث الأبصار المادية ليست لتدرك إلّا المبصرات، فلكلّ آلة للإدراك حقله الخاص، فكما لا يبصر بالأذن، ولا يسمع بالبصر، فبأحرى استحالة ألا يحسّ غير المحسوس بأية حاسة من الحواس، ثم ولا بصيرة لمكان المحدودية.

فحين نتخطى عن إدراكه بأبصار العيون، فأبصار البصائر أيضا عليلة كليلة عن أن تدركها لاستحالة ادراك المحدود اللّامحدود.

و القول: إن بإمكان ربنا أن يرينا نفسه بقدرته الطليقة ورحمته الواسعة؟ مردود بأن القدرة فضلا عن الرحمة لا تتعلق بالمحال، إذ لا سبيل إلى ادراك ذاته إلّا اللّامحدودية الربانية كما اللّه، وهي ليست بالتي تخلق، حيث اللّامحدود غني الذات، وكونه مخلوقا يخرجه عن غناه الذاتي، والمحال-/ ولا سيما الذاتي-/ هو محال على أية حال، وتعلق القدرة بما يخيّل إلينا أنه محال يخرجه عن الاستحالة.

ذلك ومن خطب لعلي أمير المؤمنين عليه السلام حول استحالة إدراكه تعالى ورؤيته: «و امتنع على عين البصيرة» (49/ 106)-/ «لم يطلع العقول على تحديد صفته» (49/ 106) «لا تقع الأوهام له على صفة، ولا تعقد القلوب منه على كيفية، ولا تناله التجزئة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 485

والتبعيض، و لا تحيط به الأبصار والقلوب» (89/ 161)-/ «هو القادر الذي إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته، وحاول الفكر المبرأ من خطرات الوساوس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته، وتولهت القلوب إليه لتجري في كيفية صفاته، وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته، ردعها وهي تجوب مهاوي سدف الغيوب متخلصة إليه سبحانه، فرجعت إذ جبهت معرفة بأنه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته، ولا تخطر ببال أولي الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته» (89/ 1/ 162)

قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَ أَنَّ أَكْثَرَكُمْ فاسِقُونَ (59).

هنا «تنقمون» منا تتبنّى ككلّ فسقهم عن الايمان باللَّه في مثلث «أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ» وأنتم غير مؤمنين باللَّه، لا إيمانا به إلها واحدا حيث الصبغة الشركية المتخلفة المختلفة الحاكمة فيكم، ولا إيمانا به تسليما وإلّا فلما ذا تكفرون بشرعته الأخيرة المبينة ببراهين الصدق أكثر من كل شرعة.

2-/ (وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا» من القرآن حيث ينسخ ما أنزل من قبل في بعض الطقوس، وهو نازل على رسول غير إسرائيلي.

3-/ (وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ» حيث الايمان بما أنزل من قبل لزامه الإيمان بهذه الشرعة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 486

الأخيرة بما يحمل من بشارات في تصريحات وإشارات لها ولرسولها وكتابها.

فثالوث النقمة علينا بمثلث الايمان يجعل منكم فاسقين في هذه الثلاث، فإذا كانت هنا نقمة فلتكن لنا منكم لفسقكم عن شرعة اللَّه وايماننا.

و معهم المستضعفون الذين لا يعلمون الكتاب إلّا أماني، قاصرين عن ذلك الإيمان الإسلامي الذي هو قضية الإيمان الكتابي السليم‏ «1».

و النقمة هي الإنكار بقال أم حال أم أعمال، ولقد جمع أهل الكتاب ثالوث النقمة منا، قد تندد «ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ» بديلة عن «ما أنزل إليكم» تندّد بهم كأنه ما أنزل إليهم إذ عاملوا كتبهم معاملة النكران بكفر أو كفران ولأن كلا من أهل الكتابين لهم تفرقات بين رسل اللَّه وشرائعه، فالجمع بين الإيمان باللَّه ورسله وكتبه ككل، يناحر سيرتهم المتخلّفة، إضافة إلى انحرافهم في كلّ من زوايا الإيمان الثلاث، فهم-/ إذا-/ كافرون بها جمعا وإفرادا، فلو كانوا يؤمنون باللَّه إيمانا سليما لكانوا مؤمنين بكل رسالاته وكتاباته دون‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 3: 294-/ اخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس قال أتى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله نفر من يهود فيهم أبو ياسر بن أخطب ونافع بن أبي نافع‏غازي بن عمرو وزيد بن خالد بن أبي إزار وأسقع فسألوه عمن يؤمن به من الرسل قال: «آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ إِلى‏ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ ما أُوتِيَ مُوسى‏ وَ عِيسى‏ وَ ما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا: لا نؤمن بعيسى فأنزل اللَّه «قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ ..»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 487

تفريق، ولو كانوا يؤمنون بما أنزل إليهم لكانوا-/ بأحرى-/ مؤمنين بهذا القرآن العظيم، فإن سلسلة الرسالات الربابية بكتاباتها سلسلة واحدة موحدة، رسالة واحدة من إله واحد لاتّجاه واحد يحملها كل رسل اللَّه مهما اختلفت شرائعهم في بعض الطقوس ابتلاء ف «لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ لكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ ..» (5: 48).

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ وَ جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنازِيرَ وَ عَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولئِكَ شَرٌّ مَكاناً وَ أَضَلُّ عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ (60):

ف «بِشَرٍّ مِنْ ذلِكُمُ» الفسق بثالوثه «مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ ..» وكيف «مثوبة» وهي عقوبة مغلّظة تخطت الآخرة إلى الدنيا؟ المثوبة هي من أصل الثوب وهو رجوع الشي‏ء إلى حالته الأولى التي كان عليها، أو إلى الحالة المقدرة المقصودة، ولأن جزاء الأعمال ليس إلّا ظهور الأعمال فحقائقها فهو مثوبة في خيرها وشرها، مهما غلب استعمالها في خيرها حيث المثوبة الخيّرة هي المقصودة، كما أن سببها هي الحالة السليمة الفطرية.

و قد تعني «مثوبة» هنا-/ إضافة إلى أصل الرجوع إلى الحالة الأولى-/ التعريض بهؤلاء أن ثوابهم هو أشد العقاب حيث تخلفوا عن الايمان باللَّه معاندين.

ذلك، كما وأن «حُسْنَ ثَوابِ الآْخِرَةِ» (3: 148) تقتسم الثواب إلى حسن وسوء

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 488

والثاني هو العقاب، وكذلك «وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً» (28: 80) تنحو منحى ذلك التقسيم وهذا مثل البشارة الخاصة في أصلها بالخيرات وتأتي تهكما للشرك «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ» حيث تعني لو أن لهم بشارة فليست إلّا العذاب الأليم فضلا عن الإنذار.

و قد تعني «بِشَرٍّ مِنْ ذلِكَ» شرا من مثلث الإيمان مجاراة وتنازلا بتهكم، إلى شر فسقهم بثالوثه، فلئن كان ذلك الإيمان شرا عندكم ف «مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَ ..» أشر من ذلك، وإن صدقتم أن فسقكم ذلك شر ف «ومن عجيب التماثل بين ثالوثهم السالف ذلك الثالوث الذي هو شر منه: «مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ-/ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ-/ وَ جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنازِيرَ وَ عَبَدَ الطَّاغُوتَ»! وهنا «عَبَدَ الطَّاغُوتَ» معطوفة على «مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ» بفاصل-/ وجعل ..-/ أم على «جعل ..» أي‏جعل منهم من عبد الطاغوت كما جعل منهم القردة والخنازير.

و لا يرد على الثاني أنه يقتضي كون عبادة الطاغوت من جعل اللَّه حيث يعني الإذن تكوينيا بما اختاروا عبادة الطاغوت، لا تسييرا عليها ولا تشريعا لها، وذلك مثل «نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ» والكل من باب «فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ».

ثم المعنى الأوّل وهو أسلم منه، لا يرد عليه ذلك الفصل فإن «غضب عليه-/

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 489

إلى-/ الخنازير» مواصفة ل «مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ»، ثم «وَ عَبَدَ الطَّاغُوتَ» معطوفة على «مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ»، وقد يعني العطف كليهما عناية لهما وهو أجمع وأجمل دلالة ومدلولا.

ذلك، فمن «لَعَنَهُ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ» جماعة من اليهود حيث تغلّب عليهم غضب اللَّه مهما شمل غيرهم كما في آيات‏ «1».

و أما من جعل منهم قردة فهم المتخلفون من أصحاب السبت «فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ ما نُهُوا عَنْهُ قُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ» (7: 166).

و قد يرجح من جعل منهم خنازير أنهم من النصارى وكما هدّدهم اللَّه تعالى في إجابة دعاء المائدة:

«قالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُها عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ» (5: 115) ولا يحمل ذلك الجعل إلّا هذه الآية، فحيث المقام هو مقام التنديد بكفرة أهل الكتاب فليكن للنصارى نصيب كما لليهود، أم إنهم كالقردة من اليهود «عَبَدَ الطَّاغُوتَ» من النصارى، أم كل هذه منقسمة على كل من هو شر مكانا وأضل عن سواء السبيل من جمع أهل الكتاب، اللهمّ إلّا القردة الخاصة باليهود حسب النص‏ «2» «من‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). كالآية 16: 109 و 42-/ 16 و 7: 171 و 20: 81 و 8: 16 و 4: 13، حيث تجعل غضب الله على كل من يستحقونه من كافة الملل والنحل دون اختصاص‏

(2). في تفسير الفخر الرازي 12: 36 قال أهل التفسير عني بالقردة اصحاب السبت وبالخنازير كفارمائدة عيسى وروي ايضا أن المسخين كانا في أصحاب السبت لأن شبابهم مسخوا قردةمشايخهم مسخوا خنازير

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 490

عبد الطاغوت» هم كل هؤلاء الذين استسلموا للطواغيت حيث «اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ..» (9: 31).

و هل إن كل القردة والخنازير هي من أنسال هؤلاء الذين جعلهم اللَّه قردة وخنازير؟ كلّا، فقد خلقت القردة والخنازير قبل هؤلاء وتستمر، و «إن الله لم يهلك قوما أو يمسخ قوما فيجعل لهم نسلا ولا عاقبة وإن القردة والخنازير قبل ذلك» «1»، «و لكن خلق فلما غضب الله على اليهود فمسخهم جعلهم مثلهم» «2».

و هذه قضية العدالة الربانية أن يعذب من يستحقه أن يجعل قردا أو خنزيرا دون نسله حيث «لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى‏» ومن جعل قردا أو خنزيرا إنما يجعل جسمه مثلهما دون روحه حتى يتحقق العذاب بما يشعر أنه إنسان بصورة قرد أو خنزير.

«أُولئِكَ شَرٌّ مَكاناً» منكم، أو ومنا لو كنا من الأشرار «و أضل» منا ومنكم «عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ» فيا اخوان القردة والخنازير الذين لعنهم اللَّه وغضب عليهم وعبدوا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 2: 295-/ اخرج مسلم وابن مردويه عن ابن مسعود قال سئل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عن‏القردة والخنازير أهي مما مسخ اللَّه فقال: ..

(2). المصدر اخرج الطيالسي واحمد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن مسعود قال: سألنا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عن القردة والخنازير أهي من نسل اليهود؟ فقال: لا إن اللَّه لم يلعن قوما قط فمسخهم فكان لهم نسل ولكن.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج‏15، ص: 491

الطاغوت هل نحن المسلمين المؤمنين باللَّه وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل شر مكانا أم أنتم؟.

ذلك وليست النقمة اليهودية والنصرانية من المسلمين تقف لحد، بل انها في شدّ ومدّ ما شد الإسلام ومدّ، فهم يحاربون المسلمين هذه الحرب الشعواء العشواء التي لم تضع أوزارها قط ولن، منذ أن قام للمسلمين كون وكيان في المدينة وتميزت لهم شخصية.

فهم يشنّون عليهم مختلف الحروب الباردة الدعائية والحارة الحارقة لا لشي‏ء إلّا لأنهم مسلمون للَّه مستسلمون، ولا تطفأ هذه النار عنهم إلّا أن يرتدوا عن دينهم فيتبعونهم رغم ظاهر إسلامهم الفاضي عن الحقيقة والحيوية ف «لَنْ تَرْضى‏ عَنْكَ الْيَهُودُ وَ لَا النَّصارى‏ حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدى‏» (2: 120).

فالإسلام الفائض بمثلث الإيمان باللَّه وما أنزل من القرآن وما أنزل من قبل، ذلك الإسلام ينقم منه ومن المسلمين له ما طلعت الشمس وغربت من قبل اليهود والنصارى، إلّا أن يصبح فاضيا عن حقيقته تابعا للاستعمار اليهودي والنصراني كما نراه في الأكثرية المطلقة من الدول الإسلامية حيث يساندها الاستعمار ولا يحاربها.